جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
دائرة العلوم الشرعية
شعبة التفسير وعلوم القرآن

الاتبـــاع في الكتاب والســـنة

رســـالة علميـــة مقـــدمة لنيـــل درجـــة الدكتوراه

إعداد الطالب / ادريس حامـد محمـد

اشـراف الدكتور / السـر محمـد الأمين

العـام الجامعي

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
دائرة العلوم الشرعية
شعبة التفسير وعلوم القرآن

الاتباع في الكتاب والسنة

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب / إدريس حامد محمد

إشراف الدكتور / الزين محمد الأمين

العام الجامعي

١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

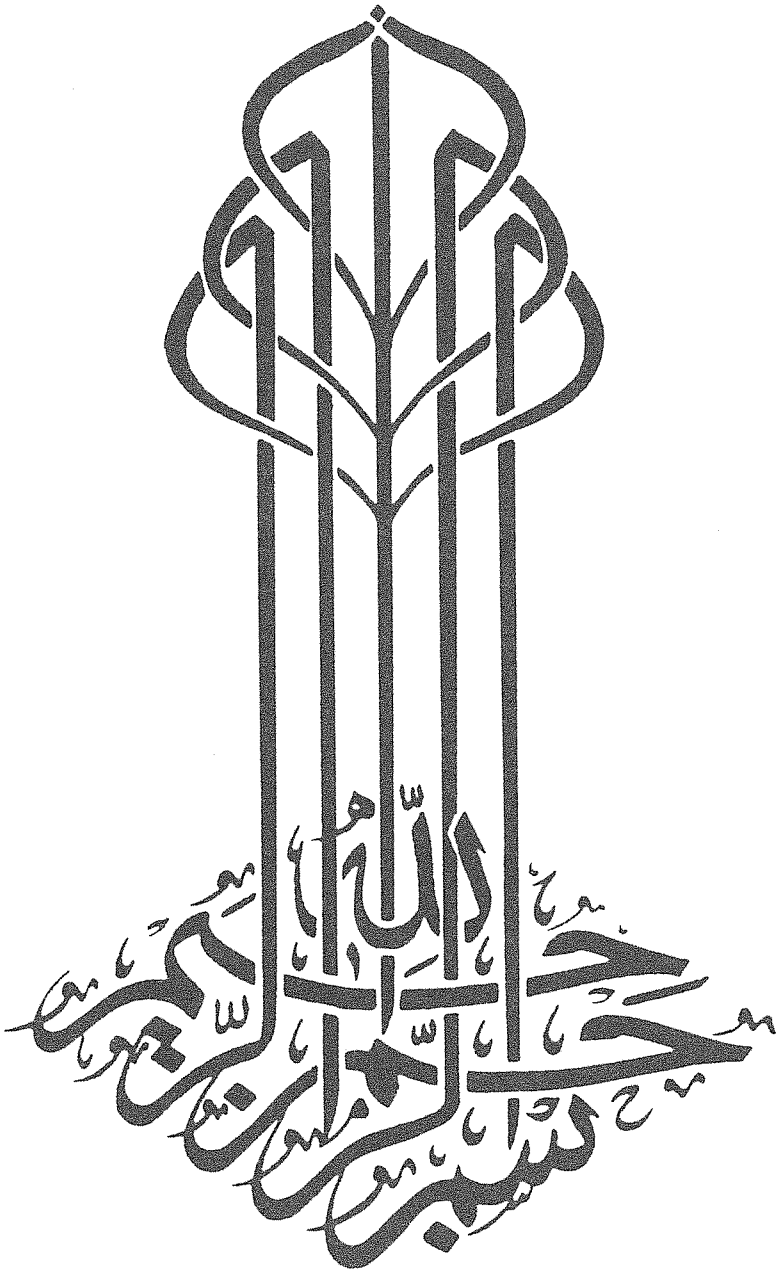

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شكر وعرفان

فإني أحمد الله وأشكره، وقد تأذن بالزيادة لمن شكر، حيث من الله تعالى علي بنعمه الكثيرة فجعلني من أمة محمد أولا، ووفقني لطلب العلم الشرعي ثانيا، وأعانني على اتمام هذا البحث ثالثا فله الحمد والشكر في الأولى والآخرة،

ومن باب الاعتراف بالفضل لأهله فإني أتوجه بالشكر الجزيل وأسمى آيات التقدير إلى أستاذي الكريم المشرف على هذا البحث فضيلة الدكتور: السر محمد الأمين الأستاذ المشـــــارك بكلية القرآن الكريم، والذي احتضن موضوع البحث منذ نشأته، وأولاه عنايته، ومنحه اهتمامه، ففتح لي قلبه، وبيته، ومكتبه، ولم يمنعه بعد المسافات بيننا من ابداء توجيهاته وملاحظاته بعد قراءة كل مبحث من مباحثه، فجزاه الله عني خير الجزاء وأعظم مثوبته، وجعل ذلك في ميزان حسناته.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور محجوب أحمد طه عميد كلية الدراسات العليا سابقا والأستاذ بالكلية حيث كان له فضل لا أنساه في تثبيت وتقويم ما جاء في مخطط البحث وعنوانه ، فشد من عزيمتي واستنهض همتي في المواصلة في البحث والدراسة فأسأل الله أن يعظم له الأجر والمثوبة.

كما أشكر أخي وزميلي الأستاذ/ جمعه أحمد آدم – على خدماته المتواصلة فقد كان بحق حلقة وصل بيني وبين مشرفي فأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء.

وأعم بالشكر الوافر كل من مد لي يد العون والمساعدة من مشايخي وزملائي بتوجيه أو إرشاد أو نصح أو مساعدة أو إعارة بعض المصادر، أو غير ذلك من المساهمات الخيرة، وسأبقى حافظا للجميع معروفهم.

كما لا أنسى أن أخص هذه الجامعة الشامخة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وكل القائمين عليها بأعظم الشكر وأجزله وأوفر الثناء والتقدير لتفضلهم بقبولي واختياري أن أكون أحد طلاب هذه الجامعة الرائدة ثم قبول هذه الرسالة العلمية فبارك الله في جهودهم ونفع بهم الإسلام والمسلمين، وأحسن مثوبتهم .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الواجب على الخلق اتباع الكتاب والسنة، فهو ليس عملية اختيارية، أو مسألة أفضلية، إنما هو أمر واجب وحتم لازم، فما أنزل القرآن إلا ليكون منهاجا وما أرسل الرسول عليه السلام إلا ليتبع وخلاف ذلك هو الضلال المبين.

شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى ١١/ ٢٦٨

فالسعيد من اعتصم بكتاب الله واتبع الرسول في سنته وشريعته، والمهتدي بمناره المقتفي لآثاره هو أفضل الخلق في دنياه وأخرته

شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى ١٨/ ٢٤٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

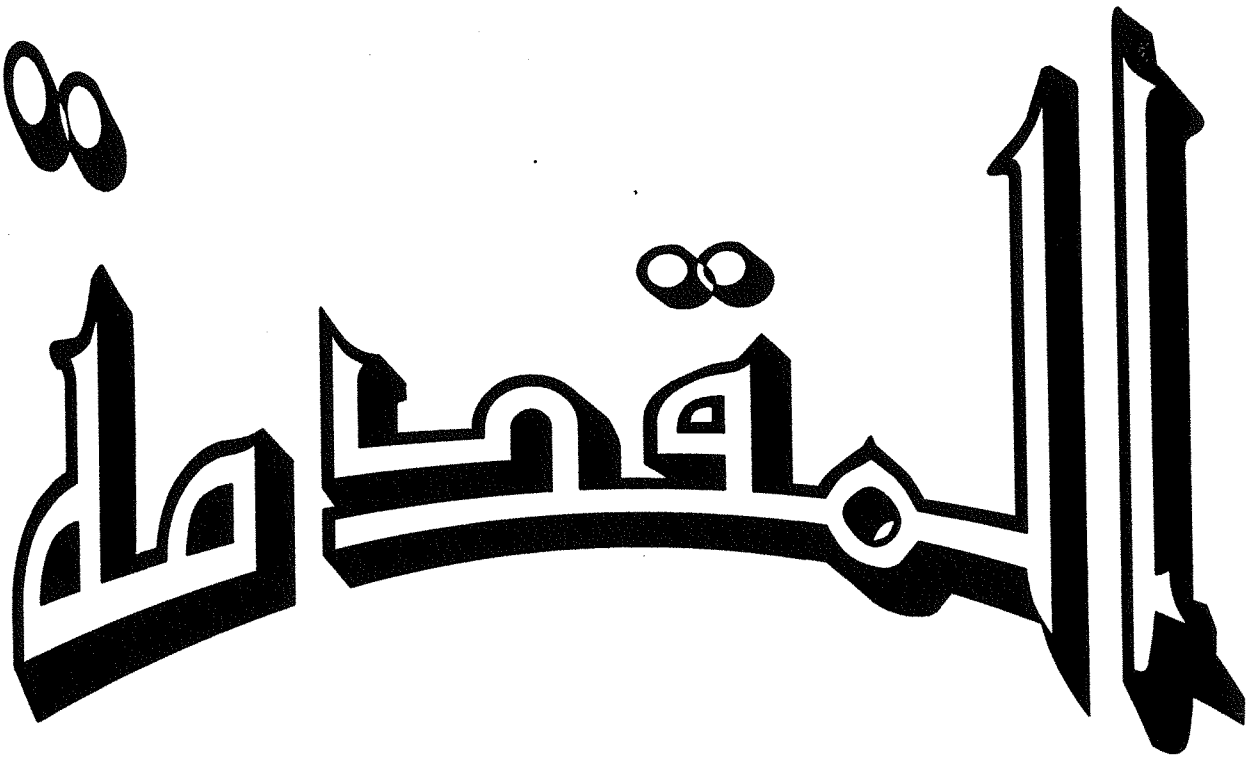

وتشتمل على:

١. الاستفتاح
٢. أهمية الموضوع
٣. أهدافه
٤. أسباب اختياره
٥. خطة البحث
٦. منهج البحث

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــة

الحمد لله الذي اصطفى عباده المؤمنين، ووفقهم فأفنوا أعمارهم في خدمة هذا الدين، وأعانهم حتي مهدوا قواعده، وقيدوا شوارده ودونوا أصوله، امتثالا لأمره ونصحا لله ولرسوله ولعامة عباده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمر بطاعته ومتابعة كتابه وسنة رسوله عليه السلام ونهى عن اتباع الباطل والتقليد المذموم، والتبعية العمياء، وأشهَد أن محمدا عبده ورسوله الذي جعل متابعته عنوان محبته التي هي من أفضل القرباتصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا

أما بعد

إن شريعة الله تعالى المنزلة على العباد شريعة عامة تشمل الثقلين: الجن والإنس فعلى كل مكلف اتباعها والعمل بهافي كل شؤونهم الدنيوية والأخروية، لأنها تفي بجميع ضروراته، وحاجاته ومصالحه، فلم تهمل جانبا من الجوانب التي تهم الفرد والمجتمع في الدارين.

فالله تعالى كملها وخصها بالبقاء، وحفظها من كل تغيير وتبديل وجعلها سهلة ميسرة، لا مشقة فيها ولا عنت وحفها بالرحمة والهدى من كل جوانبها، فهي تكفل السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة لكل عبد مكلف اتبع هداها واقتفى آثارها واستنار بنورها دون أن يميل ذات اليمين أو ذات الشمال، كما أمره ربه بذلك في قوله﴿ **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون**﴾ (٢) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والنصوص النبويةالتي سيأتي بيانها والحديث عنها في خضم هذه الرسالة

أهمية الموضوع

إن موضوع ((**الاتباع في الكتاب والسنة**)) له أهمية بالغة وحاجة ضرورية قصوى بالنسبة للمكلف حيث أن الشريعة كلها اتباع في جميع جوانبها المختلفة ومجالاتها المتعددة

في أصول العقيدة وفروعها

في الأحكام العملية بفروعها المختلفة عبادات ومعاملات وأحوال شخصية وغيرها.في جانب الأخلاق بشتى تفصيلاتها.

---

١) سورة الأنعام آية ١٥٣

٢) سورة الأعراف آية ٣

وتتمثل هذه الأهمية في الآتي:

أولا: ورد حديث القرآن عن الاتباع بشقيه(اتباع الحق، واتباع الباطل) في أكثر من مائة وأربع وسبعين مرة،(١٧٤) مفصلة على النحو الآتي:
جاء التحذير عن اتباع الباطل والنهي عنه في أكثر من ثماني وستين موضعا.
أما الأمر باتباع الحق والحث عليه فقد جاء في أكثر من خمس وستين موضعا.

ثانيا: يعتبر الاتباع للحق هو الشرط الثاني لقبول العمل، وهو الجزء الثاني من كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله التي يدخل بها العباد في الاسلام.
إن قبول الأعمال مبنية على الإخلاص والمتابعة، فلا قبول لأي عمل من الأعمال العبادية إلا بالاتباع والموافقة لما جاء به الرسول عليه السلام، وكل قول أو فعل يتقرب به إلى الله تعالى إذا خلا من المتابعة ما يزيد صاحبه إلا بعدا من الله تعالى.

ثالثا:كل الطرق مسدودة على المكلفين إلا طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتأتى ذلك إلا بمتابعته والتأسي به، وهذا الذي يظهر حقيقة إيمان العبدومدى إلتزامه بشرائع الإسلام وأحكامه.
رابعا: بالاتباع الحق تتحقق محبة الله تعالى للمكلف كما قال تعالى﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ (١)
كما تتحقق له مغفرة ذنوبه قال تعالى: ﴿ **ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ (٢).

خامسا: بالاتباع الحق يحصل المكلف على محبة الرسول عليه الصلاة السلام وتواضعه له، قال تعالى: ﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾ (٣) .

سادسا: من أهمية الاتباع الحق، يحصل به المكلف على الهداية والفلاح والنجاة والرفعة والنصر في الدنيا، كما يحصل على السلامة من العذاب والشقاء في الآخرة.

سابعا: بالاتباع الحق أصبح الناس سواء لا شريف ولا وضيع، خيرهم أحسنهم عملا، وسيدهم أنفعهم، وأكرمهم أتقاهم، وبالاتباع حلت الأمة محل القبلية، والعدل مقام الغلبة، والمساوات مكان التفاضل، والعمل الصالح مكان الفخر بالآباء، وملئت القلوب حبا وسلامابعد أن كانت مملوءة بغضا ونزاعا.

(١ــ٢) سورة آل عمران آية ٣١
(٣) سورة الشـــــعراء آية ٢١٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثامنا: أن الاتباع الحق سبب موصل إلى رضوان الله تعالى ودار كرامته قال عليه السلام(**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى فقالوا ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**)(١).

تاســـعا: الاتباع الحق هو سبيل المكلف إلى العمل بالأوامر الإلهية والتوجيهات النبويةكما يجنبه الوقوع على الوعيد المترتب على المخالفة قال تعالى: ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا**﴾ (٢).
كماأن اتباع الباطل سبيل إلى الانفلات عن الأوامر الإلهية التي تؤدي إلى الضياع في الدنيا والآخرة

أهداف البحث

١ــ تهدف الدراسة إلى عرض آيات الاتباع بشقيه عرضا موضوعيا يتناول القضايا القرآنية تناولا شاملامع إيصال المكلف إلى الغاية المنشودة بأقصر طريق.

٢ــ انقاذ الناس من براثن التبعية المذمومة والتعصب المقيت للرجال إلى نور الاتباع للحق وصحة العقيدة وصواب العبادة.

٣ــ لفت الانتباه إلى تفريق القرآن بين الاتباع للباطل والاتباع للحق ودعوته إلى النظر والتأمل فيما خلق الخلق من أجله.

٤ــ الوقوف على ملامح وشخصية كل من أتباع الحق وأتباع الباطل.

٥ــ دعوة المسلمين إلى العودة الصادقة إلى علم الكتاب والسنة والتعامل معهما فهما وتدبرا وعملا.

٦ــ كشف الثمرات الدنيوية والأخروية الموعود بها لمن اتبع الحق وكذا كشف الآثار الضارة المترتبة على اتباع الباطل.

٧ــ إيصال المكلف إلى التوازن النفسي والعقلي المتوافق مع الفطرة من خلال الاتباع للحق، وتحذيره من اتباع الباطل بعرض أخطاره وآثاره الضارة.

---

١) أخرجه البخاري في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة النبي عليه السلام ١١٤/٩.
٢) سورة النور آية ٥٤

أسباب اختيار الموضوع

قد دعاني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب ودوافع كثيرة منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي:

فقد امتن الله تعالى علي بحفظ كتابه العزيز ومن موجبات شكره أن ألتصق بالقرآن وأن أعيش له ومعه وهذه المعايشة طريق إلى العلم الحقيقي.

معايشة الباحث في رسالته العلمية الأولى ــ والتي كان عنوانها (النعم في ضوء سورة النحل)ــ إلى نعم الله تعالى التي أنعم بها على عباده الخاصة منها والعامة، النعم الضرورية والحاجية والتحسينية، نعمه في الأنفس والآفاق والكون، وأن هذه النعم تستحق الشكر والامتنان من العباد على واهبها ومعطيها، ولا يتأتى ذلك إلا بالاتباع الحق لمنهج الله تعالى والاستمساك به فمن حق المنعم المتفضل أن يذكـــــر فيشكر ولا طريق لذلك إلا اتباع كتابه وسنة نبيه عليه السلام، فعقدت العزم على بيان الاتباع من حيث أقسامه، ومفهومه، ومجالاته، وأسبابه، وأركانه، وقواعده، ونماذجه، وأنواعه، وآثاره المترتبة عليه في الدنيا والآخرة، حتى تكون وسائل ودوافع معينة تدفع المكلف للإلتزام بالاتباع الحق والإبتعاد عن الاتباع للباطل.

٣ــ كشف وبيان حديث القرآن عن الاتباع بشقيه الممدوح منه والمذموم عن طريق تتبع آيات الكتاب العزيز مع تتبع بيان شرح علماء التفسير لتلك الآيات.

٤ــ أداء الواجب في الدعوة إلى الله تعالى بتبصير الناس في هذا الموضوع وذلك ببيان العلاقات الواضحة لكل من متبع الحق ومتبع الباطل.

٥ــ علاج بعض الأمراض الإجتماعية لدى بعض المسلمين الذين أغلقوا على أنفسهم باب الاجتهاد للتشبث بالتبعية المذمومة والإنسلاخ من الاتباع المشروع الذي أمر الله به في كتابه وأمر به نبيه عليه السلام في سنته.

٦ــ بيان الحق في أن الاتباع الممدوح المشروع هو طريق التوسط وأن الاتباع المذموم هو طريق التطرف والتنكب عن الصراط المستقيم.

٧ــ التوجه إلى دراسة بعض القضايا القرآنية دراسة موضوعية يتم الكشف من خلالها عن جوانب مهمة يصعب الوصول إليها من غير تلك الدراسة وذلك لإفادة نفسي أولا وإخواني المسلمين ثانيا.

٨ــ لم يتطرق أحد من الباحثين إلى هذا الموضوع حسب علمي ومعرفتي المتواضعة من خلال دراسات علمية مؤصلة تكشف أحواله، وتجمع شتاته، من خلال آيات الكتاب العزيز.

كل هذه الدوافع والأسباب وغيرها كانت كفيلة بانشراح صدري واطمئنان نفسي للكتابة حول هذا الموضوع، لذا استعنت بالله وتوكلت عليه للشروع فيه، وأسأله تعالى التوفيق والسداد في القول والعمل.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خطة البحث

إن الخطة في هذه الرسالة قد اشتملت على أبواب، وفصول، ومباحث، ومطالب، ومسائل، وهو ترتيب منطقي تسير عليه الرسائل العلمية، وقد أتاح لي ذلك الاطلاع على جهد علماء التفسير وغيرهم في بيان موضوع الاتباع بشقيه الممدوح والمذموم.

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة، ثم الفهارس العامة.

المقدمة: وتشتمل على:

الاستفتاح

أهمية الموضوع.

أهداف الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع.

خطة البحث.

منهجي في البحث.

التمهيد: اشتمل على إيضاح أهمية الاتباع للحق في الحياة ، وخطورة الاتباع للباطل.

الباب الأول دلالات الاتباع وتوابعه وتحته أربعة فصول.

الفصل الأول : الدلالات اللغوية والاصطلاحية للاتباع وتحته مبحثان.

المبحث الأول: الدلالات اللغوية للاتبـــــاع

المبحث الثاني: الدلالات الاصطلاحية للاتبـــــاع

الفصل الثاني : الدلالات اللغوية والاصطلاحية للتوسط والتطرف وتحته أربعة مباحث

المبحث الأول: الدلالات اللغوية للتوسط

المبحث الثاني الاصطلاحية للتوسط

المبحث الثالث: الدلالات اللغوية للتطرف

المبحث الرابع: الدلالات الاصطلاحية للتطرف

الفصل الثالث الدلالات اللغوية والاصطلاحية للإعراض والمعارضة وتحته أربعة مباحث

المبحث الأول: الدلالات اللغوية للإعراض

المبحث الثاني الدلالات الاصطلاحية للإعراض

المبحث الثالث: الدلالات اللغوية للمعارضة

المبحث الرابع الدلالات الاصطلاحية للمعارضة

الفصل الرابع : الدلالات اللغوية والاصطلاحية للحق والباطل وتحته أربعة مباحث

المبحث الأول: الدلالات اللغوية للحق

المبحث الثاني الدلالات الاصطلاحية للحق

المبحث الثالث: الدلالات اللغوية للباطل

المبحث الرابع الدلالات الاصطلاحية للباطل

الباب الثاني:أساليب القرآن في بيان الاتباع بين التوسط والتطرف وتحته ثلاثة فصول

الفصل الأول : أسلوب الأمر والنهي وتحته مبحثان

المبحث الأول:أسلوب الأمر بالاتباع للحق وتحته خمسة مطالب

المطلب الأول : مفهوم الأسلوب في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني : الأمر من الله لرسوله ﷺ باتباع المنزل إليه

المطلب الثالث : الأمر من الله لكافة المكلفين باتباع الحق واتباع من جاء به

المطلب الرابع:الأمر من الرسول إلى جميع الناس باتباع ما جاءهم به

المطلب الخامس : الأمر من المصلحين والدعاة إلى الناس باتباع الرسل واتباع ما جاءوا به .

المبحث الثاني:أسلوب النهي عن الاتباع للباطل وتحته أربعة مطالب

المطلب الأول : النهي من الله لرسوله عن اتباع الباطل.

المطلب الثاني : النهي من الله للمكلفين عن اتباع الباطـــــل.

المطلب الثالث : النهي عن اتباع خطوات الشيطـــــان.

المطلب الرابع : النهي عن اتباع الهـــــــوى.

الفصل الثاني:أسلوب الوعد والوعيد وتحته مبحثان

المبحث الأول : أسلوب الوعد بالمثوبة على الاتباع للحـــق وتحته خمسة مطالب

المطلب الأول : الوعد بنفي الخوف والحزن عن المتبع

المطلب الثاني : الوعد بنفي الضلال والشقاء عن المتبع

المطلب الثالث : الوعد بالنصر

المطلب الرابع : الوعد بالمغفرة

المطلب الخامس : الوعد بالجنة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني : أسلوب الوعيد بالعقوبة على الاتباع للباطل وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : الوعيد بالمعيشة الضنك
المطلب الثاني : الوعيد بالهلاك في الدنيا
المطلب الثالث : الوعيد بالعذاب في الآخرة
المطلب الرابع : الوعيد بالنار في الآخرة
الفصل الثالث: أسلوب المدح والذم وتحته مبحثان
المبحث الأول : أسلوب المدح للمتصفين بالاتباع للحق
المبحث الثاني : أسلوب الذم للمتصفين بالاتباع للباطل
الباب الثالث مجالات الاتباع وتحته فصلان
الفصل الأول : مجالات الاتباع للحق في العقيدة والشريعة والأخلاق وتحته ثلاثة مباحث
مدخل الفصل
المبحث الأول : مجالات الاتباع للحق في العقيدة وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : تعريف العقيـــــــــــدة
المطلب الثانى : أهمية العقيـــــــــــدة
المطلب الثالث : موضوعات العقيـــــــدة
المطلب الرابع : آيات الاتباع في العقيـــــدة
المبحث الثاني : مجالات الاتباع للحق في الشريعة وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : تعريف الشريعـــــــــة
المطلب الثاني : أهمية الشريعـــــــــة
المطلب الثالث : موضوعات الشريعـــــة
المطلب الرابع : آيات الاتباع في الشريعة
المبحث الثالث : مجالات الاتباع للحق في الأخلاق وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول: تعريف الأخلاق
المطلب الثاني: أهمية الأخلاق
المطلب الثالث: موضوعات الأخلاق
المطلب الرابع: آيات الاتباع في الأخلاق

الفصل الثاني: مجالات الاتباع للباطل في العقيدة والشريعة والأخلاق وتحته ثلاثة مباحث
المبحث الأول: مجالات الاتباع للباطل في العقيدة وتحته ثلاثة مطالب
المطلب الأول: اتباع الباطل في العقيدة عند الكفار
المطلب الثاني: اتباع الباطل في العقيدة عند أهل الكتاب والمنافقين
المطلب الثالث: اتباع الباطل في العقيدة عند أمة الاستجابة وتحته خمس مسائل
المسألة الأولى: الافتراق عن الجماعة
المسألة : إحداث البدع في دين الله
المسألة الثالثة: الانحراف عن أصول الإيمان
المسألة الرابعة: الانحراف في أمر الصحابة
المسألة الخامسة: الانحراف في شأن الكبائر ومرتكبيها
المبحث الثاني: مجالات الاتباع للباطل في الشريعة وتحته مطلبان
المطلب الأول: اتباع الباطل في العمل بالشريعة المنسوخة
المطلب الثاني: اتباع الباطل في العمل بالشريعة القائمة
المبحث الثالث: مجالات الاتباع للباطل في الأخلاق وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول:أصول الأخلاق الباطلة
المطلب الثاني: الأخلاق الباطلة عند الكفار
المطلب الثالث: الأخلاق الباطلة عند أهل الكتاب والمنافقين
المطلب الرابع: الأخلاق الباطلة عند أمة الاستجابة وتحته مسألتان
المسألة الأولى: أخلاق المنافقين الباطلة
المسألة الثانية: الأخلاق الباطلة عند ضعاف الإيمان من المسلمين
الباب الرابع: أسباب الاتباع ، وأركانه، ونماذجه
الفصل الأول:أسباب الاتباع للحق، وأركانه، وقواعده، ونماذجه وتحته خمسة مباحث
المبحث الأول:أسباب الاتباع للحق وتحته خمسة مطالب
المطلب الأول: الخوف من عقاب الله
المطلب الثاني: الطمع في ثواب الله
المطلب الثالث: محبة الله وإجلاله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الرابع: قوة الحق وتأثيره في النفوس
المطلب الخامس: مصاحبة الصالحين والاقتداء بهم
المبحث الثاني:أركان الاتباع للحق وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول:الآمر بالاتباع
المطلب الثاني: المتبع وخصائصه
المطلب الثالث: المتبع وصفاته
المطلب الرابع: أصول الأمر المتبع
المبحث الثالث:قواعد الاتباع للحق وتحته ستة مطالب
المطلب الأول:الفرق بين البينة والتزيين
المطلب الثاني: الفرق بين الاتباع والتقليد
المطلب الثالث:الحق لا يعرف بالنتائج
المطلب الرابع الحق لا يعرف بالتجارب
المطلب الخامس: الحق لا يعرف بالتوارث
المطلب السادس: الحق لا يعرف بالرجال
المبحث الرابع: موانع الاتباع للحق وتحته ثلاثة مطالب
المانع الأول: اتباع الهوى
المانع الثاني: اتباع الشيطان
المانع الثالث: الخوف مما يترتب على اتباع الحق
المبحث الخامس: نماذج الاتباع للحق وتحته ستة مطالب
المطلب الأول: أمثل نموذج جماعي يضرب لاتباع الحق
المطلب الثاني: من ضحى بحياته من أجل اتباع الحق
المطلب الثالث: من ضحى بملكه من أجل اتباع الحق
المطلب الرابع: من ضحى بحريته ومفارقة أهله من أجل اتباع الحق
المطلب الخامس: من ضحى بماله من أجل اتباع الحق
المطلب السادس: من ضحى ببر والديه من أجل اتباع الحق
الفصل الثاني: أسباب الاتباع للباطل وأنواعه وأركانه ونماذجه وتحته أربعة مباحث

مدخل الفصل

المبحث الأول: أسباب الاتباع للباطل وتحته ثمانية مطالب

المطلب الأول: الكبر

المطلب الثاني: الحسد والعناد

المطلب الثالث: الإعراض عن منهج الله

المطلب الرابع: اتباع الشبهات والشهوات

المطلب الخامس: الجهل وتحته أربعة مسائل

المسالة الأولى: الجهل بالقرآن

المسالة الأولى: الجهل بالسنة

المسالة الأولى: الجهل بدلالات النصوص

المسالة الأولى: الجهل بمقاصد الشريعة

المطلب السادس: الابتداع

المطلب السابع: التقليد والتعصب

المطلب الثامن: الغلو

المبحث الثاني: أنواع الاتباع للباطل وتحته سبعة مطالب

المطلب الأول: النهي عن اتباع سبيل المفسدين

المطلب الثاني: النهي عن اتباع السبل

المطلب الثالث: النهي عن اتباع الشهوات

المطلب الرابع: النهي عن اتباع الظن السيئ

المطلب الخامس: النهي عن اتباع المتشابه

المطلب السادس: النهي عن اتباع الآباء على غير الهدى

المطلب السابع: النهي عن اتباع غير ما أنزل الله

المبحث الثالث: أركان الاتباع للباطل وتحته ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الداعي إلى اتباع الباطل والدافع إليه

المطلب الثاني: صفات متبع الباطل

المطلب الثالث: الأمر المتبع

المبحث الرابع :نماذج الاتباع للباطل وتحته أربعة مطالب

المطلب الأول: أسوأ نموذج جماعي يضرب لاتباع الباطل

المطلب الثاني: الملك واتباع الباطل

المطلب الثالث: المال واتباع الباطل

المطلب الرابع: الحوار بين الأتباع والمتبوعين

الباب الخامس: آثار الاتباع وتحته فصلان

الفصل الأول: آثار الاتباع للحق وتحته مبحثان

المبحث الأول: الآثار الدنيوية وتحته اثنا عشر مطلبا

المطلب الأول : انتفاء الخوف والحزن .

المطلب الثاني : تحصيل الهداية .

المطلب الثالث : تحصيل النجاة من الضلال .

المطلب الرابع : يورث محبة الله للعبد .

المطلب الخامس : تحصيل السلامة من العقاب .

المطلب السادس : تحصيل الرحمة .

المطلب السابع : تحصيل الفلاح .

المطلب الثامن : تحقيق مرضاة الله .

المطلب التاسع : تحقيق الرفعة والعلو في الدنيا .

المطلب العاشر : تحقيق الائتلاف والاجتماع والسلامة من الفرقة .

المطلب الحادي عشر : تحصيل النصر والغلبة .

المطلب الثاني عشر : تحصيل البشارة بمغفرة الذنوب وحصول الأجر .

المبحث الثاني: الآثار الأخروية وتحته سبعة مطالب

المطلب الأول : الآثار الدنيوية بشرى عاجلة للمؤمن .

المطلب الثاني : الثبات عند الممات والنجاة من عذاب القبر .

المطلب الثالث : السلامة من الشقاء .

المطلب الربع : مغفرة الذنوب وتكفير السيئات .

المطلب الخامس: النجاة من عذاب الجحيم .

المطلب السادس : الفوز بدخول الجنات.

المطلب السابع : مـــرافقة الأنبياء.

الفصل الثاني: آثار الاتباع للباطل وتحته مبحثان

المبحث الأول: الآثار الدنيوية وتحته ثمانية مطالب

المطلب الأول:انتفاء الأمن وحصول الخوف والحزن.

المطلب الثاني: يوصل إلىالضلال في الدنيا.

المطلب الثالث: حصول المعيشة الضنك.

المطلب الرابع: حصول التفرق والاختلاف.

المطلب الخامس: اتباع الباطل يوصل إلى الذل والهوان.

المطلب السادس: انتفاء العدل ووقوع الظلم.

المطلب السابع: فقدان الولي والنصير.

المطلب الثامن: تعجيل الهلاك والعذاب.

المبحث الثاني الآثار الأخروية وتحته خمسة مطالب

المطلب الأول: نفي الثبات عند الممات ووقوع العذاب

المطلب الثاني: حبوط الأعمال الصالحة

المطلب الثالث: انتفاء الأمن وحصول الخوف يورث الشقاء في الآخرة

المطلب الرابع: الاصطلاء بنار جهنم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الخامس: مرافـــقة إبليـــس

الخاتمة: وتتضمـــن

١ــ خلاصة البحث

٢ــ بيان أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة

٣ــ ثم بيان بعض التوصيـــــات

الفـــهارس العـــامة

١ــ فهرس الآيات الكريمة

٢ــ فهرس الأحاديث الشريفة

٣ــ فهرس الآثـــــار

٤ــ فهرس الأشـــعار

٥ــ فهرس المصطلحات والمفردات الغريبة

٦ــ فهرس الأعلام

٧ــ فهرس المصادر والمراجع

٨ــ فهرس الموضوعات

منهجي في البحث

١ــ قمت بجمع الآيات المتعلقة بالموضوع، ثم عرضها وتصنيفها حسب الأبواب والفصول، والمباحث والمطالب التي وضعتها لذلك.

٢ــ وقفت على موضوع الاتباع بشقيه الممدوح منه والمذموم من حيث الدلالات، والأساليب، والمجالات، والأسباب، والأركان، والنماذج والثمرات.

٣ــ منهجي في تناول الآيات كان التفسير الموضوعي الذي يهتم بالموضوع مع التأكيد على المعني العام للآيات

٤ــ سرت في معالجة الموضوع بالمنهج الاستنباطي الذي يؤكد صدور النتائج عن مقدمات معلومة منسجمة مع قواعد منطقية، وقد استخدمت هذا المنهج لبيان الاسلوب الذي صار عليه القرآن الكريم في معالجة موضوع الاتباع بشقيه.

كما تم استخدام المنهج الاستقرائي الذي تم فيه استقراء الآيات المتعلقة بالموضوع جزءا جزءا مع بيان العلاقات بينها للوصول من خلالها إلى استنباط نتائج جديدة تمثل معالجة القرآن لقضية الاتباع.

٦ــ وقد اعتمدت على أمهات المصادر والمراجع الأصلية من كتب التفسير وغيرها، تحريرا وجمعا وتوثيقا وتخريجا مع الاستئناس بالمصادر المعاصرة.

٧ــ قمت بوضع مدخل لكل باب أو فصل قبل الدخول في مباحثه ولم يفتني ألا القليل.

٨ــ قمت بعزو الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، في الحاشية.

٩ــ قمت بتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية فإن خرج الحديث البخاري ومسلم أو أحدهما اكتفيت بتخريجهما وذلك لأنهما أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى، وإن خرجها غيرهما بحثت عن حكم المحدثين عليها فأثبته ولم يفتني في ذلك إلا القليل.

١٠ــ قمت بعزو الآثار التي وردت في صلب البحث إلى مصادرها قدر المستطاع واعتبرت كتب التفسير التي تروي الأثر بالسند من المصادر.

١١ــ قمت بتفسير كثير من الكلمات الغريبة الواردة في صلب الرسالة وإن كانت الغرابة أمر نسبي.

١٢ــ عرفت بالأعلام المذكورين في صلب البحث واستثنيت منهم الأنبياء لشهرتهم وكذا الخلفاء الأربعة، والأئمة أصحاب المذاهب الأربعة، وأصحاب كتب السنة، والمعاصرين، ولم يفتني من التراجم إلا القليل، وأفيد أن العلم الذي أترجم لهوضعت صفحة ترجمته بين قوسين.

١٣ــ أما التعامل مع المصادر فكان على النحو الآتي:

ا ــ إن كانت المعلومة منقولة عن المصدر بنصها وضعتها بين علامتي تنصيص، وأشير في الهامش بذكر المؤلف والكتاب، والجزء والصفحة، والناشر وبلد النشر، والطبعة وتاريخ الطبعة وهذا عند ورود المصدر أول مرة، أما إن تكرر المصدر فأكتفي منه إلى ذكر ج/ ص

ب ــ أما إن كانت المعلومة مفهومة ومستفادة ومستنبطة من الكتاب فأصوغها بأسلوبي ولا أضعها بين علامتي تنصيص وأشير في الهامش بلفظ انظر كذا ج/ص

ج ــ وأحيانا تستفاد المعلومة من أكثر من مصدر فأشير إلى تلك المصادر بلفظ انظر

١٤ــ عملت خاتمة تتضمن اختصار البحث، وبيان أهم نتائجه، مع بيان بعض التوصيات التي تم التوصل إليها من خلال البحث.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٥ــ أتبعت ذلك بالفهارس الفنية التي تبين ما تضمنته الرسالة، فهي بمثابة مفاتيح له وهي على النحو الآتي:

١. فهرس الآيات الكريمة
٢. فهرس الأحاديث الشريفة
٣. فهرس الآثـــار
٤. فهرس الأشـــعار
٥. فهرس المصطلحات والمفردات الغريبة
٦. فهرس فهرس الأعلام
٧. فهرس المصادر والمراجع
٨. فهرس الموضوعات

وقبل أن أنهي كتابة هذه المقدمة فإني أحمد الله وأشكره، وقد تأذن بالزيادة لمن شكر، حيث من الله تعالى علي بنعمه الكثيرة فجعلني من أمة محمد أولا، ووفقني لطلب العلم الشرعي ثانيا، وأعانني على اتمام هذا البحث ثالثا فله الحمد والشكر في الأولى والآخرة، وأسأله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه ثم يجعل فيه النفع والبركة لعباده.

ولا شك أن هذا جهد المقل الذي لا ينفك عن النقص والقصور ، وحسبي أني بذلت غاية جهدي وما في وسعي لأجل الوصول إلى الأفضل وإصابة الحق في إبراز هذا الموضوع، وجمع شتاته، ولم شعثه بحيث لا يخفى على باحث ويستفيد منه كل قارىء، وذلك بقدر الطاقة وحسب الاستطاعة، فإن كنت وفقت فيه إلى الصواب فمن الله وحده، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان وأستغفر الله من ذلك.

هذا آخر ماتم بيانه في هذه المقدمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه
إدريس حامد محمد
في صباح يوم الجمعة ١٤٢١/٥/٢٥هـ.
الموافق ٢٠٠٠/٨/٢٥م.

التمهيد

إن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله الكريم قرآنه المجيد، وكتابه الخالد، تبيانا لكل شيء، ناصحا لا يغش، وهاديا لا يضل، من تتبع طريقه نجا، ومن سار وراء هواه في مهاوي الشر قد تردى، كتاب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا تفنى عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، ذو عطاء مستمرومتجدد فقد عالج هذا الكتاب المجيد كل موضوع يهم المكلف في دينه ودنياه فاشتمل على علم الأولين والآخرين، علم الدنيا والآخرة، ومن أنفع هذه العلوم للمكلف ما يوصله إلى مرضات ربه ويجنبه الوقوع في المهالك والردى إنه علم الاتباع، اتباع الكتاب والسنة، اتباع الحق اتباع هدى الله الذي من أجله خلق الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، فقال تعالى: (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** (١) وقال:(**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)**(٢).

وقد ورد الاتباع في كتاب الله تعالى في أكثر من مائة وأربعة وسبعين موضعا(١٧٤) مأمورا به ومنهيا عنه.

فالأول هو الاتباع المحمود المشروع، وهو اتباع الحق الذي أمر الله به.

والثاني هو الاتباع المذموم المحرم وهو اتباع الباطل الذي نهى الله عنه.

فالمأمور به يتمثل في اتباع الهدى، واتباع الوحي، واتباع الرسول واتباع الصراط المستقيم، واتباع ملة إبراهيم، واتباع السابقين الأولين من المؤمنين، واتباع رضوان الله تعالى.

أما الاتباع المنهي عنه فيتمثل في اتباع الهوى، واتباع الشيطان، واتباع الظن السيء، واتباع الباطل، واتباع الشهوات، واتباع سبيل المفسدين، واتباع السبل المتفرقة، واتباع سبيل الذين لا يعلمون، واتباع الآباء في غير الهدى، واتباع غير ما أنزل الله، واتباع ما أسخط الله، واتباع غير سبيل المؤمنين، واتباع أمر كل جبار عنيد، واتباع المتشابه، واتباع سبيل الكفار، واتباع الشركاء، واتباع السحرة والمستكبرين، واتباع اليهود والنصارى، إلى غير ذلك من أنواع اتباع الباطل التي ورد ذكرها في كتاب الله والتي سيرد الحديث عنها في مواقعها من هذا البحث .

إن مصطلح الاتباع إذا ورد في كتاب الله يقصد به:

١ــ اتباع الحق.

٢ــ اتباع الباطل.

٣ــ التقليـــــد.

حيث عد كتاب الله التقليد معنى من معاني الاتباع ونوعا من أنواعه.

إن الأمر بالاتباع إذا صدر إلى النبي عليه السلام فيكون لاتباع المنهج الذي أنزله.

وإذا صدر الأمر بالاتباع إلى المكلفين فيكون لاتباع المنهج واتباع النبي الذي جاء به حيث هو الذي يطبقه في الواقع العملي السلوكي في الحياة.

سورة الذاريات آية

سورة الأنعام آية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالاتباع إذا هو " الاقتداء بالنبي عليه السلام والتأسي به، في الأقوال والأفعال والاعتقادات، فقد يكون في القول، وقد يكون في الفعل، وقد يكون في الترك.
أما التأسي فقد يكون في فعله وتركه، فيتحقق التأسي في الفعل: أن نفعل صورة ما فعل على الوجه الذي فعل لأجل أنه فعل، والتأسي به في الترك: هو أن نترك مثل ماترك على الوجه الذي ترك لأجل أنه ترك "(١)

وعلى هذا يكون الاتباع والمتابعة بفعل التابع مثل ما فعل المتبوع على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلا على وجه العبادة شرع لنا فعله لذلك، وخير اتباع يجب أن يلتزمه المكلف هو اتباع هدى الله الذي أنزله، واتباع رسوله الذي أرسله، وبهذا يصبح الاتباع فضيلة من فضائل القرآن.

أما إن كان الاتباع لغير هدى الله أو لغير رسوله عليه السلام فهو الاتباع المذموم الذي ذمه الله ورسوله وذم فاعله في الدارين.

وهذه الدراسة ستقف على الاتباع في القرآن بشقيه الممدوح والمذموم في كل جوانبه وأحواله، حيث أن دين الله كله مبني على اتباع الوحي المتمثل في الكتاب والسنة فكل أمر أو نهي جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وجب قبوله واتباعه والمبادرة إلى امتثاله فعلا أو تركا.

كما ستبين هذه الدراسة وسطية الإسلام التي تظهر في اتباع الحق والاستمساك به، وأن التطرف هو عين الاتباع للباطل بشتى صوره وأشكاله.

وبالوسطية تميز الإسلام عما سواه من الأديان الأخرى فكان وسطا بين الجافي عنه والغالي فيه، فالأول مضيع بتقصيره عن الحد، والثاني مضيع بتجاوزه الحـــد.

وبهذا يتبين أن أصل الدين مبني على الاتباع الحق الذي هو الوسط والعدل مجانب للغلو الذي يتمثل فيه التطرف والتنطع والجفاء وهذه ميزته التي تميز بها على غيره، جعلنا الله هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.

---

(١) أبو الحسين البصري كتاب المعتمد في أصول الفقه ٣٧٢/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباب الأول

دلالات الاتباع

الفصل الأول : الدلالات اللغوية والاصطلاحية للاتباع

الفصل الثاني : الدلالات اللغوية والاصطلاحية للتوسط والتطرف

الفصل الثالث : الدلالات اللغوية والاصطلاحية للاعراض والمعارضة

الفصل الرابع : الدلالات اللغوية والاصطلاحية للحق والباطل

الفصل الأول

الدلالات اللغوية والاصطلاحية للاتباع

المبحث الأول : الدلالات اللغوية للاتبـــــــاع

المبحث الثاني : الدلالات الاصطلاحية للاتباع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول : الدلالات اللغوية للاتباع

الاتباع فى اللغة مصدر اتبع الشيء وتبعه إذا قفا أثره، تقول تبعت فلاناً : تلوته ، واتبعته لحقتُه ، وتبعت القوم تبعاً ، وتباعةً إذا مشيت خلفهم [١] ، وفي معجم مقاييس اللغة جاء قوله : (تبع ، التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء وهو التلو والقفو يقال تبعت فلاناً إذا تلوته وأُتبعته واتبعته إذا لحقته والأصل واحد غير أنهم فرقوا بين القفو واللحوق فغيروا البناء أدنى تغيير) [٢]

وجاء فى لسان العرب (تبع الشيء تبعاً وتَبَاعاً في الأفعال وتبعت الشيء تُبوعاً : سرت في إثره واتبعه وأتْبَعَه وتَتَبَّعَهُ قفاه وتطلَّبَه متبعاً له ... وتبعت الشيء واتبعته ردفته وأردفته) [٣]

والتُبَّعْ : هو الظل لأنه يتبع الشمس [٤]

والتَّبَعْ : قوائم الدابة وسميت بذلك لأنه يتبع بعضها بعضاً [٥]

والتَّبِع : النصير لأنه يتبعه نصره [٦]

والتبيع : الذي لك عليه مال يقال أُتْبِع فلان بفلان أي أحيل له عليه [٧]

والتَّبيع : التابع وقوله تعالى: ﴿ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾ [٨] أي ثائراً ولا

---

(١) انظر اسماعيل الجوهرى الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١١٩٠/٣) دار العلم للملايين ط١ سنة ١٣٧٦ هـ

(٢)احمد بن فارس معجم مقاييس اللغة (٣٦٢/١) تحقيق عبد السلام هارون مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة ط١ سنة ١٣٦٦هـ

(٣) ابن منظور لسان العرب ١٨ ٢٧ – ٣١

(٤)المرجع السابق ٣٠/٨ ومختصر العين أبوبكر الزبيدى ١٥٥/١ عالم الكتب ط١سنة١٤١٧هـ

(٥)ابن فارس معجم مقاييس اللغة٣٦٣/١

(٦)المرجع السابق٣٦٣/١

(٧)اسماعيل الجوهري، الصحاح ١١٩٠/٣

(٨)سورة الإسراء آية ٦٩

طالباً بالثأر لإغراقنا إياكم وهو بمعنى تابع[١]، والتبيع : الفحل من ولد البقرة لأنه يتبع أمه وقيل هو تبيع أول سنة[٢] والتابع : التالي واللاحق تقول تلوته ولحقته ، واتبع القرآن : ائتم به وعمل بما فيه ، وتابع بين الأمور متابعة : واتر ووالى[٣].

والتباع : الولاء يقال تابع الرجل عمله أي اتقنه وأحكمه [٤]

والتابعة : جنية تتبع الإنسان [٥]

والتُّبَّع : ضرب من اليعاسيب

والتبابعة : ملوك اليمن

والتُبّع : ضرب من الطير[٦]

والاتباع تارة يكون بالجسم وتارة يكون بالارتسام والائتمار[٧] فمن الأول قوله تعالى: (إنكم متبعون) [٨] وقوله تعالى: (ثم أتبع سبباً) [٩] بمعنى لحق وأدرك ٠

ومن أمثلة الثاني: قوله تعالى: ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[١٠]

وقوله ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾[١١]

---

(١)انظر لسان العرب ٣٠/٨، والصحاح ١١٩٠/٣

(٢)لسان العرب ٢٩/٨

(٣)انظر ابن منظور لسان العرب مادة تبع

(٤)انظر الصحاح في اللغة ١١٩٠/٣

(٥)انظر ترتيب القاموس المحيط٣٥٨/١، ومختصر العين ١٥٥/١

(٦) انظر الصحاح ١١٩٠/٣

(٧)الراغب الاصفهانى، مفردات الفاظ القرآن الكريم تحقيق صفوان داوودى مادة تبع دار القلم ط١/سنة١٤١٢هـ

(٨)سورة الشعراء آية٥٢.

(٩)سورة الكهف آية ٩٢.

(١٠)سورة البقرة آية ٣٨

(١١) سورة الاعراف آية ٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والاتباع المعنوي : هو الاقتداء والامتثال وأكثر ما جاء في القرآن هو الاتباع المعنوي ، وعلى هذا فكلمة الاتباع تدور حول اللحوق ، التلو ، الاقتفاء ، الاقتداء ، الامتثال ، تبعه : قفا أثره ومشى خلفه ، ولحقه وأدرك به سواء كان هذا الاتباع حسياً أو معنوياً ٠

وقد ذكر الدامغانى[١] أن لهذا المصطلح سبعة أوجه هى (الصحبة ، الاقتداء ، الاختبار ، العمل ، الصلاة ، الاستقامة ، الطاعة)[٢] ثم تعرض لبيان دليل كل وجه من القرآن الكريم ٠

---

[١]هو أبوعبدالله الحسين بن محمد الدامغاني لم يعثر له على ترجمة فقط نسب الكتاب إليه واختلف فى تاريخ وفاته فقيل ٤٨٧، وقيل ٤٤٧ هـ ٠(انظر القرعاوي ، الوجوه والنظائر)٠

[٢]الحسين بن محمد الدامغاني إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن ص٨٥، دار العلم للملايين بيروت ط٣سنة١٩٨٠م

المبحث الثاني
الدلالات الاصطلاحية للاتباع

بالنظر والتأمل إلى الدلالات اللغوية السابقة لمصطلح " الاتباع " يتضح تعدد استعمالات الكلمة ، وكثرة المعاني التي تدل عليها وتعدد أوجهها ومعلوم أن كثرة المعاني وتعددها للمصطلح الواحد تدل على أهميته .

ومن الدلالات الاصطلاحية للاتباع : القدوة والاقتداء ، واقتفاء الآثار ، والتأسي والأسوة ، والامتثال ، والاحتذاء ، والموافقة ، وعلى هذا فالاتباع هو لحاق الثاني بالأول لما له به من التعلق[١]

والاتباع : بمعنى الرجوع إلى قول ثبتت عليه حجة[٢]

والتابع : هو التالي الذي يتبع غيره كالجزء من الكل والمشروط للشرط [٣]

وعرف الاتباع بأنه : (الشخص الذي يطيع غيره بشكل لايكون له رأي معه)[٤]

ومعنى الاتباع : سلوك الطريق الذي سلكه النبي ﷺ وأصحابه والمؤمنون ، وهو السنة والسبيل ، والصراط المستقيم ، وهو الأسوة الحسنة[٥]

من هذه الدلالات الاصطلاحية يتبين أن الاتباع هو : (أن يميز الإنسان الخبيث من الطيب وأن يتبين طريقه على بصيرة ، وأن يعرف من تقدمه على طريق الحق والصدق

---

(١)) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن ١٣٨/٥، دار الرائد العربى بيروت ط١ سنة ١٤٠١ هـ .

(٢)الموسوعة الفقهية وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت ١٩/٦ ط٢ سنة ١٤٠٧ هـ .

(٣)المرجع السابق ٩٣/١٠ .

(٤)محمد رواس قلعه جي وحامد قنبي ، معجم لغة الفقهاء ص ١١٧.

(٥)انظر السيد نعمان الندوي، تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها ص٢١ الطبعة السلفية مصر القاهره سنة ١٣٧٧هـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فيتخذه قدوة وأسوة ، فيمضي اللاحق على سنن السابق فتوجد عند الإنسان روح الاتباع وينأى بنفسه عن ضلال الابتداع)[١]

إن مصطلح الاتباع له أبعاد متنوعة فلابد من الوقوف عليه وعلى نظائره حتى يتضح للمتأمل مفهوم الاتباع والمقصود به ، وقد بحث الأصوليون معاني هذا المصطلح فى باب أفعاله ﷺ وذلك لأننا متعبدون باتباع الرسول ﷺ والتأسي به في أقواله وأفعاله فبينوا معاني الاتباع والمتابعة والتأسي والموافقة والمخالفة[٢]

يقول أبو الحسين البصرى[٣]: (أما التأسي بالنبي ﷺ فقد يكون فى فعله وتركه ، أما التأسي به في الفعل ، فهو أن نفعل صورة ما فعل على الوجه الذي فعل لأجل أنه فعل ، والتأسي به فى الترك وهو أن نترك مثل ما ترك على الوجه الذي ترك لأجل أنه ترك ، وإنما شرطنا أن تكون صورة الفعل واحدة لأنه صلى الله عليه وسلم لو صام وصلينا لم نكن متأسين به وأما الوجه الذي وقع عليه الفعل فهوالأغراض والنيات فكل ما عرفناه أنه غرض في الفعل اعتبرناه ويدخل في ذلك نية الوجوب والنفل٠٠) [٤]

ثم تعرض لمعنى الاتباع فقال : (فأما اتباع النبي ﷺ فقد يكون في القول وقد يكون فى الفعل وقد يكون فى الترك ٠ فالاتباع في القول ، هو المصير إلى مقتضاه من وجوب أو ندب أو حظر لأجله ٠ والاتباع في الفعل أو في الترك هو إيقاع مثله في صورته على وجهه ، لأجل أنه أوقعه ٠ ويمكن أن يقال : اتباع النبي ﷺ هو المصير إلى ما تعبدنا به على الوجه الذي تعبدنا به لأنه تعبدنا به ٠ ويدخل فى ذلك القول والفعل والترك ، وإنما شرطنا في الاتباع ما شرطنا في التأسي لأنه ﷺ لو صام ، فصلينا أو صام واجبا فتنفلنا بالصوم أو صمنا لا لأنه صام لم نكن متبعين له في هذه الأحوال كلها) [٥]

---

(١)أحمد الشرباصي موسوعة أخلاق القرآن ١٣٨/٥

(٢)انظر عبد الرؤوف محمد عثمان محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ص١٠٦ مكتبة الضياء جدة ط١ سنة١٤١٢هـ ٠

(٣)هو محمد بن على الطيب البصرى كان من أئمة المعتزلة عالم أصولى متكلم(انظر تاريخ بغداد ١٠٠/٣)

(٤)أبو الحسين محمد البصرى كتاب المعتمد فى أصول الفقه٣٧٢/١، دمشق ١٣٨٤ هـ ٠

(٥)المرجع السابق ٣٧٤/١

أمـــا الموافقـــة فـــهي مشـــاركة بيـــن شخصين كما يقول الآمدي [١] (مشاركة أحد الشخصـــين للآخر فى صورة قول أو فعل أو ترك او اعتقاد أو غير ذلك) [٢]، فالموافقة قد تكون
مصـــادفةً أحيانـــاً إذ (ليس من شرط الموافقة في الفعل أن يفعل الثاني لأن الأول فعله لأن الموافقة هي المصادفة والمشاركة ، وقد يكون ذلك إذا فعل الفاعل الفعل لأن الأول فعله وإذا لم يفعله لذلك فإنه قد يقال: " وافقه " في الفعل وإن كان إنما فعله للدليل ، لا لأنه فعله) [٣]

يتضـــح مما سبق أنه لايشترط في الموافقة ما يشترط في التأسي إذ الموافقة مشاركة ومصـــادفة أمـــا التأســـي فهى اتباع في الفعل أو القول على وجه الامتثال والمتابعة ، أما المخالفـــة فـــهي عكس المتابعة والموافقة فهي عدول عما اقتضاه القول من إقدام أو إحجام ويكـــون فى القـــول والفعـــل ويظهر في المخالفة العدول عن امتثال مثله إذا وجب امتثال مثله [٤]

وعـــلى هذا يكون الاتباع والمتابعة : أن يفعل التابع مثل ما فعل المتبوع على الوجه الذي فعل فإذا فعل فعلاً على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة ، وخير اتباع ينـــبغي أن يلـــتزمه المرء هو اتباع هدى الله تعالى وبهذا يصبح الاتباع فضيلة من فضائل القرآن وخلقاً من أخلاقه العظام .

ويمكـــن الخـــلوص من هذه التعريفات إلى التعريف الذي سيتناول الباحث موضوع بحـــثه من خلاله وهو (الاتباع هو سلوك طريق المتبوع وأخذ الحكم من الدليل بالطريق الـــذي أخذ بها متبوعه) [٥] وعلى هذا يكون اتباع القائل بناءً على ما اتضح له من دليل على صحة قوله .

---

(١)هـــو أبو الحسن على بن محمد بن عبد الرحمن الآمدي البغدادي فقيه حنبلي له عدة مصنفات منها الإحكام توفي سنة ٤٥٠هـــ . (انظر الأعلام ٣٢٨/٤) .

(٢)أبو الحسن على بن محمد الآ مدى الإحكام فى أ صول الاحكام ١٧٢/١ تحقيق عبد الرزاق عفيفى المكتب الإسلامى، بيروت ١٤٠٢هـــ

(٣)أبو الحسن البصري كتاب المعتمد ٣٧٥/١

(٤)انظر كتاب المعتمد ٣٧٥/١

(٥)وهبة الزحيلي ، الوسيط في أصول الفقه الإسلامي ص٦٦٧ ، المطبعة العلمية دمشق ط٢ سنة ١٣٨٨ هـــ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الألفاظ ذات الصلة بالاتباع :

١- الاقتداء

٢- الإئتمام

٣- التأسي

٤- الاحتذاء

٥- الامتثال

٦- التقليد

٧- الطاعة

فالاقتداء هو اتباع المقتدي بالإمام المقتدى به إذا فعل مثل فعله تأسياً به[١] ، فالاقتداء بمعنى الاتباع واقتفاء أثار المتّبَع والتأسي به ، أما الائتمام فهو بمعنى الاقتداء لكنه أخص منه[٢] ، أما التأسي فهو من (الأسوة والإسوة كالقُدوة والقِدوة وهي الحالة التي يكون الإنسان فيها في اتباع غيره إن حسناً أو قبيحاً وإن نافعاً أو ضاراً ولهذا قال تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾[٣] فوصفها بالحسنة)[٤].

الفرق بين التأسي والاتباع :

أن التأسي بالنبي ﷺ قد يكون (في فعله وفي تركه ، أما التأسي به في الفعل فهو أن نفعل صورة ما فعل على الوجه الذي فعل لأجل أنه فعل والتأسي به في الترك هو أن نترك مثل ماترك على الوجه الذي ترك لأجل أنه ترك)[٥]

أما الاتباع له عليه السلام (فقد يكون في القول وقد يكون في الفعل وقد يكون في الترك ، فالاتباع في القول هو المصير إلى مقتضاه من وجوب أو ندب أو حظر لأجله والاتباع في الفعل أو في الترك هو إيقاع مثله في صورته على وجهه لأجل أنه أوقعه)[٦]

---

(١) انظر الموسوعة الفقهية ٦/١٨-١٩

(٢) المرجع السابق ٦/١٨-١٩

(٣) سورة الأحزاب آية ٢١

(٤) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن مادة أسا ص٧٦

(٥) أبو الحسين البصري ، المعتمد ١/٣٧٢-٣٧٣ تحقيق محمد حميد الله وآخرون نشر المعهد العلمي ،دمشق سنة١٣٨٤هـ .

(٦) المرجع السابق ١/٣٧٣-٣٧٤

فالتأسي مأخوذ من الأسوة بمعنى القدوة ، تأسيت به بمعنى اقتديت [١] فالاقتداء والتأسي والاتباع معان متقاربة في كل منها معنى زائد عن الآخر وقد وردت في كتاب الله عز وجل الألفاظ الثلاثة كلها ، ففي الاقتداء بعد أن ذكر الله ثمانية عشر نبياً وأخبر أنه آتاهم الكتاب والحكمة والنبوة وهداهم إليه دعا نبيه محمد ﷺ إلى الاقتداء بهم فقال : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده [٢] ﴾ ، وفي الأسوة قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [٣] ، وفي الاتباع قال تعالى : ﴿ ... واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ [٤] والاتباع أشمل وأوسع وأكمل معنى من الاقتداء والتأسي ولهذا ورد كثيراً في كتاب الله تعالى .

لأنه يستعمل بمعنى :

١- اللحوق الحسي كما قال تعالى : " فأتبع سبباً "[٥] وقوله :" فأتبعوهم مشرقين" [٦]

٢- التأسي والاقتداء المعنوي الممدوح

٣- الإئتمام والامتثال المعنوي المذموم

٤- التقليد

٥- الطاعة

الفرق بين التقليد والاتباع :

التقليد لغة مصدر (قلد) على وزن فعل ، قال ابن فارس [٧] القاف واللام والدال أصلان صحيحان يدل أحدهما على تعليق شيء على شيء وليه به والآخر على حظ ونصيب [٨] ، تقول : قلده قلاداً وتقلد ، وقلده الأمر ألزمه إياه [٩] ، وقلد الوالي فلاناً العمل

---

(١) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٥٦/١٨

(٢) سورة الأنعام آية ٩٠

(٣) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٥٨

(٥) سورة الكهف آية ٨٥

(٦) سورة الشعراء آية ٦٠

(٧) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي كان إماماً في علوم شتى وخصوصاً في اللغة التي أتقنها له مؤلفات منها المجمل والمعجم توفي ٣٩٠هـ (انظر وفيات الأعيان ١١٨/١)

(٨) ابن فارس معجم مقاييس اللغه مادة قلد ١٩/٥

(٩) ابن منظور لسان العرب مادة قلد ٣٦٧/٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فوضه إليه كأنه جعل قلادة في عنقه [١] وفي الاصطلاح عرف عدة تعريفات أقربها إلى موضوع هذا البحث هو : (التزام المكلف في حكم شرعي مذهب من ليس قوله حجة في ذاته) وفي التفريق بينهما ذهب العلماء مذهبين :

الفريق الأول يرى أنه يوجد بينهما فرق[٢]، فالتقليد التزام المكلف مذهب غيره بلا حجة ، والاتباع هو العمل بالدليل من كتاب أو سنة أو إجماع وقالوا في تعليلهم أن الناس فيهم المجتهد وهو قليل وفيهم المقلد وهو كثير وبينهما يوجد قسم آخر وسط بين النوعين وهو ما يسمى بالاتباع ونسمي أصحابه متبعين وهؤلاء سوغوا الاتباع ومنعوا التقليد وذكروا أن التقليد لا يستعمل إلا في الموافقة العمياء بدون دليل أما الاتباع فهو الموافقة ببصيرة وتمييز[٣]ولذلك مدح الله تعالى أهل هذه المرتبة فقال : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾[٤]وهذه بعض أقوالهم : (والتقليد عند جماعة العلماء غير الاتباع ، لأن الاتباع هو أن تتبع القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحة مذهبه ، والتقليد أن تقول بقوله وأنت لا تعرفه)[٥]، قال ابن القيم[٦] رحمه الله تعالى : وبهذا يظهر بطلان فهم من جعل التقليد اتباعا وإيهامه وتلبيسه بل هو مخالف للاتباع وقد فرق الله ورسوله ﷺ وأهل العلم بينهما كما فرقت الحقائق بينهما..)[٧]

---

(١)انظر بطرس البستاني محيط المحيط ١٧٤٩/٢

(٢) انظر سعد بن ناصر الشترى ، التقليد وأحكامه ص٢٩ دار الوطن، الرياض ط١سنة١٤١٦هـ

(٣) قال به ابن خويز منداد المالكى (ت٣٩٠هـ) وابن عبد البر ت٤٦٠هـ وابن القيم ٧٥١ هـ والشاطبي ت٧٩٠هـ انظر ابن عبد البر جامع بيان العلم ١٤٢/٢ ، وابن القيم أعلام الموقعين ١٨٧/٢ وانظر سعد الشترى التقليد وأحكامه ص ٣٢- ٣٣

(٤) سورة الزمر آية ١٨

(٥)ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٤٥

(٦)محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعي امام محدث أصولي فقيه حنبلى له اجتهادات ولد سنه٦٩١ ولازم الامام ابن تيمية كان صاحب عبادة وله مؤلفات نافعة مثل زاد المعاد ، وأعلام الموقعين ت٧٥١ (انظر ابن كثير البداية والنهاية ٣٤/١٤)

(٧) ابن قيم أعلام الموقعين ١٧١/٢

الفريق الثاني : يرى أنه لايوجد بين التقليد والاتباع فرق وعليه كثير من أهل الأصول واللغة[١] ومن أدلتهم قالوا أن الله عز وجل أطلق لفظ الاتباع على المقلدين فقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا.. ﴾[٢]

والذي أرجحه وأميل إليه أن الاتباع والتقليد بينهما عموم وخصوص فالاتباع عام والتقليد جزء من أجزائه ، ولهذا لم يرد مصطلح التقليد في القرآن الا بمعنى آخر يخالف المقصود هنا ورد مقاليد وقلائد ﴿ له مقاليد السموات والأرض ﴾[٣] ﴿ ولا الهدي ولا القلائد ﴾[٤]

فالاتباع إذا هو الموافقة والمحاكاة والقفو والائتمار والارتسام سواء كان ذلك عن نظر واستدلال أو كان عن تسليم وحمل النفس على الاعتقاد أو كان عن هوى وشهوة ولذلك ورد استعمال الاتباع : في اتباع الحق واتباع الباطل بصرف النظر عن المسالك المؤدية إليهما .

فمن الاتباع الذي يتضمن مطلق الموافقة قوله تعالى : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾[٥]، ومن الاتباع الذي يتضمن القفو والائتمار قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾[٦]

وبهذا يتضح أن الاتباع منه ما هو ممدوح ومنه ما هو مذموم وكذلك التقليد منه ما هو جائز ومنه ما هو ممنوع فيكون هناك مطابقة في الاصطلاح بين لفظي الاتباع والتقليد بمعنى أن الاتباع والتقليد يقع كل منهما على ما هو مشروع وعلى ما ليس بمشروع[٧] وعلى هذا الاستعمال سيصير الباحث في هذا البحث وذلك بتقسيم الاتباع إلى نوعين :

---

(١)انظر الشنقيطي أضواء البيان ٤٨٨/٧، ومحمد بن عثيمين الأصول من علم الأصول ص٧٧ دار طيبة الرياض ط١سنة١٤٠٤،

(٢) سورة البقرة آية ١٧٠

(٣)سورة الزمر آية ٦٣

(٤)سورة المائدة آية٢

(٥)سورة المؤمنون آية ٧١

(٦)سورة البقرة آية ١٠٢

(٧)انظر وميض بن رمزي العمري المنهج الفريد في الاجتهاد والتقليد ص٢٢١- ٢٢٢ ، دار النفائس الأردن ط١ سنة١٤١٩هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١- اتباع الحق ٠ ٢- واتباع الباطل ٠

أمـــا التقـــليد فهـــو نوع من أنواع الاتباع إن كان جائزاً فهو اتباع مشروع وإن كان ممـــنوعاً فهـــو مـــن الاتباع للباطل ، ولذلك وردت آيات الكتاب العزيز الذي تم فيها ذم المقـــلدين لآبـــائهم وسادتهم وكبرائهم باستعمال مصطلح الاتباع ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنـــزل الله قـــالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾[١] كما وردت المحاورات التي كانت بين المقـــلِّدين والمقـــلَّدين بالمصطلح نفسه لأنهم أتباع ومتبوعين قال تعالى : ﴿ إذ تبرأ الذين اتَّبَعوا من الذين أتبِعوا ورأو العذاب وتقطعت بهم الأسباب ﴾[٢]

الفرق بين الطاعة والاتباع :

الطاعة في اللغة من أطاعه يطيعه طاعة والمصدر منها إطاعة مأخوذة من(ط و ع) تقول طاع طوعاً إذا انقاد معه ومضى لأمره تقول طاوعه لمن وافق غيره ، فالطاعة يكثر استعمالها في الارتسام والائتمار لما أمر به[٣] وفي الاصطلاح هي موافقة الأمر بمعنى (فعل المأمورات ولو ندباً وترك المنهيات ولو كراهة)[٤]، وعرفت بأنها (الامتثال ظاهراً والرضا باطناً لحكم الله ورسوله ﷺ وما يقوله من دعا إلى ذلك[٥].

١ـــ ومـــن هذه التعريفات يتبين أن الطاعة والاتباع يشتركان في كونهما ارتسام لما رســـم وائـــتمار لما أمر ، إلا أن الاتباع أوسع استعمالاً لأنها تشير إلى الاقتداء والامتثال والتأسي والقفو مما يعني وجود تلازم بين التابع والمتبوع عن رغبة وإرادة ومحبة بينهما أمـــا الطاعة فهي انقياد الطائع للمطاع امتثالاً لأمره فحسب[٦] وربما لا يوجد لدى الطائع رغبة في الانقياد ٠

٢ـــ إن الطاعة تتعلق غالباً بالجوانب العملية من الأحكام الشرعية كالصلاة والزكاة والصوم ٠٠ كلها طاعات ظاهرة شرعت بصورتها المتكاملة في العهد المدني بعد تحقيق بـــناء العقيـــدة في النفوس ، أما الاتباع فيتعلق بجوانب نظرية اعتقادية منهجية بدأت من

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٠

(٢)سورة البقرة آية ١٦٦

(٣)انظر ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة طوع ٤٣١/٣ وابن منظور لسان العرب مادة طوع ،والجوهري الصحاح ١٢٥٥/٣

(٤) الكفوي الكليات ص٥٨٢

(٥) ابن علان دليل الفالحين شرح رياض الصالحين ٤٣٠/١

(٦) عبد العزيز محمد السحيباني الطاعة وأنواعها في القرآن ص٢٦ رسالة ماجستير غير منشورة

بدايةً عهد الدعوة ببيان الاتباع المحمود والتحذير من المذموم منه بقصد ترسيخ المعالم العقدية في النفوس حتى يكون المتبوع ملتزما بتعليمات الأمر المتبع فيلتزمها برغبته واختياره[١].

٣- أن الأمر بالطاعة يتوجه إلى طاعة الله ورسوله ﷺ وإلى أولي الأمر فما دونهم وقد ورد كثيرا الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، أما الاتباع فلم أجد منه آية واحدة تأمر باتباع الله فكل الآيات التي جاءت بالدعوة إلى الاتباع المشروع جاءت تأمر باتباع هدى الله وكتابه ووحيه وصراطه المستقيم واتباع رضوانه وأمره وكذلك اتباع رسوله ﷺ.

٤ــ يوجد بين الطاعة والاتباع عموم وخصوص والاتباع أوسع وأعم وأعلى فهو يتضمن الطاعة وغيرها أيضا ، قال تعالى:﴿ ..وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ [٢] وقال تعالى :﴿ وما أرسلنا من رسول الا ليطاع بإذن الله ﴾ [٣] وقال تعالى :﴿ وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ﴾ [٤] .

وإذا كانت المعصية تأتي لتضاد الطاعة وتخالفها فإنها وردت كمعنى مقابل ومضاد للاتباع في آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل منها :ــ

قال تعالى :﴿ إن أتبع الا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ [٥].

وقال تعالى :﴿ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴾ [٦].

و قال تعالى :﴿ قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري ﴾[٧] ففي

---

(١) انظر المرجع السابق ص٢٦

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٢

(٣) سورة النساء آية ٦٤

(٤) سورة طه آية ٩٠

(٥) سورة يونس آية ١٥

(٦)سورة هود آية ٥٩ ، ٩٣

(٧)سورة طه آية ٩٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآيات السابقة تضمن الاتباع الطاعة واعتبر عدمه معصية[١] ولذلك جاء الأمر بالاتباع والنهي عن المعصية ففي الاتباع تتحقق ملازمة دائمة بين التابع والمتبوع عن رغبة وحب وطواعية وهذا ما أكده قول موسى ﷺ لهارون ﷺ ﴿ألا تتبعن أفعصيت أمري﴾ ، وبهذا يتبين أن الاتباع أوسع استعمالا من الاقتداء والتأسي والامتثال والتقليد كما هو أعلى درجة من الطاعة مع تضمنه لها وتظهر بذلك علاقته وصلته بهذه المصطلحات وانفراده عنها كما وكيفا وسعة ورفعة وتنوعا فالاتباع حديث شامل عن المنهج بكل جوانبه والتزام وملازمة له حيث يلتزم متبع الحق آثار الرسول ﷺ الاعتقادية والقولية والفعلية والتقريرية كما أن متبع الباطل يلتزم سبلا ومناهج مخالفة لمنهج الحق.

---

(١)انظر عبد العزيز السحيباني ، الطاعة وأنواعها في القرآن ص٢٧ــ٢٨

الفصل الثاني

الدلالات اللغوية والاصطلاحية للتوسط والتطرف

المبحث الأول : الدلالات اللغوية للتوســـــط

المبحث الثاني : الدلالات الاصطلاحية للتوسط.

المبحث الثالث : الدلالات اللغوية للتطـــرف .

المبحث الرابع : الدلالات الاصطلاحية للتطرف .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول : الدلالات اللغوية للتوسط

التوسط والوسطية أصل مادتها (وسط) وقد وردت في اللغة لعدة معانٍ ، قال ابن فارس : (الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف ، وأعدل الشيء: أوسَطَه ووسَطه قال تعالى :﴿ أمة وسطا ﴾ [١] ويقولون ضربت وَسَط رأسه بفتح السين ، ووسْط القوم بسكونها وهو أوسطهم حسباً إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلاً) [٢]

يتضح مما سبق أن كلمة (وسط) تأتي على وجهين : الأول : (وسْط) بسكون السين فتكون ظرفاً بمعنى بين ، وفي اللسان : وأما الوسْط بسكون السين فهو ظرف لا اسم ، جاء على وزن نظيره في المعنى وهو (بين) ، وتقول جلست وَسْط القوم أي بينهم ..) ، ومنه قول الشاعر :

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لاَ حَيَاءَ لَهُ ... وَلاَ أَمَانَةَ وَسْطَ النَّاسِ عُرْيَانَا [٣]

ومنه الحديث : (الجالس وسْط الحلقة ملعون)[٤]

الثاني : (وسَط) بفتح السين وهذه تأتي لمعانٍ متعددة لكنها متقاربة :

١ــ تأتي وسَط بالفتح (اسما لما بين طرفي الشيء وهو منه ومن ذلك تقول قبضت وسَط الحبل ، وكسرت وسط القوس ، وجلست وسط الدار) وهذا حقيقة معناه[٥]

٢ــ وتأتي بالفتح أيضاً صفة بمعنى (خيار وأفضل وأجود) فأوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه ومرعى وسَط أي خيار ومنه :

إِنَّ لَهَا فَوَارِساً وفُرُطَا ... وَنَفْرَةَ الحَيِّ وَمَرْعَىً وَسَطَا [٦]

وواسطة القلادة : الجوهر الذي وسطها وهو أجودها[٧]

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣

(٢) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة (وسط) ١٠٨/٦

(٣) ابن منظور ، لسان العرب مادة(وسط) ٤٢٨/٧ ،والشاعر هو سوار بن المضرب

(٤) أخرجه أبو داود كتاب الأدب: باب فى الجلوس وسط الحلقة ١٦٤/٥، رقم الحديث ٤٨٢٦وإنّ لعن هذا الجالس لأنه لا بد أن يستدير بعض المحيطين به فيؤذيهم فيلعنونه ويذمونه(لسان العرب ٤٢٩/٤)

(٥) ابن منظور لسان العرب (مادة وسط) ٧/ ٤٢٧ وانظر محمد باكريم محمد ، وسطية أهل السنة بين الفرق ص١٥-١٦، دار الراية ، الرياض ط١سنة ١٤١٥هـ وانظر ناصر بن سليمان العمر: الوسطية فى ضوء القرآن الكريم ص١٤، دار الوطن للنشر، الرياض ط١ ١٤١٣ هـ

(٦) ابن منظور ، لسان العرب مادة وسط ٤٢٧/٧- ٤٣٠ ذكره ابن منظور ولم ينسبه لأحد

(٧) اسماعيل الجوهري، الصحاح، مادة وسط ١١٦٧/٣

ورجل وسَط ووسِيط : حسن[١]

٣ــ وتــأتي وســط بالفــتح بمعنى العدل ، قال ابن فارس : (وسط بناء صحيح يدل على العــدل وأعــدل الشــيء أوسطه ووسطه)[٢]وقال في اللسان : (ووسط الشيء أوسطه وأعدله)[٣] وفي القاموس المحيط : (الوسط محركة بين كل شيء أعدله)[٤] .

٤- وتــأتي وسَــط بالفــتح أيضاً بمعنى : الشيء بين الجيد والرديء ، وفي الصحاح : (ويقــال أيضــاً : شيء وسط أي بين الجيد والرديء)[٥] وفي المصباح المنير (الوسط بالتحريك المعتدل يقال شيء وسَط أي بين الجيد والرديء.[٦].

٥- كمــا تــأتي وسط بالفتح لما له طرفان مذمومان يراد به ما كان بينهما سالماً من الذم وهــو الغــالب[٧] وفــي المفردات : وتارة يقال لما له طرفان مذمومان[٨] مثال ذلك: إن السخاء وسط بين البخل والتبذير وإن الشجاعة وسط بين الجبن والتهور وإن العدالة وسط بين الرحمة والقسوة [٩]

٦- كمــا تــأتي وسط بالفتح (ما له طرفان متساويا القدر ويقال ذلك في الكمية المتصلة كالجسم الواحد إذا قلت: وسطه صلب وضربت وسط رأسه بفتح السين[١٠]

وبعد عرض هذه الآراء لكلمة (وسط) يتبين أنها لا تخرج في معناها عن معــاني: العدل ، والخيار، والفضل ، والنصف ، والبينية ، وما يتوسط الطرفين ، كما تأتي للدلالة بهــا للشيء بين الجيد والرديء تقول رجل وسيط : أي حسيب بين جماعته فهو ذو شرف فيهم ، ففي الصحاح : (فلان وسيط في قومه إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم محلاً)[١١]

---

(١)ابن منظور ، لسان العرب مادة وسط ٤٣٠/٧

(٢) ابن فارس معجم مقاييس اللغة ١٠٨/٦

(٣)ابن منظور لسان العرب ٤٣٠/٧

(٤) مجد الدين محمد القيروز أبادي:القاموس المحيط ، مادة وسط(٤٠٥/٢، نشر دار الجبل بيروت وانظر الصحاح للجوهرى مادة وسط ١١٦٧/٣

(٥) اسماعيل الجوهري الصحاح ٣/ ١١٦٧

(٦) أحمد الفيومى، المصباح المنير مادة وسط ص٢٥٢

(٧) ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ص١٥

(٨) الراغب الأصفهانى، مفردات ألفاظ القرآن مادة وسط ص٨٦٩،دار القلم دمشق ط١سنه١٤١٢هـ

(٩) انظر محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ١٨/٢ .

(١٠) الراغب مفردات الفاظ القرآن ص٨٦٩،وانظر سميع عاطف الذين مجمع البيان الحديث ص٩٢٤ .

(١١) اسماعيل الجوهري الصحاح ١١٦٧/٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(ووسوطا) يعني التوسط المعتدل كقول الأعرابي (علمني دينا وسوطا لا ذاهبا فروطا ولا ساقطا سقوطا فإن الوسوط ها هنا المتوسط بين الغالي والتالي)[١]

(والتوسيط) أي جعل الشيء في الوسط[٢] (والتوسيط) أي قطع الشيء نصفين[٢] (والتوسط) بين الناس من الوساطة[٣] (والوسيط) أي المتوسط بين المتخاصمين[٤] (ووسوط الشمس) : توسطها السماء[٥] (والأوسط) المعتدل من كل شيء[٦] (والوسطى) من الأصابع ما بين السبابة والبنصر (والصلاة الوسطى) : العصر لتوسطها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل[٧] وقيل الصلاة الفضلى[٨] فكلمة (وسط) إذا أطلقها العرب ترمز إلى معاني الخير والجودة والعدل والرفعة والمكانة العالية ، كما وصفوا فاضل النسب بأنه وسط قومه ، وكذا صاحب المكانة العلية بأنه من خيار القوم ومن أعيانهم وأشرافهم[٩].

وللمفسرين كلام في معنى التوسط والوسط ، يقول ابن عاشور[١٠] : (والوسط اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض عرفا، ولما كان الوصول إليه لا يقع الا بعد اختراق ما يحيط به أخذ فيه معنى الصيانة والعزة : طبعا كوسط الوادي لا تصل إليه الرعاة والدواب الا بعد أكل ما في الجوانب فيبقى كثير العشب والكلأ ، ووضعا كوسط المملكة يجعل محل قاعدتها. ووسط المدينة يجعل موضع قصبتها لأن المكان الوسط لا يصل إليه العدو

---

(١) ابن منظور لسان العرب ٤٢٩/٧
(٢) الجوهرى، الصحاح ١١٦٧/٣
(٣) المرجع السابق ١١٦٧/٣
(٤) المرجع السابق ١١٦٧/٣
(٥) المرجع السابق ١١٦٧/٣، وانظر المعجم الوسيط مادة وسط ١٠٧٣/٢
(٦) انظر المعجم الوسيط مادة وسط ١٠٧٣/٢
(٧) المعجم الوسيط ١٠٧٣/٢، وانظر لسان العرب ٤٢٩/٧
(٨) المعجم الوسيط ١٠٧٣/٢، وانظرالفيروزأبادي بصائر ذوي التمييز ٢٠٩/٥-٢١١
(٩) انظر فريد عبد القادر ، الوسطية فى الإسلام مفهومها وضوابطها ص١٠
(١٠) محمد الطاهر بن عاشور من كبار علماء الزيتونة بتونس له مؤلفات منها تفسيره توفي١٩٧٣م (انظر عبد الحميد بن باديس ص٣٢)

بســـهولة ، وكواســـطة العقـــد لأنفس لؤلوة فيه فمن أجل ذلك صار معنى النفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى الوسط عرفاً فأطلقوه على الخيار النفيس كناية قال زهير[١]:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعضـــــل

وأما إطلاق الوسط على الصفة الواقعة عدلاً بين خلقين ذميمين فيهما إفراط وتفريط كالشـــجاعة بين الجبن والتهور والكرم بين الشح والسرف والعدالة بين الرحمة والقسوة ، فذلك مجاز بتشبيه الشيء الموهوم بالشيء المحسوس٠٠٠ وقد شاع هذان الاطلاقان حتى صارا حقيقتين عرفيتين)[٢].

---

(١) هو زهير بن أبى سلمى بن ربيعة المزني من شعراء الجاهليه توفي قبل الهجرة بـــ١٣سنة انظر(الأعلام للزركلى ٥٢/٣ دار العلم للملايين بيروت ط٥ ١٩٨٠م

بحـــثت عن هذا البيت في ديوان زهير فلم أجده فيه بل بحثته لغير في قرابة خمسمائة ألف بيت لشعراء الجالية والإسلام فلم أعثر له على أثر ولكن علماء التفسير يستشهدون به وينسبونه إلى زهير والبيت مشهور.

(٢) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٧/٢-١٨ الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م للملايين بيروت ط٥ سنة١٩٨٠م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني : الدلالات الاصطلاحية للتوسط

بعد عرض الدلالات اللغوية للتوسط والتي تبين من خلالها اطلاق العرب للفظة الوسط والتوسط في معان إيجابية تشير كلها إلى العدل والخير والرفعة والشرف والنفاسة والعزة والخيار وغيرها ، وكل هذه مواطن المدح والتقدير يمكن الوقوف على الدلالات الاصطلاحية الشرعية لهذه الكلمة ، فقد وردت مادة الوسط في القرآن الكريم [١] والسنة النبوية المطهرة[٢] في أكثر من آية وأكثر من حديث تدور معانيها حول المعاني اللغوية لهذه المادة ، فمن دلالاتها الاصطلاحية :

١-العدالة والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط ، قال تعالى :﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [٣] فسر ابن جرير[٤]﴿ أمة وسطاً ﴾ بمعنى التوسط بين الإفراط والتفريط [٥] ، وقال الزجاج[٦]: وفي ﴿أمة وسطاً ﴾ قولان: قال بعضهم (وسطاً) عدلاً ، وقال بعضهم خياراً ، واللفظان مختلفان والمعنى واحد لأن العدل خير ، والخير عدل[٧].

وفي السنة قوله ﷺ " ... إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة أو أعلى الجنة " [٨] ، يقول ابن حجر في بيان (أوسط الجنة) : (المراد بالأوسط

---

(١) وردت في القرآن في عدة مواضع بتصاريف متعددة مثل (وسطا) (الوسطى)(أوسط)(أوسطهم)(أوسطن)

(٢) منها(إذا سألتموه فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة)(الوالد أوسط أبواب الجنة)(وسطوا الامام)

(٣) سورة البقرة آية١٤٣

(٤)هو أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير كان إماماً في فنون كثيرة كالتفسير والفقه والحديث والتاريخ وغيرها توفى ٣١٠هـ (انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ١٩١/٤)

(٥) ابن جرير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق محمود شاكر دار المعارف مصر ١٤٢/٣

(٦) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري النحوي كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين له مصنفات منها معاني القرآن توفي سنة ٣١٠ وقيل ٣١٦هـ (انظر وفيات الأعيان ٤٩/١)

(٧) إبراهيم الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ٢١٩/٢، تحقيق عبد الحبيشي شلبي،عالم الكتب بيروت ط١سنة ١٤٠٨هـ.

(٨) أخرجه البخاري فى كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين فى سبيل الله ١١/٦ رقم الحديث ٢٧٩٠ .

هنا الأعدل والأفضل[١] كقوله تعالى:﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ [٢]

٢ــ ومــن دلالات التوســط : الشيء بين الجيد والرديء أو الأرفع والأدنى ، قال تعــالى :﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ [٣] تندرج الآية تحــت هــذا المعنى على رأي من فسّر الأوسط هنا بالشيء بين الجيد والرديء يقول ابن عــباس ﷺ [٤]: (كــان الرجل يقوت أهله قوتاً دوناً وبعضهم قوتاً فيه سعة فقال تعالى: ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ الخبز والزيت)[٥]

٣- التوسط المحسوس : وهو الذي يتوسط الطرفين ، ويكون ما بين طرفي الشيء وحافــتيه ، قــال تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [٦] سميت وسطى لأن قبــلها صلاتي النهار وبعدها صلاتي الليل على اختلاف العلماء في تحديدها[٧] ومن ذلك قولــه ﷺ : " الــبركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه)[٨] فأراد بالوســط والله أعلم ما يتوسط بين الحافتين والطرفين ومن ذلك قوله ﷺ : (وسطوا الإمام وسدوا الخلل) [٩].

٤ــ من دلالات التوسط بمعنى (بين) للدلالة على الظرفية.

من ذلك قوله ﷺ (لعن الله من جلس وسْط الحلقة) [١٠].

مــن خلال ما سبق من ذكر الدلالات اللغوية لكلمة (الوسط والتوسط) وكذا الدلالات الاصــطلاحية لهــا نجد توافقاً تاماً بين الدلالتين للمادة المذكورة ، وبهذا يتضح مفهومها الصحيح .

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/٦

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٣) سورة المائدة آية ٨٩

(٤) هــو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله ﷺ خير الأمة وترجمان القرآن دعا له النبي ﷺ بالفقه في الدين كان أعلم الأمة بالتفسير توفي بالطائف ٦٨ انظر ابن عبد البر الاستيعاب ٩٣٣/٣-..

(٥) ابن جرير الطبرى جامع البيان ١٠/ ٥٤٣

(٦) سورة البقرة آية ٢٣٨

(٧) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٩١/١ وما بعدها، وانظر بصائر ذوي التميز ٢١٠/٥

(٨) أخرجه الترمذي ، فى كتاب الأطعمة باب ما جاء فى كراهية الأكل من وسط الطعام ٢٦٠/٤ رقم ١٨٠٥

(٩) أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة باب مقام الإمام من الصف ٤٣٩/١ رقم (٦٨١)

(١٠) أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب باب في الجلوس وسط الحلقة ١٦٤/٥ رقم ٤٨٢٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالتوسط يفيد معنى البعد عن الإفراط والتفريط اللذين فيهما الزيادة على المطلوب في الأمر والنقص عنه ، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة فهو شر ومذموم والخيار يكمن في التوسط بين طرفي الأمر[١] ، ولهذا يقول القرطبي[٢] ((لما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا))[٣]

المراد من التوسط في البحث إذا مايتحقق بالبعد عن الغلو والتقصير وهو العدل في الأمور كلها ، ولذا ذكر التوسط في استعمال الشارع في مواطن المدح والتقدير والرضا والخير فهو فضيلة إسلامية محمودة ، ومما ورد في القرآن والسنة ، ومأثور كلام العرب أن التوسط لايصح إطلاقه إلا إذا توافرت فيه صفتان :

١ــ الخيرية : أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل.

٢ــ البينية : سواء كانت بينية حسية أو بينية معنوية.

فالعدل يتضمن معنى الخيرية ويتضمن معنى البينية ، لأنه يقابله الظلم الذي له طرفان مذمومان ، والخيرية لاتنظر من طرف واحد فقط ، بل الخيرية الكاملة أن تنظر فيها مصلحة الآخذ ومصلحة المعطي، ومصلحة المحاسب ،والذي وقع عليه الحساب ، ومصلحة الذي يحاكم ، ومصلحة الذي وقع عليه الحكم دون ترجيح إحدى المصلحتين على الأخرى ، وبه يتضح التلازم بين الخيرية والبينية فلابد من وجودهما لتحقيق معنى الوسطية والتوسط في الأمور[٤]، لأن الوسط من كل شيء أعدل فهو (ليس مجرد كونه نقطة بين طرفين ، أو وسطية جزئية ، كما يقال فلان وسط في كرمه أو وسط في دراسته ، ويراد أنه وسط بين الجيد والرديء ، فهذا المفهوم وإن درج عند كثير من الناس فهو فهم ناقص مجتزأ أدى إلى إساءة فهم معنى الوسطية المقصودة .

---

(١) انظر أحمد الشرباصي ، موسوعة أخلاق القرآن ٩٩/٢، دار الرائد العربي لبنان ط٢سنة١٤٠١،وانظر محمد رشيد رضا تفسير المنار٤/٢ دار المعرفة.

(٢) أبوعبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر الأنصاري المالكي القرطبي كان متبحرا في العلم له تصانيف مفيدة منها تفسيره(انظر جلال الدين السيوطي طبقات المفسرين ص٩٢) .

(٣) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢١/٦

(٤) انظر ناصر العمر،الوسطية في ضوء القرآن الكريم ص٤١-٤٦، وانظر عبد الرحمن السعدى ، تيسير كلام المنان١٥٧/١

وعلى هذا فالوسط المراد والمقصود هنا هو العدل الخيار والأفضل ... وبالتالي لم يبق معنى الوسطية مجرد التجاور بين الشيئين فقط بل أصبح ذا مدلول أعظم ، ألا وهو البحث عن الحقيقة وتحصيلها والاستفادة منها ...

وهو معنى يتسع ليشمل كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان ، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم وكلا الطرفين هنا وصف مذموم ، ويبقى الخير والفضل للوسط)[١] وبهذا يتضح أن أي أمر اتصف بالخيرية والبينية جميعا فهو الذي يصح أن يطلق عليه وصف الوسطية والتوسط ، واستعمله الشارع استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط ، ومدح أصحابه وأثنى عليهم خيرا ، ولا شك أن كل أمر أمر الله به في كتابه وأمر به نبيه في سنته فهو وسط بين خلقين ذميمين .

الألفاظ ذات الصلة بالتوسط:

١- الخيار .
٢- العدل .
٣- البينية .
٤- الاستقامة .
٥- ما بين شيئين فاضلين .
٦- ما بين شرين وهو خير .
٧- ما بين خير وشر .
٨- التوسط حسا .

فالخيار هو الأجود والأوسط تقول قريش أوسط العرب نسبا ودارا أي خيرها ، والرسول ﷺ وسط في قومه : أي أشرفهم نسبا، ومنها الصلاة الوسطى : فهي خير الصلوات وأفضلها ويعني العصر[٢] قال تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)[٣]أي خيارا

---

(١) زيد بن عبد الكريم الزيد،الوسطية في الإسلام ص١٨وما بعدها دار العاصمة الرياض

(٢) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢٦٠/١

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالوسط في كلام العرب: (الخيار ، يقال منه:فلان وسط الحسب فى قومه أى متوسط الحسب، اذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه) [١]قال الشاعر:[٢]

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمُعْظَم ٠

يقول الطبرى(وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلاهـــم أهـــل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلو بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولاهـــم أهـــل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهـــم وكفروا به ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك إذا كان أحب الأمور إلى الله أوسطها)[٣] ، مما سبق يتضح أن الخيرية مما فسر به معنى الوسطية التي ذكرها الله من خصائص أمة محمد رسول ﷺ ، أما العدل فمن معاني الوسطية كما فسر الرسول ﷺ الآية به فى قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً) قال عدلا[٤] ، وأما التأويل فإنه جاء بـــأن الوسط العدل وذلك معنى الخيار لأن الخيار من الناس عدولهم [٥] فالوسط والتوسط هـــو العدل والخيار وذلك لأن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط ، والنقص عن الأمر تقصير وتفريط وكل منهما ميل عن الجادة فهو شر مذموم والخيار والعدل هو الوسط أي التوســـط بيـــنهما[٦]، أما الوسط بمعنى البينية فيدل على وقوع شيئ بين شيئين أو أشياء ويكون ذلك حساً أو معنى[٧] ٠

فالوسطية من معانيها البينية التي هي وصف مدح لها ، والوسطية هى الأمر الوسط بيـــن أمـــرين متطرفين [٨] ، وبالجملة فإن الله العليم الحكيم أمر بالتوسط في كل شئ بين خلقين ذميمين : تفريط وإفراط[٩]

---

(١) ابن جرير الطبري جامع البيان ٧/٢

(٢) هو زهير بن أبي سلمى ،والبيت من معلقته انظر ديوانه ص٤٥

(٣) ابن جرير الطبرى ،جامع البيان ٦/٢

(٤) أخرجه الإمام احمد فى المسند ٩/٣والترمذي في أبواب التفسير ٢٧٥/٤ ٠

(٥) انظر ابن جرير جامع البيان ٧/٢ وانظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢٦١/١

(٦) انظر محمد رشيد رضا تفسير المنار ٤/٢

(٧) انظر ناصر العمر الوسطية فى ضوء القرآن ص١١٧، دار الوطن الرياض،ط١ سنة١٤١٣هـــ

(٨)عمر سليمان الأ شقر، خصائص الشريعة الإسلامية ص٨٦

(٩) عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، القواعد الحسان ص٩٠ مكتبة المعارف سنة١٤٠٠هـــ

وهذه(البينية ليست مجرد الظرفية وإنما هي التي تعطي الدلالة على التوازن والاستقامة والعدل ومن ثم الخيرية)[١] وهي التي مدح الله بها الأمة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ [٢]

ومن معاني الوسطية الاستقامة :

لما كان الوسط هو العدل والخيار والواقع بين أمرين متطرفين لزم أن يكون مستقيما لأنها ضد الانحراف والتطرف ، والاستقامة هى لزوم المنهج المستقيم [٣]قال تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ [٤] ، وهي الاستمرار فى جهة واحدة من غير أخذ في جهة اليمين والشمال[٥]، والاستقامة هي السداد والإصابة في النيات والأحوال والأعمال ، فهي كلمة جامعة أخذت بمجامع الدين [٦]، قال تعالى: ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولاتطغو﴾ [٧]، وقال تعالى: ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم﴾ [٨]، وقال ﷺ لمن قال له قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ؟ قال: (قل آمنت بالله ثم استقم) [٩]، فالاستقامة من معاني الوسطية وسماتها حيث لا يمكن أن يكون المكلف وسطيا في الأمر إلا وهو مستقيم فيه يسير على الصراط المستقيم دون الميل أو الانحراف إلى أحد جانبي الصراط .

ومن معاني الوسطية شيئ بين شيئين ، وهذا الوسط يلزم منه أن يكون شرعيا وأن يكون معنويا وتحديده يتم بمراعاة الأطراف تحقيقا للمصالح ودرءا للمفاسد[١٠] ويمثل لذلك بحديث الرهط الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا

---

(١) ناصر العمر الوسطية ص١٢١

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠

(٣)انظر الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن مادة : قوم ص٦٩٢

(٤)سورة فصلت آية٣٠

(٥)القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٠٧/٩

(٦) انظر ابن القيم مدارج السالكين ١٠٤/٢-١٠٥، وابن جرير جامع البيان ١١٥/٢٤

(٧) سورة هود آية ١١٢

(٨) سورة الشورى آية ١٥

(٩) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام ٦٥/١رقم ٣٨

(١٠) انظر ناصر العمر الوسطية في القرآن ص١٢٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كأنهم تقالوها ، فقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فقال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول ﷺ فقال : (أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١].

فهذا الوسط والتوسط الذي دعا إليه الإسلام أتباعه: يسر في العمل دون مشقة ولاعنت كما لم يتركهم يتفلتون دون أداء التكاليف الشرعية فالوسطية تمثل اليسر في العمل والإلتزام بالسنة .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ١١٦/٦

المبحث الثالث : الدلالات اللغوية للتطرف

الـــتطرف كلمة ترد في القاموس من معاني " طرف " (الطرف) بمعنى الناحية من الـــنواحي، والطائفـــة من الناس، وطرف الشيء: أقصاه من اليمين أو اليسار، وهو أبعد الناحيتين، ومن ذلك " طرف الحبل" و"طرف الصيف" وللكلمة معاني أخرى سردتها كتب اللغة، والذي يهمنا منها ما يخص موضوعنا هذا.

الـــتطرف فـــي اللغة معناه الوقوف في الطرف ، وأصل الكلمة منه (طرف) ومن خلال تتبع المعاجم تبين أن التطرف تدور على معنيين :

١- حد الشيء ٠ ٢- الحركة في بعض الأعضاء ٠

قال ابن فارس : (الطاء والراء والفاء أصلان : فالأول يدل على حد الشيء وحرفه ، والـــثاني يـــدل على حركة في بعض الأعضاء ، فالأول طَرَف الشيء والثوب والحائط ويقال ناقة طَرِفة ترعى أطراف المرعى ولا تختلط بالنوق ٠٠)[١] ، وفي المعجم الوسيط: (تطـــرف أتى الطرف) ويقال تطرفت الشمس دنت للغروب وـــ منه تنحى [٢] فالتطرف يعـــني مجاوزة حد الاعتدال تقول : تطرف في آرائه فهو متطرف أي جاوز حد الاعتدال ولـــم يتوسط ، وتطرف في الشيء أخذه من أطرافه ، وعلى هذا فالتطرف هو حد الشيء وحَـــرفه الـــذي يراد به منتهاه وغايته [٣] والتطرف يقابل التوسط والاعتدال ، والتطرف يعـــني الجنوح إلى طرفي الإفراط والتفريط ، والمتطرف هو من ترك التوسط وجاوز حد الاعتدال وغلا في الأمور ٠

---

(١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة(طرف) ٤٤٧/٣، وانظر ابن منظور لسان العرب مادة طرف ٣١٦/٩

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون المعجم الوسيط مادة (طرف)٥٧٥/٢

(٣) انظر ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة (حد)٣/٢-٤، والمعجم الوسيط مادة(حد) ١٦١/١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع : الدلالات الاصطلاحية للتطرف ٠

الـــتطرف في الإصطلاح : لم يستخدم الشارع لفظ (التطرف) فلم يرد في الكتاب ولا في السنة وإنما استخدم بدلاً عنه ألفاظ أخرى مثل التشدد) و (والتنطع) و (الغلو) ، لـــذا لـــم يتناوـــله العلماء القدامى ــ من أصوليين وفقهاء في كتبهم بالتعريف بالرغم من ظهـــور كلمة التطرف منذ أن صاغ الفلاسفة اليونانيون عبارتهم الشهيرة (الفضيلة وسط بين طرفين إفراط وتفريط ، والشجاعة وسط بين التهور والجبن) [١]

ولمـــا فرضـــت قضـــية الـــتطرف نفسها على الساحة العالمية بعامة ثم امتدت إلى المجتمعات الإسلامية بخاصة ، فقد تناوله العلماء المعاصرون بالتعريف والبيان ٠

ومن التعريفات المعاصرة :

١- الـــتطرف هـــو : الإغراق الشديد في الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها وسوء الفهم لها[٢].

٢- وعرِّف : التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر[٣]

٣- الميـــل إلى أحد طرفي الأمر الميسر ومجاوزة حد الاعتدال والتوسط في الأشياء باتخاذ مواقف صلبة تجاهها [٤].

٤- الجنوح فكراً وسلوكاً إلى أقصى طرف اليمين أو أقصى طرف اليسار[٥] ٠

إن التعاريف السابقة يؤخذ على بعضها مآخذ منها :

الـــتعريف الأول : يؤخذ عليه حصره للتطرف في الأخذ بظواهر النصوص ، بل قد يتعداه إلى التعمق في النصوص ، وقد يكون بالعلم أيضاً فلا يقتصر على الجهل ٠

---

(١)حسين عبد الحميد رشوان،التطرف والارهاب من منظور علم الاجتماع ص١٦ دار المعرفة الجامعية قنال السويس ١٩٩٧م

(٢)المرجع السابق ص١٥

(٣)يوسف القرضاوي الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص٣٩، كتاب الأمة ، قطر١

(٤)انظر حسين عبد الحميد رشوان ،التطرف والارهاب من منظور علم الاجتماع ص١٦

(٥)منصور رفاعي عبيد ، الإسلام وموقفه من العنف والتطرف والارهاب ص١٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب

التعريف الثاني : هذا الكلام أقرب إلى أن يكون مظهراً من مظاهر التطرف.

التعريف الثالث : إلى حد ما مقبول لولا الطول والتكرار الذي أبعده عن الحد المانع الجامع.

التعريف الرابع : جنح بالتطرف إلى أن يكون فقط في الأمور المادية المحسوسة وهو أعم من ذلك

التعريف المختار : هو مجاوزة الحد والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطاً أو تفريطاً في الجوانب الفكرية والسلوكية ، ولعل هذا التعريف يناسب مدلول عنوان البحث دون سواه .

الألفاظ ذات الصلة بالتطرف

١- الغلـــو. ٢ــ الإفراط.

٣ــ التفريط. ٤ــ - التشـــدد.

٥- التنطـــع. ٦ــ - الجفـــاء.

٧- العنـــف.

١ــ الغـــلو : لغـــة مجاوزة الحد ، قال ابن فارس : (الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح ...يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر)[١] ، وفي الصحاح : (وغلا في الأمر يغـــلو غـــلواً ، أي جـــاوز فيـــه الحد)[٢] ، فالغلو هو الزيادة والمبالغة وهو يعني التشدد والتصلب في مجاوزة الحد المطلوب والمقدر شرعاً [٣]، وقد ورد الغلو في القرآن الكريم فـــي موضـــعين كلاهمـــا بمعنى مجاوزة الحد وهو معناه اللغوي ، قال تعالى :﴿ يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ [٤] وقال تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ﴾[٥] وجاء في تفسير معنى الغلو: (أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم تعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيزالنبوة إلى مقام الألوهية كما صنـــعـــتم في المـــسيح وهو نبي من الأنبـــــياء فجعلـــتموه إلـــهاً من دون الله [٦] ، كما ورد لفظ الغلو في السّنة في عدد من الأحاديث منها :

قوله ﷺ:"اقرأو القرآن ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به ولا تَجْفُوا عنه ولا تَغْلُوا فيه"[٧]

١) معجم مقاييس اللغة مادة غلا) ٣٨٧/٤

٢) اسماعيل الجوهري، الصحاح مادة غلا ٢٤٤٨/٦

٣) محمد الزحيلى الاعتدال فى التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً ص١٠ اليمامة للطباعة دمشق ط٣سنة١٤١٣هـ

٤) سورة النساء آية ١٧١

٥) سورة المائدة آية ٧٧

٦) ابن كثير الدمشقي تفسير القرآن العظيم ١٥١/٢

٧)أخرجه أحمد بن حنبل المسند ٤٢٨/٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومـــنه قوله ﷺ : " يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " [١]

٢ــ **الإفـــراط** : مجاوزة الحد في الأمر والتقدم فيه ، قال ابن فارس : (الفاء والراء والطـــاء أصـــل صحيح يدل على إزالة شيء عن مكانه وتنحيته عنه ، ثم يقال أفرط: إذا تجاوز الحد في الأمر ، يقولون إياك والفرط أي لا تجاوز القدر ، وهذا هو القياس لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن وجهته) [٢] قال في اللسان : (والإفراط:الإعجال والتقدم وأفرط في الأمر أسرف ، والإفراط الزيادة على ما أمرت) [٣] .

٣- **التفريط** : من فرّط في الأمر أي قصر فيه وضيعه ، وهو عكس الإفراط الذي تمثل بالإسراف والزيادة والتقدم وتجاوز الحد ، قال ابن فارس : (وكذلك التفريط ، وهو التقصـــير ، لأنـــه إذا قصر فيه فقد قعد به عن رتبته التي هي له) [٤]، وبهذا القول قال صاحب الصحاح وكذا صاحب اللسان .[٥]

وعـــلى هذا فالإفراط والتفريط كلاهما مجاوزة ، هذا بالزيادة والتقدم وذلك بالتقصير والتأخر والتضييع ، ففيهما مجاوزة المقدار المعتبر شرعاً في أي أمر من أمور الدين .

الإفراط والتفريط في نصوص الشرع :

وردت مـــادة (فـــرط) فـــي القرآن الكريم في ثمانية مواضع [٦] وكلها أتى بمعنى الضـــياع والتقصـــير والتقدم في الشيء [٧] قال الزجاج : (... وقد أفرط في الشيء إذا سقط فيه وقد فرّط في الشيء أي قصّر ومعناه كله التقدم في الشيء ، لأن الفرط في اللغة

---

١)أخـــرجه ابن ماجه فى كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي ١٠٠٨/٢ برقم ٣٠٢٩ وصححه الالبانىانظر صحيح ابن ماجه له ١٧٧/٢برقم ٤٢٥٥ .

٢) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة (فرط)٤٩٠/٤

٣) ابن منظور لسان العرب مادة(فرط)٣٦٩/٧

٤) ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة مادة فرط٤٩٠/٤

٥) انظر اسماعيل الجوهرى الصحاح مادة فرط ١١٤٨/٣، وابن منظور لسان العرب مادة فرط ٣٧٠/٧

٦) انظـــر الآيات ٣١،٣٨،٦١ سورة الانعام، وآية٨٠ يوسف ،آية ٦٢ النحل وآية ٢٨الكهف وآية ٤٥طه،وآية٥٦الزمر وهى قوله تعالى (أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين)

٧) انظر محمد باكريم، وسطية أهل السنة بين الفرق ص٢٦

المتقدم) [١] ، كما وردت مادة (فرط) في عدد من الأحاديث النبوية منها على سبيل التمثيل لا الحصر قوله ﷺ : " أما إنه ليس في النوم تفريط إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى) [٢] والتفريط بمعنى التقصير [٣] .

ومنها قوله ﷺ : " إني فرطكم ...[٤] ومعنى فرطكم أي السابق " [٥] .

٤ــ التشــدد : يــدل عــلى القوة في الشيء والتصلب فيه قال ابن فارس : (الشين والدال أصل واحد يدل على قوة في الشيء وفروعه ترجع إليه ، من ذلك شددت العقد شداً أشده... ومن الباب : الشديد والمتشدد : البخيل قال تعالى :﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾[٦]، قال الشاعر [٧]: **أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الباخل المتشدد** [٨]

والشدة الأمر يصعب تحمله ، والشديد القوي والصعب ، ويقال شديد القوى عظيم القدرة [٩]، المقصود من التشدد التصلب في الرأي وفي الحديث: "ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)[١٠]

٥ــ التــنطع : التكلف والتغالي في الأمر ، قال ابن فارس : (النون والطاء والعين أصــل يدل على بسط في شيء وملامسة)[١١] ، وأصل التنطع التعمق في الكلام والتشدق فيــه مأخوذ من النطع وهو ما ظهر من غار الفم الأعلى ، ثم استعمل في كل تعمق سواء كان في القول أم في الفعل [١٢] .

التنطع في لسان الشرع: قال ﷺ :" هلك المتنطعون " [١٣] قالها ثلاثاً قال النووي[١٤]: هلك المتنطعون أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم [١٥] .

٦ــ الجفاء : خلاف البر ، قال ابن فارس : (الجيم والفاء والحرف المعتل (جفو) يدل على أصل واحد : نبو الشيء عن الشيء ، من ذلك جفوت الرجل أجفوه ... وجفا

١) أبو اسحاق ابراهيم الزجاج، معانى القرآن واعرابه ٣٥٨/٣
٢) أخرجه مسلم فى كتابه المساجد باب قضاء الصلاة الفائتة ٤٧٣/١برقم ٣١١
٣) انظر هامش صحيح مسلم ٤٧٣/١
٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب مايحذر من زهرة الدنيا ٢٤٤/١١ برقم ٦٤٢٦
٥) انظر فتح الباري ٢٤٥/١١
٦) سورة العاديات آية ٨
٧) هو طرفة بن العبد البكري والبيت من معلقته انظر ابن النحاس شرح القصائد المشهورة ٨٣/١.
٨) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة (شد) ١٧٩/٣
٩) انظر المعجم الوسيط مادة (شد) ٤٧٨/١
١٠) أخرجه البخاري فى كتاب الإيمان باب الدين يسر ١٥/١
١١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة (نطع) ٤٤٠/٥
١٢) انظر المعجم الوسيط ٩٣٨/٢، وابن الأثير النهاية في غريب الحديث ٧٤/٥
١٣)أخرجه مسلم فى كتاب العلم باب هلك المتنطعون ٢٠٥٥/٤ برقم٢٦٧٠
١٤)هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي الشافعي كان علامة بالفقه والحديث له مصنفات منها شرح صحيح مسلم توفي سنة ٦٧٦هـ . (انظر الأعلام ١٤٩/٨)
١٥)النووى، شرح صحيح مسلم ٢٢٠/١٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السرج عن ظهر الفرس وأجفيته أنا ، وكذلك كل شيء إذا لم يلزم شيئاً يقال : جفا عنه يجفوا ، والجفاء خلاف البر ، والجفاء ما نفاه السيل) [١] ، وورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً﴾[٢] قال الزجاج : (والجفاء ما جفا الوادي ، أي رمى به)[٣]

٧ـ **العنف** : خلاف الرفق ، قال ابن فارس : (العين والنون والفاء أصل صحيح يدل على خلاف الرفق ..تقول عَنُفَ يَعنُف عُنفاً فهو عنيف إذا لم يرفق في أمره)[٤] واعتنف الأمر أخذه بشدة ، والعنيف الشديد من القول والفعل [٥] .

العلاقة بين التطرف والألفاظ السابقة :

إنّ الغلو أعلى مراتب الإفراط كما أنه أخص من التطرف ، لأن التطرف هو مجاوزة الحد والبعد عن التوسط والاعتدال سواء كان سلباً أو إيجاباً زيادة أو نقصاً ، وسواء كان ذلك غلواً أو ليس كذلك إذ العبرة تكون ببلوغ طرفي الأمر والانحياز إليه فيشمل الغلو مع أنه أخص في الزيادة والمجاوزة [٦] ، وقد يطلق التطرف والغلو ويقصد بهما معنى واحداً إذا قُصد بالتطرف إتيان غاية الشيء ومنتهاه ، وقصد بالتطرف مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة [٧] ، وقد يكون بينهما عموم وخصوص ، والغلو أخص باعتبار مجاوزة الحد زيادة ويكون التطرف إتيان الحد بإطلاق زيادة أو نقصاً[٨]، وعلى هذا (كل غلو فهو تطرف وليس كل تطرف غلو)[٩].

---

١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة (جفو) ٤٦٥/١- ٤٦٦
٢) سورة الرعد آية ١٧
٣) الزجاج معاني القرآن ١٤٥/٣
٤)ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة (عنف) ١٥٨/٤
٥)انظر اسماعيل الجوهرى ، الصحاح مادة (عنف)
٦)انظر على بن عبد العزيز الشبل ، الغلو ص٢٢،٢٣ ، دار الوطن ، الرياض ، ط١ سنة١٤١٧هـ
٧)انظر عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، الغلو في الدين فى حياة المسلمين المعاصرة ص٦٢
٨)انظر المرجع السابق ص٦٢
٩)علي الشبل الغلو ص ٢٣

الفصل الثالث

الدلالات اللغوية والاصطلاحية للإعراض والمعارضة

المبحث الأول : الدلالات اللغوية للإعـــــــراض

المبحث الثاني : الدلالات الاصطلاحية للإعراض

المبحث الثالث : الدلالات اللغوية للمعارضـــــــة

المبحث الرابع : الدلالات الاصطلاحية للمعارضة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مدخل الفصل

الاعـــراض هـــو الانصـــراف عـــن الحق بالقلب، ويتناول الصد والمنع، والامتناع عن الشيء والعدول عنه، إلى غيره، أما المعارضة فيتحقق فيها معنى الإعـــراض وزيادة عنه، فهي ممانعة عن الحق، إضافة إلى المدافعة والمغالبة، بالحـــرب والمـــناوأة، فالمعارض ينازع على سبيل المغالبة فيحصل منه ما لا يحصـــل من المعرض، فكل معارض معرض ولا عكس، والإعراض مصطلح أطـــلقه القـــرآن عـــلى من اتبع الباطل وترك الحق معرضا عنه، والإعراض والمعارضة يذمان ويمدحان حسب حال المعرض فإن كان عن الحق إلى الباطل ذم فاعلـــه، وإن كان العكس فممدوح كمن أعرض عن المعاصي والذنوب إلى الطاعات والقربات إلى الله تعالى.

المبحث الأول

الدلالات اللغوية للإعراض

الإعـــراض : أصل مادته (عرض) تقول عرض الشيء عرضاً وعروضاً : ظهر وأشرف[١] ، قال ابن فارس : (عرض) العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه وهي مع كـــثرتها تـــرجع إلى أصل واحد وهو العَرْض الذي يخالف الطول ومن حقق النظر ودقّقه علِم صحة ما قلناه) [٢] ثم توسع بذكر الشواهد والأمثال لإثبات ما قال .

فالعـــرْض خـــلاف الطـــول تقـــول منه عَرْض الشيء يعرُض عِرضاً فهو عريض وأعرضـــت الشـــيء : جعلـــته عريضاً ، وأعرضت عن فلان وأعرضت عن هذا الأمر وأعـــرض بوجهه : إذ ولاه عرضه والعارض مشتق من العرض الذي هو خلاف الطول تقـــول أعرض لك الشيء من بعيد فهو معرض : إذا ظهر لك وبدا وتقول عارضت فلاناً في السير إذا سرت حياله ، وعارضته مثل ما صنع : إذا أتيت إليه مثل ما أتى إليك ومنه اشـــتقت المعارضـــة كأنّ عرض الشيء الذي يفعله مثل عرض الشيء الذي أتاه [٣] قال الشاعر[٤] :

وعارضتُها رهواً على مُتتابعٍ نبيل القُصَيْري خارجي مُحنّبِ [٥]

واعـــترض فـــي الأمر فلان : إذا أدخل نفسه فيه ، واعترض الفرس : إذا لم يستقم لقـــائده ، والمُعْـــرِض : الـــذي يعـــترض الناس يستدين ممن أمكنه ، والعَرِيض: الطريق الصعب وكل شيء أمكنك من عَرْضِه فهو معرِضٌ لك .

والعـــارض من كل شيء ما يستقبلك كالعارض من السحاب [٦] قال تعالى :﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ [٧] ، وفي لسان العرب : عرض الشيء عليه يعرضه عرضا أراه

---

١)انظر ابراهيم انيس وآخرون المعجم الوسيط مادة عرض ٥٩٩/٢
٢)ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة عرض ٢٦٩/٤
٣)انظر المرجع السابق ٢٧١/٤-٢٧٢
٤)الشـــاعر هو طفيل بن عوف بن كعب شاعر جاهلي فحل من الشجعان كان من أوصف العرب له ديوان شعر توفي نحو ١٣ق هـــ (انظر الأعلام ٢٢٨/٣)
٥)انظر ديوان طفيل الغنوي ص٩
٦)انظر ابن فارس معجم مقاييس اللغة ٢٦٩/٤
٧) سورة الأحقاف آية ٢٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إياه ، وعارض الشيء بالشيء معارضة قابله ، وعرضت له الشيء : أي أظهرته له وأبرزته إليه تقول : رأيت رجلاً فيه اعتراض : هو الظهور والدخول في الباطل والامتناع عن الحق ، وكل مانع منعك من شغل وغيره فهو عارضٌ[١] .

فالإعراض إذاً أصله من العرض الذي خلاف الطول وفي المفردات [٢]: (وأصله أن يقال في الأجسام ثم يستعمل في غيرها كما قال تعالى :﴿ فذو دعاء عريض ﴾[٣] والعرض خص بالجانب ، وأعرض الشيء بدا عُرْضُه.. وإذا قيل أعرض عني فمعناه ولى مبدياً عُرْضُه قال تعالى:﴿ ثم أعرض عنها﴾ [٤] وقال:﴿ فأعرض عنهم وعظهم﴾[٥] ﴿ وأعرض عن الجاهلين﴾[٦] وقال: ﴿ ومن أعرض عن ذكري﴾[٧][٨] والإعراض عن الذكر هو التولي عنه وعدم قبوله ، قال الطبري : أعرض عن ذكري تولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له ولم يتعظ فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه [٩] ، فالإعراض عن الذكر يقابله اتباع الهدى والذكر فهو ضد الاتباع والإعراض عن الشيء الصد عنه تقول أعرض الإنسان عن الشيء : إذا ولاه ظهره وأدبر عنه .

---

١) ابن منظور لسان العرب مادة عرض ٨/١٦٥-١٧٩

٢)الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن مادة عرض ص ٥٥٩

٣) سورة فصلت آية ٥١

٤) سورة السجدة آية ٢٢

٥) سورة النساء آية ٦٣

٦) سورة الأعراف آية ١٩٩

٧) سورة طه آية ١٢٤

٨) الراغب الأصفهاني ، مفردات الفاظ القرآن ص ٥٥٩ .

٩) ابن جرير الطبري ، جامع البيان ١٦/ ٢٢٥ .

المبحث الثاني

الدلالات الاصطلاحية للإعراض

الإعـــراض عكـــس الاتـــباع ونقيضه ، وكما أن الاتباع يكون للحق والباطل فكذلك الإعـــراض عـــن الحـــق والباطل ومن تعريفات الإعراض هو (الانصراف عن الشيء بالقلب)[١] كما عرف (الإعراض: الاضراب عن الشيء بأن تأخذ عَرْضاً أي جانباً غير الجانب الذي هو فيه) [٢] فالإعراض هو الصد وهو ضد الإقبال [٣].

وحقيقـــة الإعراض (عدم الإلتفات إلى الشيء يقصد التباعد عنه مشتق من العُرْض وهو الجانب [٤] وأصل همزته (أعرض) للدخول في الشيء أي دخل في عرض المكان أو الهمـــزة للصيرورة أي صار ذا عرض أي جانب أي أظهر جانبه لغيره ولم يظهر له وجهه ثم استعمل استعمالاً شائعاً في الترك والإمساك عن المخالطة والمحادثة لأنه يتضمن الإعراض غالباً)[٥].

الألفاظ ذات الصلة بالإعراض: [٦]

١-التولـــــي : هو الإعراض مطلقاً ولا يلزمه الإدبار ٠

٢- الصـــــدّ : هو العدول عن الشيء عن قِلى ٠

٣- الصـــدف : يستعمل لازماً بمعنى أعرض ٠

٤- الإبـــــاء : امتناع باختيار وأبى الشيء لم يرضه وأبى عليه امتنع ٠

٥- الاستنكاف: تكبر في تركه أنفة ٠

٦- الاستكبار : طلب ذلك بالتشبع وهو التزين بأكثر مما عنده ٠

٧- الصفـــح : أصله أن تنحرف عن الشيء فتوليه صفحة وجهك أي ناحيته ٠

٨- ومن معانيه الانصراف والامتناع ٠

---

١)الكفوي ، الكليات ص ٢٨

٢)محمـــد عبد الرأوف المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف ص٥٦ ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان القاهرة سنه ١٤١٠هـــ

٣)ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٩٢/١٥

٤) المرجع السابق ١٠٨/٥

٥) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٠٨/٥

٦) الكفوي الكليات ص٢٨-٢٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالتولي بالإدبار قد يكون على حقيقته قال تعالى :﴿ وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾[١] ، وقد يكون تولي بدون إدبار كتولي الرسول ﷺ عن ابن أم مكتوم ﷺ قال تعالى :﴿ عبس وتولى٠أن جاءه الأعمى﴾[٢] ، وقد يكون التولي لحاجة تدعو إلى الانصراف كما يعبّر به كناية عن الانهزام قال تعالى :﴿ ثم وليتم مدبرين﴾ [٣]

والفرق بين الإعراض والتولي ، أن (المعرض والمتولي يشتركان في ترك السلوك إلا أن المعرض أسوأ حالاً ، لأن المتولي متى ندم سهل عليه الرجوع والمعرض يحتاج إلى طلب جديد وغاية الذم الجمع بينهما[٤] ، أما الصد بمعنى الإعراض فقد جاء في مثل قوله تعالى :﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ [٥] وقوله تعالى : ﴿ فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾ [٦] ، أما صدف بمعنى أعرض فقد جاء في قوله تعالى :﴿ ٠٠فمن أظلم ممن كذّب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب﴾ [٧] أما عن الإباء فقد جاء قوله تعالى: ﴿٠٠ فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[٨] وقوله : ﴿ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ﴾[٩]

وهكذا نجد أن للإعراض دلالات لغوية وأخرى اصطلاحية كما أن له صوراً بعضها ممدوح وبعضها مذموم ، ولهذا يأمر الله تعالى عباده المكلفين بالتوسط في أمر الإعراض فلا يعرضوا بالكلية عن كل شيء ولا يتركوا الإعراض فيَقْبَلوا كل شيء فمن أنواع الإعراض المذموم :

١- الإعراض عن طاعة الله : قال تعالى:﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾[١٠]

٢- الإعراض عن الوعظ : قال تعالى :﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ [١١]

---

١) سورة الأنبياء ٥٧
٢) سورة عبس أيتى ١-٢
٣) سورة التوبة آية ٢٥
٤) الكفوي ، الكليات ص٢٨
٥) سورة محمد آية ١
٦) سورة النساء آية ٥٥
٧) سورة الأنعام آية١٥٧
٨) سورة البقرة آية ٣٤
٩) سورة الفرقان آية ٥٠
١٠) سورة سبأ آية ١٦
١١) سورة المدثر آية ٤٩

٣- الإعراض عن ذكر الله قال تعالى:﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾[١]

٤- الإعراض عن آيات الله في الكون قال تعالى :﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ [٢]

٥- الإعراض عن النبأ العظيم الذي هو خبر الحشر وما أعد الله فيه للمتقين وللطاغين[٣] قال تعالى :﴿ قل هو نبأ عظيم، أنتم عنه معرضون﴾ [٤]

٦- ومن أنواع الإعراض : الإعراض عن الحق عامة بالتولي عنه وعدم الإذعان له ، قال تعالى :﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ [٥]

ومن الإعراض المحمود ما مدح الله فاعله لأنه امتثل فيه أمر الله واتبع منهاجه:

١- الإعراض عن المشركين قال تعالى :﴿ اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ﴾ [٦]

٢- الإعراض عن المنافقين قال تعالى :﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم ﴾ [٧]

٣- الإعراض عن الجاهلين قال تعالى:﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[٨]

٤- الإعراض عن اللغو قال تعالى :﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ [٩]

وبهذا يتبين لنا أن الإعراض قد يكون كفراً وقد يكون نفاقاً وقد يكون ذنباً وقد يكون معصية وذلك حسب درجاته ، لكن الإعراض عن اتباع الحق عموماً من كبائر الذنوب العظام وذلك لأنه من أعمال البواطن والقلوب فهو انصراف قلب الإنسان عن الأمر ، ولهذا تكون خطورته أعظم من خطورة الذنوب الحسية الظاهرية لأن المفسدة في أعمال القلوب وانحرافها أعظم من المفسدة في أعمال الجوارح .

١) سورة طه آية ١٢٤
٢) سورة يوسف آية ١٠٥
٣) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٩٦/٢٣
٤) سورة ص آيتي ٦٧ ، ٦٨
٥) سورة الأنبياء آية ٢٤
٦) سورة الأنعام آية ١٠٦
٧) سورة النساء آية ٦٣
٨) سورة الأعراف آية ١٩٩
٩) سورة القصص آية ٥٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث

الدلالات اللغوية للمعارضة

المعارضـــة : في اللغة مصدر مأخوذ من عرض الشيء يعرضه عرضاً وتبين فيما ســـبق أن المعارضـــة من العرض وهو خلاف الطول والمعارضة : في اللغة عبارة عن المقابلة على سبيل الممانعة والمدافعة يقال : لفلان ابن يعارضه أي : يقابله بالدفع والمنع ومـــنه ســـمي الموانـــع عـــوارض [١] ، ويعارضـــك أي يأخذ منك شيئاً ويعطيك شيئاً[٢] والمعرض : الذي يعترض الناس يستدين ممن أمكنه[٣] ، واعترض فلان الشيء : تكلفه ، والشيء معرض لك : موجود ظاهر لا يمتنع ، وكل مبدٍ عُرْضَه مُعْرِض [٤]

---

١) الكفوي ، الكليات ص٨٥٠

٢) ابن فارس معجم مقاييس اللغة ماددة عرض ٢٧١/٤

٣) المرجع السابق ٢٧٣/٤

٤) ابن منظور لسان العرب مادة عرض ١٦٩/٨

المبحث الرابع

الدلالات الاصطلاحية للمعارضة

بعـــد عرض الدلالات اللغوية للفظة " الإعراض" وكذا " المعارضة " تبين أن أصل مادتهمـــا يرجع إلى عَرض الذي هو خلاف الطول ثم ذكرت بقية الدلالات والمعاني قياساً عـــليه واشتقاقاً منه ، أما المعارضة فهي المناوءة والمحاربة فهي أبلغ من الإعراض لأن الإعراض يحمل معنى التولي والصد والإباء والصدف والامتناع فهو انصراف عن الحق وعـــدم قبوـــله وهـــو ضـــد الإقبال ، أما المعارضة فهي أشد وأنكى من الإعراض فهي إعراض أولاً فتشمل المعاني السابقة وتضيف إليها المحاربة والمناوءة والعناد فيظهر فيها الحـــرب بشتى صورها القولية والفعلية فيحصل من المعارض ما لا يحصل من المعرض إذ يكون في شق المعاداة والقتال فيبدأ الحرب العلنية على الشق إذا عارضه فيرمي بسهمه ويطعـــن برمحه ويجالد بسيفه ويصارع بجسمه المقصود أنه يستخدم كل ما أوتي من قوة لدفـــع الحـــق ورده وحربه والانتصار عليه فهو يجادل بالباطل ليدحض الحق ويرده قال تعالى: ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾[1] فالمعارض ينازع على سبيل المغالبة ٠

تعريف المعارضة اصطلاحاً :

لم أجد تعريفاً خاصاً بالمعارضة حسب مفهوم هذا المبحث وإنما التعريف كان خاصاً بالإعـــراض ، ولما كانت هي أبلغ منه وأشد فينطبق عليها التعريف مع زيادة في المعنى لزيادة مبناها ، ومن خلال نصوص الكتاب والسنة يتبين أن المعارضة هي :

(المشـــاقة والمعـــاداة لله ولرسوله ﷺ على سبيل المنازعة والمناوءة) فالمعارض يكـــون في شق من الأمر المعارَض فهو معادي ومعتدي والمعارض محاد لله ورسوله ﷺ معلناً العداوة والبغضاء ٠

إن المـــتأمل لأحوال المعارضين لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يظهر له أن معارضتهم كانت تتركز لما يمليه عليهم عقولهم ، وهو كله خرص (وأن العلم في الحقيقة ما نزل به الوحي على الأنبياء والمرسلين ، وهو الذي أقام الله به حجته وهدى به

---

١) سورة غافر آية ٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنبياءه ورسله وأتباعهم وأثنى عليهم)[١] فقال :﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿٠٠وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾[٣].

وكل من عارض أمر الرسل بعقله لم يؤمن بهم ولا بما جاءوا به وكذا من عارض خبرهم ، والله تعالى حكى عن الكفار معارضة أمره وخبره بعقولهم فمن أمثلة الأول معارضتهم تحريمه للربا بعقولهم التي سوّت بين الربا والبيع لأنه معارضة للنص بالرأي قال تعالى :﴿ ٠٠٠ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ [٤] ، كما عارضوا أمره بتحويل القبلة وقالوا إن كانت القبلة الأولى حقاً فقد تركت الحق وإن كانت باطلاً فقد كنت على باطل [٥] والله تعالى يقول في كتابه:﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ومالله بغافل عما يعملون﴾ [٦] فهم يعلمون أن ما أخبر الله به في كتابه هو الحق ومع ذلك يعارضونه بآرائهم الكاسدة ، وهناك معارضات أخرى كثيرة جاء بيانها في كتاب الله كلها تبعد المكلف عن الاتباع الحق المأمور به ٠

ومن أمثلة الثاني: وهو معارضة خبره حكى الله عن منكري المعاد قولهم:﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾ [٧] كما أخبر عنهم معارضتهم أدلة نبوة رسوله ﷺ بعقولهم: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [٨] ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا٠٠﴾ [٩] فبالجملة (فمعارضة أمر الرسل أو خبرهم

---

١) ابن القيم الجوزية ، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطله ص٩٦ ، دار الندوة الجديدة بيروت سنة١٤٠٥هـ
٢) سورة البقرة آية ١٥١
٣) سورة النساء آية ١١٣
٤) سورة البقرة آية ٢٧٥
٥) انظر ابن قيم الجوزية مختصر الصواعق المرسلة ص٩٧
٦) سورة البقرة آية ١٤٤
٧) سورة يس آية ٧٨
٨) سورة الزخرف آية ٣١
٩) سورة الأنعام آية ١٤٨

بالمعقولات إنما هي طريقة الكفار فهم سلف الخلق بعدهم فبئس السلف والخلف)[١] ، ولا شك أن معارضة المشركين للرسل كانت أقوى المعارضات يتبعها بعد ذلك كل معارضة حدثت للنصوص من أهل الباطل والأهواء والبدع ، كما أن أول المعارضين لأمر الله هو إبليس حيث زعم أن العقل يقتضي خلافه .

وقد حذر ابن القيم المكلف أن يكون معارضا لله ورسوله وأخبر أن ذلك يفضي به إلى المشاقة والمحادة ، ذلك أن المشاقة أن يكون في الشق ومن يخالفه في شق والمحادة أن يكون في حد ومن يخالفه في حد آخر [٢] ثم قال : (ولا تستسهل هذا فإن مبادئه تجر إلى غايته وقليله يدعو إلى كثيره وكن في الجانب الذي فيه الله ورسوله وإن كان الناس كلهم في الجانب الآخر فإن لذلك عواقب هي أحمد العواقب وأفضلها ، وليس للعبد أنفع من ذلك في دنياه قبل آخرته ، وأكثر الخلق إنما يكونون في الجانب الآخر ولا سيما إذا قويت الرغبة والرهبة ، فهناك لا تكاد تجد أحدا في الجانب الذي فيه الله ورسوله بل يعده الناس ناقص العقل سيء الاختيار لنفسه وربما نسبوه إلى الجنون وذلك من مواريث أعداء الرسل فإنهم نسبوه إلى الجنون لما كانوا في شق وجانب والناس في شق وجانب آخر ولكن من وطن نفسه على ذلك فإنه يحتاج إلىعلم راسخ بما جاء به الرسول يكون يقينا له لا ريب عنده فيه وإلى صبر تام على معاداة من عاداه ولومة من لامه ولا يتم له ذلك إلا برغبة قوية في الله والدار الآخرة بحيث تكون الآخرة أحب إليه من الدنيا وآثر عنده منها ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وليست شيء أصعب على الإنسان في مباديء الأمر ، فإن نفسه وهواه وطبعه وشيطانه وإخوانه ومعاشريه من ذلك الجانب يدعونه إلى العاجل فإذا خالفهم تصدو لحربه فإن صبر وثبت جاءه العون من الله وصار ذلك الصعب سهلا وذلك الألم لذة فإن الرب شكور فلابد أن يذيقه لذة تحيزه إلى الله وإلى رسوله ويريه كرامة ذلك فيشتد به سروره وغبطته ويبتهج به قلبه ويظفر بقوته وفرحه وسروره ، ويبقى من كان محاربا له ــ على ذلك ــ بين هائب له ومسالم له ومساعد وتارك ويقوى جنده ويضعف جند العدو)[٣] فالمطلوب من المكلف أن يكون في كل أحواله متبعا

---

١) ابن قيم الجوزية مختصر الصواعق المرسلة ص ٩٧

٢) انظر ابن القيم الفوائد ص١٥٠ دار النفائس بيروت ط٧ سنة ١٤٠٦هـ

٣)ابن قيم الجوزية الفوائد ص١٥٠-١٥١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لله ولرســـوله مطيعاً لأوامرهما مقتدياً برسول الله ﷺ مستسلماً للنصوص التي جاءت في الكتاب والسنة دون اعتراض أو معارضة ٠

الألفاظ ذات الصلة بالمعارضة :

١- المحاربة ٠

٢- المناوءة ٠

٣- المشاقة : المخالفة وكونك في شق غير شق صاحبك [١] ٠

٤- المناقضة ٠

٥- المحادة : وهي الممانعة أو استعمال الحديد [٢] ٠

والمحـــادة مشـــتقة مـــن الحد لأن كل واحد من المتعاديين كأنه في حد مخالف لحد الآخـــر[٣] ، فالمعـــارض هو الذي يكون حجر عثرة في وجه الحق وانتشاره في العالمين فيحـــول بيـــنه وبين الناس ، وكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته وعارض وحيـــه بُـــلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته قال تعالى :﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾ [٤]، نسأل الله السلامة من الضلالة والحفظ من الاعتراض عن الحق أو معارضته ٠

---

١)الراغب ، مفردات الفاظ القرآن ص٤٥٩

٢)المرجع السابق ص٢٢٢

٣)ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٣/٢٨

٤) سورة الزخرف آية ٣٦

الفصل الرابع

الدلالات اللغوية والاصطلاحية للحق والباطل

المبحث الأول : الدلالات اللغوية للحـــــق

المبحث الثاني : الدلالات الاصطلاحية للحق

المبحث الثالث : الدلالات اللغوية للباطـــل

المبحث الرابع : الدلالات الاصطلاحية للباطل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مدخل الفصل :

الحق والباطل يمثل قصة الصراع بين الهدى والضلال والخير والشر في كل عصور التاريخ المختلفة بدءا من خلق آدم أبو البشر وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ويأخذ هذا الصراع أشكالا مختلفة فتارة يكون بين الإنسان والشيطان وتارة يكون بين الإنسان والإنسان وذلك بما جبل عليه الإنسان من الأنانية وحب الذات والرغبة في السيطرة والغلبة .

إن الحق يغلب الباطل دائما ويقهره وينتصر عليه في النهاية وإن ظهر في بعض الأحيان علو وظهور للباطل على الحق ذلك لأن الحق قوته ذاتية وهو من وراء الباطل يبيده ويبدده أينما حل وحيثما استقر قال تعالى :﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ [١] ، فبينت الآية الحق كأنه قذيفة يقذف الله به على الباطل فيشق دماغه فيزهق ويهلك ويذهب ويضمحل وذلك لأن الحق (أصيل في طبيعة الكون ، عميق في تكوين الوجود والباطل منفي عن خلقة هذا الكون أصلا طاريء لا أصالة فيه ولا سلطان له يطارده الله ويقذف عليه بالحق فيدمغه ... ولقد يخيل للناس أحيانا أن واقع الحياة يخالف هذه الحقيقة التي يقررها العليم الخبير ، وذلك في الفترات التي يبدو فيها الباطل منتفشا كأنه غالب ويبدو فيها الحق منزويا كأنه مغلوب ، وإن هي إلا فترة من الزمان يمد الله فيها ما يشاء للفتنة والابتلاء ثم تجري السنة الأزلية الباقية التي قام عليها بناء السماء والأرض وقامت عليها العقائد والدعوات سواء بسواء)[٢]

فالحق كلمة قامت عليها السموات والأرض والحق هو الشيء الثابت الذي فيه خير المجتمع الإنساني بأسره والباطل عكسه تماما ، ولهذا أمر الله باتباع الحق في كتابه ونهى عن اتباع الباطل وعد كل معرض عن الحق فهو متبع للباطل أيا كان نوع الباطل ودرجته .

---

١) سورة الأنبياء آية ١٨

٢) سيد قطب في ظلال القرآن ٢٣٧٢/٤

المبحث الأول

الدلالات اللغوية للحق

الحــق أصــلــهحق(الحاء والقاف أصل واحد وهو يدل على إحكام الشيء وصحته فــالحق نقيض الباطل ، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق ويقال حق الشــيء : وجب)[١] ، وفي اللسان: الحق نقيض الباطل ، وجمعه حقوق ، وحِقاق وليس له بناء أدنى عدد ، وحقت: وجبت وثبتت ، وحقّه يحقه حقاً وأحقه : أثبته وصار عنده حقاً لا يشك فيه، وأحقه: صيره حقاً ، وحقّه وحقّقه : صدّقه[٢] ، والحق يطلق على صدق الحديث وعلى اليقين بعد الشك ، والحق : اسم من أسمائه تعالى ، والحق : الثابت حقيقة[٣]

وفي مفردات ألفاظ القرآن [٤] : أصل الحق : المطابقة والموافقة كمطابقة رِجل الباب في حُقِّه لدورانه على استقامة ، والحق يقال على أوجه :

الأول : يقــال لموجــد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة ولهذا قيل في الله تعالى هو الحق قال تعالى :﴿ وردوا إلى الله مولاهم الحق ﴾ [٥] ، وقيل بعيد ذلك ﴿ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾ [٦]

الــثاني : يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة ولهذا يقال : " فِعل الله كله حق " قال تعــالى :﴿ هــو الــذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحســاب ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ [٧] وقال في القيامة:﴿ ويستنبؤنك أحق هو قل إي وربي إنه لحق﴾ [٨]

والــثالث : في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا اعتقاد فــلان فــي البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق قال الله تعالى :﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق﴾ [٩] .

---

١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مادة (حق) ١٥/٢
٢) ابن منظور لسان العرب مادة حقق ٤٩/١٠- ومابعده
٣) الجرجاني ، التعريفات ص١٢٠
٤) الراغب الأصفهاني ، مفردات الفاظ القرآن مادة حق ص٢٤٦
٥) سورة يونس آية ٣٠
٦) سورة يونس آية ٣٢
٧) سورة يونس آية ٥
٨) سورة يونس آية ٥٣
٩) سورة البقرة آية ٢١٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والرابع : للفعل والقول بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب كقولنا فعلك حق وقولك حق قال تعالى :﴿ كذلك حقت كلمة ربك﴾ [١] وقال تعالى: ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم ﴾ [٢] يصح أن يكون المراد به الله تعالى ويصح أن يراد به الحكم الذي هو بحسب مقتضى الحكمة .

وأحق الله الحق : أظهره وأثبته للناس ، واستحق الشيء يستحقه : استوجبه واستحق عليه : وجب عليه [٣] ، فالحق في اللغة هو الشيء الثابت الذي لا يسوغ إنكاره [٤] ، وبهذا يتبين أن الحق يطلق على كثير من المعاني اللغوية ومنها : اسم من أسماء الله ، صفة من صفاته ، القرآن الكريم ، أمر النبي ﷺ ، الموت ، الثواب ، الحظ والنصيب ، الثابت ، الواجب ، اليقين ، صدق الحديث ضد الباطل ونقيضه ، وهذا المعنى الأخير الذي من أجله عقد هذا المبحث .

---

١) سورة يونس آية ٣٣

٢) سورة المؤمنون أية ٧١

٣) انظر ابن منظور لسان العرب مادة حقق ١٠/٤٩- ٥٣ ،

٤) انظر الجرجاني ، التعريفات ص١٢٠

المبحث الثاني

الدلالات الاصطلاحية للحق

شـــاعت كـــلمة الحـــق وكثر استعمالها في كثير من المسائل ولهذا اقتصر كثير من المعـــرفين لهـــا فـــي الإســـهاب في المعاني اللغوية دون التعرض للمعنى الاصطلاحي والشرعي لها ٠

وعرف الحق اصطلاحاً بأنه :

(الحكـــم المطـــابق للواقع ، يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك) [١] وعرف أيضاً بأنه : (الأمر الثابت الذي تعترف به سائر النفوس بقطع النظر عن شهواتها)[٢] وعرف (موافقة الشيء لما يحق أن يقع)[٣] وفي الكليات[٤]: (الحـــق : هـــو الذي يكون ما في الخارج موافقاً لما في الذهن) ويمكن الجمع بين هذه التعريفات للخروج منها بتعريف يتميز بالشمول ومنع غيره من الدخول عليه :

فـــالحق هـــو : حكم مطابق للواقع شامل للأديان والأقوال تعترف به النفوس لثباته ووضوحه ، ويمنع هذا التعريف دخول الصدق في الأمر المعرف باعتبار الصدق هو حكم مطابق للواقع لكنه في الأقوال خاصة ٠

والفرق بين الحق والباطل : أن الحق يقابله الباطل ، وأن الصدق يقابله الكذب ، وأن المطابقـــة فـــي الحق من جانب الواقع ، أما المطابقة في الصدق فهي من جانب الحكم ، وعـــلى هـــذا يظهر الفرق بينهما فمعنى صدق الحكم:مطابقة للواقع ومعنى حقيقته:مطابقة الواقع إياه [٥]

وبهذا يتبين أهمية كلمة الحق وأنها تعلو بها قيمة الإنسان إذا اتبعها وسار على هداها فـــلم يخضـــع لنزعة الجنس ولم يستجب لدافع هوى أو إغراء أو منفعة ، ولم يصرفه عن الثبات عليها والتمسك بها ما يلاقيه في سبيلها من المشاق والمحن ، ومن أهميتها

---

١) الجرجاني ، التعريفات ص١٢٠

٢) انظر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ٤٧٠/١

٣) المرجع السابق ٣٦٤/١ ٠

٤) الكفوي ، الكليات ص ٥٥٩ ٠

٥)انظر الجرجاني ، التعريفات ص ١٢٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنهـــا وردت في القرآن الكريم بصيغ متنوعة في مائتين وسبعة وثمانين موضعاً من آيـــات القرآن " ٢٨٧" [١] ، ومن أهميتها كذلك تعدد معانيها وكثرة دلالاتها مع أن معناها العام لا يخلوا من الثبات والمطابقة للواقع ، فمن اطلاقاتها :

الحق : هو الله تعالى لأنه الموجود الثابت لذاته

الحق : كتب الله وما فيها من الحقائق عقيدة وشريعة

الحق : الواقع لا محالة الذي لا يتخلف

الحق : العلم الصحيح

الحق : البين الواضح

الحق : العدل ، والصدق ، الواجب ، البعث

الحق : الحكمة التي فُعِل الفعل لها

الحق : المسوغ بحسب الواقع

الحق : التام الكامل [٢]

إن دلالة الحق على هذه الأمور وغيرها بينها لنا الصادق المصدوقﷺ بقوله : " اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ، ولـــك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله الا أنت أو لا إله غيرك ٠٠٠وزاد فيه ولا حول ولا قوة الا بالله " [٣]

---

١)انظـــر محمد بن عبد الرحمن الراوي ، كلمة الحق فى القرآن الكريم ٢١/١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة١٤٠٩هـــ

٢)انظر محمد الراوي كلمة الحق في القرآن ٢٠/١-٢١ ، وانظر سليمان القرعاوي الوجوه والنظائر ص٨٣

٣)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التهجد باب التهجد بالليل ٤١/٢-٤٢ ٠

المبحث الثالث

الدلالات اللغوية للباطل

الباطل : بَطَل (الباء والطاء واللام أصل واحد ، وهو ذهاب الشيء وقلة مكثه ولبثه ، يقال بطل الشيء يبطل بطلاً وبطولاً)[١]

وفي اللسان [٢]: بطل الشيء يبطُل بطلا وبطولاً وبطلاناً ، ذهب ضياعاً وخسراً ، فهو باطل ، وأبطله هو ، ويقال ذهب دمه بُطْلاً أي هدراً وبطل في حديثه بطالة وأبطل : هزل ، والباطل نقيض الحق ، والجمع أباطيل على غير قياس كأنه جمع إبطال أو إبطيل هذا مذهب سيبويه ، ويجمع الباطل بواطل ، واحدة الأباطيل أبطولة وأبطل جاء بالباطل ، والبطلة : السحرة ، ورجل بطال ذو باطل ، وتبطلوا بينهم : تداولوا الباطل ، والتبطل : فعل البطالة وهو اتباع اللهو والجهالة ، وأبطلت الشيء جعلته باطلاً ، وأبطل فلان : جاء بكذب وادعى باطلاً .

والباطل يطلق على فواعل الشر ودواعي الانحلال وأسباب التلاشي ، تقول أبطل الرجل : أي أتى بما لا حق له فيه فهو مبطل ، وإذا تميز الحق بالثبات والاستقرار ومطابقة الواقع فإن الباطل عكسه تماماً يعرف بالزوال وعدم الثبات ، ومخالفة الواقع والضياع والخسارة وبهذا يتضح أن الباطل يطلق على أربعة أوجه [٣] :

١-الباطل يعني الكذب قال تعالى :﴿ وخسر هنالك المبطلون﴾ [٤] وقوله:﴿ إذاً لارتاب المبطلون ﴾ [٥]

٢-الإبطال يعني الإحباط ، قال تعالى :﴿ ..لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾[٦] وقال تعالى :﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ [٧]

١)ابن فارس معجم مقاييس اللغة ، مادة بطل ٢٥٨/١

٢)ابن منظور ، لسان العرب مادة بطل ٥٦/١١ ، وانظر ابراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط مادة بطل ٦١/١

٣) سليمان بن صالح القرعاوي ، الوجوه والنظائرفي القرآن الكريم دارسة وموازنة ص٢٢٤

٤) سورة غافر آية ٧٨

٥) سورة العنكبوت آية ٤٨

٦) سورة البقرة آية ٢٦٤

٧) سورة محمد آية ٣٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣-الـــباطل: الشرك الذي ليس له أصل ثابت ، قال تعالى :﴿ أفبالباطل يؤمنون﴾[١] وقال تعالى :﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ [٢]

٤-الباطل يعني الظلم قال تعالى :﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [٣] وقال تعالى :﴿ يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ [٤]

كمـــا أطـــلق الله الباطل على الآلهة الخيالية التي كان يعبدها الكافرون قال تعالى : ﴿ذلك بأن الله هو الحق وإنما يدعون من دونه هو الباطل﴾ [٥]

---

١) سورة النحل آية ٧٢
٢) سورة الإسراء آية ٨١
٣) سورة البقرة آية ١٨٨
٤) سورة النساء آية ٢٩
٥) سورة الحج آية ٦٢

المبحث الرابع

الدلالات الاصطلاحية للباطل

عرف الباطل بعدة تعريفات منها: الباطل هو (الذي لا يكون صحيحاً بأصله وما لا يعتد به ولا يفيد شيئا)[١] ، وعرف بأنه(ماكان فائت المعنى من كل وجه مع وجود الصورة).[٢]

ومن التعريفات : الباطل هو (الأمر الزائل الضائع الذي تتبرأ منه النفوس وتزيله ما دامت خلية عن عرض أو هوى)[٣] ، ويسمي باطلاً (لأنه فعل يذهب ضياعاً وخساراً على صاحبه) [٤] ، وبهذا يعلم أن الباطل هو نقيض الحق ، وهو مالاثبات له عند الفحص عنه [٥]

والباطل في اصطلاح الفقهاء:

ما وقع غير صحيح من أصله بخلاف الفاسد الذي يقع صحيحاً في جملته وينقصه بعض الشروط [٦] ، وذلك لأن الفساد والبطلان مترادفان عند الجمهور فهما يقابلان الصحة الشرعية في العبادات أو المعاملات [٧] ، وبهذا يتبين أن الباطل اسم لكل ما لا يحل في الشرع ، وكل أمر فيه معصية لله تعالى وطاعة للشيطان فهو باطل ويمكن إجمال تعريف الباطل في أنه :

كل عمل مخالف لكتاب الله وسنة رسول ﷺ فمن اتبعه كان من الأخسرين أعمالاً الذي ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، ولخطورة الباطل والتحذير منه تكرر وروده في الكتاب العزيز فى مواضع كثيرة بلغت ستاً وثلاثين موضعاً (٣٦)[٨] ، فتعددت دلالاته تبعاً لذلك مع أن معناه العام هو الأمر الزائل الضائع الخالي بأصله من الصحة .

---

١) الجرجانى ، التعريفات ، ص٦١

٢) المرجع السابق ص ١٦

٣) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٤٧٠/١

٤) المرجع السابق ٤٧٠/١

٥) الراغب الأصفهاني مفردات الفاظ القرآن مادة بطل ص ١٢٩

٦) انظر محمد سليمان المنيعي البطلان ضابطه وتطبيقاته ص ٢٢ ، دار الوطن الرياض ط١ سنة ١٤١٨هـ وانظر ابراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط ص٦١

٧) انظر ابن نجار الفتوحي شرح الكوكب المنير ٤٧٣/١ ، تحقيق محمد الزجيلى ونزية حماد مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى مكة المكرمة .

٨) محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة بطل ص١٣٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن اطلاقات الباطل :

يطلق على : الكذب ، أنه نقيض الحق ، الإحباط ، الشرك ، الظلم ، آلهة المشركين ، كل شر وفساد ، الشيطان ، يقع على كل ما لا حقيقة له ، يقع على كل ما لا يحل مـــن الشرع ، يطلق على كل أمر فيه معصية لله ، وعلى العموم فكل أمر أو عمل يخالف الكتاب والسنة فهو باطل بإطلاق .

وفقـــنا الله جميعاً إلى اتباع طريق الحق والاستمساك به وترك الباطل والابتعاد عنه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الباب الثاني

أساليب القرآن في بيان الاتباع بين التوسط والتطرف ٠

بين يدي الباب :

نزل كتاب الله تعالى على أفصح العرب وأقومهم لسانا وتميز بأنواع كثيرة من الإعجاز منها إعجازه لما فيه من النظم والتآليف والرصانة فقد خرج عن جميع الوجوه المعتادة فى كلام العرب ، وباين لكثير من أساليب كلامهم وخطاباتهم ، ولهذا لم يمكنهم معارضته ٠

ومن أوجه إعجازه ما يكمن في خصائصه ، وفصاحته وسلامة أسلوبه من العيوب ، بحيث يقف المتأمل منبهرا بين إعجازه وسلامة أسلوبه وسهولة عبارته التي تنفذ في أعماق القلوب ، وكل يغرف منه بدلوه حسب مقدرته لايمله عالم لعلمه ، ولا أمي لجهله ولا أعجمي لعجمته ، بل كل يخر أمامه ساجدا عند سماع آياته متأثرا بسلطانه ٠

إن من يتأمل آيات القرآن الكريم وحديثها عن الاتباع ، يجدها عرضت فيه بأساليب متنوعة وأحوال مختلفة قد يصعب حصرها ، ولكن يمكن الإشارة إلى بعض تلك الأساليب القرآنية بما يخص موضوع البحث ، وذلك بعد الوقوف على مفهوم الأسلوب ٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أساليب القرآن في بيان الاتباع بين التوسط والتطرف

الفصل الأول : أسلوب الأمر والنهي

الفصل الثاني : أسلوب الوعد والوعيد

الفصل الثالث : أسلوب المدح والذم

الفصل الأول

أسلوب الأمر والنهي للاتباع

المبحث الأول : أسلوب الأمر بالاتباع للحـــــق

المبحث الثاني : أسلوب النهي عن الاتباع للباطل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مدخل الفصل :

من الأساليب القرآنية التي عرض بها كلمة الاتباع أسلوب الأمر والنهي ذلك أن الأمر عندما يصدر من الله تعالى أو رسوله ﷺ يتسابق إليه المؤمنون بالامتثال به وعدم مخالفته ، وقد جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى فيها الأمر من الله لرسوله ﷺ تارة ، وأخرى منه تعالى لسائر المكلفين من عباده ٠

كما جاء الأمر فى كتاب الله من الرسول ﷺ إلى أتباعه وكذا من المصلحين إلى الناس كافة وكانت هذه الأوامر تدعو إلى اتباع ما أنزل الله من شرعه ووحيه المنزل والالتزام به ، ولا شك أن الأمر هو طلب الفعل على وجه الإلزام ٠

وقد كان النهي أسلوبا من أساليب القرآن فى عرض كلمة الاتباع وهذا النهي ظاهره التحريم مع اقتضائه فساد المنهي عنه لعدم تحقق المصلحة فيه وإن وجدت فيه مصلحة تكون مفسدته راجحة ولهذا يجد المتأمل أن الله تعالى نهى عن اتباع أمور كثيرة منها خطوات الشيطان ، والهوى ، والشهوات ، والظن السيئ ، وسبيل المفسدين ، وغير ذلك كما سيأتي بيانه بأدلته ، والمقصود بالنهي هو طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء٠

فالأمر والنهي من أكثر الأساليب البيانية استعمالا في القرآن فى تقرير هداياته ولأن فيهما حقيقة التكليف وسبب الامتثال ، ومما لاشك فيه أن أسلوب الأمر والنهي من أجل أساليب القرآن في تقرير الاتباع لذا حرصت أن أبدأ به

المبحث الأول

أسلوب الأمر بالاتباع للحق

المطلب الأول : مفهوم الأسلوب في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني : الأمر من الله لرسوله ﷺ باتباع المنزل إليه

المطلب الثالث: الأمر من الله لكافة المكلفين باتباع الحق واتباع من جاء به

المطلب الرابع: الأمر من الرسول ﷺ إلى جميع الناس باتباع ما جاءهم به

المطلب الخامس : الأمر من المصلحين والدعاة إلى الناس باتباع الرسول واتباع ما جاء به .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الأول

مفهوم الأسلوب في اللغة والاصطلاح

المعنى اللغوي : الأسلوب أصلـه جاء من الفعل الثلاثي : سلب وهو من باب نصر وقتل ، والاستلاب : الاختلاس ، والسلب : بفتح السين هو السير الخفيف السريع ، والأسلوب : مفرد وجمعه أساليب وهو الطريق الطويل ذو الامتداد الواسع ، والأسلوب : بضم الهمزة يطلق على الطريق ، وعلى الفن وعنق الأسد ، والشموخ في الأنف ، تقول هو على أسلوب من أساليب القوم : أي على طريقة من طرقهم [١] وكما يطلق الأسلوب على الطريق ، يطلق كذلك على المذهب أو الوجه أوالقول أو الطريقة، تقول(سلكت أسلوب فلان في كذا طريقته ومذهبه)[٢]

والسلب : نزع الشئ من الغير على القهر [٣] قال تعالى (وإن يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه)[٤] ، والسليب : هو الرجل المسلوب ، والناقة التي سلب ولدها ، والأساليب هي الفنون المختلفة [٥] ، وكل ما على الإنسان من اللباس هو سلب ، وفعله سلبته أسلبه سلبا إذا أخذت سلبه ، وفي الحديث قال ﷺ : (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه)[٦] ، وفى تاج العروس : (الأسلوب الوجه والمذهب ، يقال هم في أسلوب سوء ويجمع على أساليب ، وقد سلك أسلوبه : طريقته، وكلامه على أساليب حسنة ، والأسلوب بالضم : الفن ، يقال أخذ فلان في أساليب فن القول أي أفانين منه)[٧]

وبهذا يتبين تعدد اطلاقات كلمة (أسلوب) في دلالاتها اللغوية فهو يطلق على ، الطريق ، والوجه ، والمذهب ، والفن ، وعنق الأسد ، والشموخ في الأنف ، والقول ، وطريقة الكلام ، ونزع الشيء بالقوة لكن المقصود هنا هو بيان طريقة القرآن التي تفرد بها في معالجة قضية الاتباع : لأن أنسب معنى للأسلوب هو طريقة المتكلم في كلامه.

---

١) الرازي ، مختار الصحاح ص٣٨٠، وانظر الرافعي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢٣٥/١والفيروز آبادي، القاموس المحيط ٨٦/١، وبصائر ذوي التمييز له ٢٤٤/٥

٢) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط (مادة سلب) ٤٤٣/١ .

٣) الراغب الأصفهانى ، مفردات ألفاظ القرآن مادة سلب ص٤١٩

٤) سورة الحج آية ٧٣

٥) الراغب الأصفهانى مفردات الفاظ القرآن ص٤١٩

٦) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب استحقاق القاتل سلب القتيل ١٣٧٠/٣-١٣٧١

٧) محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس مادة سلب) ٣٠٢/١ مكتبة الحياة ، لبنان

المعنى الاصطلاحي للأسلوب :

اختلفت التعاريف الاصطلاحية للأسلوب إلى عدة تعريفات وبالنظر إليها وتأملها يظهر أنها اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ومن هذه التعاريف :

الأسلوب هو: الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال ، كما عرف بأنه: العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني[١] ، وقيل هو : اختيار أو انتقاء يقوم به المنشيء لسمات لغوية معينة لغرض التعبير عن موقف معين [٢] ، وقيل هو : اختيار الألفاظ وتركيبها في شكل له أثره وطابعه في اللغة المستعملة [٣] ، وقيل هو : (طريقة التعبير أو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير أو الضرب من النظم والطريقة فيه) [٤] ، وعرف الأسلوب بأنه (الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه) [٥] ، وقيل : (هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه) [٦] .

وعلى هذا فالأسلوب غير المفردات والتراكيب إذ هو (عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم ، وما يجب لكل مقام من مقال) [٧] ، والأسلوب الحسن هو الذي يكون فيه (الحديث ملائماً لأفهام الناس ومداركهم فتكون الفكرة واضحة والكلمة فصيحة ، والعبارة متناسقة والتركيب قوياً ، ويكون هناك انسجام بين اللغة والمعنى وسلاسة وإبداع في الأسلوب مما يحدث أثراً جمالياً في النفس) [٨]، والمقصود من عقد هذا الباب هو بيان أسلوب القرآن الكريم التي هي (طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه) [٩]

---

١) أحمد الشايب ، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ص٤٤مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٧ سنة١٣٩٦ هـ

٢) سعد مصلوح الأسلوب دراسة لغوية احصائية ص٣٧ عالم الكتب، القاهرة ط٣ سنة١٤١٢هـ

٣) محمد كامل أحمد، الأسلوب ص٦٣، مكتبة القاهرة الحديثة ط٢ سنة١٩٦٣م

٤) أحمد الشايب ، الأسلوب طريقة بلاغية ص٤٤ .

٥) محمد عبدالعظيم الزرقانى مناهل العرفان فى علوم القرآن ٣٠٣/٢ دار الفكر دون طبعة ولا سنة

٦) المرجع السابق ٣٠٣/٢ وانظر فهد بن عبد الرحمن الرومى خصائص القرآن ص١٨ ط٤ دون ناشر سنة١٤٠٩ ه

٧) احمد محمد أبابطين المرأة المسلمة المعاصرة ص٥٢٣ دار عالم الكتب للنشر الرياض ط٢ سنة١٤١٢ه

٨) حمد بن ناصر العمار أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ص٣٠ مركز الدراسات والاعلام دار اشبيليا الرياض ط٣ ، سنة١٤١٨هـ

٩) محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان فى علوم القرآن ٣٠٣/٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثاني

الأمر من الله لرسوله باتباع المنزل إليه

إن الأمر من الأساليب القرآنية التي عرض بها مصطلح الاتباع وهو شيئ محبب إلى رسل الله وأنبيائه وأتباعهم يسعون إلى تنفيذه وامتثاله ٠ وفي كتاب الله آيات كثيرة فيها الأمر من الله لرسوله باتباع شرعه وأحكامه ، قال تعالى :﴿ اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾[١] ففي الآية (أمر النبي ﷺ بالثبات على الإيمان والتمسك بما يوحى إليه)[٢] فأمره أن يتبع ما أوحي إليه ويكون ذلك بالبيان له والعمل به والثبات على الكتاب الذي تلقاه من ربه ، كما في الآية أمر له بالإعراض عن المشركين وعدم الالتفات إلى شيء من تخرصاتهم ، والإعراض(يحتمل الصد والمجانبة والكف والتباعد والمخالفة)[٣]

يقول ابن كثير[٤]في الآية ﴿ اتبع ما أوحي إليك٠٠ ﴾ أي اقتد به واقتف أثره واعمل به فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق الذي لا مرية فيه لأنه لا إله إلا هو)[٥] ، ولما جاء هذا الأمر لرسول متبع أصلاً فهو يحمل على المداومة على الاتباع (ويتنزل منزلة المقدمة للأمر بالإعراض عن المشركين ٠٠٠ لأن اتباع الرسول ﷺ ما أوحي إليه أمر واقع بجميع معانيه فالمقصود من الأمر الدوام على اتباعه ، والمعنى أعرض عن المشركين اتباعاً لما أنزل إليك من ربك) [٦] ، وهذا الأمر العلوي صدر من الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ أن يتبع توجيهات الوحي المنزل إليه وأن يعرض عن المشركين فلا ينشغل بهم (ولا يحفل ما يقولون من قول متهافت ولا يشغل باله بتكذيبهم وعنادهم ولجاجهم فإنما سبيله أن يتبع ما أوحي إليه من ربه فيصوغ حياته كلها على أساسه ويصوغ نفوس أتباعه كذلك ٠٠٠

---

١) سورة الأنعام آية ١٠٦

٢) محمد علي طه الدرة ، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ٢٣٣/٤ دار الحكمة ، دمشق د٠ ن

٣) السيد أحمد هليل حكم المثاني ٣٨٣/٣ ٠

٤) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي كان إماماً حافظاً مفسراً مؤرخاً توفي عام ٧٧٤ (انظر طبقات المفسرين للداوودي ١١١/١ فما بعدها طبعة الكتب العلمية بيروت سنة١٤٠٣هـ)

٥) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢٢٤/٢ ٠

٦) محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ٤٢٣/٧ ٠

لأنه صاحب دعوة فلا يجوز له أن يعلق قلبه وأمله وعمله بالمعرضين عن الدعوة ، المعاندين الذين لا تتفتح قلوبهم لدلائل الهدى وموجبات الإيمان ، إنما يجب أن يفرغ قلبه ، وأن يوجه أمله وعمله للذين سمعوا واستجابوا فهؤلاء في حاجة إلى بناء كيانهم كله على القاعدة التي دخلوا الدين عليها قاعدة العقيدة ، وفي حاجة إلى إنشاء تصور لهم كامل عميق عن الوجود والحياة على أساس هذه القاعدة وفي حاجة إلى بناء أخلاقهم وسلوكهم وبناء مجتمعهم الصغير على هذا الأساس نفسه)[١] .

والعمل بالوحي هو الاتباع كما دلت عليه هذه الآية وغيرها من الآيات الآمرة للرسول ﷺ باتباع الوحي كقوله تعالى :﴿ واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ [٢] والأمر من الله لرسوله بالامتثال بما رسمه له في الشرع وأمر له بالصبر على مخالفة من خالفه ، ووعد له بنصره على كل من خالفه [٣] لأنه تعالى خير الحاكمين بين كل خصمين ، وفيه (كناية عن معاقبة الظالم لأن الأمر بالصبر مشعر بأن المأمور به متعدىً عليه ففي الاخبار بأن الله تعالى خير الحاكمين إيماء بأن الله ناصر رسوله ﷺ والمؤمنين على الذين كذبوا وعاندوا)[٤] ، وهذا الأمر للنبي ﷺ باتباع ما أوحي إليه يشمل (القرآن علماً وعملاً وتعليماً وحكماً وهدايةً وإرشاداً)[٥] .

ومن الأوامر التي جاءت للنبي ﷺ قوله تعالى :﴿ واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾[٦] فهذه الآية جاءت ضمن التوجيهات الإلهية لنبيه ﷺ فأول التوجيهات كان الأمر بتقوى الله تعالى ، ثم النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين ثم الأمر بالاتباع لما أوحاه إليه ثم الأمر بالتوكل عليه فتدخل أمته في هذه التوجيهات من باب أولى وأحرى .

إن الأمر باتباع ما أوحي إليه جاء بعد النهي عن اتباع الباطل المتمثل في طاعة الكافرين والمنافقين حيث نهاه عن اتباع توجيهات الكفار والمنافقين واقتراحاتهم أوالاستماع

---

١) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ١١٦٨/٢ – ١١٦٩ ، بتصرف
٢) سورة يونس آية ١٠٩
٣) انظر محمد بن عبد الرحمن الإيجي الشافعي ، جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠٩/١ دار النشر الكتب باكستان ط٢ سنة ١٣٩٧هـ
٤) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ٣١٠/١١
٥) محمود محمد حجازي التفسير الواضح ٧٩/١١، دار الحيل ، القاهرة ط٤ سنة ١٣٨٨هـ .
٦) سورة الأحزاب آية ٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاستماع إلى آرائهم وتحريضاتهم وتقديم هذا النهي على الأمر بالاتباع يدل على شدة ضغط أولئك عليه في المدينة وما حولها ، و فيه بيان وتوجيه لاتباعه من بعده أن يحذروا اتباع أراء الكافرين والمنافقين اطلاقاً في كل بيئة وكل زمان فيما يخص أمر العقيدة أو الشريعة وذلك حتى يبقى منهجهم خالصاً لله غير مشوب بتوجيه من سواه [١] وبينت الآية أن المصدر الأولى بالاتباع هو منهج الله ووحيه المنزل ، فالوحي كان للرسول ﷺ بهذا التخصيص﴿ إليك ﴾ والمصدر الذي جاء منه الوحي هو الله الحي القيوم﴿ من ربك ﴾ (فالاتباع هنا متعين بحكم هذه الموجبات الحساسة فوق ما هو متعين بالأمر الصادر من صاحب الأمر المطاع والتعقيب﴿ إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ هو الذي يوحي عن خبرة بكم وبما تعملون ، وهو الذي يعلم حقيقة ما تعملون ودوافعكم إلى العمل من نوازع الضمير) [٢] ، وفي هذه الآية تمهيد لما سيرد من الوحي في شأن أحكام التبني وما يتصل بها كما يدل ختم الآية بعلم الله به وبأتباعه أنه سيوحي ما يشق عليهم من إبطال حكم التبني لأنهم ألفوه وأحبوه وعاملوا المتبنين معاملة الأبناء الحق [٣] ، وجاء في الآية ما يؤكد أن كل أمر خوطب به الرسول ﷺ تدخل فيه أمته ما لم يأت فيه استثناء أو خصوصية له فيه لأنه تعالى قال:﴿ اتبع﴾ ثم قال:﴿ تعملون ﴾ على قراءة الجمهور وهو خطاب للنبي وأمته [٤].

ومن الأوامر الإلهية لنبيه ﷺ بشأن الاتباع قوله تعالى :﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾[٥] وقوله تعالى :﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾[٦] ، ومعنى اتباع محمد ﷺ ملة إبراهيم ﷺ الواقع في كثير من آيات القرآن أن دين الإسلام بني على أصول ملة إبراهيم وهي أصول الفطرة والتوسط بين الشدة واللين كما قال تعالى :﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم ﴾ [٧] ، فالشريعة التي تبنى تفاصيلها وتفاريعها على أصول شريعة تعتبر كأنها تلك الشريعة...

١) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٢٨٢٢/٥
٢) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ٢٨٢٣/٥ .
٣) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٥٢/٢١
٤) انظر المرجع السابق ٢٥٣/٢١
٥) سورة النحل آية ١٢٣
٦) سورة الجاثية آية ١٨
٧) سورة الحج آية ٧٨

فاتباع النبي ﷺ ملة إبراهيم كان بالقول والعمل في أصول الشريعة من اثبات التوحيد والمحاجة له واتباع ما تقتضيه الفطرة وفي فروعها مما أوحى الله إليه من الحنيفية مثل الختان وخصال الفطرة والإحسان) [١] ، وبهذا يتبين أن الاتباع هو امتثال الأمر والعمل بما يأمر به المتبوع فهوالائتمار ، وإطلاق الاتباع بمعنى الائتمار شائع في القرآن لأنه جاء بالأمر والنهي واستعمل أيضا كما في آيات هذا المبحث بمعنى الملازمة والمداومة على الأمر .

وقد امتثل ﷺ أمر ربه وثبت على الصراط المستقيم حتى أظهر الله دينه على سائر الأديان ونصره على أعدائه بالسيف والسنان بعدما نصره عليهم بالحجة والبرهان[٢]

---

١) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ١٤/٣٢٠-٣٢١ بتصرف واختصار .

٢) انظر عبد الرحمن السعدى ، تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثالث

الأمر من الله لكافة المكلفين باتباع الحق واتباع من جاء به

من أعظم الأوامر الإلهية الداعية إلى اتباع الحق لسائر الناس قوله تعالى :﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون﴾[١] فهذا خطاب منه تعالى لكافة المكلفين بالأمر باتباع ما أنزل وهو القرآن والسنة وقوفاً مع عمومه[٢] لقوله تعالى :﴿ وما ينطق عن الهوى٠ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [٣] ، فلما ذكر تعالى أن هذا الكتاب أنزله إلى الرسول ﷺ في الآية التي قبل هذه الآية ﴿ كتاب أنزل إليك ﴾ أمر الأمة باتباعه أي اقتفوا آثار النبي الذي جاءكم بكتاب أنزل من رب كل شيء ومليكه[٤] ، فالكتاب والسنة كلاهما وحي منزل ، فما قصه الله في كتابه أو قصه رسوله في سننه وما أمر الله به في القرآن أو أمر به رسوله ﷺ في سنته كله من الوحي المنزل الذي أمر الله باتباعه[٥] ، ففي هذه الآية الكريمة (بيان للإنذار العام الذي أُمر الرسول ﷺ بتبليغه إلى جميع الأنام وهو على تقدير القول الذي يكثر حذفه في مثل هذا المقام٠٠٠ أي قل يا أيها الناس اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم الذي هو خالقكم ومربيكم ومدبر أموركم فإنه هو الذي له وحده الحق في شرع الدين لكم وفرض العبادات عليكم والتحليل لما ينفعكم والتحريم لما يضركم لأنه أعلم بمصلحتكم منكم) [٦]

فلما ذكر تعالى لنبيه ﷺ أنه أنزل إليه كتابه لغرض الإنذار شرع في هذا الإنذار ورجع من خطابه إلى خطابهم فإن الإنذار من شأنه أن يكون بمخاطبة المنذرين ، وخاطبهم بالأمر باتباع المنزل إليهم من ربهم وهو القرآن الآمر لهم بحق الاعتقاد وحق العمل بمعنى الإيمان بالله وآياته والعمل الصالح الذي يتبع ذلك[٧] ، فأمر تعالى باتباع المنزل منه وحده خاصة ونهى عن اتباع ما خالفه ففي وحي الله وكتابه البينة والشفاء

---

١) سورة الأعراف آية ٣

٢) محمد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ٤٨٧/٣ دار إحياء التراث بيروت ط١ سنة١٤٠٥هـ

٣) سورة النجم آيتي ٤،٣

٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٢٠٩/٢

٥) انظر سعيد حوى،الأساس فى التفسير ١٨٤٤/٤ دار السلام للطباعة والنشر القاهرة ،ط٢سنة١٤٠٩هـ

٦) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم(تفسير المنار) ٣٠٦/٨، دار المعرفه بيروت ط٢ دون تاريخ

٧) انظر الألوسي البغدادي روح المعاني فى تفسير القرآن فى السبع المثاني ٧٧/٨، دار الباز للنشر مكة المكرمة دون ط وانظر محمد حسبى الطباطبائي الميزان فى تفسير القرآن ٨/٨ مؤسسة الأعلمى بيروت ط٥ سنة١٤٠٢هـ

والهدى والرحمة والنور والفضل والبرهان والحجة،وفي غيره الشقاء والضلال والتعاسة. ومن دون الله يشمل الجن والإنس من الكهان والرهبان والأحبار والنار والكواكب وغير ذلك ، والضمير في قوله:﴿ من دونه ﴾ عائد على ربكم وقيل عائد على (ما) وقيل على الكتاب والمعنى لا تعدلوا عنه إلى الكتب المنسوخة ، وقيل أراد بالأولياء الشياطين من الجن والإنس لأنهم الذين يحملون على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ، ويضلون عن دين الله [١]، ذلك أن الله تعالى لم يجعل بين الحق والباطل واسطة فكل من لم يتبع الوحي فإنما يتبع الباطل على اختلاف درجاته وأحواله ، والخطاب في الآية (موجه للمشركين ويندرج فيه المسلمون بالأولى فبعد أن نوه الله بالكتاب المنزّل إلى الرسول ﷺ وبين أن حكمة إنزاله للإنذار والذكرى ، أمر الناس أن يتبعوا ما أنزل إليهم كل يتبع ما هو به أعلق ، والمشركون أنزل إليهم الزجر عن الشرك والاحتجاج على ضلالهم والمسلمون أنزل إليهم الأمر والنهي والتكليف فكل مأمور باتباع ما أنزل إليه)[٢].

والنهي في قوله :﴿ ولا تتبعوا من دونه ﴾ فيه تصريح بما تضمنه الأمر بالاتباع قبله (لأن فيما أنزل إليهم من ربهم أن الله إله واحد لا شريك له وأنه الولي ، وأنّ الذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم أي مجازيهم لا يخفى عليه فعلهم ... والمقصود من هذا النهي تأكيد مقتضى الأمر باتباع ما أنزل إليهم اهتماماً بهذا الجانب مما أنزل إليهم وتسجيلاً على المشركين ، وقطعاً لمعاذيرهم أن يقولوا إننا اتبعنا ما أنزل إلينا وما نرى أولياءنا إلا شفعاء لنا عند الله فما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .. فموقع قوله : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم ﴾ موقع الفصل الجامع من الحدّ وموقع: ﴿ ولا تتبعوا ﴾ موقع الفصل المانع في الحدّ ، والأولياء جمع ولي وهو الموالي ، أي الملازم والمعاون فيطلق على الناصر والحليف والصاحب الصادق المودة واستعير هنا للمعبود و للإله لأن العبادة أقوى أحوال الموالاة [٣] قال تعالى :﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي﴾ [٤] ،فكأن الأمر باتباع الحق والنهي عن اتباع الباطل أفاد مفاد صيغة الحصر كأنه قال : لا

---

١) انظر يسرى السيد محمد بدائع التفسير الجامع لتفسير الامام بن القيم ١٩٣/٢ دار ابن الجوزي الدمام ط١ سنة ١٤١٤هـ وانظر محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي تفسير البحر المحيط ٢٦٧/٤ دار الفكر للطباعة والنشر ط٣ سنة١٤٠٣هـ

٢) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٤/٨-١٥

٣) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٥/٨-١٦

٤) سورة الشورى آية : ٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تتبعوا إلا ما أمر به ربكم أي دون ما يأمركم به أولياؤكم [١] وحقيقة الاتباع المشي وراء ماش فهو يقتضي ذاتين تابعاً ومتبوعاً ، ويستعار للعمل بأمر الآمر مثل قوله تعالى : ﴿ .. ما منعك إذ رأيتهم ضلوا . ألا تتبعن أفعصيت أمري﴾ [٢] كما يستعار للاقتداء بسيرة أو قول ، ويظهر في الاتباع تشبيه المحسوس بالمعقول [٣] فالرسول ﷺ واتباعه وجميع المكلفين مأمورون بتحليل حلال هذا المنزل إليهم وتحريم حرامه وأن يمتثلوا أمره ويجتنبوا نهيه ، ويستبيحوا مباحه ويرجوا وعده ويخافوا وعيده وينشروه علماً وعملاً وتطبيقاً [٤] ومن الأوامر التي جاءت للمكلفين باتباع المنزل إليهم قوله تعالى :﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾[٥] وقوله تعالى :﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾[٦] ، يقول تعالى : وإذا قيل لهؤلاء الكفرة من المشركين : اتبعوا ما أنزل الله على رسوله واتركوا ما أنتم عليه من الضلال والجهل . قالوا في جواب ذلك : بل نتبع ما ألفينا ــ أي وجدنا ــ عليه آباءنا أي من عبادة الأصنام والأنداد) قال تعالى منكراً عليهم ﴿ أولو كان آباؤهم ﴾ أي الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم ﴿لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ أي ليس لهم فهم ولا هداية[٧].

فعند تعر ض المفسرين لهذه الآية يثيرون موضوع التقليد للغير بدون معرفة دليله ، يقول الألوسي في بيان نهاية الآية التي قبلها وهي قوله تعالى :﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ وظاهر الآية المنع من اتباع الظن رأساً لأن الظن مقابل للعلم لغة وعرفاً ، ويشكل عليه أن المجتهد يعمل بمقتضى ظنه الحاصل عنده من النصوص فكيف يسوغ اتباعه للمقلد ؟ وأجيب بأن الحكم المظنون للمجتهد يجب العمل به للدليل القاطع وهو الإجماع ، وكل حكم يجب العمل به قطعاً علم قطعاً بأنه حكم الله تعالى : وإلا لم يجب العمل به قطعاً وكل ما علم قطعاً أنه حكم الله تعالى فهو معلوم قطعاً فالحكم المظنون للمجتهد معلوم قطعاً وخلاصته أن الظن كاف في طريق تحصيله، ثم بواسطة الاجماع

---

١) انظر ابن عاشور تفسير التحرير التنوير ١٧/٨ .
٢) سورة طه آيتى ٩٢-٩٣
٣) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٥/٨
٤) انظر أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي ، أحكام القرآن ٣٠٤/٢ تحقيق محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت ،ط١سنة١٤٠٨هـ .
٥) سورة البقرة آية ١٧٠
٦) سورة لقمان آية ٢١
٧) ابن كثيرتفسير القرآن العظيم ٢٧٨/١

عـــلى وجوب العمل صار المظنون معلوماً وانقلب الظن علماً ، فتقليد المجتهد ليس من اتباع الظن في شيء) [١] .

يقـــول القرطـــبي : تعـــلق قوم بهذه الآية في ذم التقليد لذم الله تعالى الكفار باتباعهم لآبـــائهم في الباطل واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية وهذا في الباطل صحيح ، أما التقليد فـــي الحق فأصل من أصول الدين وعِصْمَة من عِصَم المسلمين يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر ، واختلف العلماء في جوازه في مسائل الأصول على ما يأتي وأما جوازه فـــي مســـائل الفروع فصحيح)[٢] ، ثم قال بعد ذلك : (فرض على العامي الذي لا يستقل باستنباط الأحكام من أصولها لعدم أهليته فيما لا يعلمه من أمر دينه ويحتاج إليه أن يقصد أعـــلم مـــن فـــي زمانـــه وبلده فيسأله عن نازلته فيمتثل فيها فتواه لقوله تعالى في سورة الـــنحل:﴿ فاســـألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[٣] وعليه الاجتهاد في أعلم أهل وقته بالـــبحث عـــنه حتى يقع عليه الاتفاق من أكثر الناس ، وعلى العالم أيضاً فرض أن يقلد عالمـــاً مـــثله فـــي نازلة خفي عليه فيها وجه الدليل والنظر ، أو أراد أن يجدد الفكر فيها والنظر حتى يقف على المطلوب فضاق الوقت عن ذلك ، وخاف على العبادة أن تفوت ، أو عـــلى الحكـــم أن يذهب ، سواء كان ذلك المجتهد الآخر صحابياً أو غيره وإليه ذهب القاضي أبو بكر [٤] وجماعة من المحققين [٥].

ويـــرى بعـــض العلماء أن هذا الكلام للتقليد في الفروع[٦] ، وقد نقلوا في التقليد في الأصـــول قـــول ابن عطية الأندلسي[٧] حيث قال : (أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقـــائد)[٨] وقد نازعه في ادعاء الاجماع علماء[٩] خاصة إذا كان التقليد للمعصوم أو كان التقـــليد في حق ، وكان صاحبه جازماً به حتى لو رجع الأول لنص الثاني متمسكاًبالحق ، ولكن حتى من نازعوا في الاجماع فإنهم لا يخالفون في أنه من يستطيع أن ينـــــظر في

---

١) الألوسي البغدادى روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثانى ٤٠/٢ دار الباز مكة
٢) أبوعبد الله القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢١١/٢
٣) سورة الأنبياء آية ٧
٤) هو ابن العربي محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الأشبيلى الإمام العلامة المتبحر ختام علماء الأندلس له تصانيف فائقة مثل أحكام القرآن ،والعواصم وغيرها توفىسنة٥٤٣ انظر(وفيات الأعيان ٤٨٩/١، والأعلام للزركلى ٢٣٠/٦
٥) أبو عبدالله القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ٢١٢/٢
٦) انظر ابن تيمية مجموع الفتاوى ٢٦٢/١٩ .
٧) هو عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام الأندلسى كان قاضيا حافظا فقيها مفسرا اختلف في تاريخ وفاته أرجحها كان ٥٤٠هـ انظر الأعلام للزركلي ٥٣/٤
٨) ابن عطية الاندلسي المحرر الوجيز ٦٣/٢
٩) وممن نازعه ويرى الخلاف في ذلك ابن العربي المعافري

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدليل المؤدي للأصل ثم لا ينظر فإنه آثم ، فالاجماع منعقد على إثم المقلد في الأصول إذا كان قادرا على النظر) [١] .

يقول الألوسي : وفي الآية دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر وأما اتباع الغير في الدين بعد التعلم بدليل فإنه محض اتباع في الحقيقة لما أنزل الله تعالى وليس من التقليد المذموم في شيء[٢]وقد قال سبحانه :﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[٣] فهذه الآية الكريمة (تعالج قضية خطيرة في المجتمع الإسلامي ، قضية تقليد الناس لعادات آبائهم ، والتقليد نشأة طبيعية في الإنسان،لأن الإنسان حين يخرج للوجود ممدا بطاقة الحياة ؛ فهذه الطاقة نريد أن تتحرك وحركتها تأتي دائما وفق ما ترى من حركة السابق لها ... فتقليد الأجيال اللاحقة للأجيال السابقة أمر تقتضيه طبيعة الوجود ، وحين يدعو الله الناس أن يتبعوا ما ينزله على الرسل فهو ينهاهم أن يتبعوا تقليد الآباء في كل حركاتهم لأنه قد تكون حركة الآباء قد اختلت بالغفلة عن المنهج أو بنسيان المنهج ، لذلك يدعونا ويأمرنا سبحانه أن ننخلع عن هذه الأشياء ونتبع ما أنزل الله ولا نهبط إلى مستوى الأرض لأن عادات ومنهج الأرض قد تتغير ولكن منهج السماء دائما لا يتغير فاتبعوا ما أنزل الله... أي اجعلوا ما أنزل عليكم من السماء متبوعا وكونوا تابعين لهذا المنهج لا تابعين لسواه ، لأن ما سوى منهج السماء هو منهج من صناعة أهل الأرض وهو منهج غير مأمون) [٤].

ولما احتجوا وقالوا بأنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم رد الله عليهم تبريرهم ذلك وخطّأهم لأنهم لم يصدقوا في ذلك لأن آدم هو أبو البشرية كلها وهو نبي مكلم ولو تبعته ذريته من بعده لما تغير منهج الله تعالى لأن كل لاحق يتبع السابق فيه إلى أبيهم ثم إن الأبناء في كثير من الأحوال يختلفون عن آبائهم لأنهم يدعون أن لهم شخصية ويريدون أن

---

١) سعيد حوى ، الأساس في التفسير ٣٧٩/١ .
٢) أبو الفضل السيد محمود الألوسي روح المعاني ٤٠/٢-٤١
٣) سورة الأنبياء آية : ٧
٤) محمد متولى الشعراوي ، تفسير الشعراوي ٧٠٠/٢-٧٠٢ باختصار ، الناشر أخبار اليوم القاهرة

يحققوا ذاتهم بنفسهم فيحرصون على الاختلاف [١] ، وبهذا يتبين أن ما وجدوا عليه آباءهم لا يوافق الحق بل يوافق أهواءهم فيكون القول باتباع الأبناء للآباء كذب لايمثله الواقع ولذلك ختمت الآية بقول الحق تبارك وتعالى:﴿ أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ ، وقد ذكر الله هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطوات الشيطان لينبه بذلك أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين متابعة الآباء في الباطل قال تعالى :﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان٠٠٠ ﴾ إلى قوله ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ٠٠﴾[٢]، وفي ذلك دعوة إلى النظر والتأمل والاستدلال قال تعالى:﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾[٣]فلو كان للمقلد المتعصب لهواه لا للحق قلب يفقه به لكانت هذه الحكاية كافية بأسلوبها لتنفيرهم عما هم عليه ، فالعاقل اللبيب لا يؤثر على ما أنزل الله تقليد أحد من الناس وإن كبر عقله وحسن سيره ، فما من عاقل إلا وهو عرضة للخطأ وما من مهتد إلا ويحتمل أن يضل في بعض سيره لأن الإنسان لايخلوا من غفلة أو نسيان أو خطأ أو جهل فلا ثقة في الدين إلا بما أنزل الله في كتابه أو بينه رسولهﷺ في سنته[٤].

ومن الأوامر التي جاءت في كتاب الله باتباع هذا الكتاب قوله تعالى:﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ [٥] إن بركة هذا الكتاب المأمور باتباعه لا تقف عند حد مهما أنكرها المنكرون ، فهو مبارك (لأنه يدل على الخير العظيم فالبركة كائنة به ، فكأن البركة جعلت في ألفاظه ولأن الله تعالى قد أودع فيه بركة لقارئه المشتغل به بركة في الدنيا وفي الآخرة ، ولأنه مشتمل على ما في العمل به كمال النفس وطهارتها بالمعارف النظرية ثم العملية ، فكانت البركة ملازمة لقراءته وفهمه)[٦] وقد جرت سنة الله تعالى بأن متبع هذا القرآن والباحث عنه والمتمسك به يحصل له عز في الدنيا وسعادة في الآخرة [٧] ولكثرة بركته وعلو منزلته أمر تعالى عباده باتباعه فهو (مبارك بكل معاني البركة ، إنه مبارك في أصله ، باركه الله وهو ينزله من عنده ومبارك في محله الذي علم

---

١) انظر المرجع السابق ٢/٧٠٢-٧٠٣
٢) انظر سورة البقرة الآيات ١٦٨-١٧٠
٣) سورة يونس آية ١٠١
٤) انظر محمد رشيد رضا تفسير المنار ٢/٩١ ٠
٥) سورة الأنعام آية ١٥٥
٦) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٧/٣٠٧
٧) انظر الفخر الرازي ، التفسير الكبير ١٣/٦٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله أنه له أهل ــ قلب محمد ﷺ الطاهر الكريم الكبير ٠

ومبارك في حجمه ومحتواه ، فإن هو إلا صفحات قلائل بالنسبة لضخام الكتب التي يكتبها البشر ؛ ولكنه يحوي من المدلولات والإيحاءات والمؤثرات والتوجيهات في كل فقرة منه مالا تحتويه عشرات من هذه الكتب الضخام في أضعاف أضعاف حيزه وحجمه٠٠٠ وإنه لمبارك في أثره وهو يخاطب الفطرة والكينونة البشرية بجملتها خطابا مباشرا عجيبا لطيف المدخل٠٠٠ ولا نملك أن نمضي أكثر من هذا في تصوير بركة هذا الكتاب وما نحن ببالغين لو مضينا شيئا أكثر من شهادة الله له بأنه﴿مبارك﴾ ففيها فصل الخطاب) [١]

والخطاب في قوله:﴿ فاتبعوه ﴾ للمشركين بقرينة قوله بعده:﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ﴾ لأنهم لم يشكوا في كونه كتابا إنما امتروا في كونه منزلا من عند الله ، وفي كونه مباركا [٢] ، وبهذا خاطبهم أنه بنزول هذا الكتاب المبارك إليكم تبطل حجتكم وتسقط معذرتكم لأن فيه تفصيلا لكل شيء بحيث لا تحتاجون إلى مرجع آخر وراءه ؛ وبحيث لا يبقى جانب من جوانب الحياة لم يتناوله فتحتاجون أن تشرعوا له من عند أنفسكم[٣] فأنتم مأمورون وملزمون باتباع هذا الكتاب في جميع أحكامه عقيدة وشريعة وأخلاقا فهو منهج الحياة لكم وأن رحمة الله منوطة بهذا الاتباع ﴿ فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾٠

ومن الأوامر التي جاءت في كتاب الله الأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام قال تعالى :﴿ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ [٤] ، لما أمر الله تعالى نبيه باتباع ملة إبراهيم﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا ﴾ [٥] أمر كذلك سائر المكلفين باتباع هذه الملة المباركة (وهي ملة الإسلام التي عليها محمد ﷺ ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم ، وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها

---

١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ١١٤٧/٢

٢) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٧٩/٨

٣) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ١٢٣٨/٣

٤) سورة آل عمران آية ٩٥

٥) سورة النحل آية ١٢٣

لإبراهيم ولمن تبعه)[١] ، ولهذا مدح الله تعالى في كتابه اتباع هذه الملة قال تعالى:﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا ﴾[٢] ، ومعنى الآية: ﴿ قل صدق الله فاتبعوا ﴾ أي قل يا محمد صدق الله فيما أخبرنا به من قوله:﴿ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل ﴾ وأن الله لم يحرم على إسرائيل ولا على ولده العروق ولا لحوم الإبل وألبانها وأن ذلك إنما كان شيئا حرمه إسرائيل على نفسه وولده بغير تحريم الله إياه عليهم في التوراة... فإن كنتم أيها اليهود محقين في دعواكم أنكم على الدين الذي ارتضاه الله لأنبيائه ورسله ، فاتبعوا ملة إبراهيم خليل الله ، فإنكم تعلمون أنه الحق الذي ارتضاه الله من خلقه دينا وابتعث به أنبياءه وذلك الحنيفية يعني الاستقامة على الإسلام وشرائعه ، دون اليهودية والنصرانية والمشركة)[٣] ، فجاء هذا الأمر من الله إليهم باتباع إبراهيم في ملته لأنها التوحيد الخالص المبرأ من الشرك في كل صوره ، وقد كان اليهود (يزعمون أنهم ورثة إبراهيم فها هو ذا القرآن يدلهم على حقيقة دين إبراهيم وأنه الميل عن كل شرك ، ويؤكد هذه الحقيقة مرتين : مرة بأنه كان حنيفا ، ومرة بأنه ما كان من المشركين ، فما بالهم هم مشركين)[٤].

ومن الأوامر بالاتباع قوله تعالى :﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾[٥] ففي الآية أمر من الله تعالى باتباع صراطه المستقيم الذي هو (طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده﴿ مستقيما ﴾ يعني قويما لا اعوجاج به عن الحق﴿ فاتبعوه ﴾ يقول: فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه فاتبعوه﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ يقول ولا تسلكوا طريقا سواه ولا تركبوا منهجا غيره ، ولا تتبعوا دينا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية) [٦].

فكتاب الله المأمور باتباعه هو صراطه المستقيم الذي لا عوج فيه وهو حبل الله المتين من تمسك به نجا ومن اعتصم به هدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ذلك أن شريعة هذا الدين كعقيدته (في تقرير صفة الشرك أو صفة الإسلام ، بل إن شريعته من

---

١) محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف ٣٨٦/١ .
٢) سورة النساء آية ١٢٥
٣) ابن جرير الطبرى ، جامع البيان ٦/٤ باختصار
٤) سيد قطب في ظلال القرآن ٤٣٤/١
٥) سورة الأنعام آية ١٥٣
٦) ابن جرير الطبري جامع البيان ٨٧/٨-٨٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عقيدته في هذه الدلالة ، بل إن شريعته هي عقيدته) [١] لأن الشريعة هي الترجمة السلوكية الواقعية العملية لما استقر من العقيدة الراسخة في القلوب .

ومن الأوامر الإلهية التي صدرت إلى المكلفين باتباع من جاءهم بهذا الدين من أنبياء الله ورسله قال تعالى :﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ [٢] ففي هذه الآية أمر من الله لعباده أن يؤمنوا به وبرسوله ويتبعوه في كل ما يدعوهم إليه ، لأن المقصود (طلب الإيمان بالنبي الأمي لأنه الذي سيق الكلام لأجله ، ولكن لما صدر الأمر بخطاب جميع البشر وكان فيهم من لا يؤمن بالله ، وفيهم من يؤمن بالله ولا يؤمن بالنبي الأمي ، جمع بين الإيمان بالله والإيمان بالنبي الأمي في طلب واحد ليكون هذا الطلب متوجها للفرق كلهم ليجمعوا في إيمانهم بين الإيمان بالله والنبي الأمي...

والإيمان بالله : الإيمان بأعظم صفاته وهي الإلهية المتضمن إياها اسم الذات ، والإيمان بالرسول: الإيمان بأخص صفاته وهي الرسالة)[٣] ، ووصف النبي الأمي بأنه يؤمن بالله وكلماته فيه إيماء بأن لا معذرة لمن يؤمن به من أهل الكتاب لأنه يؤمن بالله وبكلمات الله التي يندرج تحتها إيمانه بكل الأديان الإلهية الحقة التي أنزلها الله إلى من سبقه من الأنبياء [٤] وهذا يبينه ما فضلت به أمته من الإيمان بذلك قال تعالى : ﴿وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ [٥] .

وفي هذه الآية التي أمر الله فيها عباده باتباع نبيه لفتات دقيقة[٦] منها أنها تتضمن الشهادتين (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتتضمن القيام بالإيمان والإسلام معا ، وتتضمن بيان صفات الله تعالى﴿ الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت﴾ ، وتتضمن إيمان النبي ﷺ بدعوته ورسالته﴿ الذي يؤمن بالله وكلماته﴾

---

١) سيد قطب في ظلال القرآن ١٢١٦/٣
٢) سورة الأعراف آية ١٥٨
٣) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٤٠/٩-١٤١ باختصار
٤) انظر المرجع السابق ١٤١/٩
٥) سورة آل عمران آية ١١٩
٦) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ١٣٨٠/٣

وذلك لأن كل دعوة يجب أن يسبقها إيمان الداعي بحقيقة دعوته ، وتتضمن الدعـــوة إلى اتباع الداعي فيما يأمر به وينهى عنه مما يشرعه الله للناس وكذلك اتباعه في ســـــنته وعمله لأنه ليس هناك (رجاء في أن يهتدي الناس بما يدعوهم إليه رسول الله الا باتباعهم فيه ولا يكفي أن يؤمنوا به في قلوبهم ما لم يتبع الإيمان الاتباع العملي وهو الإسلام)[1].

وبهذا يتبين أن الله تعالى لما أمر في الآيات السابقة باتباع كتابه المنزل أمر هنا فـــي هذه الآية باتباع نبيه المرسل لأن الخير والسعادة والفلا ح في اتباعـــه والتأســـي بآثـــاره والسير على طريقه ومنهاجه .

---

١) سيد قطب في ظلال القرآن ٣/١٨٣٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الرابع

الأمر من الرسل إلى جميع الناس باتباع ما جاءوا به

وتحته مسألتان :

المسألة الأولى : الأوامر التي حكاها الله عن رسله في كتابه والتى فيها أمر المكلفين بالاتباع ، قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾[١] و قال تعالى – حكاية على لسان نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل السلام في دعوته لأبيه : ﴿ يا أبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ﴾[٢] وقال تعالى: على لسان نبيه هارون عليه السلام آمراً قومه باتباعه: ﴿ ٠٠٠يقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾ [٤]

ففي الآية الأولى أمر من الله لرسوله أن يأمر الناس باتباعه فيما جاءهم به من الحق وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي أنزلت هذه الآية فيه ، فقال بعضهم : أنزلت في قوم قالوا على عهد النبي ﷺ : إنا نحب ربنا فأمر الله جل وعز نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم إن كنتم صادقين فيما تقولون فاتبعوني ، فإن ذلك علامة صدقكم فيما قلتم من ذلك[٥]

يقول الحسن البصرى[٦] فجعل اتباع نبيه محمد ﷺ علما لحبه وعذاب من خالفه[٧] ويقول ابن كثير: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي ، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد "[٨] ولهذا قال: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول[٩] .

---

١) سورة آل عمران آية ٣١ ٠
٢) سورة مريم آية ٤٣
٣) سورة طه آية ٩٠
٤) سورة الزخرف آية ٦١
٥) ابن جرير الطبرى جامع البيان ٢٣٢/٣ وانظر على بن أحمد الوإحدى النيسابورى ، أسباب النزول ص٧٣ مكتبة المتنبئ القاهرة دون ط ولا تا
٦) هو الحسن بن أبى الحسن البصرى تابعى نشأ بالمدينة وحفظ القرآن وأشتهر بالعبادة توفى سنة ١١٠ أنظر(الذهبي تذكرة الحفاظ ٧١/١
٧) ابن جرير الطبري جامع البيان ٢٣٢/٣ ٠
٨) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ١٣٤٤/٣ رقم ١٧١٨
٩) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٤٧٧/١

يقول ابن القيم[١] فالمحب الصادق يرى خيانة منه لمحبوبه أن يتحرك بحركة اختيارية في غير مرضاته وإذا فعل فعلاً مما أبيح له بموجب طبيعته وشهوته تاب منه كما يتوب من الذنب : ولا يزال هذا الأمر يقوى عنده ، حتى تنقلب مباحاته كلها طاعات فيحتسب نومه وفطره وراحته، كما يحتسب قوته وصومه واجتهاده وهو دائماً بين سراء يشكر الله عليها ، وضراء يصبر عليها فهو سائر إلى الله دائماً في نومه ويقظته)[٢] فالله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره .

فأصل العبادة: محبة الله بل إفراده بالمحبة؛ وأن يكون الحب كله لله فلا يحب معه سواه ، وإنما يحب لأجله وفيه كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه ، فمحبتنا لهم من تمام محبته وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحبه وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه فعند اتباع الأمر واجتناب النهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة ؛ ولهذا جعل اتباع رسوله ﷺ علماً عليها وشاهداً لمن ادعاها فقال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾(٣)

فجعل اتباع رسوله ﷺ مشروطاً بمحبتهم لله، وشرطاً لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله ﷺ وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم ، فيستحيل إذاً ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله ﷺ ودل على أن متابعة الرسول ﷺ هى حب الله ورسوله وطاعة أمره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله ﷺ أحب إلى العبد مما سواهما فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله ، ومن كان عنده شيء أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله لصاحبه البتة، ولايهديه الله قال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين﴾[٤] ، فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أومرضاة أحد منهم علىمرضاة الله ورسوله أوخوف أحد منهم أو رجاءه

---

١) هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي تتلمذ على ابن تيمية ولازمه ، صنف مختلف العلوم منها أعلام الموقعين ، زاد المعاد وغيرها توفي ٧٥١هـ وانظر(ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٤٤٧/٢)

٢) ابن قيم الجوزية مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١٥٩/١-١٦٠ توزيع ادارات البحوث العلمية والافتاء ، الرياض بدون ط ولاتاريخ وانظر على الحمد الصالحى ، الضوء المنير على التفسير ٤٧/٢ .

٣) سورة آل عمران آية ٣١

٤) سورة التوبه آية ٢٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والـــتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه ، أومعاملة أحدهم على معاملة الله ؛ فهـــو ممـــن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وإن قاله بلسانه؛ فهو كذب منه وإخبار بخلاف ما هو عليه [١]

فقـــد صـــرح الله تعالى في الآية أن اتباع نبيه موجب لمحبته جل وعلا ذلك المتبع وذلـــك يدل على أن طاعة رسوله ﷺ هي عين طاعته تعالى وصرح بهذا المدلول[٢] في قولـــه تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[٤] وقد سمى بعض السلف هذه الآية بأنها آية المحنة[٥] لأن الله امتحن فيها تلك القلوب التي ادعت محبته ، يقول السعدي[٦] :

هـــذه الآيـــة هي الميزان التي يعرف بها من أحب الله حقيقة ومن ادعى ذلك دعوى مجـــردة ، فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ الذي جعل متابعته وجميع مايدعو إليه طريقاً إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما[٧] .

وإن كانت الآية نزلت خطاباً لوفد نجران فإنهم كانوا يدّعون أنهم أبناء الله وأحباؤه فيكون الخطاب فيها عام لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٨] فأمر الله نبيه فيها أن يقول لكل من ادعى محبة الله (إن كنتم تحبون الله حقيقة فاتبعوني فإن ما جئت به من عنده مبيناً لصفاته وأوامره ونواهيه والمحب الصادق حريص على معرفة المحبوب ومعرفة أمره ونهيه ليتقرب إليه بامتثال أمره واجتناب نهيه فإن اتبعتموني يحببكم الله ويوفقكم ويهديكم إلى سواء السبيل ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)[٩] فجعل سبحانه متابعة رسوله ﷺ سبباً لمحبتهم له وكون العبد محبوباً لله أعلى من كونه محباً لله فليس الشأن أن تحـــب الله ولكن الشأن أن يحبـــك الله فالطـــاعة للمـــحبوب عـــنوان

١) ابن قيم الجوزية مدارج السالكين فى منازل اياك نعبد واياك نستعين ٩٩/١ مطبعة السنة المحمدية وانظر على الحمد الصالحى ، الضوء المنير عل التفسير ٤٨/٢-٤٩ .

٢) محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ٢٧٧/١ عالم الكتب بيروت

٣) سورة النساء آية ٨٠

٤) سورة الحشر آية ٧

٥) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٤٧٧/١ ، وانظر ابن قيم مدارج السالكين ٢٢/٣

٦) هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي الحنبلي ولد بعنيزة بالسعودية كان عالما مصنفا فى علوم شتى منها التفسير توفى ١٣٦٧هـ .

٧) عبد الرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص١٠٥

٨) انظر ابن جرير الطبرى ، ٢٣٣/٣ ، وانظر محمد حجازي التفسير الواضح ٥٤/٣

٩) محمد حجازي التفسير الواضح ٥٤/٣

محبته[١]كما قال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾

ولا شك أن لهذه المحبه آثارا فمنها (تطلب القرب من المحبوب والاتصال به واجتناب فراقه، ومن آثارها محبة ما يسره ويرضيه واجتناب مايبغضه، فتعليق لزوم اتباع الرسول على محبة الله تعالى لأن الرسول ﷺ دعا إلى ما يأمر الله به وإلى إفراد الوجهة إليه وذلك كمال المحبة)[٢]

إن محبة الله ليست تقال بالألسنة ادعاءً إنما يجب أن يصاحبها اتباع للرسول ﷺ والسير على هداه وتحقيق منهجه في الحياة لأن حقيقة هذا الدين الذي تميزه عن غيره هى حقيقة الطاعة لشريعة الله والاتباع لرسوله ﷺ والتحاكم إلى كتابه ، فالذي يخالف كتاب الله ويأبى اتباع رسوله ويدعي أنه يحب الله ورسوله فهو كاذب مفتر إذ لو كان محباً له لأطاعه ، فإذا حقق العبد هذه المحبة فان الله يحبه ويجازيه جزاء المحبين ويغفر له ذنوبه ويستر عليه عيوبه [٣]

أما الآية الثانية والثالثة والرابعة ففيها أمر من رسل الله إلى أتباعهم فيما جاءوهم به من دين الله وشرعه وهؤلاء الرسل الذين ذكرهم الله في تلك الآيات هم من أولي العزم: نبي الله إبراهيم ، وموسى وعيسى عليهم وعلى نبينا أفضل السلام ، ففي سورة مريم حكى الله عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام محاجته أباه وتلطفه معه في ذلك﴿ يا أبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾ [٤].

يقول الطبرى: (قال إبراهيم لأبيه : يا أبت إني قد آتاني الله من العلم ما لم يأتك فاتبعني يقول : فاقبل مني نصيحتي قال﴿ أهدك صراط سوياً ﴾ يقول أبصرك هدى الطريق المستوي الذي لا تضل فيه إن لزمته وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه)[٥]قال صاحب الكشاف: [٦](ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقاً به متلطفاً فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك وذلك علم

١) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٤٧٧/١ ، وعلى الصالحى الضوء المنير ٥٢/٢

٢) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ٢٢٨/٣ .

٣) انظر محمد الشنقيطى أضواء البيان ٢٧٨/١ ، وانظر عبد الرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص١٠٥ ، وسيد قطب في ظلال القرآن ٣٨٧/١

٤) سورة مريم آية ٤٣

٥) ابن جرير الطبرى جامع البيان ٩٠/١٦

٦) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الحنفي المعتزلي لقب بجار الله كان حجه في البلاغة واللغة توفي ٥٣٨ انظر(الذهبي تذكرة الحفاظ ١٢٨٣/٤)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف ، وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه)[١] ، وتأمل إلى حكمة هذا النبي الكريم حيث لم يصف أباه بالجهل ولا نفسه بالعلم الكامل وذلك إبعادا لتنفيره عنه وجذبا إليه ليوصله إلى الحق بطرق سديدة خاصة وأن أباه كان يرى نفسه على علم عظيم بديانة قومه[٢] .

إن علم إبراهيم هو علم الوحي والنبوة الذي جاءه من الله فهداه وإن كان أصغر من أبيه سنا وأقل تجربة ، فوحي الله إليه (جعله يفقه ويعرف الحق فهو ينصح أباه الذي لم يتلق هذا العلم ليتبعه في الطريق الذي هدي إليه...فليست هناك غضاضة في أن يتبع الوالد ولده إذا كان الولد على اتصال بمدد أعلى فإنما يتبع ذلك المصدر ويسير في الطريق إلى الهدى)[٣] .

وفي هذا الأمر الصادر من نبي الله إبراهيم إلى أبيه في أن يتبعه فيما يخبره به من العلم عن الله ((دليل على أن أحقية العالم بأن يتبع مركوزة في غريزة العقول لم يزل البشر يتقصون مظان المعرفة والعلم لجلب ما ينفع واتقاء ما يضر))[٤] ، أما أية سورة طه ففيها بيان ما وقع بين نبي الله هارون وقوم موسى من دعوتهم إلى اتباعه في الحق واتباع الوصية التي تركها له ولهم نبي الله موسى عليهما السلام فقد أوصاه بقوله:﴿ اخلفني في قومي وأصلح ولاتتبع سبيل المفسدين﴾[٥] وبعد وقوعهم في عبادة العجل نتيجة للشبهة التي ألقاها السامري وعودة موسى ﷺ إليهم أنبه بقوله: ﴿ يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري﴾[٦] ولكن نبي الله هارون لم يقصر ولم يعص أمر أخيه نبي الله موسى بدعوتهم إلى الحق وهذا ما حكاه الله تعالى عنه في كتابه: ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾[٧]
أي ولقد قال هارون لعبدة العجل من بنى إسرائيل من قبل رجوع نبي الله موسى إليهم (إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيهم الخوار ليعلم به

---

١) محمود الزمخشري ، الكشاف ٣ /١ــ ١٩/٣
٢) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١١٥/١٦
٣) سيد قطب في ظلال القرآن ٢٣١١/٤
٤) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١١٦/١٦
٥) سورة الأعراف آية ١٤٢
٦) سورة طه آية ٩٢-٩٣
٧) سورة طه آية ٩٠

الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب الشاك في دينه .... يقول : وإن ربكم الرحمن الذي يعم جميع الخلق نعمه فاتبعوني على ما آمركم به من عبادة الله وترك عبادة العجل وأطيعوا أمري فيما آمركم به من طاعة الله وإخلاص العبادة له)[١] ، فلقد نصح لهم نبي الله هارون ودعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة العجل وأمرهم باتباعه وطاعته كما تواعدوا مع موسى وهو عائد إليهم بعد ميعاده مع ربه على الجبل لأنه كان نبيهم والنائب عن نبيهم موسى ولكنهم لم يستجيبوا له بل التوو وتملصوا من نصحه ومن عهدهم لنبيهم بطاعته[٢] وقالوا : ﴿ لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾[٣].

أما آية سورة الزخرف فقد جاءت في سياق بيان حال نبي الله عيسى عليه السلام قال تعالى : ﴿ وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾[٤] فقد اختلف أهل التأويل في هاء (إنه) فمنهم [٥]من قال تعود إلى عيسى ويكون المعنى (وإن عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا وإقبال الآخرة)[٦] ومنهم من قال تعود إلى القرآن ويكون المعنى(وإن هذا القرآن لعلم للساعة يعلمكم بقيامها ويخبركم عنها وعن أحوالها)[٧] وقد رجح ابن كثير القول الأول فقال: (بل الصحيح أنه عائد إلى عيسى عليه السلام فإن السياق في ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة)[٨]

وقوله(واتبعون) قيل صادر من الرسول ﷺ إلى أمته وقيل صادر من عيسى إلى أمته [٩] كما يمكن أن يعود ضمير المتكلم إلى الله تعالى (أي اتبعوا ما أرسلت إليكم من كلامي ورسولي جريا على غالب الضمائر من أول السورة كما تقدم فالمراد باتباع الله اتباع أمره ونهيه وإرشاده الوارد على لسان رسول الله ﷺ فاتباع الله تمثيل لامتثالهم ما دعاهم إليه بأن شبه حال الممتثلين أمر الله بحال السالكين صراطا دلهم عليه دليل)[١٠] . ولعله يترجح عودة الضمير إلى الرسول ﷺ فهو التالي للقرآن والآمر باتباع صراط الله المستقيم بتقدير (وقل اتبعون ومثله في القرآن كثير)[١١]

---

١) ابن جرير الطبري ، جامع البيان ٢٥/١٦

٢) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٢٣٤٨/٤

٣) سورة طه آية ٩١

٤) سورة الزخرف آية ٦١

٥) والذين قالوا هذا القول هم ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد رحمه الله

٦) ابن جرير الطبرى جامع البيان ٩٠/٢٥

٧) ابن جرير الطبري جامع البيان ٩١/٢٥، والذي قال بهذا القول الحسن البصري رحمه الله

٨) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١٦٩/٤

٩) انظر محمد حجازي التفسير الواضح ٥٥/٢٥

١٠) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٤٤/٢٥

١١) انظر المرجع السابق ٢٤٤/٢٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسألة الثانية : الأوامر الصادرة من الرسول إلى أمته باتباع الحق الذي جاء به ٠

فقد صدرت عن الرسول ﷺ في سنته أوامر كثيرة تحملهم على اتباعه فيما جاءهم به من الحق منها : ــ

١ــ عن أبي موسى[١] رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال ياقوم : إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به [٢] ٠

٢- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال : (أمتهوكون) فيها يابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني)[٣]

٣- عن أبي هريرة[٤] رضي الله عنه :أن رسول الله ﷺ قال : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قالوا يارسول الله ومن يأبى؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)[٥]

٤﴿ وعن أبى رافع[٦] رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ (لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)[٧]

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (دعوني ماتركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيئ

---

١)هو عبد الله بن قيس الأشعري يكنى بأبي موسى كان ممن هاجر غلى الحبشة توفي سنة ٤٤هـ الإصابة ٣٥٩/٢

٢) أخرجه البخاري فى كتاب الرقائق باب الانتهاء عن المعاصي، رقم ٦٤٨٢ وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب شفقته عليه السلام على أمته ومبالغتهم فى تحذيرهم ١٧٨٨/٤-١٧٨٩، برقم (٢٢٨٣) واللفظ له

٣) أخرجه أحمد في المسند ٣٨٧/٣، وحسنه الألبانى انظر المشكاة ٦٣/١

٤)عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني كنيته أبو هريرة صحابي جليل أسلم في السنة السابعة ويعتبر من المكثرين في رواية الحديث مات سنة (٥٧هـ) الإصابة ٤٠٣/٢.

٥) أخرجه البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله رقم ١٢٨٠

٦) هو الحكم بن عمرو بن مجدع بن حزيم الغفاري أبو رافع صحابي له رواية في البخاري وعند السنن صحب النبي عليه السلام ثم نزل البصرة ومات بخراسان (الإصابة ٣٤٧/١).

٧) أخرجه أبوداود في كتاب السنة باب فى لزوم السنة ٢٠٠/٤رقم ٤٦٠٥ وصححه الألبانى انظر صحيح سنن أبى داود ٨٧١/٣

فأتوا منه ما استطعتم)[١]

٦- عن أنس بن مالك[٢]رضي الله عنه أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش فحمد الله وأثنى عليه فقال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ولكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي[٣] فليس مني)[٤]

٧- عن العرباض بن سارية[٥]رضي الله عنه قال:صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[٦]

٨ـ عن حذيفة بن اليمان[٧]رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)[٨] .

وقد ضرب الصحابة رضى الله عنهم أروع الأمثلة فى اتباعه والاقتداء به عليه السلام في كل شئونه مالم يكن من خصوصياته فمن ذلك على سبيل المثال ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ النبي ﷺ خاتما من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبي ﷺ (اني اتخذت خاتما من ذهب) فنبذه ، وقال : (إني لن ألبسه أبدا فنبذ الناس خواتيمهم)[٩] ، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك)[١٠]

---

١)أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله رقم ٧٢٨٨ ج٢١٥/١٣، من فتح الباري.

٢) أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله ﷺ كان من المكثرين من رواية الحديث توفي سنة (٩٠هـ) الإصابة ٧١/١

٣)معناه من تركها إعراضا عنها غير معتقد لها على ماهي عليه(انظر صحيح مسلم ١٠٢٠/٢

٤)أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ١٠٢٠/٢رقم ١٤٠١

٥)العرباض بن سارية السلمي يكنى بأبي نجيح من السابقين إلى الإسلام ونم أهل الصفة مات سنة ٧٥ من الهجرة ، انظر الإصابة (٤٧٣/٢)

٦)أخرجه أبوداود فى كتاب السنة باب في لزوم السنة ٢٠١/٤ رقم ٤٦٠٧ وصححه الألبانى انظر صحيح سنن أبي داود ٨٧١/٣

٧) هو حذيفة ابن اليمان العبسي أسلم هو وأبوه فكان من كبار الصحابة شهد فتوح الشام ومات سنة ٣٦ (أنظر الإصابة ٣١٧/١)

٨)أخرجه الترمذي في أبواب المناقب باب ٥٢ ج٢٧١/٥ رقم ٣٧٤٢ . وأخرجه أحمد في المسند ٣٨٥/٥-٣٨٦ ، وصححه الألباني انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٣٣/٣-٢٣٤ برقم ١٢٣٣

٩)أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ انظر الفتح ١٣

١٠) أخرجه البخاري في كتاب الحج باب ماذكر في الحجر الأسود ٤٦٢/٣ برقم ١٥٩٧ وأخرجه مسلم فى كتاب الحج باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ٩٢٥/٢برقم ١٢٧٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن عبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال : " يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعله في يده" فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به قال : لا والله لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله ﷺ [١]

فالواجب على جميع المكلفين أن يتبعوا المرسلين ، ويتبعوا ما أنزله الله تعالى عليهم وقد ختمهم بمحمد ﷺ فجعله آخر الأنبياء والمرسلين ، وجعل كتابه مهيمنا على الكتب السابقة (وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وجعل دعوته عامة لجميع الثقلين الجن والإنس ، باقية إلى يوم القيامة وانقطعت به حجة العباد على الله ، وقد بين الله به كل شيء وأكمل له ولأمته الدين وأقسم بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكمونه فيما شجر بينهم[٢] وأخبر أن المنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى غيره وأنهم إذا دعوا إلى الله والرسول وهو الدعاء إلى كتاب الله وسنة رسوله صدوا صدودا وأنهم يزعمون أنهم إنما أرادوا إحسانا وتوفيقا كما يقوله كثير من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم : إنما نريد أن نحس الأشياء بحقيقتها أي ندركها ونعرفها ، ونريد التوفيق بين الدلائل النقلية المنقولة عن الرسول أو نريد التوفيق بين الشريعة والفلسفة ...

فكل من طلب أن يحكم في شيئ من أمر الدين غير ما جاء به الرسول ويظن أن ذلك حسن ، وأن ذلك جمع بين ما جاء به الرسول وبين ما يخالفه فله نصيب من ذلك بل ما جاء به الرسول كاف كامل يدخل فيه كل حق)[٣] ، فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ بالمتابعة التامة والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون معارضته بخيال باطل تحت مسمى المعقولات أو تحميله ما لا يحتمل أو تقديم آراء الرجال عليه .

فيجب تحكيم الرسول في الأمور كلها وتوحيده بالتسليم والانقياد والإذعان كما توحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل ، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول عليه السلام [٤]

---

١) أخرجه مسلم فى كتاب اللباس والزينة باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ٣/١٦٥٥ رقم ٢٠٩٠

٢) يشير إلى قوله تعالى﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ النساء : ٦٥

٣) أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي . شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٠-٧١ المكتب الإسلامى بيروت ط٤ سنة١٣٩١هـ

٤) انظرأبو جعفر الطحاوي العقيدة الطحاوية ص٢١٧

المطلب الخامس

الأمر من المصلحين والدعاة للناس باتباع الرسل واتباع ما جاءوا به

ذكر الله تعالى عن أهل الإصلاح دعوتهم للمكلفين أن يتبعوا الحق الذي جاءت به رسل الله فدعو إلى اتباعهم والائتمار بهم بالعمل بما يأمرون به والانتهاء عما ينهون عنه.

وجاء ذلك ما حكاه الله على لسان صاحب يس ، ومؤمن آل فرعون كما وردت بعض الآثار عن بعض الصحابة فيها دعوة وحث باتباع الرسول واتباع أصحابه من بعده لأن الله عدلهم ورضي عنهم وطلب من كل من يأتي بعدهم أن يكون إيمانه مثل إيمانهم[١] ، وجعلهم منارات الهدى ، كما جعلهم الرسول ﷺ من أهل خير القرون وعدهم من أمته قال تعالى : ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ وقال الذي ءامن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾[٣] ، ففي الآية الأولى حكى الله نبأ صاحب يس الذي حض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم فجاء مسرعا (من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل ....وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر ، فبلغ ذلك هذا الرجل وكان منزله أقصى المدينة وكان مؤمنا وكان اسمه فيما ذكر (حبيب بن مسري)[٤] ، والإخبار بالسعي فيه ثناء على هذا الرجل (يفيد أنه ممن يقتدى به في الإسراع إلى تغيير المنكر)[٥] ، فكان بسعيه هذا حريصًا على إنقاذ قومه من الوقوع في جريمة القتل وإنقاذ الرسل من وصول الأذى إليهم من قومه ولذلك وجه قومه إلى الأمر الأصلح لهم وهو اتباع المرسلين الذين لا يطلبون على دعوتهم وهدايتهم الناس إلى الخير الأجر ، فلا يسألون الناس أموالهم مقابل الهدى الذي جاءوا به وهم ناصحون لكل الناس ، وقد ذكر هذا المصلح قومه بهذه النصيحة (اتبعوا من لايسألكم أجرا) أي اتبعوا من نصحكم نصحا يعود عليكم بالخير وليس يريد منكم أموالكم ولا أجرا على نصحه لكم وإرشاده إياكم ، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه)[٦].

---

١) مثل قوله تعالى(فان آمنوا بمثل ما أمنتم به فقد اهتدوا) البقرة : ٣٧
٢) سورة يس أيتى ٢٠-٢١
٣) سورة غافر آية ٣٨
٤) ابن جرير الطبري ،جامع البيان ١٥٨/٢٢
٥) ابن عاشور التحرير والتنوير ٣٦٦/٢٢ .
٦) عبدالرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص٦٤٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن كعادة كثير من الأتباع المنحرفين لم يقبل قوم هذا المصلح مادعاهم إليه وما نصحهم به بل عادوا يلومونه على اتباعه المرسلين فأخبر الله مارد به عليهم (ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون)[١] ، فبين لهم التوحيد وأهميته واتباع الحق وعلو درجته وحسن ثواب المتبعين ، كما بين خطورة اتباع الباطل باستعراض المنهج المخالف للمنهج المستقيم (أأتخذ من دونه آلهة ..)[٢] ، ثم توصل إلى القرار الأخير وهو إعلانه الإيمان بربهم الذين كذبوا رسله حتى يوصلهم بذلك إلى الإيمان به ، ولما لم يكن ذا جاه ولا سلطان فيهم وليس له ما يمنعه عنهم لم يمهلوه بل قتلوه[٣] ولكنه كان صادقا على نجاتهم وهدايتهم حيا وميتا فلما قتلوه على دعوة التوحيد أوجب الله له الجنة ، فلما دخلها ورأى الثواب والمسرات تمنى أن لو وصل علم ذلك إلى قومه لم يقيموا على ماهم عليه من الشرك (قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)[٤] ، فكان ناصحا لقومه بعد وفاته كما نصح لهم في حياته[٥] وهكذا ينبغي أن يكون كل داعية إلى الخير بالحق وكل من يريد الإصلاح في أمته وقومه أن يتحمل كل مايصدر منهم من أذى ويدعو لهم بالهداية والنجاة ويتحين الفرص لإنقاذهم من الضلالة إلى الهدى ومن اتباع الباطل إلى اتباع الحق الذي لا فلاح ولا سعادة للإنسان إلا به .

أما آية سورة غافر ففيها بيان حال مصلح آخر من المصلحين وهو مؤمن آل فرعون الذي تصدى لقومه وناقشهم وجادلهم بالحجج الدامغة ولم يهيبه جبروت فرعون الطاغية ، ذكر المفسرون[٦] أن هذا الرجل كان ابن عم فرعون وكان قبطيا يخفي إيمانه عن فرعون وغيره ، فلما سمع قول الجبار متوعدا موسى بالقتل نصحهم بأن لا يقدموا على ذلك وكيف يقتلونه وهو لا ذنب له إلا قوله ربي الله والحال أنه أتاكم بالمعجزات التي شاهدتموها فإن كذب عاد ضرر كذبه عليه وإن صدق أصابكم بعض ما وعدكم به من العذاب ، والله تعالى لا يوفق للهداية والإيمان كل مسرف ضال .

---

١) سورة يس آية ٢٢

٢) سورة يس آية ٢٣

٣) انظر السعدي تيسير الكريم الرحمن ٦٤١، وسيد قطب فى ظلال القرآن ٢٩٦٣/٥

٤) سورة يس آيتى ٢٦-٢٧

٥) انظر عبدالرحمن السعدى ، تيسير الكريم الرحمن ص٦٤١ وسيد قطب فى ظلال القرآن ٢٩٦٣/٥

٦) انظر ابن جرير جامع البيان ٥٧/٢٤وابن كثير تفسير القرآن العظيم ٩٩/٤

وفي هذا الكلام إشارة إلى رفع شأن موسى ﷺ ودعوة إلى اتباعه وفيه تعريض بفرعون وأنه مسرف في عزمه على قتل موسى ، ثم كرر لهم نصحا يتلوه نصحا آخر فخوفهم من زوال ملكهم وخوفهم من يوم الأحزاب ويوم التناد في القيامة وذكرهم بأسلافهم الذين كذبوا نبي الله يوسف وما حصل لهم ، ثم دعاهم إلى اتباعه فيما يرشدهم إليه ليهتدوا إلى سبيل الرشاد وهو عكس السبيل الذي يدعو إليه فرعون[١] ، حيث دعاهم إلى الإيمان بالله الواحد الأحد وكشف لهم عن قيمة الحياة الزائلة وشوقهم إلى نعيم الحياة الباقية وحذرهم من وقوع عذاب الله إن لم يستجيبوا له قائلا لهم (امتثلوا ياقوم أمري واسلكوا طريقي أرشدكم إلى طريق الفوز والنجاة وطريق الجنة)[٢] وختم نصحه وتوجيهه لهم بقوله (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)[٣] ، وما أوضح كلامه في الآيات كما حكاها الله عنه في كتابه ،

ومن أقوال المصلحين ودعوتهم إلى اتباع الحق باتباع من جاء به وسار عليه متمسكا به ما جاء عن سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين واتباعهم ذلك أن الصحابة كانوا مقتدين بنبيهم ﷺ (مهتدين بهديه وقد جاء مدحهم في القرآن وأثنى على متبوعهم محمدا ﷺ وإنما كان خلقه القرآن ... فالقرآن إنما هو المتبوع على الحقيقة وجاءت السنة مبينة له فالمتبع للسنة متبع للقرآن والصحابة كانوا أولى الناس بذلك فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله وهو معنى قوله ﷺ (ما أنا عليه اليوم وأصحابي) [٤] ، فالكتاب والسنة هو الطريق المستقيم [٥] .

فقد دعا الصحابة إلى اتباع الرسول في سنته ثم اتباع الصحابة من بعده خاصة الخلفاء الراشدون منهم الذي أمر عليه السلام باتباع سنتهم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء)[٦]

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال (عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبد على

---

١) انظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/١٥ وابن كثير تفسير القرآن العظيم ٩٩/٤ وما بعدها ومحمد على الصابوني صفوة التفاسير ٧٨/١٤ ومحمد محمود حجازي التفسير الواضح ٣٣/٢٤

٢) محمد على الصابونى صفوة التفاسير ٨١/١٤

٣) سورة غافر آية ٤٤

٤) أخرجه أبوداود والترمزى وابن ماجه والإمام أحمد والدارمي والطبراني وغيرهم انظر سنن أبى داود كتاب السنة باب شرح السنة ٤/٥ رقم ٤٥٩٦

٥) الشاطبى، الاعتصام ٢٥٢/٢

٦) أخرجه أبوداود برقم ٤٦٠٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السبيل والسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل فتمسه النار)[١]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (قد أصبحتم على الفطرة وإنكم ستحدثون ويحدث لكم فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدى الأول)[٢] ، وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (يامعشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا)[٣] ، ومعناه (اسلكوا طريق الاستقامة وهي كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلا وتركا)[٤]، وفيه الإشارة إلى فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين مضوا على الاستقامة[٥]

ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات إن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة : أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[٦] .

فكانوا يرون رضي الله عنهم أن الاعتصام بالسنة هو النجاة فالتزموها وألزموا من بعدهم باتباعها ، وداروا معها حيث دارت ، ولو قل السالكون لها ، لأنهم كانوا يرون أن الأمر بلزوم الجماعة هو (لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا)[٧]

وفي سنن أبى داود كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر فكتب إليه (أما بعد أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة ، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ماهو دليل عليها أو عبرة فيها فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها ....)[٨] ، فلا يستقر للعبد قدم في

---

١) اللالكائي شرح أصول الاعتقاد ٥٤/١ وانظر حلية الأولياء ٢٥٢/١
٢) ابن حجر العسقلاني فتح الباري ٢٥٣/١٣
٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ رقم ٧٢٨٢ انظر الفتح ٢٥٠/١٣
٤) ابن حجر فتح الباري ٢٥٧/١٣
٥) المرجع السابق ٢٥٧/١٣
٦) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله(٩٧٠٢)
٧) انظر ابن القيم إغاثة اللهفان ٦٩/١
٨) أخرجه ابوداود في كتاب السنة باب لزوم السنة ٢٠٢/٤-٢٠٣برقم ٤٦١٢ .

الإسلام حتى يعقد قلبه وسره وجهره على أنه لا متبوع غير رسول الله ﷺ وأن كل كلام يصدر من غيره يعرض على كلامه فإن وافقه قبل وإن خالفه رد أيا كان قائله ، كما أن اتباع أصحابه من بعده أمر واجب [١] ، وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة الهدى من بعدهم ، وقد ذكر ابن القيم أكثر من خمس وأربعين وجها[٢] تدل على وجوب اتباع الصحابة ﷺ ، فالله تعالى رضي عنهم وعدلهم في كتابه وخصهم بالعلم والفهم والفضل والفقه عن رسوله ﷺ حيث تلقوا عنه بلا واسطة ، وشاهدوا الوحي وراجعوا الرسول ﷺ فيما أشكل فكانت لهم هذه المزية التي لم تكن لأحد غيرهم ، قال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه٠٠ ﴾[٣] ، فوجه الدلالة أن الله تعالى أثنى على من اتبعهم فإذا قالوا قولا فاتبعهم متبع عليه قبل أن يعرف صحته فهو متبع لهم فيجب أن يكون محمودا على ذلك[٤] ، وقال ﷺ : (النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ماتوعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)[٥] ٠

فإن هذا التشبيه (يعطي وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم ﷺ ، ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم ، وأيضا فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنة لهم وحرزا من الشر وأسبابه)[٦] ٠

وبهذا يتبين أن اتباع الصحابة مما دل عليه الكتاب والسنة فكانوا على رأس المصلحين وفي مقدمتهم فهم أبر هذه الأمة قلوبا لذا كان من المحال أن يكون الصواب في غير طريقهم ، جعلنا الله هداة مهتدين غير ضالين ولامضلين ٠

---

١) انظر احمد عبد العزيز الخلف منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله ٤٨١/٢، أضواء السلف الرياض ط١سنة١٤١٩هـ
٢) ابن القيم إعلام الموقعين عن رب العالمين ١٢٣/٤ــ ١٥٠ وهو كلام نفيس قل أن يوجد مجموعا في مكان واحد ولولا الإطالة لذكرت بعضه ٠
٣) سورة التوبة آية ١٠٠
٤) ابن القيم ، إعلام الموقعين ١٢٣/٤
٥) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه ح١٩٦١/٤، رقم ٢٥٣١
٦)ابن القيم إعلام الموقعين ١٣٧/٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني

أسلوب النهي عن الاتباع للباطل

المطلب الأول : النهي من الله لرسوله ﷺ عن اتباع الباطل.

المطلب الثاني : النهي من الله للمكلفين عن اتباع الباطـــل.

المطلب الثالث : النهي عن اتباع خطوات الشيطـــــان.

المطلب الرابع : النهي عن اتباع الهـــــــــوى.

أسلوب النهي[١] عن الاتباع للباطل

فقد تعرض كتاب الله ضمن أساليبه البيانية لأسلوب النهي الذي جاء لبيان الأمور التي حرمها الله على المكلفين ونهاهم عن اقترافها أو القرب منها ، وقد تتبعت أساليب النهي عن الاتباع للباطل أو المذموم في كتاب الله فوجدتها متعددة تناولت النهي عن اتباع خطوات الشيطان ووساوسه ، وكذلك اتباع الهوى ، والشهوات والظن السيء والمتشابه واتباع سبيل المفسدين وغيرها مما سيرد ذكره بأدلته من الكتاب والسنة مع بيان أقوال العلماء وبيانهم لتلك النصوص من المفسرين وغيرهم ، وحتى يسهل تناول هذا المبحث جعلته على شكل مطالب ٠

المطلب الأول

النهي من الله لرسوله ﷺ عن اتباع الباطل

فالله تعالى نهى رسوله ﷺ عن اتباع الباطل المتمثل في أهواء المشركين وأهل الكتاب وأهل الباطل عموما ، قال تعالى:﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ٠٠﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ ولاتتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ٠٠﴾[٤] ، وقوله تعالى: ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم﴾[٥] ، وقوله تعالى :﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون﴾[٦]

---

١)النهي هو طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء وله صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بلا الناهية مثل قوله تعالى (لاتتبعوا خطوات الشيطان) سورة البقرة آية ١٦٨ ، وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى أغراض أخرى تفهم من السياق وتعرف بقرائن الأحوال ٠(انظر عبد الفتاح لاشين : المعاني في ضوء أساليب القرآن ص١٤٦)

٢) سورة المائدة آية ٤٨

٣) سورة المائدة آية ٤٩

٤) سورة الأنعام آية ١٥٠

٥) سورة الشورى آية ١٥

٦) سورة الجاثية آية ١٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الآيات السابقة جاء النهي الصريح من الله تعالى لرسوله عن اتباع أهوية كل من انحرف عن اتباع الهدى من الكفرة والمشركين وإليهود والنصارى ومن شايعهم ؛ والخطاب وإن كان له ﷺ فإن أمته داخلة في ذلك لأن كل أمر نهي عنه الرسول ﷺ فأمته منهية عنه من باب أولى ، ويمكن أن تتناول هذه الآيات وغيرها مما فيها نهي الله لرسوله ﷺ عن اتباع الباطل بنوع من التفصيل والبيان ٠

قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ٠٠٠ ﴾[١] ، فأخبر تعالى أنه أنزل على رسوله ﷺ أفضل كتبه وهو القرآن المشتمل على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه المصدق للكتب السابقة والموافق لها في الأخبار والشرائع الكبار[٢] بل كان المهيمن الرقيب الغالب الشاهد لها الحافظ المؤتمن عليها فصار بذلك (شاهدا بصحة الكتب المنزلة ومقررا لما فيها مما لم ينسخ وناسخا لما خالفه منها ورقيبا عليها وحافظا لما فيها من أصول الشرائع، وغالبا لها لكونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ ، ومؤتمنا عليه لكونه مشتملا على ما هو معمول به منها وما هو متروك)[٣]

ولما عرف به القرآن من كل هذه الفضائل وغيرها أمر الله رسوله ﷺ أن يحكم بين الناس كلهم كتابيهم وغير كتابيهم بما أنزله عليه من شرعه الحكيم لاشتماله على جميع ما شرعه لعباده في جميع كتبه، ونهاه عن أن يتبع أهواء أهل الملل السابقة ، والمقصود هنا النهي عن اتباع أهوية أهل الكتاب ، ويعدل عن الحق الذي أنزله إليه ، ففي الآية (النهي العظيم عن اتباع أهواء اليهود والنصارى والتشبه بهم فيما يختص به دينهم والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن أمته داخلة في ذلك لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) [٤] ، ثم كرر تعالى النهي عن اتباعهم فقال :﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ٠٠ ﴾ [٥]

---

١) سورة المائدة آية ٤٨

٢) انظر السعدى– تيسير الكريم الرحمن ص١٩٦

٣) محمد على الشوكانى ، فتح القدير ٢/٥٦

٤) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٤٧

٥) سورة المائدة آية ٤٩

يقول عبد الرحمن السعدى[١](كرر النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير منها ولأن ذلك في مقام الحكم والفتوى ، وهو أوسع ، وهذا في مقام الحكم وحده،وكلاهما يلزم فيه أن لايتبع أهواءهم المخالفة للحق، ولهذا قال (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) أي إياك والاغترار بهم، وأن يفتنوك فيصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك فصار اتباع أهوائهم سببا موصلا إلى ترك الحق الواجب [٢]، وإنما نهى عن اتباع أهوائهم لأنها مجرد أراء(اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله)[٣] ، وقد جمع الله ذلك فقال أهواء ولم يقل هوى (تنبيها على أن لكل واحد هوى غير هوى الآخر ثم هوى كل واحد لا يتناهى، فإذا اتباع أهوائهم نهاية الضلال والحيرة) [٤] ﴾

وعلى الرغم من أن الله تعالى أنزل على أهل الكتاب التوراة والإنجيل وأرسل إليهم الرسل فقد حذر في كثير من الآيات بالنهي عن اتباع أهوائهم ولم يقل دينهم كما في آيتي المائدة ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾ ﴿ولاتتبع أهواءهم واحذرهم﴾ وكما في قوله تعالى﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم..﴾[٥] وقوله: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم﴾[٦] ، وذلك (لأن ما هم عليه مجرد أهواء نفس حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين ومن ترك الدين اتبع الهوى لا محالة)[٧] كما قال تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾[٨] ، حيث جعل إلهه (الشيء الذي يهوى عبادته أي ما يجب أن يكون إلها له إلا لمجرد الشهوة لا لأن إلهه مستحق للآلهية)[٩]

وإذا كان النهي جاء عن اتباع أهواء أهل الملل السابقة ، فإنه جاء أيضا عن اتباع أهواء الذين كذبوا بآيات الله أيا كان هذا المكذب ، قال تعالى :﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾ [١٠]

---

١) سبق ترجمته ص ٨٠
٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص١٩٧ .
٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٦٦/٢
٤) الراغب الأصفهانى ، مفردات ألفاظ القرآن ص٨٤٩ .
٥) سورة البقرة آية ١٢٠
٦) سورة الشوري آية ١٥
٧) السعدى ، تيسير الكريم الرحمن ص٥٤
٨) سورة الجاثية آية ٢٣
٩) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٣٥/١٩
١٠) سورة الأنعام آية ١٥٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ففي الآية أمر من الله لرسوله ﷺ بمواجهة المشركين المكذبين أن يقول لكل من حرم منهم ما أحله الله ثم نسبه إليه أن يحضروا شهداءهم الذين يشهدون بأن الله حرم هذا ، وفي ذلك تبكيت لهم (حيث يأمرهم بإحضار الشهود على أن الله حرم تلك الأشياء مع علمه أن لاشهود لهم)[١] ولما كان كل من يشهد على ذلك يعتبر أفاكا أثيما نهى الله تعالى نبيه ﷺ وأتباعه عن هذه الشهادة ، فلا يصدقهم بها ولا يسلم لهم ، لأن أصحابها كذبة جاهلون أهل زور ، وشهادتهم باطله ، ولما كانت أهواءهم دائرة بين الشرك والتكذيب بالحق نهى تعالى خيار خلقه عن اتباعهم وعن الشهادة معهم [٢]

وقد نهى الله نبيه عن اتباع الغافل عن ذكر الله المتبع هواه المتجاوز حدود الله ، قال تعالى :﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ [٣] ، ففي الآية أمر من الله لنبيه أن يصبر نفسه مع المؤمنين الذين يعبدون الله أول النهار وآخره مخالطا إياهم أيا كان حالهم (أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء)[٤] ، وأن لا يجاوز بصره عنهم إلى غيرهم طلبا لزينة الدنيا ثم نهاه – والنهي له نهي لأمته – عن اتباع كل غافل وطاعته لأن هواه يصيِّره إلى ما تشتهي نفسه حتى تصبح مصالح دينه ودنياه معطله ضائعة ، فقوله ﴿ ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ فيه(نهي جامع عن ملابسة شيء مما يأمره به المشركون والمقصود من النهي تأسيس قاعدة لأعمال الرسول ﷺ والمسلمين تجاه رغائب المشركين ، وتأييس المشركين من نوال شيء مما رغبوه من النبي ﷺ)[٥]

وللآية سبب نزول يتمثل في طلب أشراف قريش منه عليه السلام طرد الفقراء من مجلسه إن طمع في إيمانهم أو أن يفرد لهم مجلسا غير مجلسهم فطمع في ايمانهم فحدثته نفسه فيما طلبوا إليه فأنزل الله الآية[٦] ونهاه عن ذلك ونص القصة كما في صحيح مسلم بسنده ، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال :

١) محمد علي الشوكاني فتح القدير ٢٠٢/٢
٢) انظر السعدي تيسير الكريم الرحمن ص٢٤٢
٣) سورة الكهف آية ٢٨
٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٨٠/٣
٥) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ٣٠٦/١٥
٦) انظر النيسابوري أسباب النزول ص ٢٢٥

كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لايجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هزيل وبلال [١] ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفس رسول ﷺ ما يشاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله[٢] عز وجل ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾

ومن النواهي التي جاءت من الله لنبيه ﷺ عن اتباع أهواء المنحرفين عن الحق قوله : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ [٣]

يقول ابن كثير : (اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التي قبلها حكم برأسها قالوا ولا نظير لها سوى آية الكرسي فانها أيضا عشر فصول كهذه وقوله ﴿ فلذلك فادع ﴾ أى فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولى العزم وغيرهم فادع الناس إليه)[٤] واستقم كما أمرك الله على أمره وعبادته وتبليغ رسالته، ولاتتبع أهواء المشركين الباطلة وتعصباتهم الزائغة فيما اختلقوه وكذبوا فيه وافتروه من عبادة الأوثان[٥] واللام في قوله ﴿ فلذلك ﴾ يجوز أن يكون للتعليل ويجوز أن يكون للتقوية [٦] وعلى القول الأول يكون المعنى فلأجل كل ما سبق ذكره مما تقدم (من الأمر بإقامة الدين والنهي عن التفرق فيه وتلقي المشركين للدعوة بالتجهم وتلقي المؤمنين لها بالقبول والإنابة وتلقي أهل الكتاب لها بالشك أي فلأجل جميع ما ذكر فادع واستقم) [٧] ، والأمر بالدعوة والاستقامة للدلالة على الدوام والاستمرار عليها فالاستقامة اعتدال على الحق يشمل التقوى ومكارم الأخلاق ولأن الدعوة إلى الحق كمال لا يحصل إلا إذا كان الداعي مستقيما في نفسه[٨] .

ولما كان الاتباع يطلق مجازا على المجاراة والموافقة ، ويطلق على المحاكاة

١) هو بلال بن رباح الحبشي المؤذن اشتراه أبوبكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد فأعتقه فلزم النبي عليه السلام وأذن له وشهد معه جميع المشاهد وخرج مع الصحابة إلى الشام ومات هناك(انظر الإصابة ١/١٦٥.)
٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب في فضل سعد بن أبي وقاص ١٨٧٨/٤ (٢٤١٣)
٣) سورة الشورى آية ١٥
٤) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١٠٩/٤
٥) انظر الشوكاني فتح القدير ٦٠٧/٤ وابن كثير تفسير القرآن العظيم ١٠٩/٤
٦) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٦٠/٢٥
٧) المرجع السابق
٨) المرجع السابق ٦١/٢٥ بتصرف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمماثلة في العمل شمل هنا كلا الإطلاقين ليرجع النهي إلى النهي عن مخالفة الأمرين المأمور بهما [١] في قوله : ﴿ فادع واستقم ﴾ .

ولما كان الهوى مذموما بإطلاق في الغالب[٢] لأنه لا خير فيه كثرت آيات الله التي تنهى رسوله ﷺ والمؤمنين عن اتباعه أو اتباع أهواء الذين لايعلمون، قال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون ﴾[٣]

ففي الآية بيان من الله تعالى بأنه شرع (شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر)[٤] فهي الشريعة الواحدة التي تستحق كل هذا الوصف وما عداها فهو أهواء منبعه الجهل (وعلى صاحب الدعوة أن يتبع الشريعة وحدها ويدع الأهواء كلها، وعليه ألا ينحرف عن شيء من الشريعة إلى شيئ من الأهواء فأصحاب هذه الأهواء أعجز من أن يغنوا عنه من الله صاحب الشريعة ، وهم إلب عليه فبعضهم ولي لبعض وهم يتساندون فيما بينهم ضد صاحب الشريعة فلا يجوز أن يأمن في بعضهم نصرة له أو جنوحا عن الهوى الذي يربط بينهم برباطه ولكنهم أضعف من أن يؤذوه ، والله ولى المتقين)[٥]

فأمر الله نبيه باتباع الشريعة لأن فيها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح في الدارين ونهاه عن اتباع أهوية الذين لايعلمون لأنهم أصحاب جهل محض والشريعة التي أمر باتباعها هي (الدين والملة المتبعة مشتقة من الشرع وهو جعل طريق للسير، وسمي النهج شرعا تسمية بالمصدر وسميت شريعة الماء الذي يرده الناس شريعة لذلك)[٦] والشريعة هي الطريقة الظاهرة ولذلك (قيل لشريعة الماء شريعة لأنها أظهر طرقه إليه)[٧] ، قال الراغب[٨]: استعير اسم الشريعة للطريقة الإلهية تشبيها بشريعة الماء[٩] ثم علل تعالى النهي عن اتباع أهواء الذين لايعلمون بقوله ﴿ إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ﴾[١٠] يقول ابن عاشور :

١) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٦١/٢٥ بتصرف
٢)جاء هذا الاحتراز لأن الهوي يأتى أحيانا مقيدا بما فيه خير من ذلك قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قصة رأيه ورأي أبي بكر في أسرى بدر فهوي رسول الله ﷺ على رأي ابي بكر (انظر المحرر الوجز ابن عطية ١٩/٢ مؤسسة دار العلوم قطر الدوحة ط١ سنة١٤٠١هـ) وكذلك جاء في الحديث قوله (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)
٣) سورة الجاثية آية ١٨
٤)عبد الرحمن السعدى تيسير الكريم الرحمن ص٧٢٢
٥) سيد قطب ،في ظلال القرآن ٣٢٢٩/٥
٦) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٣٤٨/٢٥
٧) علي بن محمد الماوردي النكت والعيون تفسير الماوردى ٤٥/٢ مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، بدون ط
٨) الراغب اشتهر بلقبه فاختلف في اسمه أرجحها الحسين بن محمد المفضل كان إماما في اللغة مبرزا في زمانه له مصنفات منها المفردات والتفسير وغيرها توفى ٤٢٥ انظر الذهبي سير أعلام النبلاء ١٢٠/١٨ والاعلام ٢٥٥/٢
٩) الراغب الأصفهانى ، مفردات الفاظ القرآن ص٤٥٠
١٠) سورة الجاثية آية ١٩ .

ويتضمن تعليل الأمر باتباع شريعة الله فإن كونهم لا يغنون عنه من الله شيئا يستلزم أن في مخالفة ما أمر الله من اتباع شريعته ما يوقع في غضب الله وعقابه فلا يغني عنك اتباع أهوائهم من عقابه[١] وفي الآية أيضا تعريض للمسلمين أن يحذروا من أهواء الذين لا يعلمون [٢] .

١) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٣٤٨/٢٥-٣٤٩ .
٢) المرجع السابق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثاني

النهي من الله للمكلفين عن اتباع الباطل

فالله تعالى نهى المكلفين عن اتباع خطوات الشيطان وأبان لهم عداوته الشديدة وتربصه ليل نهار لإغوائهم وإبعادهم عن الصراط المستقيم ، قال تعالى :﴿ ياأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾[١] وقال تعالى :﴿ يأيُّها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [٢] وقال تعالى :﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾[٣] و قال تعالى :﴿ ياأيها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ...﴾[٤]

كما نهى تعالى المكلفين عن اتباع الهوى عموماً، واتباع أهوية أهل الضلال خصوصاً كاليهود والنصارى وغيرهم ، ونهاهم كذلك عن اتباع السبل المتفرقة ، بل عمم الباطل كله ونهاهم عن اتباعه لأن كل ما لم يكن حقاً فهو باطل ، قال تعالى : ﴿ ياأيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أوالوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلوو أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾[٥] ، وقال تعالى :﴿ ... ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾[٦] و قال تعالى :﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [٧] و قال تعالى :﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون﴾[٨]

-يتبين من الآيات السابقة أن الله تعالى أكد النهي عن قضيتين أساسيتين بشأن ما يخص المكلفين هما :

١- النهي عن اتباع خطوات الشيطان .

٢- النهي عن اتباع الهوى في غير هدى من الله .

١) سورة البقرة آية ١٦٨
٢) سورة البقرة آية ٢٠٨
٣) سورة الأنعام آية ١٤٢
٤) سورة النور آية ٢١
٥) سورة النساء آية ١٣٥
٦) سورة المائدة آية ٧٧
٧) سورة الأنعام آية ١٥٣
٨) سورة الأعراف آية ٣

لذا لزم بيانهما بنوع من التوسع لما لهما من الأهمية البالغة في حياة المكلف ، ذلك أن الهوى والشيطان من أبطل الباطل بل يكاد كل شر وباطل أصله ينبعث منهما ، بالهوى يقدم الإنسان شهواته على اتباع الحق، وطاعة مولاه أما الشيطان فهو ألد أعداء الإنسانية من لدن آدم إلى عصرنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فهو الذي رفض الأمر الإلهي بالسجود لآدم واستكبرعن اتباع الحق فطرده الله من رحمته تعالى وقد وصف الرسول ﷺ هدفه مع المكلفين بأبلغ عبارة فقال : (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك ؟ فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتدع أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفَرَس في الطِّول ، فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، ومن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة ..)[1] ، فإلى بيان خطوات الشيطان وتحذير الشارع من اتباعها .

---

١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٨٣/٣، وأخرجه النسائي فى كتاب الجهاد باب مالمن أسلم وهاجر وجاهد ٢١/٦ ، حسن اسناده ابن حجر فى الأصابه في ترجمة الراوي ٦٤/٣ ، وانظر الألبانى صحيح الجامع ٧٢/٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثالث

النهي عن اتباع خطوات الشيطان

الخطوات : جمع خطوة (الخاء والطاء والحرف المعتل المهموز يدل على تعدي الشيئ والذهاب عنه، يقال خطوت أخطو خطوة ، والخطوة ما بين الرجلين ، والخطوة: المرة الواحدة)[١] والخطوة: مسافة مابين القدمين عند الخطو ، ويقال اتبع خطاه : تبعه في المشي وغيره[٢] ، وفي القرآن قال تعالى : ﴿ ولاتتبعوا خطوات الشيطان ﴾[٣]

الشيطان : أصل مادته(شطن) : (الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح يدل على البعد ، يقال شطنت الدار تشطن شطونا إذا غربت)[٤] والشيطان : النون فيه أصلية وسمي بذلك لبعده عن الحق وتمرده وذلك أن كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان قال الشاعر(٥) :

أيام تدعونني الشيطان من غزلٍ وهن يهوينني إذ كنت شيطانا [٦]

وشيطن : صار كالشيطان أو فعل فعله ، وأشطنه : أبعده ، والشيطان: روح شرير مغو، أو كل متمرد مفسد[٧] ، واتباع خطوات الشيطان (إرسال النفس على العمل بما يوسوسه لها من الخواطر الشريرة)[٨] ، فمن أعظم المناهي التي نهى الله عنها في كتابه النهي عن اتباع خطوات الشيطان قال تعالى :﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [٩] ، فالخطاب بـ يا أيها الناس موجه إلى المشركين كما هو شأن خطاب القرآن بـ يا أيها الناس ، وبالتالي يكون هذا نداء عاما من الله تعالى للإنسانية كلها ، وهو النداء الثاني في كتاب الله[١٠] وفيه (يأمرهم بالانتفاع بالحلال الطيب الذي أوجده لهم في الأرض وأن يلتزموا حدود الله فيه فلا يقربوا شيئا مما حرمه الله عليهم منه وأشعرهم بأن الشيطان يحرص على تزيين المحرمات له

١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة خطوا ١٩٨/٢
٢) إبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط ٢٤٥/١
٣) سورة البقرة آية ١٦٨
٤) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة شطن ١٨٣/٣
٥) الشاعر هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبي أشعر أهل عصره كان هجاء مرا لم يثبت أمامه غير الفرزدق توفي سنة ١١٠هـ (انظر الأعلام ١١٩/٢)
٦)انظر ديوان جرير ص٥٩٧
٧) إبراهيم أنيس المعجم الوسيط مادة شطن ٤٨٣/١ .
٨) ابن عاشور التحرير والتنوير ١٠٣/٢
٩) سورة البقرة آية ١٦٨
١٠) لأن النداء الأول جاء في الآية ٢١ من نفس السورة وهو قوله تعالى (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلم تتقون)

ويدعوهم إلى السوء والفحشاء)[١] فالله تعالى نهى الناس عن(اتباع خطوات الشيطان وهى طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه)[٢] والخطوات جمع خطوة وهي المرة من خطا يخطو في مشيه[٣] ، والخطوة – بضم الخاء – اسم لنقل الماشي إحدى قدميه التي كانت متأخرة عن القدم الأخرى وجعلها متقدمة عليها[٤] والمقصود بالنهي عن اتباع خطوات الشيطان النهي عن الاستجابة له والانقياد إليه فيما يدعو له من معصية الله ومخالفة أمره ، فلا تغتروا بما يزينه لكم ، ولاتتبعوا سيرته في الإغواء ووسوسته بالسوء والفحشاء [٥] ، وعلل تعالى هذا النهي بكون الشيطان عدوا للناس بيّن العداوة .

ولهذا جاء النهي والتحذير من حبائله وخطراته ووساوسه وتزييناته وأعماله في مواضع كثيرة من كتابه قال تعالى :﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾[٦] وقال:﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾[٧] وقال: ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾[٨] .

والله تعالى بين ما يفيد إثبات العداوة من تعليل النهي فقال تعالى :﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ﴾ دون غيرهما من الحق والخير، فالسوء كل ما يسوء وقوعه أو عاقبته[٩] والفحشاء : كل فعل أو قول قبيح[١٠] وأن كل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء[١١] وفي آية سورة الأنعام ذكر الله العداوة بين الشيطان والإنسان بعدة مؤكدات ﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾ فهو تأكيد وراء تأكيد ولفت انتباه المؤمنين بشدة الحذر منه ومن وساوسه ودسائسه ونفثه ونفخه وهمزه ولمزه، وبعد كل هذا البيان والتحذير فإن من

---

١) عبد القادر شيبة الحمد ، تهذيب التفسير ٣٥٧/١
٢) اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن لعظيم ٢٠٣/١
٣) محمد رشيد رضا تفسير المنار ٨٨/٢
٤) محمد الطاهر بن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٨٧/١٨
٥) انظر عبد القادر شيبة الحمد تهذيب التفسير ٣٦٠/١ ، ومحمد رشيد رضا تفسير المنار ٨٨/٢
٦) سورة البقرة آية ٢٦٨
٧) سورة النساء آية ٦٠
٨) سورة المائدة(آية٩١)
٩) انظر محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ٨٨/٢
١٠) محمد الطاهر بن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٨٧/١٨
١١) محمد علي الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ١٨٣/١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يتبع خطوات الشيطان إنما ينسى أنه عدوّه وعدو آبائه من لدن آدم عليه السلام [١]

وفي آية سورة النور – وفي قصة حديث الإفك ينادي الله تعالى المؤمنين بنداء الإيمان وينهاهم عن اتباع خطوات الشيطان ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ...﴾[٢]

جاءت هذه الآية عقب الآيات العشر التي في قضية الإفك وهذا يشير إلى أن ما تضمنته تلك الآيات من المناهي وظن السوء ومحبة شيوع الفاحشة كله من وساوس الشيطان ، ولهذا اشتملت الآية على التحذير منه وأن من يفعل ذلك فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر أي بفعلهما لأن الشيطان يأمر الناس بالفحشاء والمنكر[٣] وعد حديث الإفك نموذجاً من هذا المنكر الذي جاء النهي عنه ثم ذكرهم تعالى بضعفهم وأنهم معرضون لنزغات الشيطان لولا لطف الله بهم ورحمته إياهم بتزكيتهم وتطهيرهم من الشرك وسائر المعاصي﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ﴾[٤] فنور الله إذا أشرف في قلب المؤمن طهره وزكاه وأثار اليقظة والحذر في نفسه ، وهذا لايكون إلا لمن اتجه إلى الله وسار على نهجه[٥] وفي آية سورة البقرة جاء نداء من الله تعالى لعباده المؤمنين وأمر مؤكد لهم بالدخول في الإسلام كافة ونهي لهم عن اتباع خطوات الشيطان قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾[٦] وفي تكرار قوله: ﴿ إنه لكم عدو مبين﴾ ما يفيد تأكيد التنفير عنه والتحذير منه فهو من أغش عباد الله لعبيد الله [٧]

قال ابن كثير: (يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله ﷺ أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك)[٨] وفسر السلف (السلم) تارة بالإسلام وتارة بالطاعة [٩]ومعنى (كافة) أي جميعاً بمعنى اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر وبعض المفسرين جعلها حالاً من

١) انظر عبد القادر شيبة الحمد تهذيب التفسير ٣٥/٢

٢) سورة النور آية ٢١

٣) انظر محمد الطاهر بن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٨٦/١١٠-١٨٧

٤) سورة النور آية ٢١

٥) انظر سيد قطب فى ظلال القرآن ٢٥٠٤/٤

٦) سورة البقرة آية ٢٠٨

٧) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢٤٨/١

٨) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢٤٧/١

٩) انظر المرجع السابق ٢٤٧/١

الداخـــلين أي ادخلوا في الإسلام كلكم[١] ورجح ابن كثير الأول حيث يقول: (ادخلوا في شرائع دين محمد ﷺ ولا تدعو منها شيئاً)[٢] ثم نهاهم عن اتباع خطوات الشيطان لأنه ينقل أتباعه من معصية إلى أعظم منها خطوة خطوة حتى يصبحوا من أصحاب السعير .

فينبغي أن تنفتح قلوب المؤمنين لهذا النداء ويفقهوا معانيه بعد الوقوف على مراميه خاصـــة أنـــه جاء من خالقهم الذي يحبهم والنداء والتحذير يكون له وقعه عندما يأتي من المحـــب[٣] وتـــتأكد عداوة الشيطان بتأكيد الله لها كما قال تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فـــاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾[٤] وقوله ﴿ ... أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴾[٥] ، والمعنى (أي بئـــــس مـــا اخـــتاروا لأنفسهم من ولاية الشيطان الذي لا يأمرهم إلا بالفحشاء والمنكر عن ولاية الرحمن، الذي كل السعادة والفلاح والسرور في ولايته)[٦] ، وكأن الآية تحمل عتاباً وذماً لـــلذين اســـتبدلوا الطاعة بالمعصية ووضعوا الشيء في غير موضعه بعد أن تبين لهم ما وجـــد من الشيطان من الإباء والفسق والاستكبار عن عبادة الله ومباينتهم بالعداوة البينة ، ومعـــلوم أن (اتخـــاذ إبـــليس وذريته أولياء يتمثل في تلبية دواعي المعصية والتولي عن دواعي الطاعة)[٧] .

---

١) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢٤٨/١
٢) المرجع السابق ٢٤٨/١
٣)انظر عبد الحميد البلالي البيان في مداخل الشيطان ص٤٩، مؤسسة الرسالة بيروت ط١سنة ١٤١٠هـ
٤) سورة فاطر آية ٦
٥) سورة الكهف آية ٥٠
٦) عبدالرحمن بن ناصر السعدي تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ص٤٢٩
٧) سيد قطب فى ظلال لقرآن ٢٢٧٥/٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الرابع

النهي عن اتباع الهوى

الهـــوى : ميـــل الـــنفس أو الطبع إلى كل ما يلائمه من شهوة أو غيرها ، قال ابن فـــارس: الهاء والواو والياء أصل صحيح يدل على خلو وسقوط[١] مأخوذ من هوى يهوى هوى وهواء وكله يستعمل في المعاني السلبية، وقد فسره مقاتل[٢] على خمسة وجوه[٣] :

١ــ هوى : بمعنى نزل قال تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ [٤]

٢ــ هوى : بمعنى هلك قال تعالى : ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾[٥]

٣ــ هوى بمعنى ما تشتهي الأنفس ، قال تعالى : ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾[٦]

٤ــ القائم بين الشيئين على غير شيئ قال تعالى: ﴿ لايرتد إليهم طرفهم وافئدتهم هواء﴾[٧]

٥ــ تهوي به الريح بمعنى تذهب قال تعالى : ﴿ أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾[٨]

فالهوى إذاً هو محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه مع ميلان نفسه إليه .

وفي الاصطلاح :(ميلان النفس إلى ما تتلذه من الشهوات من غير داعية الشرع)[٩] ، والهوى يدعو صاحبه إلى(اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة وبحـــــث على نيل الشهوات عاجلاً وإن كانت سبباً للألم والأذى في العاجل ومنع لذات في الآجل)[١٠] وســـمى الهوى بذلك لأنه : (يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية)[١١] وقد عظم الله تعالى ذم اتباع الهوى فى كتابه حتى قال ابن عباس ما ذكر الله عز وجل الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه[١٢] كيف لا وهو يؤدي بصاحبه إلى السقوط من العلو إلى السفل ولهذا قال الشعبي[١٣]: إنما سمي الهوى لأنه يهوي

---

١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة هوى ١٥/٦

٢) هـو مقـاتل بن سليمان بن بشير الخرساني أبوالحسن كبير المفسرين جرحه أصحاب التراجم ويتهمونه بالكذب له مؤلفات في التفسير والقراءات توفي عام ١٥٠هـ انظر الذهبـي سير اعلام النبلاء ج٢٠١/٧

٣) انظر مقاتل بن سليمان ،الاشباه والنظائر في القرآن الكريم ص٣٢٥٠١

٤) سورة النجم آية ١

٥) سورة طه آية ٨١

٦) سورة النازعات آية ٤٠

٧) سورة ابراهيم آية ٤٣

٨) سورة الحج آية ٣١

٩) على محمد الجرجانى ، التعريفات ص٣٢٠، دار الكتاب العربي ،بيروت ط٢سنة١٤١٣هـ

١٠) ابن الجوزي ، ذم الهوى،ص١٢،١٣ تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة ط١سنة١٣٨١

١١) سميح عاطف الزين ،مجمع البيان الحديث، ص٩٠٣،وانظر الراغب الأصفهانى مفردات الفاظ القرآن ص٨٤٩

١٢) انظر ابن الجوزي ذم الهوى ص١٢

١٣) هو عامر بن شرحبيل الشعبي الحميزي تابعي ولد عام ١٩هـ بالكوفة كان ذكيا نبيها توفى سنة١٠٣هـ انظر (ابن حجر تهذيب التهذيب ٦٥/٥)

بصاحبه[١] وقد جاء ذم اتباع الهوى في كثير من آيات الكتاب العزيز التي تجاوزت ((٣٨)) موضعاً وفيها ذكر الله النهي عن اتباع الهوى ، منها ما يخص نهي الرسول ﷺ كما سبق في المطلب الأول ومنها ما يخص نهي المكلفين كما سيأتي بيانه .

نهي كافة المكلفين عن اتباع الهوى:

ما من شك أن كل النواهي التي جاءت من الله إلى نبيه ﷺ في الآيات السابقة يكون غيره أسوته فيها لأن النواهي الموجهة للرسول ﷺ يدخل فيها سائر المكلفين من باب أولى، فالآيات التي خوطب بها النبي ﷺ وجاءت تنهاه عن اتباع الهوى وتحذره منه فالخطاب يكون له والمراد أمته لأنه ﷺ معصوم عن اتباع الهوى ، والكلام من باب التغليظ والتشديد في اتباع الأهواء وترك ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

يقول ابن عطية:[٢] في قوله تعالى: ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾[٣] (خطاب للنبي ﷺ والمراد أمته ، وما ورد من هذا النوع الذي يوهم من النبي ﷺ ظلماً متوقعاً فهو محمول على إرادة أمته لعصمة النبي ﷺ وقطعنا أن ذلك لا يكون منه فإنما المراد من يمكن أن يقع ذلك منه ، وخوطب النبي ﷺ تعظيماً للأمر)[٤] ومع ذلك فإن هناك آيات في كتاب الله جاءت تنص بمنطوقها نهي المكلفين عن اتباع الهوى .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلوو أو تعرضوا فإن الله بما تعملون خبيراً ﴾[٥]

فهذا نداء من الله تعالى لعباده المؤمنين يأمرهم فيه بأن يكونوا قوامين بالقسط وهو العدل لذات الله ووجهه ومرضاته ولا يصرفكم عن العدل صارف ولا تأخذكم في الله لومة لائم بل أدوا الشهادة بالحق ولو عاد ضررها عليكم فإذا سئلتم عن الأمر فقولوا فيه الحق فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجاً ومخرجاً من كل أمر يضيق عليه ، وإن كانت الشهادة على والديكم وقرابتكم فلا تراعوهم فيها بل اشهدوا بالحق وإن عاد ضرر ذلك عليهم

---

١) أخرجه الدارمي في سننه ١٢٠/١ برقم ٣٩٥

٢) هو أبومحمدعبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية الأندلسي تربى في بيت علم وفضل حتى أصبح مفسرا فقيها حافظاً محدثاً نحوياً شاعراً بليغاً(ت٥٤١) وقيل غير ذلك(نظر أحمد الضبي بغية الملتمس ص٣٧٦)

٣) سورة البقرة آية ١٤٥

٤) ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ١٨/٢ .

٥) سورة النساء آية ١٣٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لأن الحق حاكم على كل أحد[١]

يقـول ابن عطية : (وشهادة المرء على نفسه: إقراره بالحقائق وقوله الحق في كل أمـر وقيامـه بالقسط عليها كذلك ، ثم ذكر الوالدين لوجوب برهما وعظم قدرهما ثم ثنى بالأقـربين إذ هـم مظنة المودة والتعصب فجاء الأجنبي من الناس أحرى أن يقام بالقسط ويشـهد عليه)[٢] وإن كان المشهود عليه غنياً فلا يراعى لغناه أو للخوف منه ، وإن كان فقيـراً فـلا يراعى لفقره شفقة عليه فالله تعالى أولى بالنوعين وأعلم بما فيه صلاحهما[٣] (فـلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشئونكم بـل الزموا العدل على أي حال كان [٤] كما قال تعالى : ﴿ ولا يجرمنكم شنئآن قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [٥] ، ثم جاء النهي صريحا عن اتباع الهوى والذي يتناول موضوعات مختلفة وصنوفاً شتى ، ذكر في الآية بعضها والتي منها (حب الذات هـوى ، وحـب الأهل والأقربين هوى ، والعطف على الفقير في موطن الشهادة والحكم هـوى ، ومجامـلة الغـني هوي ، ومضارته هوى ، والتعصب للعشيرة والقبيلة والأمة والدولة والوطن في موطن الشهادة والحكم هوى ، وكراهة الأعداء ولو كانوا أعداء الدين في موطن الشهادة والحكم هوى ، وأهواء شتى الصنوف والألوان كلها مما ينهى الله الذين آمنوا عن التأثر بها والعدل عن الحق والصدق تحت تأثيرها)[٦]

ثـم بعـد هذا البيان والنهي عن اتباع الهوى يأتي التهديد والإنذار والوعيد الشديد من تحريف الشهادة وليها وتحريفها بالتغيير أو الكذب فيها أو كتمانها قال تعالى: ﴿ وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾[٧] .

ومن النواهي التي جاءت للمكلفين عن اتباع الهوى قوله تعالى: ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغـلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾[٨]

---

١) انظر ابن عطية الأندلسى ،المحرر الوجيز ٤/٢٥٥، وابن كثير تفسير القرآن العظيم ١/٥٦٥

٢) ابن عطية الأندلسى المحرر الوجيز ٤/٢٥٥

٣) انظر ابن عطية ، المحرر الوجيز ٤/٢٥٦

٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١/٥٦٥

٥) سورة المائدة آية : ٨

٦) سيد قطب في ظلال القرآن ٢/٧٧٦.

٧) سورة النساء آية١٣٥

٨) سورة المائدة آية ٧٧

في الآية أمر من الله لرسوله عليه السلام أن ينهى أهل الكتاب عن تجاوز الحد في الدين، وأن ينهاهم أيضا عن اتباع أهواء كل من مال عن الحق في نفسه وأضل عنه غيره، وهذا خطاب للنصارى الذين غلوا في عيسى عليه السلام، فتجاوزوا الحد في اتباع الحق وأطروا في من أمروا بتعظيمه فبالغوا فيه حتى أخرجوه عن النبوة إلى مقام الألوهية، وذلك اقتداء منهم بشيوخ الضلال الذين سبقوهم وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال(١) . ومن الغلو في تعظيم عيسى عليه السلام جاءت كل الانحرافات ، ولهذا جاء هذا النداء الرباني كإنقاذ أخير لأهل الكتاب ليخرجوا من الإنحرافات والاختلافات والأهواء والشهوات التي خاضوا فيها(٢) .

يقول ابن عطية:(ومعنى الآية لا تتبعوا أنتم أهواءكم كما اتبع أولئك أهواءهم، فالمعنىٰ: لا تتبعوا طرائقهم، والذي دعا إلى هذا التأويل أن النصارى في غلوهم ليسوا على هوى بني إسرائيل، هم بالضد في الأقوال وإنما اجتمعوا في اتباع نوع الهوى)(٣).

وذهب بعض المفسرين إلى تأويل آخر للآية، فيكون المعنى(يا أهل الكتاب من النصارى لا تتبعوا أهواء هؤلاء اليهود الذين ضلوا من قبل، أي ضل أسلافهم وهم قبل مجيء محمد عليه السلام، وأضلوا كثيرا من المنافقين، وضلوا عن سواء السبيل الآن بعد وضوح الحق)(٤) .

وأيا كان هذا المعنى فإن الأمر صدر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ أهل الكتاب من (اليهود)و(النصارى) عن تحذيرهم ونهيهم عن اتباع الأهواء، والنهي عن الشيء أمر بضده وهو الحق الذي جاء به محمد عليه السلام. قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه

---

١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٨٢/٢، وابن عطية، المحرر الوجيز٤/ ٥٣٣- ٥٣٤.

٢) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٩٤٦/٢.

٣) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز ٥٣٤/٤.

٤) المرجع السابق الصفحة نفسها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾(١).

وهكـــذا نجد أن النهي عن اتباع الهوى الموجه للرسول عليه الصلاة والسلام وأتباعه يأخذ صورا شتى:

تارة ينهى عن اتباع الهوى مطلقا ، وتارة ينهى عن اتباع أهواء(اليهود)و(النصارى) وتارة يـــنهى عـــن اتباع أهواء المشركين ، وتارة ينهى عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وتارة يـــنهى عـــن اتباع أهواء الذين كذبوا بآياتنا، وكل هذا يدل على خطورة اتباع الهوى وأنه يقود إلى العواقب السيئة والشرور العظيمة كالشركيات والمحرمات وسائر المعاصي فهو من الأمور التي تهلك الإنسان أو تقربه من الهلاك.

وكمـــا حـــذر كتاب الله من اتباع الهوى حذر نبي الله في سنته من اتباع الهوى منها قوله عـــليه الســـلام: (إن ممـــا أخشـــى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى)(٢)

وقولـــه عليه الصلاة والسلام:(ثلاث كفارات، وثلاث درجات، وثلاث مهلكات...إلى أن قال: وأما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع، واعجاب المرء بنفسه)(٣).

وبهـــذا يتبين عظم شأن اتباع الهوى وخطورته ذلك لأن جميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ولهذا كان يستعيذ دائما من اتباع الهوى فيقول:(اللهم أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء)(٤).

---

١)سورة المائدة آية ١٥-١٦

٢)أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٤٢٠، وصححه الألباني أنظر السنة لابن أبي عاصم ص١٢

٣) أخرجه البزار في كشف الأستار ١/٦٠٥٩، برقم ٨٠، وحسنه الألباني بمجموع طرقه أنظر السلسلة الصحيحة ٤/ ٤١٢، رقم ١٨٠٢

٤) أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات، باب أحاديث شتى ٥/٢٣٣، رقم ٣٦٦١

وهناك نواهي أخرى صدرت من الله إلى عباده حذرهم فيها من اتباع الباطل المتمثل في:

١-اتباع سبيل المفسدين

٢-اتباع السبل

٣-اتباع الشهوات

٤-اتباع الظن السيء

٥-اتباع المتشابه

٦- اتباع الآباء في غير الهدى

٧-اتباع غير ما أنزل الله.

وغيرها من أنواع النهي عن اتباع الباطل التي سيرد الحديث عنها في مبحث أنواع الاتباع للباطل من هذه الدراسة إن شاء الله تعالى .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

أسلوب الوعد والوعيد

المبحث الأول : أسلوب الوعد بالمثوبة على الاتباع للحـــق

المبحث الثاني : أسلوب الوعيد بالعقوبة على الاتباع للباطل

الفصل الثاني

أسلوب الوعد والوعيد

مدخـل

في القرآن الكريم ما لا يحصى من الآيات التي تنص على ما أعد الله تعالى للمكلفين من خلقه من الثواب على ما قدموه من صالح الأعمال كما أن هناك آيات كثيرة تتحدث على وعيد من اقترفوا السيئات والمعاصي والذنوب ابتداء من الشرك وانتهاء بسائر المعاصي ، وأخبر الله في كتابه أن الوعد يكون بالمغفرة والرضوان والتكريم ودخول الجنان وغير ذلك من أنواع الثواب ، وأن الوعيد يكون بلعنة أو طرد أو غضب أو إيصال ضرر أو تفويت نفع أو دخول النار أو غير ذلك من أنواع العقاب[١] ومن نعم الله على عباده إذا وعدهم على عمل صالح أنجزه لهم تكرماً منه وتفضلاً فلا يخلف وعده كما قال تعالى : ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾[٢] وكما قال : ﴿ .. ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾[٣] وأخبر الرسول ﷺ بقوله : " من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار " [٤]

ويذكر ابن تيمية رأي أهل السنة في الوعد : (أنه لابد أن يثيب المطيعين كما وعد فإن الله لا يخلف وعده)[٥] بل ينقل ما اتفقوا عليه فيقول : (واتفقوا على أن الله تعالى إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجباً بحكم وعده فإنه الصادق في خبره الذي لا يخلف الميعاد)[٦] وأما الوعيد فهو متحقق في الكافرين والمشركين إن لم ينتهوا عن ذلك .

وفي حق عصاة المؤمنين تحت المشيئة الربانية فقد يقع جزاء وعدلاً وقد يتخلف في حق بعض العصاة لانتفاء الشروط أو وجود الموانع ، وهذا هو المذهب الوسط الذي ينبغي اتباعه والسير عليه لأنه مذهب أهل الاتباع الحق حيث قالوا : (يجوز أن يعفو الله عن المذنب ، وأن يخرج أهل الكبائر من النار فلا يخلد فيها من أهل التوحيد أحداً)[٧]

١) انظر عبد العزيز المجدوب أفعال العباد في القرآن ص٤٥٩،الدار العربية للكتاب بدون ط سنة١٩٨٣م .
وانظر عبد العزيز محمد على نواقض الإيمان القولية والعمليه ص٣٢٠ ، دار الوطن ، الرياض ط١ سنة١٤١٤هـ .
٢) سورة الروم آية ٦
٣) سورة الأحقاف آية ١٦
٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٨٣٨/٢ ، وابن ابى عاصم في السنة ص٩٦٠ واسماعيل الاصفهانى في الحجة في بيان المحجة ، ٧١/٢ ، وحسنة الالبانى في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٤٦٣ .
٥) أحمد بن عبد الحليم ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص٥٠
٦) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية منهاج السنة النبوية ٣١٥/١ مكتبة العروبة ، القاهرة سنة١٣٨٢هـ .
٧)المرجع السابق ٣٢٨/١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبهذا يتبين أن الوعد والوعيد حق وهو أسلوب من أساليب القرآن الكريم في اطماع المكلفين بالإحسان في المستقبل أ وتخويفهم بسوء المجازاة لتحذيرهم من الوقوع في المخالفات ، فالوعد حق العباد على الله ، والوعيد حق الله على العباد وذلك لأن (إخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد ولا يجوز عليه خلف الوعد ، والفرق بينهما أن الوعيد حقه ، فإخلافه عفو وهبة وإسقاط ذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه ، والوعد حق عليه ، أوجبه[١]على نفسه والله لا يخلف الميعاد) [٢] وعلى هذا يجب الإيمان بجميع نصوص الوعد والوعيد والتسليم لها وإجلالها وتعظيمها لورودها في الكتاب العزيز وقد التزم سلف الأمة بهذا التسليم لهذه النصوص ٠

والمقصود هنا أن نتناول الوعد والوعيد كأسلوب من أساليب القرآن في بيان الاتباع بين التوسط والتطرف ٠

---

١) يرى أهل السنة – أن الله أوجب على نفسه إتمام الوعد بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق لأنّ العبد لايستحق بنفسه على الله شيئاً(انظر ابن تيمية المنتقى من منهاج الاعتدال ص٥٠

٢)ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ٣٩٦/١ مطبعة السنة المحمدية طبعه سنة١٣٧٥ ٠

المبحث الأول

أسلوب الوعد بالمثوبة على الاتباع للحق

المطلب الأول : الوعد بنفي الخوف والحزن عن المتبع

المطلب الثاني : الوعد بنفي الضلال والشقاء عن المتبع

المطلب الثالث : الوعد بالنصر

المطلب الرابع : الوعد بالمغفرة

المطلب الخامس : الوعد بالجنة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الأول

الوعد بنفي الخوف والحزن عن المتبع

الوعد : (الواو والعين والدال كلمة صحيحة تدل على ترجية بقول ، يقال وعدته أعده وعدا ، ويكون ذلك بخير وشر)[١]، وعده الأمر وبه عدة ووعدا وموعدا وموعدة وموعودا وموعودة)[٢]، والوعد من المصادر المجموعة ويكون مصدرا واسما وليس له جمع ، والوعد في أصل لغة العرب يستعمل في الخير والشر ويعدى بنفسه وبالباء تقول وعدته شرا فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير الوعد والعدة [٣]

وحقيقة الوعد : هو الخبر المتضمن إيصال النفع إلى الغير أو دفع الضرر عنه في المستقبل ، فهو إطماع بالمثوبة للمؤمنين الطائعين لله تعالى المتبعين لشرعه ، فمن الوعد بالخير قوله تعالى : ﴿ أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه ﴾[٤] ، ومن الوعد بالشر قوله تعالى : ﴿ قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا ﴾[٥]

فالوعد إطماع بإثابة المكلف في المستقبل على إحسان يقع منه بنية التقرب إلى الله وآيات الوعد في كتاب الله كثيرة لكن نقتصر منها على تناول ما يخص آيات الاتباع بنوعيه الاتباع الحق الممدوح والاتباع الباطل المذموم ٠

الخوف: خاف يخاف خوفا وخيفة ومخافة وقوم خوف وخائفون[٦] فهو (توقع حلول مكروه أو فوت محبوب ، ويقال خافه على كذا وخاف منه وخاف عليه فهو خائف) [٧] فالخوف إذا هو: (توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة)[٨] ، والخوف ضد الأمن ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية فالمؤمن يخاف من عذاب الله لذلك تجده دائما يدعو ربه خوفا وطمعا ، وحقيقه الخوف ليس هو ما يخطر ببال الإنسان من الرعب الذي يصيبه عندما يرى أسدا مفترسا وترتعش لذلك أطرافه ، إنما هو الكف عن معاصي الله

١)ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة وعد ١٢٥/٦ ٠
٢) ابن منظور لسان العرب باب الدال فصل الواو ج٤٦١/٣
٣) انظر الأصفهانى مفردات ألفاظ القرآن مادة وعد ص٨٧٥ ، والمصباح المنير ص٨٣٠ ومختار الصحاح ص٧٢٨
٤) سورة القصص آية ٦١
٥) سورة الحج آية ٧٢
٦)انظر محمد الراوى ، مختار الصحاح مادة خوف ص١٩٣ وإبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط مادة خوف ٢٦٢/١
٧)إبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط ٢٦٢/١
٨)الراغب الأصفهانى ، مفردات الفاظ القرآن ص٣٠٣

واتـــباع مـــنهجه واختيار الطاعة ولهذا (لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً)[١] والله تعـــالى وعـــد بـــنفي حصـــول الخوف عن المكلف مما يمكن أن يتوقعه من المكروه في المستقبل إن هو اتبع الحق والتزم به ، قال تعالى: ﴿فمن تبع هداي فلاخوف عليهم ﴾[٢]

الحـــزن : حَـــزَن الأمرُ فلاناً – حزناً : غمَّه ، فالحُزن والحزن ضد السرور تقول حَـــزِنَ، وحزن، وحزين ومحزون : أي مغموم[٣] وأصل الحُزْن والحَزَن : الخشونة سواء كـــانت في الأرض أو في النفس ، يقول الراغب : (الحزن والحزن : خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم)[٤]

والحـــزن : ضـــده الفرح ، ويكون على الأمر الماضي والفائت قال تعالى : (لكيلا تحـــزنوا على ما فاتكم)[٥]والحزن عكس الخوف فالخوف يكون من المستقبل والحزن على مـــا مضـــى قال تعالى : ﴿ فلاخوف عليهم ﴾ فيما يستقبلونه من أمر الآخرة[٦] ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا[٧] وكما وعد تعالى بنفي الخوف عن المتبع لهداه وعـــد كذلـــك بنفي الحزن عنه ، وجمع بينهما في كثير من آيات كتابه مقدماً الخوف على الحزن وذلك (لأن زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات وزوال الحزن يقتضي الوصـــول إلى كل اللذات والمرادات وقدم عدم الخوف على عدم الحزن لأن زوال ما لا ينـــبغي مقدم على طلب ما ينبغي وهذا يدل على أن المكلف الذي أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف في القبر ولاعند البعث ولا عند حضور الموقف ولاعند تطاير الكتب ولاعند نصب الموازين ولا عند الصراط)[٨] كما قال تعالى : ﴿ لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾[٩]

وبهذا يتبين أن الله تعالى وعد بوعده الحق بنفي الخوف والحزن عن عباده المتبعين لهداه المتقين فيه في آيات كثيرة ومواضع مختلفة من كتابه بلغـــت

١) المرجع السابق ص٣٠٣

٢) سورة البقرة آية ٣٨

٣) انظر محمد الرازي ، مختار الصحاح مادة حزن ص١٣٥ ، وإبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط مادة حزن ١٧١/١

٤ ، ٥) الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣١

٦) سورة آل عمران آية ١٥٣

٧) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١٢١/١

٨) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ٢٦/٣

٩) سورة الأنبياء آية ١٠٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أربعة عشر موضعا أولها قوله تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[١] ، فمن اتبع بيان الله الذي بينه على ألسنة رسله واقتفى أثره بحق علما وعملا فأقدم على ما يلزم الإقدام وأحجم عما يحرم فإنه والحالة هذه يصير إلى حال لاخوف فيها ولا حزن، يأمن في أهوال القيامة من عقاب الله وعذابه ، فيترتب على المتبع لهدى الله نفي الخوف والحزن وإذا انتفيا عنه ثبت له ضدهما وهو الأمن التام والهدى والسعادة ومن كان كذلك فقد انتفى عنه كل مكروه وحصل له كل مرغوب واندفع عنه كل مرهوب [٢]

وهذا الوعد ليس خاصا بأمة أوجماعة دون آخرى بل عام لكل من حقق ذلك الشرط أيا كان يهوديا أو نصرانيا أو صابئيا أو عربيا أو عجميا أو غيره ولهذا يقول تعالى مبينا ذلك قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين[٣]من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [٤] فأخبر تعالى (أن المؤمنين من هذه الأمة واليهود والنصارى والصابئين من آمن بالله وباليوم الآخر وصدقوا رسلهم فإن لهم الأجر العظيم والأمن ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأكد ذلك في آية أخرى فقال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[٥] فهؤلاء الطوائف الأربعة إن اتقوا الله وصدقوا رسله واتبعوا كتابه وتزودوا بالأعمال الصالحة وعدهم الله تعالى بالأمن التام ٠

ومن أراد من الله أن يحقق له ما وعده به فعليه أن يحقق ما شرطه عليه فيسلم وجهه لله ويحسن في عبادته لأن العمل لا يقبل إلا بشرطين :ـ

١- أن يكون صوابا خالصا لله تعالى٠

٢- أن يكون صوابا موافقا للشريعة [٦]

ولهذا قال ﷺ : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "[٧]

١) سورة البقرة آية ٣٨

٢) انظر الطبرى ، جامع البيان ٢٤٨/١ ، والسعدي تيسير الكريم الرحمن ص٣٢ ٠

٣) اختلف فيهم قال مجاهد : قوم بين المجوس واليهود والنصارى وليس لهم دين ، وقال ابن راهويه : فرقة من أهل الكتاب يقرون الزبور ، وقال الحسن : قوم يعبدون الملائكة (انظر ابن كثير ١٤٨/١-١٤٩) ورجح السعدي : أنهم من جملة فرق النصارى ص٣٦

٤) سورة البقرة آية ٦٢

٥) سورة المائدة آية ٦٩

٦) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢١٤/١

٧) سبق تخريجه ص ٧٨

فالإخلاص لله تعالى والمتابعة للرسول ﷺ شرطان أساسيان لقبول العمل لا بالدعاوي ولا بالأماني كما قال تعالى : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾[١] فمن أسلم وأحسن وأخلص واتبع فالله وعده بنفي الخوف والحزن عنه كما قال تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهومحسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[٢] إن حصول المرغوب والنجاة من المرهوب غاية يسعى لها أولوا الألباب وهي غاية غالية لها ثمن يقدمه كل من طلبها فمن ثمنها الإيمان الحق ، العمل الصالح إقام الصلاة إيتاء الزكاة ، قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[٣] ومن ثمنها الجهاد في سبيل الله تعالى فالشهداء مغتبطون بما نالوا من الله من فضله وإحسانه حيث جمع لهم بين نعيم البدن والروح وأصبح يبشر بعضهم بعضا بزوال المحذور عنهم المستلزم كمال السرور[٤] ، قال تعالى: ﴿ ... فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٥] ومن ثمنها اتباع المرسل والإيمان بالله والإصلاح لأن الإيمان والصلاح سبب لنفي الخوف والحزن قال تعالى : ﴿ ... فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾[٦] ، وكذلك التقوى والصلاح سبب لنفي الخوف والحزن قال تعالى : ﴿ ... فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[٧] وبالدخول في ولاية الله يتحقق للمكلف وعد الله له بنفي الخوف والحزن عنه قال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾[٨] ومن حصل على التقوى فقد حصل على آلة النجاة التي توصل المكلف إلى دار السلام .

١) سورة النساء آيتي ١٢٣-١٢٤

٢) سورة البقرة آية ١١٢

٣) سورة البقرة آية ٢٧٧

٤) انظر عبد الرحمن السعدي : تيسير الكريم الرحمن ص١٢٤

٥) سورة آل عمران آية ١٧٠ .

٦) سورة الانعام آية ٤٨ .

٧) سورة الاعراف آية ٣٥ .

٨) سورة يونس الآيات ٦٢-٦٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبها يتحقق وعد الله بالأمن التام والنجاة من عذابه قال تعالى : ﴿ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾[١] وبالاستقامة على الحق يتحقق وعد الله بالحصول على المرغوب واندفاع كل مرهوب قال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [٢]

والله تعالى يبشر المستقيمين على صراطه المستقيم الراضين بربوبيته المستسلمين لأوامره في الدنيا والآخرة فينزل عليهم ملائكته عند الاحتضار يخبرونهم بزوال الخوف والحزن عنهم وثبوت الجنة لهم [٣] قال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾[٤] وبهذا يجد المتأمل أن وعد الله تعالى يتحقق للمؤمن المستقيم المجاهد ، المصلح المتقي بزوال المحذور وانتفاء المكروه واندفاع المرهوب وحصول المرغوب مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عن ربه بقوله : " أعددت لعبادي الصالحين "[٥] فذكره .

---

١) سورة الزمر آية ٦١
٢) سورة الأحقاف آية ١٣
٣) انظر عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٦٩٤
٤) سورة فصلت آية ٣٠
٥) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة انظر الفتح ٣١٧/٦ برقم ٣٢٤٤ ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢١٧٤/٤ رقم ٢٨٢٢

المطلب الثاني

الوعد بنفي الضلال والشقاء عن المتبع

الضلال : ضل : الشيء ضاع وهلك[١] : ضل: ضلا، وضلالا وضلالة: خفي وغاب وضل الشيئ في الشيئ، وضاع وتلف وهلك ، وضل: بطل وذهب ، وضل سعيه : عمل عملا لم يعد عليه نفعه أوذهب هباء[٢] فالضلال في اللغة يطلق على معان كثيرة منها :ـ الضياع ، الهلاك ، الخفاء ، الغياب ، البطلان ، الضياع ، التلف ، الذهاب ، وغيرها كالنسيان والعدول عن الطريق السوي ٠

والضلال : في الاصطلاح ضد الهداية ، وهو(العدول عن الطريق المستقيم)[٣]

فكل عدول عن المنهج هو ضلال سواء كان عمدا أوسهوا يسيرا كان أو كثيرا[٤] ، فإن الصراط المستقيم الذي هو المرتضى صعب جدا لقوله ﷺ : " استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولايحافظ على الوضوء إلا مؤمن "[٥] ، والضلال يأتى في القرآن تارة بمعنى الحيرة قال تعالى : ﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾[٦] ، ويأتى بمعنى الضياع ، قال تعالى : ﴿ ألم يجعل كيدهم في تضليل ﴾[٧] ، ويأتى بمعنى النسيان قال تعالى في آية الدين : ﴿ ٠٠٠ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ٠٠٠ ﴾[٨]

والمقصود بنفي الضلال هنا عن المتبع لهدى الله هو العدول عن صراط الله المستقيم ومنهاجه القويم.

الشقاء : والشقاوة بالفتح ضد السعادة[٩] ، شقاه شقوا : أوقعه في الشقاء ، وشقي شقا وشقاء : تعس وساءت حاله ، وشقي : تعب واشتد عناؤه ،وفي التنزيل : ﴿ فأما الذين شقوا ففي النار ٠٠ ﴾[١٠] ، شاقي الشيء مشاقاة وشقاء : قاساه واحتمل عناءه ٠

---

١) محمد الراوي ، مختار الصحاح مادة ضلل ص٣٨٣ ٠؟!
٢) إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط مادة ضل ٥٤٢/١ باختصار
٣) الراغب الأصفهانى مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٩
٤) المرجع السابق ص٥٠٩-٥١٠ بتصرف قليل ٠
٥) أخرجه مالك في الموطأ ٣٤/١ وأحمد في المسند ٢٨٠/٥ والحاكم في المستدرك ١٣٠/١
٦) سورة الضحى آية ٧
٧) سورة الفيل آية ٢
٨) سورة البقرة آية ٢٨٢
٩) محمد الرازي ، مختار الصحاح مادة شقى ص٣٤٣-٣٤٤
١٠) سورة هود آية ١٠٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن معاني الشقاء في اللغة : التعب ، الشدة ، العناء ، العسر ، المحنة ، الضلال ، غير السعادة ، غير الاهتداء إساءة الحال ، والشقاوة : ضد السعادة ، والشقاء تعاسة تصيب الإنسان فتورده المهالك وهي تخلف معونة الله للإنسان وإيكاله إلى نفسه فيشتد عناؤه ويسوء أمره ، والشقي هو المتلبس بالشقاوة التي هي الأحوال السيئة وما ينافر طبع المتصف بها[١] والناس ينقسمون إلى قسمين حسب مصيرهم لا ثالث لهما : شقي وسعيد قال تعالى : ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ﴾[٢]

والله تعالى وعد عباده إن هم آمنوا برسله واتبعوا هداه أن يضمن لهم الهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة لأنه تعالى نفى عن كل من اتبع هداه الضلال والشقاء فقال : ﴿ .. فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾[٣] ففي الآية (وصاية الله آدم وذريته باتباع رسل الله والوحي الإلهي وبذلك يعلم أن طلب الهدى مركوز في الجبلة البشرية)[٤] ، فيقول الطبري : فإن يأتكم يا آدم وحواء وإبليس مني هدى يقول : بيان لسبيلي ، وما أختاره لخلقي من دين (فمن اتبع هداي) يقول فمن اتبع بياني ذلك وعمل به ولم يزغ عنه (فلايضل) يقول : فلا يزول عن محجة الحق ، ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدي (ولايشقى) في الآخرة بعقاب الله لأن الله يدخله الجنة وينجيه من عذابه)[٥] قال ابن عباس: تضمن الله لمن قرأ القرآن ، واتبع مافيه أن لايضل في الدنيا ولايشقى في الآخرة ثم تلا الآية [٦]

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : " من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة في الدنيا ، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة "[٧] وذلك أن الله يقول (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) لما رتب تعالى على اتباع هداه في آية سورة البقرة نفي الخوف والحزن رتب هنا في آية سورة طه نفي الضلال والشقاء عنه .

---

١) انظر ابن عاشور تفسير التحرير و التنوير ١٦٤/١٢

٢) سورة هود آية ١٠٥

٣) سورة طه آية ١٢٣

٤) ابن عاشور تفسيرّ التحرير والتنوير ٣٣٠/١٦

٥) الطبري ، جامع البيان ٢٢٤/٩-٢٢٥

٦) الطبري ، جامع البيان ٢٢٥/٩

٧) أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني وأبونعيم في الحلية وابن مردويه انظر مصنف ابن أبي شيبة ١٢٦/٦

وبهذا يعلم أن كل من استقام على الحق واتبع هدى الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، فإنه يتحقق له وعد الله بحصول الأمن التام الذي لا يعتريه خوف من المستقبل ولا حزن على مافات ، كما يتحقق له الأمان من الضلال والسلامة من الشقاء ، فيحصل على الهداية التي من لازمها السعادة في الدارين ، فمن سلم من الضلال فقد سلم من الشقاوة وذلك لأن الشقاوة ثمرة الضلال، ونفيها عن المتبع لهدى الله في الآية يتضمن حصول السعادة له في الدارين ، كما يتضمن سلامة نفسه وبدنه عن الشقاء .

والله تعالى نفى عن نفسه إضلال المؤمن فقال تعالى : ﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾[١]

---

١) سورة التوبة آية : ١١٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثالث

الوعد بالنصـــــــــر

النصر : نصره على عدوه ينصره نصرا ، والاسم : النصرة ، والنصير ، والنـاصر ، وجمعه أنصار[١] ، والنصر : التأييد والإعانة ، ونصره : نجاه وخلصـــه ، ونـــاصره : نصر أحدهما الآخر ، وانتصر : امتنع من ظالمه ، وعلى خصمه : استظهر ومنه انتقـــم وتناصر القوم : نصر بعضهم بعضا ، واستنصر بفلان : استغاث به [٢]

والنصر يطلق على أربعة أوجه :

١- النصر : يعني المنع قال تعالى:﴿ ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون﴾[٣]

٢- النصر : يعني العون قال تعالى : ﴿ وإن قوتلتم لننصركم ﴾[٤]

٣- النصر : يعني الظفر قال تعالى : ﴿ وما النصر إلا من عند الله﴾ [٥]

النصر : يعني الانتقام قال تعالى: ﴿ ولو يشاء الله لا نتصر منهم ﴾[٦][٧]

فالنصر هو : تأييد الله وإعانته للمتبعين هداه بإعطاء الظفر على عدوهم ، وهو مـــن الخير الذي وعد به تعالى أن يعطيه لعباده الناصرين لدينه ، ونصرة الدين تتحقق بحفـــظ حدوده ورعاية عهوده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه قال تعـــالى : ﴿ إن تنصـــروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾[٨] ، إن النصر على الأعداء والظفر بهم من أسمى الأماني التي تطلبها الأمة وهو لا يأتي بيسر وسهولة بل لابد من شروط تتحقق فيمن يطلـــب النصـــر كالإيمان بالله والاعتماد عليه واتباع شرعه مع بذل الأسباب التي شرعها الله وأمر بها ٠

إن حقيقة النصر تكمن بالوفاء للعقيدة ، والتزام كلمة التقوى والخروج من كل حول وقوة إلى حول الله وقوته، والانتصار على النفس برعاية حدود الله والوفاء

---

١) محمد الرازي ، مختار الصحاح مادة نصر ، ص٦٦٢

٢) إبراهيم أنيس ، وآخرون المعجم الوسيط ، مادة نصر ٩٢٥/٢ وانظر الفيروز آبادي بصائر ذوى التميز ٦٩/٥

٣) سورة البقرة آية : ٤٨

٤) سورة الحشر آية : ١١ ٠

٥) سورة آل عمران آية ١٢٦ ٠

٦) سورة محمد آية ٤ ٠

٧) انظر سليمان القرعاوي الوجوه والنظائر في القرآن ص٦١٨-٦١٩ ٠

٨) سورة محمد آية ٧

بشروطه، وبذلك لا يتخلف وعده تعالى الذي وعدهم به ما تمسكوا برسالتهم واتبعوا نهج رسولهم[١]

فهو لم يختص بأمة دون أخرى بل يدور تحقيقه على من وفّى بالشرط قال تعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾[٢] ولهذا يقول تعالى في أتباع نبي الله عيسى ﴿ إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾[٣] ، فالذين اتبعوا عيسى هم الذين اتبعوا ما جاءهم به (وهم خلص أصحابه الذين لم يبلغوا في الغلو فيه إلى ما بلغ من جعله إلها.

ومنهم المسلمون فإنهم اتبعوا ما جاء به عيسى عليه السلام ووصفوه بما يستحقه من دون غلو)[٤] والمراد بالفوقية في قوله (فوق الذين كفروا) هي فوقية الظهور والانتصار وهي فوقية دنيوية بدليل قوله (إلى يوم القيامة)[٥] والله تعالى وعد بنصر الذين اتبعوا منهاجه واقتفوا أثر رسله على كل من خالفهم في المنهج فالمؤمنون في ميزان الله فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة وذلك إذا واجهوا معسكر الكفر بحقيقة الإيمان وحقيقة الاتباع أما إن تركوا ذلك الجهاد فقد تخلف عنهم الوعد بالنصر وبذلك يصبحون في مؤخرة الركب لا يعبأ بهم ولا يسمع لهم ولا ينظر إليهم بل يصبح دمهم رخيصاً وعرضهم مهاناً ، وتتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها [٦] كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ .

إن حكمة الله تعالى عادلة حيث اقتضت (أن من تمسك بالدين نصره الله النصر المبين وأن من ترك أمره ونهيه ونبذ شرعه وتجرأ على معاصيه أنه يعاقبه ويسلط عليه الأعداء)[٧] ، فالوعد بالنصر على الأعداء من أكبر نعم الله تعالى على عباده كما أن كف بسط أيدي الأعداء من النعم الجليلة قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل

---

١) انظر عبدالله غواشه ، الجهاد طريق النصر ص١٧١ وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية دون ط سنة١٣٩٦هـ وانظر محمد فهمي عبد الوهاب ، مقومات النصر في بدر وفتح مكة ص٨ دار الاعتصام دون ط ولاتاريخ .
٢) سورة الحج آية ٤٠
٣) سورة آل عمران آية : ٥٥
٤) الشوكاني ، فتح القدير ٣٨٣/١
٥) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٦٠/٣
٦) انظر الامام احمد المسند ٣٥٩/٣ ، ٢٧٨/٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المؤمنون ﴾[١] ، ففي الآية حث لهم على تذكير هذه النعمة فكما أنهم (يعدون قتلهم لأعدائهم وأخذ أموالهم وبلادهم وسبيهم نعمة ــ فليعدوا أيضا إنعامه عليهم بكف أيديهم عنهم ورد كيدهم في نحورهم نعمة فإن الأعداء قد هموا بأمر وظنوا أنهم قادرون عليه فإذا لم يدركوا بالمؤمنين مقصودهم فهو نصر من الله لعباده المؤمنين)[٢]

ومن الوعود الصادقة بالنصر على الأعداء والاستخلاف في الأرض وتمكين الدين فيها ، واستبدال الخوف إلى الأمن التام وذلك كله يحصل بعد تحقق الشرط وهو الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح ، والبعد عن الشرك جليه وخفيه، قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [٣]

نزلت هذه الآية الكريمة والمسلمون مستضعفون في الأرض فخاطبهم الله تعالى بها ووعدهم وعدا صادقا مقيدا بشروطه وأخبرهم بتبدل حالهم إلى نصر وقوة وعزة وامتداد حكمهم زمانا ومكانا كما أنزل على بني إسرائيل أمثالهما وهم في حالة ضعف وذلة كقوله تعالى : ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها ﴾[٤] وقوله: ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾[٥]

والوعد بالاستخلاف : وعد بامتداد الحكم بالدعوة والجهاد والهيمنة (وقد كان المسلمون واثقين بالأمن ولكن الله قدم على وعدهم بالأمن أن وعدهم بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والشريعة فيهم تنبيها لهم بأن سنة الله أنه لا تأمن أمة بأس غيرها حتى تكون قوية متينة مهيمنة على أصقاعها .

ففي الوعد بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمنا إيماء إلى التهيؤ لتحصيل أسبابه مع ضمان التوفيق لهم والنجاح إن هم أخذوا في ذلك وأن ملاك ذلك هو طاعة الله والرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا﴾[٦] وإذا حل الاهتداء في النفوس نشأت

---

١) سورة المائدة آية : ١١
٢) عبدالرحمن السعدى ، تيسير الكريم الرحمن ص١٨٧
٣) سورة النور آية : ٥٥
٤) سورة الأعراف آية : ١٣٧
٥) سورة القصص آية ٥
٦) سورة النور آية : ٥٤

الصالحات فأقبلت مسبباتها تنهال على الأمة فالأسباب هي الإيمان وعمل الصالحات)[١] والوعد بالتمكين : بأن يكون الدين ظاهرا على الأديان كلها [٢] ويكون التمكين بانتشار الدين (في القبائل والأمم وكثرة متبعيه ، استعير التمكين الذي حقيقته التثبيت والترسيخ لمعنى الشيوع والانتشار لأنه إذا انتشر لم يخش عليه الانعدام فكان كالشيء المثبت المرسخ وإذا كان متبعوه في قلة كان كالشيئ المضطرب المتزلزل)[٣] ، وقد حصل هذا التمكين في زمن الصحابة رضى الله عنهم فما بعده حيث كانوا في خوف شديد تتكالب عليهم قوى الشر من كل جهة فبدل الله خوفهم أمنا ودانت لهم كل الدنيا قال تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون ﴾[٤] وقد نقل ابن جرير ما ذكر من أن آية سورة النور نزلت على الرسول ﷺ (من أجل شكاية بعض أصحابه إليه في بعض الأوقات التي كانوا فيها من العدو في خوف شديد مما هم فيه من الرعب والخوف ، وما يلقون بسبب ذلك من الأذى والمكروه)[٥] وذكر بإسناده عن أبي العالية[٦] قوله: " مكث النبي ﷺ عشر سنين خائفا يدعو إلى الله سرا وعلانية قال ثم أمر بالهجرة إلى المدينة قال فمكث بها هو وأصحابه خائفون يصبحون في السلاح ويمسون فيه، فقال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال النبي ﷺ لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبيا فيه ليس فيه حديدة ، فأنزل الله هذه الآية[٧] (وعد الله الذين آمنوا منكم) ، فهي من وعود الله الصادقة التي شوهد تأويلها حيث وعدهم تلك الأمور (وقت نزول الآية وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها والتمكين من إقامة الدين الإسلامي والأمن التام بحيث يعبدون

---

١) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٨٢/١٨-٢٨٣

٢) محمد الأمين محمد المختار الشنقيطى تفسير سورة النور ص١٨٤ دار المجتمع للنشر جدة ط١ سنة١٤١٠هـ .

٣) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٨٧/١٨

٤) سورة الصف آية ٩ .

٥) ابن جرير الطبري جامع البيان ١٥٩/١٠

٦) هو رفيع بن مهران كان إماما مقرئا حافظا أبو العالية الرياحي أسلم في خلافة عمر فهو تابعي توفي عام ٩٠هـ انظر (ابن حجر تهذيب التهذيب ٢٨٤/٤)

٧) ابن جرير الطبري جامع البيان ١٥٩/١٠-١٦٠ والأثر بكامله في أسباب النزول للواحدي ص ٢٤٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله ولا يشركون به شيئا ولا يخافون أحدا إلا الله فقام صدر هذه الأمة من الإيمان والعمل الصالح بما يفوق على غيرهم فمكنهم من البلاد والعباد وفتحت مشارق الأرض ومغاربها وحصل الأمن التام والتمكين التام فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة ولايزال الأمر إلى قيام الساعة مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح فلابد أن يوجد ما وعدهم الله ، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين ويديلهم في بعض الأحيان بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح)[١] وقد أكد الرسول ﷺ هذا الوعد في أحاديث كثيرة منها :

قوله ﷺ " إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها)[٢] وقوله ﷺ : " إنه ستفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها وإن عمالها في النار إلا من اتقى الله وأدى الأمانة "[٣] بل أكد عليه السلام على تمكين الدين وانتشاره في كل بقاع الدنيا فقال: " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولايترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزا ويذل ذليلا عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر" [٤] فمتى اهتم ولاة الأمور وعموم الأمة باتباع ما وضح لهم الشرع واتصفوا بالصفات التي أمرهم بها تحقق وعد الله إياهم بالنصر المبين علوا ورفعة وعزا وغلبة وتمكينا في الأرض والدين .

وهكذا نجد تحقق وعد الله بالنصر والتمكين لعباده المؤمنين كما وعد بذلك للجماعة المسلمة الأولى وحقق لهم ما وعدهم لأنهم حققوا ما أمرهم به من الاتباع الحق والتمسك بالدين إيمانا وعملا توحيدا وإخلاصا ، فكانت الفتوحات الكبرى والانتصارات العظمى مع قلة الإمكانات المادية وقلة إعدادهم بالنظر إلى قوة وكثرة وشراسة عدوهم عددا وعدة [٥] حتى لم يعرف ذلك في تأريخ الحروب والمواجهات ومع ذلك كان يتنزل النصر على الفئة المؤمنة إنه نصر الله تعالى يهبه لمن يشاء من عبادة فلله الأمر من قبل ومن بعد ، كما قال تعالى : ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [٦].

١) عبدالرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٥٢١-٥٢٢ .
٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٧٨ ومسلم في كتاب الفتن باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٤/٢٢١٥ برقم ٢٨٨٩
٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٣٦٦
٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٠٣ ، ٦/٤
٥) فكان يواجه ثلاثة آلاف من المؤمنين ، مائة ألف أو يزيدون من الكافرين فيقاتلون ويثبتون وينصرهم الله نصرا مؤزرا لأن عامل القوة عند المسلمين هو عامل الإيمان والتقوى والاتباع.
٦) سورة الروم آيتي ٤-٥

ومن الوعود التي وعد الله بها المؤمنين عند نزول القرآن ثم تحققت لهم قوله تعالى: ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا ﴾[1] ولايزال هذا الوعد بالنصر قائما ثابتا ما حققوا الشرط الذي قيد به وأمرهم أن يأتوه ، نسأله تعالى أن يجعلنا ممن يحقق أمره حتى يتحقق لنا وعده ٠

١) سورة الفتح آيتي ٢٠- ٢١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الرابع

الوعد بالمغفـــــــرة

غفر : (الغين والفاء والراء عظم بابه الستر ... ، فالغفر : الستر والغفران والغفر بمعنى يقال غفر الله ذنبه غفرا ومغفرة وغفرانا [١] وأصل الغفر : التغطية والستر، غفر الله ذنوبه أي سترها ، والغفر : الغفران ، وقد غفره يغفره غفرا : ستره وكل شيئ سترته فقد غفرته[٣] والغفر : إلباس ما يصونه عن الدنس ، ومنه قيل إغفر ثوبك في الماء[٤] والغفور الغفار جل ثناؤه وهما من أبنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم ، يقال : اللهم اغفر لنا مغفرة وغفرا وغفرانا ، وإنك أنت الغفور الغفار يا أهل المغفرة [٤]

والمغفرة في الإصطلاح : أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته[٥] والمراد بوعد الله بالمغفرة : هو صون الله العبد من أن يمسه العذاب بإسقاط العقاب وإيجاب الثواب له وذلك بمحو ذنوبه وستر عيوبه وأن إسقاط العقاب الذي هو الغفران لا يستحقه إلا المؤمن المتقي المتبع للحق [٦] والعفو والغفران يتقاربان في المعنى [٧]

فالعفو : هو المحو والطمس ، وهو يقتضي إسقاط اللوم والذم ولا يقتضي إيجاب الثواب ولهذا يستعمل في العبد فيقال عفا زيد عن عمرو وإذا عفا عنه لم يجب عليه إثابته.

أما الغفران : فهو الستر ويقتضي إسقاط العقاب وإيجاب الثواب ولهذا لا يستعمل إلا في الله فيقال غفر الله لك ، ولا يقال غفر زيد لك إلا شاذا ويقال استغفرت الله تعالى ، ولايقال استغفرت زيدا ولما تقارب معنى العفو والغفران وتداخلا استعملا في صفات الله تعالى فيقال عفا الله عنه ، وغفر له وورد العفو كثيرا في كتاب الله تعالى

---

١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة غفر ، ٣٨٥/٤
٣) ابن منظور ، لسان العرب مادة غفر ٢٥/٥
٢) سميح عاطف الزين ، مجمع البيان الحديث ص٦٣٢
٤) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة غفر ٢٥/٥
٥) الجرجاني ، التعريفات ص٢٣٤
٦) أبوهلال العسكري ، الفروق في اللغة ص٢٣٠ دارالآفاق الجديدة ، بيروت ط٤ سنة ١٤٠٠هـ .
٧) انظر أبوهلال العسكري ، الفروق في اللغة ص٢٣٠
وانظر أحمد الشرباصي ، موسوعة أخلاق القرآن ٣٤/١

قال تعالى : ﴿ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ (عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ [٣]

والله تعالى وعد بالمغفرة لمن اتبع رضوانه واستمسك بمنهاجه فالمغفرة والرحمة جعلها الله لمن يشاء من عباده وكتبها تعالى للمتقين ، والمجاهدين في سبيله وللمؤمنين العاملين ولمن صبر وعمل صالحا .

ولكل من تاب وأناب وآمن ثم اهتدى فهي جزاء العبادة والطاعة والاخلاص والاستقامة والاتباع والجهاد .

والله تعالى أمر بالمسارعة إلى المغفرة قال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله .. ﴾[٥] ، وقد أخبر الله تعالى أن لمغفرته موانع تحجبها ولها أسباب تجلبها فمن موانع المغفرة ، الشرك بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[٦]

ومن موانعها أيضا الكفر قال تعالى : ﴿ إن الذين كفرو وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾[٧] .

ومن موانعها أيضا النفاق قال تعالى : ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴾[٨]

---

١) سورة البقرة آية ٥٢
٢) سورة البقرة آية ١٨٧
٣) سورة التوبة آية ٤٣
٤) سورة آل عمران آية ١٣٣
٥) سورة الحديد آية ٢١
٦) سورة النساء آية ٤٨
٧) سورة النساء آية ١٦٨
٨) سورة المنافقون آية ٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما الأسباب التي تجلب بها المغفرة فكثيرة ومنها :ـ

١- الإيمان : قال تعالى: ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار﴾[١] وقال تعالى : ﴿أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾[٢]

٢- التقوى : قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفرلكم ذنوبكم ..﴾[٣] ، وقوله تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ﴾ [٤]

٣- التوبة : قال تعالى : ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك .. ﴾[٥]

٤- الجهاد : قال تعالى : ﴿ ..وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة .. ﴾[٦]

٥- المتبع للذكر خشية لله تعالى: قال تعالى : ﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾[٧] ، وقال: ﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ [٨]

٦- بالصبر : قال تعالى : ﴿ إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ﴾[٩]

٧- بالطاعة والمحبة والاتباع قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول .. ﴾[١٠]

٨- بالعفو والصفح قال تعالى:﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾[١١] وقال تعالى : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾[١٢]

---

١) سورة آل عمران آية ١٣٦
٢) سورة الأنفال آية ٤ .
٣) سورة الأحزاب آية ٧٠-٧١
٤) سورة الأنفال آية ٢٩
٥) سورة غافر آية ٧
٦) سورة النساء آية ٩٦
٧) سورة يس آية ١١
٨) سورة الملك آية ١٢
٩) سورة هود آية ١١
١٠) سورة آل عمران آيتي ٣١-٣٢
١١) سورة التغابن آية ١٤
١٢) سورة النور آية ٢٢

٩- بالعمل الصالح قال تعالى : ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ﴾[١] و قال تعالى : ﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ﴾[٢]

١٠- الدعاء مع الرجاء لأن الدعاء مأمور به وموعود عليه بالإجابة قال تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾[٣] وعن النعمان بن بشير قال ﷺ " إن الدعاء هو العبادة "[٤]

١١- الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت عنان السماء قال تعالى : ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾[٥] ولهذا جاء في الحديث القدسي قول الله تعالى: " يابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة " [٦]

١٢ــ ومن أسباب المغفرة التوحيد وهو السبب الأعظم فمن فقده فقد المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [٧]

(فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض ، وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة ، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل فإن شاء غفر له وإن شاء أخذ بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة)[٨] وهذا ما أكده حديث الترمذي الآنف الذكر " يابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة "

---

١) سورة الحج آية ٥٠
٢) سورة سبأ آية ٧
٣) سورة غافر آية ٦٠
٤) أخرجه أبوداود كتاب الصلاة باب الدعاء برقم ١٤٧٩ ، والترمذي في كتاب الدعوات باب في كرم الله برقم ٣٥٥١)
٥) سورة النساء آية ١١٠
٦) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده برقم ٣٥٤٠
٧) سورة النساء آية ٤٨
٨) الحافظ ابن رجب الحنبلي أسباب المغفرة ص٨٣ مكتبة التراث الإسلامي : القاهرة دون ط ولاتاريخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والله تعالى وحده الذي يملك المغفرة وإليه تضاف ولهذا أمرنا تعالى أن نطلبها منه ، قال تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا ﴾[٣] وقد جاء وعد الله بالمغفرة لمن اتبع هداه متوسطاً في ذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ﴾[٤]

فالشيطان يخوف الناس الفقر بما يسول لهم من وقوعه في المستقبل إذا هم أنفقوا خيار أموالهم (فيثير في نفوسكم الحرص والشح والتكالب ، والشيطان يأمركم بالفحشاء ، والفحشاء كل معصية تفحش أي تتجاوز الحد وإن كانت غلبت على نوع معين من المعاصي ولكنها شاملة)[٥] وحين يعدكم الشيطان الفقر : الذي هو (شدة الحاجة إلى لوازم الحياة لقلة أو فقد مايعاوض به)[٦] ويأمركم بالفحشاء : الذي هو فعل كل قبيح[٧] فالله تعالى يعدكم المغفرة والعطاء (ويقدم المغفرة ، ويؤخر الفضل، فالفضل زيادة فوق المغفرة وهو يشمل كذلك عطاء الرزق في هذه الأرض ، جزاء البذل في سبيل الله والإنفاق)[٨] فالله تعالى يعطي المال ويعطي المغفرة لمن يستحقها ويعطي الحكمة التي هي القصد والاعتدال ، والحكمة هي الخير الكثير فبها يصل الإنسان إلى مغفرة الله تعالى لأنها تعينه على (وضع الأمور في نصابها في تبصر وروية وإدراك)[٩] والله تعالى يقول: ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾[١٠] ومما جاء في وعد الله تعالى بالمغفرة قوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم**﴾[١١]

---

١) سورة آل عمران آية ١٣٥
٢) سورة البقرة آية ٢٨٦
٣) سورة آل عمران آية ١٦
٤) سورة البقرة آية ٢٦٨
٥) سيد قطب في ظلال القرآن ٣١٢/١ .
٦) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ٥٩/٣
٧) انظر المرجع السابق ٦٠/٣
٨) سيد قطب في ظلال القرآن ٣١٢/١
٩) المرجع السابق
١٠) سورة البقرة آية ٢٦٩
١١) سورة المائدة آية٩

والله تعالى جعل جزاء المؤمنين المغفرة والرضوان والأجر العظيم كما قال تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾[١] فلما كانوا هم وحدهم يتعاملون معه أراد تعالى أن يشجعهم للنهوض بتكاليف القوامة وعلى الوفاء بالميثاق ، ولكي يعوضهم ما يفوتهم من عرض الدنيا[٢] بالمغفرة والرضوان والدرجات العليا من الجنان ، والله تعالى يتصف بالعدل ولهذا لا يسوي بين جزاء الخَيِرِينَ وجَزاءُ الأشرار فأراد تعالى أن تتعلق (قلوب المؤمنين وأنظارهم بهذا العدل وبذلك الجزاء لتتعامل مع الله متجردة من كل النوازع المعوقة من ملابسات الحياة ، وبعض القلوب يكفيها أن تشعر برضا الله وتتذوق حلاوة هذا الرضى كما تتذوق حلاوة الوفاء بالميثاق ، ولكن المنهج يتعامل مع الناس جميعاً ، مع الطبيعة البشرية ، والله يعلم من هذه الطبيعة البشرية حاجتها إلى هذا الوعد بالمغفرة والأجر العظيم ، فوق أن المغفرة والأجر العظيم دليل رضى الله الكريم وفيهما مذاق الرضى فوق مذاق النعيم)[٣] .

وهكذا نجد أن وعد الله بالمغفرة يتحقق لأهل الإيمان والتقوى والصلاح ، وأهل الاتباع الحق والتوحيد الخالص وذلك لأن من كمل توحيده واخلاصه لله (وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه ، أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً وإجلالاً ومهابة وخشية ورجاءً وتوكلاً وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر وربما قلبتها حسنات)[٤]

نسأل الله تعالى أن يلطف بنا ويحقق توحيدنا ويغفر ذنوبنا إنه جواد كريم.

---

١) سورة طه آية ٨٢

٢) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٢/٨٥٤

٣) المرجع السابق ٢/٨٥٤

٤) ابن رجب الحنبلي ، أسباب المغفرة ص٨٤-٨٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الخامس

الوعد بالجنـــــــة

(جـــن : الجيـــم والنون أصل واحد وهو [الستر] والتستر ، فالجنة ما يصير إليه المســـلمون فـــي الآخـــرة وهو ثواب مستور عنهم اليوم ، والجنة : البستان ، لأن الشجر بورقه يستر) [١] وفي لسان العرب : (الجنة: البستان ومنه الجنان والعرب تسمى النخيل جنةً قال زهير:[٢]

كأن عينيّ في غَرْبي مُقَتَّلـــــة من التواضع تسقي جنةً سُمُقاً [٣]

والجـــنة الحديقة ذات الشجر والنخل وجمعها جنان)[٤] والجنة هي (كل بستان ذي شـــجر يســـتر بأشـــجاره الأرض)[٥] ولهذا تحدث القرآن كثيراً عن الحدائق في الأرض وســـماها جـــنة قال تعالى : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ﴾[٦] وقال تعالى : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك ... ﴾[٧]

الجـــنة في الاصطلاح : هي اسم لدار النعيم التي أعدها الله في الدار الآخرة ووعد بهـــا عباده المتقين ، فالجنة إذا أطلقت في القرآن دون مخصص فيقصد بها دار النعيم في الآخرة [٨] وقد اهتم كتاب الله كثيراً بذكر الجنة حتى ورد ذكر لفظها مفرداً ومجموعاً ٩٥ مرة [٩] وسميت بهذا الاسم لشدة التفاف أشجارها وظلالها وستر نعيمها عنا[١٠] .

وقـــد أعدهـــا تعالى لعباده المؤمنين المتقين ووعدهم إياها إن هم اتبعوا منهجه القويم وذلك جزاء إيمانهم الصادق وعملهم الصالح في الدنيا ، وجزاء مجاهدتهم لأنفسهم في ترك المعاصي والمحرمات قال تعالى:﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً ﴾ [١١]

١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة جن ٤٢١/١
٢) سبقت ترجمته ص ٢١
٣) ديوان زهير بن أبى سلمى ص٤٠ دار صادر بيروت دون ط ولا تاريخ
٤) ابن منظور لسان العرب مادة جنن ٩٩/١٣-١٠٠
٥) الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٠٤
٦) سورة سبأ آية ١٥
٧) سورة الكهف آية ٣٩
٨) انظر سليمان حسن رطروط الجنة في القرآن الكريم ص ٢١ مكتبة المنار الاردن ط١ سنة ١٤١٠هـ .
٩) انظر محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٨٠-١٨٢
١٠) انظر ابن منظور لسان العرب مادة جنن ١٠٠/١٣ ، وانظر المفردات ص ٢٠
١١)سورة مريم آية ٦٣

ونعيم الجنة نعيم مقيم يفوق تصوراتنا وتقديراتنا ، ويتعدى[٢] تمنياتنا وتوقعاتنا فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تكرماً من الله وتفضلاً منه على عباده المتقين ، فقد جاء الوعد بها للمؤمنين المتقين قال تعالى : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾[٣] ، فهذه الجنة الموعود بها (جامعة لكل نعيم وفرح خالية من كل أذى وترح تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة المروية للبساتين الأنيقة التي لا يعلم ما فيها من الخيرات إلا الله تعالى ... قد طاب مرآها وطاب منزلها ومقيلها وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون حتى أن الله تعالى قد أعد لهم غرفاً في غاية الصفاء والحسن)[٤] كما قال تعالى : ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لايخلف الله الميعاد ﴾[٥] والله تعالى يحل عليهم رضوانه الذي هو أكبر من النعيم الذي هم فيه فيطيب نعيمهم برؤية ربهم ورضوانه عليهم ﴿ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ كما وعد تعالى المجاهدين في سبيله بدخول الجنة وعداً حقاً ثابتاً في كتبه المنزلة التوراة والإنجيل والقرآن ولا أحد أوفى بالعهد وإنجاز الوعد الصادق من الله الذي لا يخلف الميعاد[٦] قال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾[٧] ، والله تعالى ذكر أن الجنة التي وعد عباده بدخولها ليست كسائر الجنات وإنما هي جنات عدن أي دار إقامة (لا ظعن فيها ولا حول ولا زوال وذلك لسعتها وكثرة ما فيها من الخيرات والسرور والبهجة والحبور)[٨] .

قال تعالى : ﴿ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً ﴾[٩]

---

٢) انظر عبد اللطيف عاشور نعيم الجنة في القرآن والسنة ص١٧ مكتبة القرآن القاهرة ، دون تاريخ .
٣) سورة التوبة آية ٧٢
٤) عبدالرحمن السعدى ، تيسير الكريم الرحمن ص٣٠٣
٥) سورة الزمر آية ٢٠
٦) انظر وهبة الزحيلى التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز ص٢٠٥ دار الفكر دمشق ط٢ سنة١٤١٧هـ .
٧) سورة التوبة آية١١١
٨) عبدالرحمن السعدى ، تيسير الكريم الرحمن ص٤٤٦
٩) سورة مريم ٦١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالله تعالى (وعدهم إياها وعداً غائباً لم يشاهدوه ولم يروه فآمنوا بها وصدقوا غيبها وسعوا لها سعيها مع أنهم لم يروها ، فكيف لو رأوها لكانوا أشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة وأكثر لها سعياً ويكون في هذا مدح لهم بإيمانهم بالغيب الذي هو الإيمان النافع)[١]

وقد أخبر تعالى بالمناظرة التي حصلت بين أصحاب الجنة وأصحاب النار بعد أن استقر كل منهما في الدارين فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار وأخبروهم أنهم وجدوا ما وعدهم الله على ألسنة رسله من النعيم والتكريم حقاً حيث وعدنا على الإيمان والعمل الصالح واتباع منهجه الجنة فأدخلناها ورأينا ما وصفه لنا فصار الأمر حق اليقين ، وفرح المؤمنون بوعد الله واغتبطوا[٢] ، ثم أخبر تعالى عن صفة الجنة وهيئتها ترغيباً فيها وسعياً في سبيل الوصول إليها فقال تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أُكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾[٣]

إن حقيقة الجنة التي وعد بها المتقون الذي تركوا ما نهاهم الله عنه ولم يقصروا فيما أمرهم به ــ تجري الأنهار من تحت أشجارها وغرفها ومن صفتها أن ثمارها دائم لا ينقطع وظلها دائم لا يزول جعلها تعالى لعباده المتقين فإذا دخلوها لا يحولون ولا يزولون منها [٤].

ومن نعوت الجنة الموعود بها وجود الأنهار المتعددة فيها قال تعالى:﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم ...﴾[٥] ، والله تعالى وعد عباده المتقين بأن لهم الجنة التي نعتها لهم بالأنهار الأربعة التي تجري (في غير أخدود فتسقي تلك البساتين والاشجار فتحمل جميع أنواع الثمار)[٦] وأعد تعالى لعباده في الجنة من كل مايشاءون ويطلبون كما قال تعالى : ﴿ لهم فيها مايشاءون خالدين كان على ربك وعداً مسئولاً ﴾[٧]

---

١) عبدالرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٤٤٦
٢) انظر وهبة الزحيلي التفسير الوجيز ص١٥٧ ، والسعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٢٥٢
٣) سورة الرعد آية ٣٥
٤) انظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٢٥/٩
٥) سورة محمد آية ١٥
٦) عبدالرحم السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٣٧٣
٧) سورة الفرقان آية ١٦

، فـــأوجد فيهـــا كـــل ما تتعلق به أمانيهم (من المطاعم والمشارب اللذيذة ، والملابس الفاخـــرة ، والنســـاء الجميـــلات ، والقصـــور العاليات والجنات ، والحدائق المرجحنة ، والفواكـــه التي تسر ناظريها وآكليها من حسنهـــا، وتنوعها وكثرة أصنافها والأنهار التي تجري في رياض الجنة وبساتينها حيث شاءوا يصرفونها ويفجرونها)[١]

ومـــن تمـــام نعيم الجنة وكمالها لا يخرجون منها فمنازلها لهم مفتحة ، وأرائكها لهم مزينة ومجالسها مزخرفة ، وهذا يدل على الأمان التام ، كما يدل على كمال النعيم وكمال الراحة والطمأنينة وتمام اللذة قال تعالى : ﴿ هذا ذكر وأن للمتقين لحسن مئاب جنات عدن مفـــتحة لهم الأبواب • متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب• وعندهم قاصرات الطرف أتراب• هذا ماتوعدون ليوم الحساب ﴾[٢] ، كما أخبر الرسول ﷺ عن صفة الجنة وهيئتها حتى يشمر لها الراغبون إليها ، عن عبادة بن الصامت[٣]رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس)[٤]

وقـــد بيـــن ﷺ فـــي صفة الجنة عن أرضها وتربتها ، وعن أنهارها وعن قصورها ومســـاكنها فعـــن أبي هريرة [٥]رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال : " لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب وملاطها[٦] المسك الأظفر وحصباؤها

الـــلؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس[٧] ويخلد لا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم)[٨]، وعن حكيم بن معاوية[٩]عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـــول: " في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ، ثم تتشقق أنهار منها بعد "[١٠] .

١) عبدالرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٥٢٧
٢) سورة ص الآيات ٤٩-٥٣
٣) عـــبادة بن الصامت ابن قيس الخزرجي الأنصاري أحد النقباء بالعقبة آخى الرسول عليه السلام بينه وبين أبي مرثد شهد بدراً وما بعدها (الإصابة ٢٦٨/٢)
٤) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة درجات الجنة ٨٢/٤ برقم ٢٦٥١
٥) أبوهريرة : عبدالرحمن بن صخر سبقت ترجمته في ص ٨٤
٦) الميلاط : الطين يجعل بين سافي البناء ويملط به الحائط (انظر ترتيب القاموس ٢٧٩/٤
٧) البأس :الفقر وشدة الحاجة (انظر ابن الأثير النهاية في غريب الحديث ٨٩/١)
٨) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة باب ماجاء في صفة الجنة ونعيمها ٧٩/٤-٨٠ رقم ٢٦٤٦ .
٩)هو حكيم بن معاوية النمري قال ابن أبي حاتم له صحبة ورواية (الإصابة ٣٥٠/١)
١٠) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة أنهار الجنّة ١٠٠/٤ رقم ٢٦٩٠ وقال حسن صحيح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن(أبي موسى)[١] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل مايرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن)[٢] .

ومن أجل الأوصاف التي جاءت عن المصطفي ﷺ في هيئة الجنة قوله ﷺ " ألا مشمر للجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها هي ورب(الكعبة)نور يتلألأ، وريحانة تهتز وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبدٍ في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ، ونعمة في محلة عالية بهية " قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها ، قال: " قولوا إن شاء الله " فقال القوم: إن شاء الله .[٣]

إن حديث القرآن والسنة عن صفة الجنة وهيئتها التي وعدها عباده المتقين المتبعين لأوامره المنتهين عن زواجره لحديث طويل وشيق ويعجز الإنسان عن وصول نهاياته ولكن الحاذق اللبيب يكفيه أن يتأمل ماجاء في الحديث القدسي الذي أخرجه الشيخان فعن (أبي هريرة)رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر[٤] واقروا إن شئتم قال تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾[٥] .

---

١) سبقت ترجمته في ص٨٩

٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة الجنة باب ماجاء في صفة غرف الجنة ٨١/٤ رقم ٢٦٤٨

٣) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب صفة الجنة ١٤٤٨/٢-١٤٤٩ رقم ٤٣٣٢

٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ماجاء في صفة الجنة ١٤٣/٤ ، ومسلم في كتاب الجنة باب صفة الجنة ونعيم أهلها (رقم ٢٨٢٤)

٥) سورة السجدة آية ١٧

المبحث الثانى

أسلوب الوعيد بالعقوبة على الاتباع للباطل

المطلب الأول : الوعيد بالمعيشة الضنك

المطلب الثانى : الوعيد بالهلاك في الدنيا

المطلب الثالث : الوعيد بالعذاب في الآخرة

المطلب الرابع : الوعيد بالنار في الآخرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

أسلوب الوعيد بالعقوبة على الاتباع للباطل

الوعيد ، والتوعد: التهدد ، وقد توعده أي تهدده [١] والوعيد في الشر خاصة يقال أوعدته وواعدته وتواعدنا[٢] ، ففي الشر يستعمل الإيعاد والوعيد ، وفي الوعيد تخويف بالمجازاة السيئة والوعيد يكون على (كل ذنب عظم الشرع التوعد عليه بالعقاب وشدده أو عظم ضرره في الوجود)[٣] ، وعلى هذا فيكون حقيقة الوعيد : كل خبر يتضمن إيصال الضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل لتحذيره من الوقوع في المحذور من الإشراك بالله وسائر الذنوب والمعاصي ، فالوعيد يكون في حق من اتبع غير هدى الله أو قصر في اتباعه لهدى الله تعالى ٠

إن نصوص الوعيد تقابل نصوص الوعد ، وهي تنص على ما أوعد الله تعالى للمكلفين من خلقه من كفر منهم ولم يتبع الحق بالجحيم والعذاب الأليم ، ولما كان الوعيد تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيرا من الوقوع في المخالفات ، فقد جاءت في كتاب الله آيات كثيرة تبين ذلك ٠

قال تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ٠ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾[٥]

---

١) انظر ابن منظور لسان العرب باب الدال فصل الواو ٤٦٣/٣

٢) انظر الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن مادة وعد ص٨٧٥ ٠

٣) القرطبي :الجامع لأحكام القرآن ١٦٠/٥-١٦١

٤) سورة فاطر آيتى ٣٦-٣٧

٥) سورة النساء آية ١٤

المطلب الأول

الوعيد بالمعيشة الضنك

إن من أعرض عن اتباع الهدى أوعده الله تعالى بالمعيشة الضنك ، قال تعالى : ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ۰ ونحشره يوم القيامة أعمى ۰ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ۰قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾[١] يقول ابن كثير: (أي خالف أمري وما أنزلت على رسولي أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه (فإن له معيشة ضنكا) أي ضنكا في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة)[٢]

وفسرت المعيشة الضنك بعسر الحال واضطراب البال فتكون مجامع هم المعرض عن اتباع الهدى(إلى التحيل في إيجاد الأسباب والوسائل لمطالبه فهو متهالك إلى الازدياد خائف على الانتقاص غير ملتفت إلى الكمالات ولا مأنوس بما يسعى إليه من الفضائل ، يجعله الله في تلك الحال وهو لا يشعر ، وبعضهم يبدو للناس في حالة حسنة ورفاهية عيش ولكن نفسه غير مطمئنة ، وجعل الله عقابه يوم الحشر أن يكون أعمى تمثيلا لحالته الحسية يومئذ بحالته المعنوية في الدنيا ، وهي حالة عدم النظر في وسائل الهدى والنجاة ، وذلك العمى عنوان على غضب الله عليه وإقصائه عن رحمته)[٣]

كما فسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر وأنه يضيق عليه القبر ويعذب فيه جزاء إعراضه عن ذكر ربه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل (فإن له معيشة ضنكا) قال: " المعيشة الضنك الذي قال الله أنه يسلط عليه تسعة وتسعين حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة "[٤]، فالضنك إذا أصله الضيق والشدة فلا طمأنينة نفس لمن أصابه ولا انشراح صدر ، وعلى هذا فإن (هذا الضيق المتوعد به إما أن يكون في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة أو في الدين أو في كل ذلك أو أكثره[٥]

١) سورة طه الآيات ١٢٤-١٢٦
٢) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢٢٧/٣
٣) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ٣٣١/١٦-٣٣٢
٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده ج ١١ ص٥٢١ رقم ٦٦٤٤
٥) الفخر الرازي التفسير الكبير ١١٢/٢٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما الأول فقال به جمع من المفسرين وذلك لأن المسلم لتوكله على الله يعيش في الدنيا عيشا طيبا كما قال تعالى : ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾[١] والكافر بالله يكون حريصا على الدنيا طلبا للزيادة أبدا فعيشته ضنك وحالته مظلمة...

وأما الثاني وهو عذاب القبر فهذا قول (عبد الله بن مسعود) وأبى سعيد الخدري ، وعبدالله ابن عباس ورفعه أبوهريرة إلى النبي ﷺ .

وأما الثالث: وهو الضيق في الآخرة في جهنم فإن طعامهم فيها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولايحيون وهذا قول الحسن وقتادة[٢]

وأما الرابع: وهو الضيق في أحوال الدين فقال ابن عباس:رضي الله عنهما المعيشة الضنك هي أن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيئ منها ...[٣]

وأما الخامس : وهو أن يكون المراد الضيق في كل ذلك أوأكثره[٤]فروي عن علي رضي الله عنه أثرا يرفعه إلى النبي ﷺ : (عقوبة المعصية ثلاثة: ضيق المعيشة والعسر في الشدة ، وأن لا يتوصل إلى قوته إلا بمعصية الله تعالى)[٥]

ويرى بعض المفسرين (أن المعيشة الضنك عامة في دار الدنيا بما يصيب المعرض عن ذكر ربه من الهموم والغموم والآلام ، التي هي عذاب معجل ، وفي دار البرزخ وفي الدار الآخرة لإطلاق المعيشة الضنك وعدم تقييدها) [٦]

---

١) سورة النحل آية ٩٧
٢) انظر الطبري جامع البيان ٢٢٦/١٦
٣) انظر المرجع السابق ٢٢٧/١٦
٤) الفخر الرازي التفسير الكبير ١١٢/٢٢-١١٣ باختصار
٥) ذكر هذا الأثر الفخر الرازي في تفسيره ١١٣/٢٢ ولم أقف عليه فيما رجعت إليه من كتب السنة
٦) عبدالرحمن السعدى ، تيسير الكريم الرحمن ص٤٦٥ ، وانظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢٢٧/٣-٢٢٨

المطلب الثاني

الوعيد بالهلاك في الدنيا

الهلاك: هلك هلاكا وهلوكا ومهلكا وتهلكة : مات فهو هالك وجمعه هلكى[١] ، ويأتي الهلاك بمعنى العذاب والخوف والفقر[٢]، وقد ورد في كتاب الله مقصودا به أربعة أوجه[٣]

الأول : هلك : مات ، قال تعالى : ﴿ إن امرؤ هلك ﴾[٤]

الثاني : الهلاك : العذاب ، قال تعالى : ﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ﴾[٥]

الثالث : هلك : ضل ، قال تعالى : ﴿ هلك عني سلطانيه ﴾[٦]

الرابع : الهلاك : الفساد قال تعالى : ﴿ ويهلك الحرث والنسل ﴾[٧]

والمقصود بالوعيد بالهلاك هنا ، إيقاع عقوبة العذاب في الدنيا على المعرض عن اتباع الحق سواء كان ذلك بخسف الأرض ، أو إرسال ريح ، أو تسليط عدو أو تسليط الشيطان ، أو إصابته ببعض الذنوب أو تعريضه للطرد من رحمة الله ، أو إيكاله إلى نفسه أو غير ذلك من أنواع العقوبة العاجلة التي تصيب المعرضين عن الحق .

ومن آيات الوعيد بالهلاك ماجاء بعد الأمر بالاتباع الحق المتمثل فيما أنزله الله على رسوله ﷺ والنهي عن الاتباع المذموم قوله تعالى : ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون.فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴾[٨]

يقول ابن كثير في قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها) أي بمخالفة رسلنا وتكذيبهم فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولا بذل الآخرة.كما قال تعالى : ﴿ فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾[٩]

---

١) انظر إبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط ٩٩١/٢

٢) الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن ص٨٤٤

٣) انظر سليمان القرعاوي الوجوه والنظائر في القرآن ص ٦٤٥

٤) سورة النساء آية ١٧٦

٥) سورة الكهف آية ٥٩

٦) سورة الحاقة آية ٢٩

٧) سورة البقرة آية ٢٠٥

٨) سورة الأعراف آيتى ٤،٥ .

٩) سورة الحج آية ٤٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال تعالى : ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ﴾[١]وقوله: (فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون) أي فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته بياتا أي ليلا أو هم قائلون من القيلولة وهي الاستراحة وسط النهار وكلا الوقتين وقت غفلة ولهو [٢] قوله: (فما كان دعواهم) أي فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا أن اعترفوا بذنوبهم وأنهم حقيقون بهذا[٣] ولهذا قال ﷺ " لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم "[٤] والوعيد بالهلاك في الدنيا قد تحقق لأولئك الأقوام الذين لم ينصاعوا لمنهج الله ولم يتبعوا رسله قال تعالى :

﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ٠ فأما ثمود بأهلكوا بالطاغية ٠ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ٠ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ٠ فهل ترى لهم من باقية وجاء(فرعون)ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة ٠ فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾[٥]فكل من كذب رسل الله تعالى وترك اتباع منهاجه فقد وجب عليه نزول العذاب العاجل كما قال تعالى : ﴿ ٠٠٠وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد﴾[٦] وقد نوع تعالى إنزال العذاب العاجل على الأقوام المكذبة كل حسب جرمه فتأتيه العقوبة التي تناسب ذنبه قال تعالى: ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[٧]

وعقوبات الله العاجلة إنما تنزل على المكذبين لرسل الله سواء كانوا أقواما مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم(لوط)وأصحاب الأيكة وقوم تبع ، أم كانوا أفرادا كقارون(وفرعون) وهامان ، قال تعالى : ﴿ وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين٠وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾[٨]

١) سورة القصص آية ٥٨
٢) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢/٢٦٩-٢٧٠
٣) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢/٢٧٠
٤) أخرجه أبو داود في الملاحم باب الأمر والنهي ٤/١٢٥ (٤٣٤٧)والإمام أحمد في المسند ٤/٢٦٠ رقم ١٨٣١٥.
٥) سورة الحاقة الآيات ٤-١٠
٦) سورة ق آية ١٤
٧) سورة العنكبوت الآية ٤٠
٨) سورة العنكبوت آيتي ٣٨-٣٩

إن نماذج إيقاع العقوبات على المعرضين عن منهج الله في الدنيا كثيرة جدا في كتاب الله ويمكن الاكتفاء بذكر واحد منها فقد ضرب تعالى النموذج بإيقاع العقوبة في الدنيا بحالة(قارون) الذي خسف الله به وبداره الأرض لما طغى وبغى وأعرض عن منهج الله وتكبر على عباد الله مع وجود النصائح والمواعظ له من قومه إلا أنه لم يلتفت إلى نصائحهم بل ترك نصائح رسل الله واتباعهم إلى اتباع هواه وشهواته فجعله الله عبرة للمعتبرين ، فصار هلاكه عقوبة له على جرمه وعبرة وموعظة لغيره ، فالذين غبطوه في بداية الأمر وقالوا ﴿ ٠٠٠ياليت لنا مثل ماأوتي(قارون) إنه لذوا حظ عظيم ﴾[١] تغير فكرهم ونظرهم إليه واعترفوا بغلطهم وأظهروا ندمهم كما حكى الله ذلك عنهم بقوله:

﴿ وأصبح الذين تمنو مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لايفلح الكافرون ﴾[٢]

إن تتابع نزول العذاب العاجل على المكذبين ليست قاصرة على الأقوام السابقة بل مستمرة مع كل معرض عن هدى الله الذي أنزله كما قال تعالى: (٠٠٠وما هي من الظالمين ببعيد)[٣] ، ومن الهلاك العاجل الذي ينتظر المعرضين عن الاتباع الحق :

نفي الهداية عنهم في الدنيا ، قال تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٤]

تسليط الشيطان عليهم قال تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾[٥] فالغاوي ضد الراشد ، وهو الذي عرف الحق وتركه فالله تعالى يسلط عليه الشيطان ويكله إليه يضله ويغويه ٠

ومن الهلاك العاجل أن يوكل الإنسان إلى نفسه فلا يجد من الله المعونة والتأييد قال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[٦]

---

١) سورة القصص آية ٧٩
٢) سورة القصص آية ٨٢
٣) سورة هود آية ٨٣
٤) سورة القصص آية ٥٠
٥) سورة الحجر آية ٤٢
٦) سورة النساء آية ١١٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقوله ﴿ نوله ماتولى ﴾ (أي نتركه وما اختاره لنفسه ، ونخذله فلا نوفقه للخير لكونه رأى الحق وعلمه وتركه فجزاؤه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله[١] وهكذا نجد أن مخالفة الاتباع الحق سبب لمجيء العذاب العاجل من الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغته وأنتم لاتشعرون﴾[٢]

---

١) عبد الرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ١٦٦ .

٢) سورة الزمر آية ٥٥

المطلب الثالث

الوعيد بالعذاب في الآخرة

العذاب : العقاب والنكال وكل ما شق على النفس[١] ، وقد عذبه تعذيبا: أكثر حبسه في العذاب ، وأصل التعذيب : هو حمل الإنسان أن يعذب أي يجوع ويسهر ، وقيل أصله من العذب ، وعذبته أي : أزلت عذب حياته على بناء مرضته وقذيته[٢]وقيل أصل التعذيب : إكثار الضرب بعذبة السوط[٣] ، والعذاب : ما يمنع الإنسان عن مراده[٤] ، وهو كل ألم قادح نكالا لمن لم يرتدع عن المنهيات ، وسمي عذابا : لأن صاحبه يحبس ويمنع عنه جميع ما يلائم الجسد من الخير ويهال عليه أضدادها[٥]

والمراد بالوعيد بالعذاب هنا هو الوعيد بإيقاع الألم والمشقة على جسد الإنسان وروحه تنكيلا به على ما اقترف من تعدي حدود الله وإعراضا عن منهاجه ، إن الآيات الواردة : في كتاب الله والتي فيها وعيد الله بإيقاع العذاب الأليم في الآخرة على كل من أعرض عن ذكر الله وتنكب طريق الردى كثيرة جدا ، ذلك أن عذاب الآخرة أشق وأشد من عذاب الدنيا وأنكى وأبقى فهو عذاب دائم في نار أبدا .

قال تعالى : ﴿ولعذاب الآخرة أشق ومالهم من الله من واق﴾[٦] و قال تعالى : ﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾[٧] وقال ﷺ : " إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة"[٨]

وقد وصف الله في كتابه عذاب الآخرة بأوصاف تقشعر منه الجلود وصفه بأنه عذاب أشق :﴿ ولعذاب الآخرة أشق ﴾[٩] أشد :﴿ ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾[١٠] أخزى:﴿ ولعذاب الآخرة أخزى﴾[١١] أبقى: ﴿ أشد وأبقى﴾

---

١) إبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط مادة عذب ٢/٥٨٩
٢) الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن مادة عذب ص ٥٥٤-٥٥٥
٣) المرجع السابق ص ٥٥٥ .
(٤) الحسين بن مسعود البغوي مختصر تفسير البغوي ١/١٣ اختصار عبدالله الزيد
٥) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١/١٩٢
٦) سورة الرعد آية ٣٤
٧) سورة طه آية ١٢٧
٨) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب اللعان ٢/١١٣١ رقم ١٤٩٣
٩) سورة الرعد آية ٣٤
١٠) سورة طه آية ١٢٧
١١) سورة فصلت آية ١٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نكر:﴿ وعذبناها عذابا نكرا ﴾[١] شديد: ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾[٢] عظيم : ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾[٣] غليظ :﴿ ومن ورائه عذاب غليظ ﴾[٤] مهين : ﴿ وله عذاب مهين ﴾[٥] مقيم :﴿ ويحل عليه عذاب مقيم ﴾[٦] ، عقيم :﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴾[٧] أليم : ﴿ وللكافرين عذاب أليم﴾[٨] كبير : ﴿ ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا ﴾[٩] عذاب الخلد : ﴿ ذوقوا عذاب الخلد...﴾[١٠] عذاب النار : ﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار﴾[١١] عذاب الحميم : ﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾[١٢] عذاب الهون : ﴿ اليوم تجزون عذاب الهون﴾[١٣] عذاب الحريق: ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴾[١٤]

إن وعيد الله بالعذاب في الآخرة يتناول الإيجاع الشديد لجسم المعذب وروحه بتنويع أشكال العذاب وألوانه من الحر الشديد الذي يسقط اللحوم ويذيب العظام إلى القر الشديد الذي لا يعلم مداه إلا الله تعالى ، فهو عذاب مؤلم شديد عظيم غليظ مهين عقيم مقيم يخلص وجعه إلى القلوب ﴿ نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ﴾[١٥] فهو أشد إهانة وذلا وأفظع وأنكى وأدوم حالا من عذاب الدنيا ، لأنه فوق مايتصوره عقل الإنسان فلا يماثله أي عذاب من عذاب الدنيا ذلك أن جسم الإنسان المعد للموت والفناء لا يحتمل الألم إلا لدرجة محدودة فإذا زاد الألم عليه فوقها ينجو المرء منه بالإغماء أو الموت.

أما عذاب الآخرة ــ عياذا بالله ــ فلا نجاة منه بأي حال قال تعالى : ﴿ إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيي ﴾[١٦]

---

١) سورة الطلاق آية ٨
٢) سورة الحج آية ٢
٣) سورة الجاثية آية ١٠
٤) سورة إبراهيم آية ١٧
٥) سورة النساء آية ١٤
٦) سورة هود آية ٣٩
٧) سورة الحج آية ٥٥
٨) سورة البقرة آية ١٠٤
٩) سورة الفرقان آية ١٩
١٠) سورة يونس آية ٥٢
١١) سورة الحشر آية ٣
١٢) سورة الدخان آية ٤٨
١٣) سورة الأنعام آية ٩٣
١٤) سورة الأنفال آية ٥٠
١٥) سورة الهمزة آيتي ٦ــ٧
١٦) سورة طه آية ٧٤

وقـــال تعالى : ﴿ ٠٠ وخاب كل جبار عنيد٠ من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾[١] يتمنى أهل النار المعذبون فيها الموت لينقذهم من العذاب فلا يجدونه ويطلبون شربة ماء أو تخفيف يوم من العذاب فلا يجابون لذلك ٠

وكـــلما نضـــجت وذابـــت جلودهم من العذاب بدّلهم الله جلوداً أخرى غيرها ليذوقوا العـــذاب وتـــدوم عـــليهم آلامه ، وذلك لأن مادة الألم موجودة في الجلد لوجود الأعصاب الحساسة فيه فإذا احترق وخلصت النار إلى ماتحته خف الألم ولذلك يبدل الله به جلدا آخر إذا احـــترق لدوام العذاب ، قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً ﴾[٢]

ولو أراد الإنسان أن يتأمل نموذجاً من نماذج إيقاع العقوبة على المعرض عن منهج الله لمـــا طاب له العيش الهني في دقائق الحياة المعدودة بل لارتعدت فرائصه ولعمل بقدر وســـعه لـــلهرب من مثل عذاب هذا وصفه والمتوعد به على المخالفة لله الباري الذي لا يخلف وعده ٠

تأمل الداخل في النار وهو يعذب فيها يسترحم فلا يرحم ويبكي فلا ينظر إليه وينادي فـــلا يجاب ، ثم تخيل نفسك (وقد طال فيها مكثك وألح العذاب فبلغت غاية الكرب واشتد بـــك العطش فذكرت الشراب في الدنيا ففزعت إلى الجحيم ، فتناولت الإناء من يد الخازن الموكـــل بعذابـــك ثم قربته إلى فيك فشوى وجهك ثم تجرعته فسلخ حلقك ثم وصل جوفك فقطـــع أمعـــاءك فـــناديت بالويل والثبور، وذكرت شراب الدنيا وبرده ولذته ، ثم أقلعت الحـــريق فبادرت إلى حياض الحميم لتبرد بها كما تعودت في الدنيا الاغتسال والانغماس في الماء إذا اشتد عليك الحر فلما انغمست في الحميم تسلخ من قرنك إلى قدمك ، فبادرت إلى الـــنار رجـــاء أن تكون هي أهون عليك ثم اشتدعليك حريق النار فرجعت إلى الحميم وأنـــت تطـــوف بينها وبين حميم آن وهو الذي انتهي حره٠٠٠فضاقت نفسك في صدرك وبقيت قلقاً تزفر لا تطيق الكلام ولا يخرج منك نفس٠

---

١) سورة إبراهيم الآيات ١٥-١٧
٢) سورة النساء آية ٥٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلا روح ولا راحة تعلق بهم أبدا ، أحزان لا تنقضي ، غموم لا تنفد وسقم لا يبرأ وقيود لا تحل ، وأغلال لا تفك أبدا ، وعطش لا يروون بعده أبدا ، وكرب لا يهدأ أبدا وجوع لا يشبع بعده أبدا إلا بالزقوم ينشب في قلوبهم)[١]

إن ما يحل بأهل عذاب الله من الآلام لا يوصف قدره ، فالنار تشتعل في جميع أجسامهم عيونهم وأحداقهم وجلودهم ولحومهم وعظامهم وقلوبهم بل تنفذ إلى جميع أجوافهم فتحرق الأمعاء والأكباد ، حتى اتصل العذاب بالطعام والشراب فطعامهم الغسلين والزقوم وشرابهم الصديد والحميم ﴿ إن شجرة الزقوم ٠طعام الأثيم ٠كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ﴾[٢] وقال تعالى:﴿ ٠٠ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾ [٣] فيستغيثون وما من مغيث ويتوسلون وما من مجيب فحقيق على من يتصور هذا العذاب أن يخشى الله ويوقن بأن وعده ووعيده حق لا شك فيه ، وأن زبانية العذاب غلاظ مهما استرحمهم المرء لا يلينون ، شداد مهما كان المرء قويا لا يغلبون ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[٤]

فعلى العاقل اللبيب أن يلزم طاعة مولاه ويتجنب معصيته وسخطه لينجو من عذاب الله وناره وغضبه وعقابه قبل فوات الأوان ، نسأل الله السلامة من عذاب الله وأليم عقابه.

---

١) الحارث بن أسد المحاسبي ، التوهم ص ٥٩-٦١ تحقيق محمد الخشت ، مكتبة القرآن
٢) سورة الدخان الآيات ٤٣-٤٦
٣) سورة الكهف آية ٢٩
٤) سورة التحريم آية ٦

المطلب الرابع

الوعيد بالنار في الآخرة

النار : هي (اللهيب الذي يبدو للحاسة)[١] والنار : (عنصر طبيعي فعّال يمثله النور والحرارة المحرقة وتطلق على اللهب الذي يبدو للحاسة كما تطلق على الحرارة المحرقة)[٢] والنار : هي جوهر لطيف مضيئ حار محرق وايقاد النار هو سطوعها وارتفاع لهبها[٣] فالله تعالى أعد النار ووعد بها الكافرين كما قال تعالى:

﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ ...ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾[٥] فالنار (أشد العذاب وشره وأخبثه وأعتاه ، وهي عذاب الله فلا يعذب بها إلا ربها وخالقها ، وهي دار الذل والهوان والأغلال والأنكال ، دار الحسرات والعبرات والزفرات ، دار الشقاء والبكاء دار الزقوم الحميم ، دار لا يرحم بها الباكي ولا يستجاب فيها الداعي)[٦] فهي صفة انتقام الله وبطشه وغضبه ، وهي (دليل على عظمة الله وشدة بأسه وبطشه وقوة سطوته وانتقامه في أعدائه فالخوف منها في الحقيقة خوف من الله وإجلال وإعظام وخشية لصفاته المخوفة ، مع أن الله سبحانه يخوف بها عباده ويحب منهم أن يخافوه بخوفها وأن يخشوه بخشية الوقوع فيها وأن يحذروه بالحذر منها ، فالخائف من النار خائف من الله متبع لما فيه محبته ورضاه)[٧]

فالنار إذا هي دار الشقاء والعذاب أعدها الجبار وسعر نارها ليعاقب فيها الكافرين والمشركين والمعرضين عن منهاجه أو المقصرين اتباع كتابه ، وقد وصفها تعالى وصفا بليغا تهلع منه قلوب وتقشعر منه الأبدان ، وإنها لشدة تأججها واحتراقها يسمع للهبها شهيق وزفير وأنها تفور كالماء المغلي الذي يسمع له هدير ، تكاد تميز من الغيظ وتتقطع

---

١) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن مادة نور ص٨٢٨
٢) إبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط مادة نار ٩٦٢/٢
٣) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ٦٨/٢
٤) سورة البقرة آية ٢٤
٥) سورة هود آية ١٧
٦) حامد محمد المصلح المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع ص ١٩٧
٧) ابن رجب الحنبلي ، التخويف من النار والتعريف بدار القرار ص٢٦ ، تحقيق إبراهيم رمضان دار الندوة الجديدة بيروت ، دون ط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال تعالى : ﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور ٠ تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴾[١] ، فالنار تدعوا كل من أدبر عن اتباع الحق وأعرض عنه قال تعالى : ﴿ كلا إنها لظى ٠ نزاعة للشوى ٠ تدعوا من أدبر وتولى﴾[٢]

إن نار جهنم التي أعدها الله للمعرضين عن ذكره واتباع رسله حرها شديد ، وقعرها بعيد وأعد لأهلها مقاعد من حديد وشرابهم فيها المهل والصديد ، لها سبعة أبواب (التي فيها من العقاب ما يذيب الأكباد والقلوب ومن شدة ذلك أن المعذب فيها لا يموت ولا يحيا لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة يتلذذ بها وإنما حياته محشوة بعذاب القلب والروح والبدن الذي لايقدر قدره ، ولايفتر عنه ساعة ، يستغيث فلا يغاث ، ويدعو فلا يجاب له)[٣]

ومن الآيات الدالة على عظم حر نار جهنم قال تعالى : ﴿ إن المجرمين في ضلال وسعر ٠ يوم يسحبون في النار على وجوهم ذوقوا مس سقر ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا ﴾[٦] وقال جل وعلا: ﴿ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين ﴾[٧] وقال تعالى :﴿ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ٠ تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ﴾[٨]

كما وردت أحاديث كثيرة تبين عظم حر جهنم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزءا من سبعين جزء من حر جهنم " قالوا والله إن كانت لكافية يارسول الله قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها ٠٠"[٩]

١) سورة الملك آيتي ٧-٨
٢) سورة المعارج الآيات ١٥-١٧
٣) عبد الرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٤٥٩
٤) سورة القمر آيتي ٤٧-٤٨
٥) سورة الفرقان آية ١٢
٦) سورة الإنسان آية ٤
٧) سورة الأعراف آية ٤١
٨) سورة المؤمنون آيتي ١٠٣ ← ١٠٤
٩) أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة ٤/٩٠ برقم ٣٠٩٢
ومسلم كتاب صفة الجنة ونعيمها باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها ٤/٢١٨٤برقم ٢٨٤٣ واللفظ له ٠

وعنه رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبةً فقال : " تدرون ماهذا ؟ قال : قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : هذه حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهي إلى قعرها "[١] وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: " لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك.. "[٢] وقال ﷺ : " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها "[٣] .

وقد أخبر ﷺ أن النار تأخذ الناس كلاً حسب جرمه ومعصيته من حيث الكيفية والشدة والمكث فيها ، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: " منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته " [٤] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ : " إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل[٥] ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا "[٦] إن قطرة واحدة من قطرات الزقوم ــ الذي هو طعام أهل النار ــ لو قطرت على دار الدنيا لأفسدت عليهم جميع معايشهم ، فكيف حال من يعيش فيها ويتغذى عليها قال تعالى : ﴿ إن شجرة الزقوم.طعام الأثيم .كالمهل يغلي في البطون. كغلي الحميم ﴾ [٧] وقال ﷺ : " لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه "[٨]

فهذه هي النار التي أوعد بها المعرضين من عباده عن اتباع الحق كما قال تعالى : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين

---

١) أخرجه مسلم في نفس الكتاب والباب السابقين ٢١٨٤/٤ – ومعنى وجبه : السقط (انظر شرح النووى ١١٩/١٧

٢) أخرجه مسلم كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها باب يدخلها الجبارون ٢١٨٨/٤ برقم ٢٨٤٨

٣) أخرجه مسلم كتاب صفة الجنة ، باب شدة حر نار جهنم ٢١٨٤/٤ رقم ٢٨٤٢

٤) أخرجه مسلم كتاب صفة الجنة باب في شدة حر نار جهنم ٢١٨٥/٤ رقم ٢٨٤٥

٥) المرجل : قدر معروف سواء كان من نحاس أوحديد أو غيره انظر صحيح مسلم ١٩٦/١

٦) أخرجه البخاري كتاب الرفاق باب صفة الجنة والنار ٢٠٢/٧ ، ومسلم كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذابا ١٩٦/١ رقم ٢١٣ واللفظ له

٧) سورة الدخان آية ٤٣-٤٦

٨) أخرجه الترمذي في صفة النار ١٠٧/٤ رقم ٢٧١١ وصححه الألبانى انظر صحيح الجامع الصغير رقم ١٥٢٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإن جهـــنم لموعدهم أجمعين﴾[١] وقال تعالى : ﴿ ٠٠٠ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾[٢]

وقـــال تعـــالى:﴿٠٠قـــل أفأنبـــئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصـــير﴾[٣] وقـــال تعـــالى: ﴿ ٠٠هذه جهنم التي كنتم توعدون٠اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهىٰ وأمر ﴾[٥]

إن هذه الآيات والأحاديث فيها دلالة واضحة على العذاب الأليم والنكال الشديد الذي ينتظر كل من خالف أمر الله وعصاه واتبع هواه وضل الصراط المستقيم وحاد عن منهج الله القويم فيصلى في سعيرها ويغل في سلاسلها التي تبلغ سبعين ذراعاً ومع دوام العذاب يرافقهم الذل والصغار والهوان والاحتقار وما في ذلك من الحسرات والندامات والدواهي العظام ، نعود بالله من عقابه وأليم عذابه ٠

---

١) سورة الحجر آيتى ٤٢-٤٣

٢) سورة هود آية ١٧

٣) سورة الحج آية ٧٢

٤) سورة يس آية ٦٣-٦٤

٥) سورة القمر آية ٤٦

الفصل الثالث

أسلوب المدح والذم

المبحث الأول : أسلوب المدح للمتصفين بالاتباع للحق

المحث الثانى : أسلوب الذم للمتصفين بالاتباع للباطل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث

أسلوب المدح والذم

مدخل

اشتملت اللغة العربية على كثير من الأساليب والألفاظ التي تدل على المدح والذم ، بعضها يؤدي معناه بلا قرينة وبعضها الآخر لا يؤدي هذا المعنى إلا بوجود قرينة تساعد على فهم المراد كالاستفهام والتعجب والنفي فهي بالإضافة إلى معناها الخاص تدل على معنى المدح والذم لوجود قرينة لفظية أو معنوية فيها ، أما الألفاظ التي تدل على المدح والذم صراحة فهي (نعم) و (بئس) وما جرى مجراهما من الألفاظ في الدلالة على المدح العام أو الذم العام [١]

وأما أساليب المدح والذم في القرآن كثيرة ومايهمنا منه هنا هو المدح والذم كأسلوب من أساليب القرآن في بيان الاتباع الحق والاتباع الباطل حيث مدح الله تعالى الاتباع الحق كما مدح أتباعه والملتزمين به والمستقيمين عليه ، وبالمقابل جاء ذم الاتباع الباطل كما ذم تعالى أصحابه المنحرفين عن الحق والمعرضين عن الاتباع الحق المائلين إلى الاتباع الباطل والسائرين عليه وذكر النحاة أن لنعم وبئس استعمالين [٢]

الأول : أن يستعملا فعلين متصرفين كسائر الأفعال الأخرى فيكون لهما مضارع وأمر

الثاني : أن يستعملا لإنشاء المدح والذم فيكونا غير متصرفين لخروجهما عن الأصل وقد ورد فعل نعم في مواضع كثيرة في القرآن بلغت ثماني عشرة مرة في ست عشرة آية كما وردت بئس في القرآن حيث بلغ مجموعها تسعةوثلاثين موضعا ، قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾[٤] .

---

١) انظر مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الامام محمد بن سعود مقال بعنوان المدح والذم في القرآن ص١٠٥ عوض الجهادى العدد ١١ سنة١٤٠١هـ .

٢) انظر المرجع السابق ص ١٠٦ فما بعدها

٣) سورة العنكبوت آية ٥٨

٤) سورة آل عمران آية ١٦٢

وهناك أفعال تجري مجرى نعم وبئس في القرآن فتدل على المدح والذم مثل حسن وكبر وساء قال تعالى: ﴿ وحسن أولئك رفيقا﴾[١] وقوله ﴿ نعم الثواب وحسنت مرتفقا﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[٣]

أما الفعل ساء فقد كان أكثر الأفعال ورودا في القرآن مقصودا به الذم لأنه يجري مجرى بئس ، قال تعالى: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾[٤] ولا شك أن القرآن الكريم حافل بالآيات التي تشعر بالمدح والتي تشعر بالذم وليس فيها أفعال مدح ولا أفعال ذم ولا الأفعال التي تجري مجراهما وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب وهذه الدراسة سوف تتناول ذلك بشيء من الإيضاح والبيان وذلك بذكر الآيات التي فيها مدح المتصفين بالاتباع الحق وذكر الآيات التي فيها ذم المتصفين بالاتباع الباطل .

---

١) سورة النساء آية ٦٩

٢) سورة الكهف آية ٣١

٣) سورة الصف آية ٣ .

٤) سورة الأنعام آية ٣١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

أسلوب المدح للمتصفين بالاتباع للحق

المدح : مادته مدح (الميم والدال والحاء أصل صحيح يدل على وصف محاسن بكلام جميل ، ومدحه يمدحه مدحا : أحسن عليه الثناء والأمدوحة : المدح)[١] قال الشاعر [٢]

لو كان مدحة حي منشرا أحدا أحيا أبا كن يا ليلى الأماديح [٣]

ومدحه مدحا : أثنى عليه بما له من الصفات ، ومدحه : أكثر مدحه[٤] والمدح أسلوب من أساليب القرآن للمتصفين باتباع الحق المستقيمين عليه ، فيمدح العمل الحق تارة ، ويمدح العامل له تارة أخرى كما يمدح أجر العاملين ﴿ونعم أجر العاملين ﴾[٥] (والمخصوص بالمدح محذوف تقديره : ونعم أجر العاملين ذلك : يعني المغفرة والجنات)[٦]

وفي مدح المتصفين باتباع الحق يقول تعالى: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾[٧] ففي الآية مدح من الله تعالى للذي ((أخلص العمل لربه عزوجل فعمل إيمانا واحتسابا (وهو محسن) أي اتبع في عمله ما شرعه الله له ، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما أي يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون متابعا للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة وباطنه بالإخلاص فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد ، فمتى فقد الإخلاص كان منافقا وهم الذين يراءون الناس ، ومن فقد المتابعة كان ضالا جاهلا ، ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم ..)[٨]

---

١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة مدح ٣٠٨/٥

٢) هو أبوذؤيب الهذلي

٣) انظر ديوان أبي ذؤيب الهذلي ٨٦ شرح سوهام المصري المكتب الاسلامي بيروت ط١ سنة ١٤١٩هـ.

٤) إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط مادة مدح ، ٨٥٧/٢

٥) سورة آل عمران آية ١٣٦

٦) الزمخشري ، الكشاف ٤١٧/١

٧) سورة النساء آية ١٢٥

٨) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٧٤٤/١

ولهذا قال تعالى: ﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفا ﴾[١] ((وهم محمد واتباعه إلى يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي ٠٠ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾[٣] والحنيف هو المائل عن الشرك قصدا ، أي تاركا له عن بصيرة ، ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ولا يرده عنه راد))[٤] فيكون معنى الآية إذا (لا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود وهو إسلام الوجه لله ، الدال على استسلام القلب وتوجهه وإثابته وإخلاصه وتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله (وهو) مع هذا الإخلاص والاستسلام (محسن) أي متبع لشريعة الله التي أرسل الله بها رسله وأنزل كتبه وجعلها طريقا لخواص خلقه وأتباعهم (واتبع ملة إبراهيم) أي دينه وشرعه (حنيفا) أي مائلا عن الشرك إلى التوحيد وعن التوجه إلى الخلق إلى الإقبال على الخالق)[٥] فالمتبع لرضوان الله ممدوح فعله والله تعالى يهديه إلى سبل السلام لحرصه بلوغ مرضاة الله وحسن قصده في الاتباع الحق كما قال تعالى: ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾[٦]

كما مدح تعالى أصحاب نبيه ﷺ من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في حالات العسر فلم يخالفوا أمره بل خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة تبوك بالرغم من وجود الحر الشديد ، وضيق في الزاد والحال وقلة في المركوب وكثرة في عدد العدو[٧]

قال تعالى: ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم ﴾[٨]

---

١) سورة النساء آية ١٢٥

٢) سورة آل عمران آية ٦٨

٣) سورة النحل آية ١٢٣

٤) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٧٤٤/١

٥) عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ١٦٩

٦) سورة المائدة آية ١٦

٧) انظر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٣١١

٨) سورة التوبة آية ١١٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والسبب الذي به استحقوا هذا المدح والثناء من الله تعالى ماعانوه من المشقة والشدة في سبيل الله تعالى ، وقد سئل عمر بن الخطاب في شأن العسرة فقال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا فأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع وحتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعثر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده ، فقال أبو بكر الصديق يارسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا فقال: " تحب ذلك" قال : نعم ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فأهطلت ثم سكنت فملؤوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر) [١] قوله تعالى: ﴿ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ﴾ (أي عن الحق ويشك في دين الرسول ﷺ ويرتاب للذي نالهم من المشقة والشدة في سفرهم وغزوهم (ثم تاب عليهم) يقول : ثم رزقهم الإنابة إلى ربهم والرجوع إلى الثبات على دينه) [٢] ﴿ إنه بهم رءوف رحيم ﴾ .

ومن الاتباع الحق الاقتداء بالأنبياء والمرسلين ، وهذا نبي من أنبياء الله يذكر تميزه بهذا الأمر وأنه بالاتباع وصل إلى ما وصل إليه ثم دعا الفتيان إلى أن يسلكا مسلكه ذلك حتى تكون لهما الميزة على غيرهما بحسب اتباعهما قال تعالى: ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾[٣] ففي المدح بتميز النبي ﷺ بأمر الاتباع يقول : " هجرت طريق الكفر والشرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى ، واتبع طريق المرسلين ، وأعرض عن طريق الضالين فإن الله يهدي قلبه ، ويعلمه ما لم يكن يعلمه ويجعله إماما يقتدى به في الخير وداعيا إلى سبيل الرشاد)[٤]

كما مدح تعالى المتبع للذكر وذلك لحسن قصده في طلب الحق وخشيته لله تعالى في

---

١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٢٣/٤ رقم ١٣٨٣.

٢) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٥٢٢/٢

٣) سورة يوسف آية ٣٨

٤)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٦٢٩/٢

ذلك ، وأخبر أنهم المنتفعون برسالة الرسول ﷺ ونذارته ، قال تعالى: ﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾[١]

، يقول ابن كثير : (أي إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر وهو القرآن العظيم (وخشي الرحمن بالغيب) أي حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى يعلم أن الله مطلع عليه وعالم بما يفعل (فبشره بمغفرة) أى لذنوبه (وأجر كريم) أي كثير واسع حسن جميل)[٢] وأخبر تعالى أن المتصفين بصفة اتباع أحسن القول كتب لهم الهداية في الدنيا والآخرة ، ومدحهم لحسن استماعهم لكل قول بقصد التمييز بين حسنه وسيئه لإيثار الحسن واتباعه واجتناب السيئ ، واستحقوا هذا المدح لعقلهم الراجح وحزمهم في البحث والتحري للقول الحسن واتباعه فالذي (لا يميز بين الأقوال ، حسنها وقبيحها ليس من أهل العقول الصحيحة)[٣] قال تعالى: ﴿.. فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[٤] ففي هذه الآية الكريمة (نكتة وهي : أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه كأنه قيل : هل من طريق إلى معرفة أحسنه ، حتى نتصف بصفات أولي الألباب وحتى نعرف أن من آثره فهو من أولي الألباب ؟ قيل: نعم أحسنه ما نص الله عليه أجورهم)[٥] بقوله: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ﴾[٦] ، وأحسن الكلام على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله ﷺ .

(وقد دل ثناء الله على عباده المؤمنين الكمل بأنهم أحرزوا صفة اتباع أحسن القول الذي يسمعونه على شرف النظر والاستدلال للتفرقة بين الحق والباطل ، وللتفرقة بين الصواب والخطأ ولغلق المجال في وجه الشبهة ونفي تلبس السفسطة....

ومما يتبع ذلك انتقاء أحسن الأدلة وأبلغ الأقوال الموصلة إلى هذا المقصود بدون اختلال ولا اعتلال بتهذيب العلوم ومؤلفاتها ، فقد قيل خذوا من كل علم أحسنه أخذا)[٧]

---

١) سورة يس آية ١١

٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٣/٧٤٥

٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٨

٤) سورة الزمر آية ١٧-١٨

٥) السعدي تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧-٦٦٨

٦) سورة الزمر آية ٢٣

٧) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٣/٣٦٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والله تعالى يمدح المؤمنين لاتباعهم الحق ولأن غايتهم المقصودة تتعلق به ووسيلتهم إليه تكون سليمة قال تعالى: ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم...﴾[١] ، كما يمدح تعالى أتباع الرسل المقتفين آثارهم حيث مدح أتباع نبيه عيسى عليه السلام لاتباعهم له ، وأكرمهم بأن جعل في قلوب أتباعه الرأفة : وهي الرحمة المتعلقة بدفع الأذى والضر، والرحمة وهي العطف والملاينة[٢] وبها كانوا يتراحمون (بخلاف اليهود فإنهم ليسوا كذلك ، وأصل الرأفة اللين والرحمة الشفقة ، وقيل الرأفة أشد الرحمة)[٣] (والذين اتبعوه صادق على من أخذوا بالنصرانية كلهم ، وأعظم مراتبهم هم الذين اهتدوا بسيرته اهتداء كاملا وانقطعوا لها وهم القائمون بالعبادة ، والإتيان بالموصول وصلته إشعار بأن جعل الرأفة والرحمة في قلوبهم متسبب عن اتباعهم سيرته وانقطاعهم إليه).[٤]

ولما انقسموا إلى مستقيمين ومقصرين قال تعالى: ﴿ فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم..) أي (المتصفون بالإيمان المصطلح عليه في القرآن وهو توحيد الله تعالى والإيمان برسله في كل زمان ، أي فآتينا الذين آمنوا من الذين اتبعوه أجرهم. أي الذين لم يخلطوا متابعتهم إياه بما يفسدها مثل الذين اعتقدوا إلهية عيسى عليه السلام أو بنوته لله)[٥] وهكذا نجد أن المدح أسلوب من أساليب القرآن حيث يمدح الله نبيه لاتباعه الحق الذي أنزله إليه .

كما يمدح المؤمنين المتبعين لمنهاجه المقتفين آثار أنبيائه في كل جيل وكل زمان ومكان ، ورأينا أن أفضل من وقع عليهم المدح ممن اتصف بالاتباع الحق والالتزام به من أمة محمد كان متحققا في سلفها متمثلا في الصحابة والتابعين وأتباعهم ، ولم ينضب معين الاتباع في الخلف أيضا فلا تزال طائفة من أمة محمد ﷺ متبعة الحق مستمسكة به قال ﷺ : (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[٦]

---

١) سورة محمد آية ٣
٢) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٤٢١/٢٧
٣) الشوكاني ، فتح القدير ٢٠٦/٥
٤) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ٤٢١/٢٧
٥) المرجع السابق ٤٢٦/٢٧
٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأمارة باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ١٥٢٣/٣ برقم (١٩٢٠)

المبحث الثاني

أسلوب الذم للمتصفين بالاتباع للباطل

الذم : ذم(الذال والميم في المضاعف أصل واحد يدل كله على خلاف الحمد : يقال ذممت فلانا أذمه فهو ذميم ومذموم ، إذا كان غير حميد)[١] ، وذمه ذما ، فهو مذموم وذميم وذم ضد مدحه ، وأذمه : وجده ذميما ، وأذم بهم : تركهم مذمومين في الناس ، وتذاموا : ذم بعضهم بعضا[٢] (والذم نقيض المدح يذمه ذما فهو مذموم ... ، وذم يذم ذما وهو اللوم في الإساءة ، وأذم الرجل أتى بما يذم عليه)[٣] والذم هو : (الوصف بالمعائب التي في الموصوف)[٤]

وقد وردت في كتاب الله تعالى آيات كثيرة في الذم عامة بلغت ١٥٢ موضعا أما الآيات التي تخص ذم المتصفين باتباع الباطل فقد بلغت ٦٤ موضعا[٥]

ولما كان الإعراض عن اتباع الحق متعدداً فهناك إعراض كلي وهناك إعراض جزئي ، فقد يتبع الإنسان الشيطان وقد يتبع الهوى أو الشهوات أو الظن أو المتشابه أو سبيل المفسدين ، أو اتباع الآباء في غير هدى من الله ، أو غير ذلك ، فقد جاء الذم في كتاب الله لكل معرض حسب إعراضه فمن أعرض عن الحق وأراد الدنيا الفانية وسعى لها ناسيا مبتدأه ومنتهاه فقد ذمه الله في صنيعه وأعد له جهنم كما قال تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾[٦] كما ذم تعالى متبع الباطل والمعرض عن الحق بالكلية ذما مطلقا كما مدح متبع الحق مدحا مطلقا ذلك لأن الباطل يقابل الحق قال تعالى: ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ..﴾[٧]

١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة ذم ٣٤٥/٢
٢) الطاهر أحمد الرازي ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة مادة ذمم ٢٦٧/٢ الدار العربية للكتاب ، بيروت ط ٣سنة ١٩٨٠م .
٣) ابن منظور لسان العرب مادة ذم ١٥١٦/٣
٤) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٦٠/١٥
٥) انظر محمد بسام رشدي – المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم مادة الذم ، دار الفكر ، بيروت ودمشق ط١ سنة١٤١٦هـ .
٦) سورة الاسراء آية ١٨-١٩
٧) سورة محمد آية ٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والباطل في الآية قد يكون المعدوم وهو ما لا يجوز وجوده ، وقد يكون الشيطان لأنه متبوع وأتباعه هم الكفرة والفجار قال تعالى: ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾[١] وقد يكون الباطل قول كبرائهم ودين آبائهم كما قال تعالىعنهم : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾[٢] وقد يكون كل ما سوى الله بلطل لأن الباطل والهالك بمعنى واحد[٣] قال تعالى: ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه﴾[٤] ولهذا يأتي الذم في كتاب الله لكل معرض عن اتباع الحق ، وفي معرض ذلك يقول تعالى: ﴿أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾[٥]

ففي الآية بيان من الله أنه لا يستوي من كان قصده رضوان الله والعمل على ما يحب الله ويرضى كمن ليس كذلك ممن استحق غضب الله بانكبابه على المعاصي مسخطا ربه فهذان لا يستويان في حكم الله وحكمته فالمتبعون لرضوان الله ممدوحون منصورون موفقون للسعي في نيل الدرجات العاليات والمتبعون لمساخط الله مذمومون مخذولون يسعون إلى ما فيه حتفهم وهلاكهم من النزول في الدركات إلى أسفل سافلين﴾[٦]

وكما قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[٧](أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ فصار في شق ، والشرع في شق وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له)[٨] فهذا مذموم صنيعه ، معيب توجهه وفعله محاسب على تقصيره ، فاتباعه غير سبيل المؤمنين في الاعتقاد والعمل أوقعه إلى أن ترفع منه هداية الله له ولطفه به حيث تركه الله وما اختاره لنفسه وخذله فلم يوفقه للخير بسبب علمه بالحق وتركه له فجاء الجزاء من جنس العمل فبقي في ضلاله حائرا .

والذم على الشقاق ومخالفة الرسول ﷺ يتضمن مراتب عظيمة فقد تكون المخالفة كبيرة يعظم بعظمها الذم ، وقد تكون يسيرة يقل الذم بقلتها ، وذلك كله يعود إلى حالة المذنب والمخالف صغرا وكبرا .

١) سورة ص آية ٨٥
٢) سورة الزخرف آية ٢٢
٣) انظر الفخر الرازي ، التفسير الكبير ٣٦/٢٨
٤) سورة القصص آية ٨٨
٥) سورة آل عمران آية ١٦٢
٦) انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٥٦٣/١ ، والسعدى ، تيسير الكريم الرحمن ص١٢٣
٧) سورة النساء آية ١١٥
٨) ابن كثير تفسير القرآن العظيم (٧٣٧/١)

والمخالفة الكبيرة تكون بالكفر بالله وهو الذي يقع عليه أعظم الذم من الله تعالى ومما جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴾[١] فقد ذمهم الله تعالى لعصيانهم رسولهم هوداً عليه السلام ومن عصى رسولاً واحداً فقد عصى جميع الرسل (لأن تكذيبهم هوداً لم يكن خاصاً بشخصه لأنهم قالوا له ﴿ وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ﴾[٢] فكل رسول جاء بأمر ترك عبادة الأصنام فهم مكذبون به)[٣] كما ذمهم لاتباعهم أمر كل متسلط جبار على عباد الله (معاند لآيات الله فعصوا كل ناصح ومشفق عليهم واتبعوا كل غاش لهم يريد إهلاكهم لا جرم أهلكهم الله)[٤] فلحقهم الذم في الدنيا والآخرة ﴿ واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ﴾[٥]

كما ذم تعالى في كتابه كثيراً كل متبع لهواه ، وعد الهوى إلهاً يعبد من دون الله قال تعالى ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً ﴾[٦] ونهى رسوله عن طاعته واتباعه قال تعالى : ﴿ ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾[٧]

والنهي للرسول ﷺ نهي لأمته من باب أولى وأحرى ، وأخبر تعالى أنه لا أحد أضل ممن اتبع هواه في غير هدى من الله قال تعالى : ﴿ ٠٠٠ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ٠٠ ﴾[٨] ، (فهذا من أضل الناس حيث عرض عليه الهدى والصراط المستقيم الموصل إلى الله وإلى دار كرامته فلم يلتفت إليه ، ولم يقبل عليه ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء فاتبعه وترك الهدى ، فهل أحد أضل ممن هذا وصفه ؟) [٩] ، بل أخبر تعالى أن اتباع الهوى كان سبباً للإخلاد إلى الأرض والنكوص على الأعقاب ــ نعوذ بالله من الخذلان . قال تعالى:﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا

---

١) سورة هود آية ٥٩

٢) سورة هود آية ٥٣

٣) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٠٥/١٢

٤) عبدالرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٣٤٠

٥) سورة هود آية ٦٠

٦) سورة الفرقان آية ٤٣

٧) سورة الكهف آية ٢٨

٨) سورة القصص آية ٥٠

٩) عبدالرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ٠ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾[١] ، والمعنى أن الله تعالى علمه كتابه فتعلم حجج التوحيد وفهم أدلته حتى صار عالما كبيرا لكن أقلع عن العمل بما تقتضيه ، لأن الانسلاخ هو ترك التلبس بالشيء وعدم العمل به ، فكان من الغاوين لإطاعته للشيطان ولحوقه به حيث آتاه الله الهدى[٢] ((فانسلخ منه إلى الضلال والهوى والعمى ومال إلى الدنيا حتى تلاعب به الشيطان ، كان منتهاه إلى البوار والردى ، وخاب في الآخرة والأولى فذكر قصته ليحذر الناس عن مثل حالته))[٣] ولوشاء الله لرفعه بآياته بأن وفقه للعمل بها ولكنه فعل ما يقتضي الخذلان فأخلد إلى الشهوات السفلية والمقاصد الدنيوية ، واتبع هواه بأن ترك طاعة مولاه وأعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات[٤] (وهذه الآية من أشد الآيات على أصحاب العلم ، وذلك لأنه تعالى بعد أن خص هذا الرجل[٥] بآياته وبيناته ، وعلمه الاسم الأعظم ، وخصه بالدعوات المستجابة ، لما اتبع الهوى انسلخ من الدين وصار في درجة الكلب ، وذلك يدل على أن كل من كانت نعم الله في حقه أكثر ، فإذا أعرض عن متابعة الهدى وأقبل على متابعة الهوى كان بعده عن الله أعظم)[٦] ، ففي الحديث جاء عن النبي ﷺ قوله : " من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا "[٧] ، وأيا كان هذا الذي بين الله نبأه في كتابه فإن الآيات عامة ، وأن الذم يلحق كل من عمل عمله واقتفى أثره إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ٠

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن هذا الذم وقع على من ذمه الله في هذه الآية من عشرة أوجه فقال: (وتأمل ما تضمنته هذه الآية من ذمه وذلك من وجوه :

١) سورة الأعراف آية ١٧٥-١٧٦

٢) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٧٦/٩ والسعدى تيسير الكريم الرحمن ص٢٧٢

٣) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ٤٦/١٥

٤) انظر السعدى ، تيسير الكريم الرحمن ص٢٧٢

٥) قيل هو أميه بن أبي الصلت روى ذلك عن عبد الله بن عمرو كما في الطبرى ، ومال إليه القرطبي لشهرته ، وقيل هو أبوعامر الراهب قال به سعيد بن المسيب ، وذهب أكثر المفسرين إلى أنه رجل من الكنعانيين يقال له بلعام بن باعور وضعف ابن عاشور قصته لاضطرابها واختلافها بغيرها ، وقال : الأقرب أن يكون صاحب هذا النبأ ممن للعرب إلمام بمجمل خبره(انظر تفسير التحرير والتنوير ١٧٤/٩-١٧٥)

٦) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ٤٦/١٥-٤٧

٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٤١/٣

أحدها: أنه ضل بعد العلم واختار الكفر على الإيمان عمدا لا جهلا ، وثانيها: أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبدا فإنه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحبة من قشرها ولوبقي معه منها شيء لم ينسلخ منها ، وثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه ولهذا قال فاتبعه الشيطان ولم يقل تبعه فإن في معنى اتبعه أدركه ولحقه وهو أبلغ من تبعه لفظا ومعنى ، ورابعها: أنه غوى بعد الرشد ، والغي الضلال في العلم والقصد وهو أخص بفساد القصد والعمل كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر وإن افترقا فالفرق ما ذكر .

وخامسها : أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم فكان سبب هلاكه لأنه لم يرفع به فصار وبالا عليه فلو لم يكن عالما كان خيرا له وأخف لعذابه ، وسادسها: أنه سبحانه أخبر عن خسة همته وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى .

وسابعها : أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس ولكنه كان عن إخلاد إلى الأرض وميل بكليته إلى ماهناك ، وأصل الإخلاد : اللزوم على الدوام كأنه قيل لزم الميل إلى الأرض : ومن هذا يقال أخلد فلان بالمكان إذا لزم الإقامة به...

وثامنها : أنه رغب عن هداه واتبع هواه فجعل هواه إماما له يقتدي به ويتبعه ، وتاسعها : أنه شبهه بالكلب الذي هو أخس الحيوانات همة وأسقطها نفسا وأبخلها وأشدها كلبا ولهذا سمي كلبا ، وعاشرها :أنه شبه لهثه على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها وحرصه على تحصيلها بلهث الكلب في حالتي تركه والحمل عليه بالطرد وهكذا : هذا إن ترك فهو لهثان على الدنيا وإن وعظ وزجر فهو كذلك فاللهث لا يفارقه في كل حال)[1]

كما ذكر تعالى على سبيل الذم الأتباع والمتبوعين هؤلاء على إضلالهم وأولئك على ضلالهم ، وحكى تبرأ بعضهم من بعض حالة رؤيتهم العذاب لأنهم رأو أسبابه وأيقنوا أن الله أعده لمن أضل الناس وأنهم عاجزون عن تخليص أتباعهم من العذاب فجعلوا يتباعدون منهم لئلا يلحق بهم عذاب المضلين والمعنى (أنهم تمنوا أن يعودوا إلى الدنيا بعد ماعلموا الحقيقة وانكشف لهم سوء صنيعهم فيدعوهم الرؤساء إلى دينهم فلا يجيبونهم ليشفوا غيظهم من رؤسائهم الذين خذلوهم ولتحصل للرؤساء خيبة وانكسار كما خيبوهم في الآخرة .... فقد اتهم الاتباع متبوعيهم بأنهم أضلوهم على بصيرة لعلمهم غالبا ،

١) محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، الفوائد ص ١٠١-١٠٢ ،مكتبة الرياض الحديثة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والأتباع مغرورون لجهلهم فهم إذا رجعوا جميعا إلى الدنيا رجع المتبوعون على ما كانوا عليه من التضليل على علم بناء على أن مارأوه يوم القيامة لم يزعهم لأنهم كانوا من قبل موقنين بالمصير إليه)[١]

فالأتباع والمتبوعون كلهم مذمومون لمخالفتهم اتباع الكتاب والاكتفاء باتباع بعضهم بعضا ظنا منهم أن هذا ينفعهم وينجيهم (وهذه حال كل من اتخذ من دون الله ورسوله وليجة وأولياء يوالي لهم ويعادي لهم ويرضى لهم ويغضب ، فإن أعماله كلها باطلة يراها يوم القيامه حسرات عليه مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونصبه ، إذ لم يجرد موالاته ومعاداته ومحبته وبغضه وانتصاره وإيثاره لله ورسوله ، فأبطل الله عز وجل ذلك العمل كله ، وقطع تلك الأسباب ، فينقطع يوم القيامة كل وصلة ووسيلة ومودة ، وموالاة كانت لغير الله تعالى ، ولا يبقي إلا السبب الواصل بين العبد وربه وهو حظه من الهجرة إليه وإلى رسوله ، وتجريد عبادته له وحده ولوازمها من الحب والبغض ، والعطاء والمنع ، والموالاة والمعاداة ، والتقريب والإبعاد ، وتجريده متابعة رسوله وترك أقوال غيره ، وترك ما خالف ما جاء به ، والإعراض عنه وعدم الاعتناء به وتجريد متابعته تجريدا محضا بريئا من شوائب الالتفات إلى غيره)[٢] .

وعلى هذا يمكن إجمال ما ذمه الله تعالى في كتابه في الأمور التالية :

١ – ذم اتباع الشياطين قال تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين علي ملك سليمان..﴾[٣]

وقال تعالى : ﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ﴾[٤]

٢ – ذم اتباع أهل الكتاب ، قال تعالى : ﴿ ولن ترضي عنك اليهود ولا النصاري حتي تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير ﴾[٥]

---

١) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٩٩/٢

٢) ابن قيم الجوزية ، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم ٣٧٦/١-٣٧٧ ، جمع يسرى السيد دار ابن الجوزي الدمام ط١ سنة١٤١٤هـ .

٣) سورة البقرة آية ١٠٢

٤) سورة الإسراء آية ٦٣

٥) سورة البقرة آية ١٢٠ وانظر آية ١٤٥

٣ – ذم اتباع المتشابه ، قال تعالى ﴿ ... فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ... ﴾[١] ، وهؤلاء الذين يتبعون المتشابه من الآيات قال عنهم الإمام أحمد (هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب يحتجون بالمتشابه من الكلام ويضلون الناس بما يشبهون عليه)[٢]

٤ – ذم اتباع الشهوات ، قال تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾[٣]

٥ – ذم اتباع غير سبيل المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولي ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾[٤]

٦ – ذم اتباع الهوى قال تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق ﴾[٥] وقوله ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾[٦]

٧ – ذم اتباع الظن قال تعالى : ﴿ .. وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ﴾[٧] وقوله ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا ﴾[٨] (وهكذا في سائر المواضع يذم الذين إن يتبعون إلا الظن فعندهم ظن مجرد لا علم معه وهم يتبعونه والذي جاءت به الشريعة وعليه عقلاء الناس أنهم لا يعملون إلا بعلم بأن هذا أرجح من هذا فيعتقدون الرجحان اعتقادا عمليا لكن لا يلزم إذا كان أرجح أن لا يكون المرجوح هو الثابت في نفس الأمر)[٩] فالآيات التي فيها ذم الذين لا يتبعون إلا الظن كثيرة[١٠] حيث طالبهم الله تعالى

١) سورة آل عمران آية ٧

٢) ابن تيمية التفسير الكبير ٢٥١/١ ، تحقيق عبدالرحمن عميرة دار الكتب العلميه بيروت ط١ سنة١٤٠٨هـ .

٣) سورة مريم آية ٥٩

٤) سورة النساء آية ١١٥

٥) سورة الرعد آية ٣٧

٦) سورة الكهف آية ٢٨

٧) سورة النساء آية ١٥٧

٨) سورة يونس آية ٣٦

٩) ابن تيمية ، التفسير الكبير ٢٢١/١

١٠) انظر الآيات الأنعام ١١٦ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، النجم ٢٣ ،٢٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالعلـــم وذمهم لاتباعهم الظن وتتبعهم له بغير علم .

٨ – ذم اتباع السبل المتفرقة قال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فـــاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ﴾(١)

٩ – ذم اتباع سبيل المفسدين قال تعالى : ﴿ وقال موسي لأخيه هارون اخلفني فـــي قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾(٢)

١٠ – ذم اتباع سبيل الذين لا يعلمون قال تعالى : ﴿ قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾(٣)

١١ – ذم اتباع الجبابرة قال تعالى : ﴿ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رســله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴾(٤)

١٢ – ذم اتباع المترفين قال تعالى : ﴿ واتبع الذين ظلموا ما أترفــوا فيــه وكــانوا مجرمين﴾ (٥)

١٣ – ذم اتباع الآباء في غير هدى من الله قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعــوا مــا أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾(٦)

١٤– ذم اتباع مساخط الله تعالى قال تعالى : ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾(٧)

هكذا يجد المتأمل في كتاب الله تعالى أن الذم يقع في أشياء كثيرة ، ويـــذم المكلــف بقدر اقترابه من هذا الشيء المذموم اتباعه واقترافه له واقترانه به ، ويسلم من الذم بقــدر بعده عنه واتباعه صراط الله المستقيم المتمثل في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

---

١) سورة الأنعام آية ١٥٣
٢) سورة الأعراف آية ١٤٢
٣) سورة يونس آية ٨٩
٤) سورة هود آية ٥٩
٥) سورة هود آية ١١٦
٦) سورة لقمان آية ٢١
٧) سورة محمد آية ٢٨

الباب الثالث

مجالات الاتباع

الفصل الأول : مجالات الاتباع للحق في العقيدة والشريعة والأخلاق

الفصل الثانى : مجالات الاتباع للباطل في العقيدة والشريعة والأخلاق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

مجالات الاتباع للحق في العقيدة والشريعة والأخلاق

المبحث الأول : مجالات الاتباع في العقيدة

المبحث الثانى : مجالات الاتباع في الشريعة

المبحث الثالث : مجالات الاتباع في الأخلاق

مدخـــل

إن مجالات الاتباع في العقيدة والشريعة والأخلاق متسعة وشاملة لأنها تشمل جميع مادعا إليه الرسل عليهم السلام حيث أن العقيدة والشريعة والأخلاق تعتبر أصول دعوة الرسل كلهم فقد دعوا إليها مجتمعة ولم يختلف عندهم مجال العقيدة لأن مرسلهم واحد فدعوا إلى توحيده وعبادته وحده فحكى الله عنهم في كتابه قول كل رسول لقومه ، ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[١] قالها نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ، أما جانب الشريعة فكان يختلف من رسول إلى آخر حسب ما يشرعه الله تعالى لعباده ، ولهذا قال ﷺ : " الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد "[٢] قال ابن حجر [٣]معناه: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع لأن الأصل في المنهج الإلهي أن يصرف حياة الناس وينظمها ولكل أمة من الأمم ما يناسب زمانها ومكانها وحالها فجاءت شريعة كل رسول مختلفة من هذا المنطلق .

فالعقيدة يتمثل فيها الأساس النظري للدين الذي يشمل القاعدة الأساس في بنائه ومنه ينطلق المؤمن ليضبط كل حركة بضوابطها ويوجه سلوكه وأعماله ، كما يعرف هذا الأصل الإنسان بدوره في الحياة ويحدد له مصيره الذي ينتهي إليه في الآخرة ويرسم له معالم صلته بربه وصلته بالحياة والأحياء والكون من حوله [٤]

والعقيدة تشتمل على أصول الإيمان وأركانه ، مما يجب أن يعتقده المؤمن ويصدق به ، والعلم المتعلق بها يسمى علم العقيدة أوالإيمان أو أصول الدين أوعلم التوحيد ، وأحكامها أصلية واعتقادية ، فيكون الأصل فيها التمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومجانبة الهوى والبدع ولزوم طريق السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من سلف الأمة .

أما جانب الشريعة فهو الذي يحدد للمكلفين حدودا في أقوالهم وأفعالهم ، فيبين كيفية عمل المكلف وفعله والإتيان به على الوجه الذي أمر به الشرع في الشعائر التعبدية والنظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والأسري ، وكل ما من شأنه تنظيم حياة النلس وارتباطاتهم وعلاقاتهم ، وتسمى أحكام الشريعة أحكاما فرعية أو عملية ويسمى العلم

١) سورة الأعراف انظر الآيات ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥ ، والعنكبوت آية ١٦

٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها ...برقم ٣٤٤٣

٣) ابن حجر العسقلاني فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٨٩/٦ .

٤) انظر عثمان جمعة ضميرية مدخل لدراسة العقيدة ص٣١ مكتبة السواري ،جدة ،ط١سنة١٤١٤هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المتعلق بها علم الفروع أو فروع الدين أو الفقه أو علم الشرائع والأحكام ٠ أما جانب الأخـــلاق فلـــه أهميتُه الكبرى حيث هو من أفضل العلوم وأشرفها فبه يقف الإنسان على معـــرفة الخير من الشر والسلوك النافع من الضار ، والأخلاق سجايا وطبائع راسخة في النفس تصدر عنها بسهولة ويسر حسنة كانت أو سيئة ولهذا رفع الإسلام من شأن محاسن الأخـــلاق مكانة عليّة لم تكن في دين قبله أو منهج من المناهج قال ﷺ : " إن من خياركم أحســـنكم أخلاقاً "[١] ، بل حدد ﷺ الغاية الأولى من بعثته بقوله: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخـــلاق "[٢] فكان بحق المثل الأعلى فيها لأن الله صنعه على عينه فقد تحقق فيه الكمال الخـــلقي فكان خير من اهتدى بهدي القرآن وتحلى بأخلاقه. والقرآن الكريم اشتمل على الأخـــلاق كمـــا اشـــتمل على غيرها من العقائد والعبادات والمعاملات والعبر والعظات ، فذكـــرها على أنها قواعد كلية تهذب السلوك وتربي المكلفين على الخلق الجميل ، فجاءت آيات الأخلاق قصيرة في ألفاظها واسعة بمفاهيمها قال تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعـــرض عـــن الجاهلين ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾[٤]

الصلة بين العقيدة والشريعة والأخلاق

إنهـــا صلة قوية ومتينة لا تنفك عن بعضها بأي حال من الأحوال فالعقيدة هي أصل البناء وأساسه ، والشريعة تنبثق عن هذا الأصل وتقوم عليه ، والخلق هو كل فعل سلوكي للإنسان في مجالات الحياة المختلفة ينبثق عن أصول العقيدة ويتفرع بفروع الشريعة ٠

وهكـــذا نجد التعانق بين العقيدة والشريعة والأخلاق فهي مجمل هذا الدين الذي أكرمنا الله بـــه ، فالعقيدة هي الشريعة وهما الخلق الحسن ولهذا كان بعض السلف يرى أن الدين هو الأخـــلاق الكريمة وبناء على ذلك فسرت الآية الكريمة ﴿وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[٥] أي لعـــلى ديـــن عظيم ، لا دين أحب إليّ ولا أرضى عندي منه وهو دين الإسلام)[٦]، ولهذا يقول ابن القيم : (الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين)[٧]

١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ رقم ٣٣٦٦
٢) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق ، ٩٠٤/٢ واحمد في المسند ٣٨١/٣
٣) سورة الأعراف آية ١٩٩
٤) سورة النحل آية ٩٠
٥) سورة القلم آية ٤
٦) انظر ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/١٤ ، وابن القيم تهذيب مدارج السالكين ص٤١٣
٧) انظر ابن القيم مدارج السالكين ٣٠٧/٢

وبهذا يتبين أن أحكام العقيدة والشريعة والأخلاق الواردة في القرآن مترابطة ومؤسسة على التقوى ، فيأتي التنبيه دائما في هذه الأحكام بقضية الاتباع فيها ، والتذكير بعقد الإيمان الذي عقده الإنسان مع ربه أثناء دخوله في دينه قال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقو الله إن الله عليم بذات الصدور ﴾[١]

وليعلم أن هذه التقسيمات للدين إلى عقيدة وشريعة وأخلاق إنما هي تقسيمات فنية اصطلاحية من أجل الدراسة والمعرفة اقتضتها ضرورة التآليف[٢] وإلا فهي أمور مرتبطة لا تنفك عن بعضها فتفريغها عند التطبيق إفساد لها في الحقيقة .

أما ما يلاحظ من الآثار السيئة في الحياة الإسلامية في نفوس بعض الناس فيتمسك ببعضها ويهمل بعضها الآخر فهذا لا يعود إلى هذه التقسيمات بقدر ما يعود إلى بهت صورة الإسلام في نفوس أولئك بما التبس عليهم من الأمور لبعدهم عن تعاليمه السمحة ، وإلا فحقيقة الدين بتقسيماته السابقة تعود إلى أمر واحد هو تأليه الله سبحانه وتعالى .

---

١) سورة المائدة آية ٧

٢) انظر عثمان جمعة ضميرية ، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ٣٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

مجالات الاتباع للحق في العقيدة

المطلب الأول : تعريف العقيـــــــــــدة

المطلب الثانى : أهمية العقيـــــــــــدة

المطلب الثالث : موضوعات العقيـــــــدة

المطلب الرابع : آيات الاتباع في العقيـــــدة

المطلب الأول

تعريف العقيـــــدة

العقيدة من العقد والشد والتوثيق ، قال ابن فارس(عقد :العين والقاف والدال أصـــل واحد يدل على شد وشدة وثوق وإليه ترجع فروع الباب كلها ، من ذلك عقد البناء والجمع أعقاد وعقود٠٠٠٠وعقدت الحبل أعقده عقدا وقد انعقد وتلك هي العقيدة ٠٠٠

وعاقدته مثل عاهدته وهو العقد والجمع عقود ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[١] والعقد : عقد اليمين ومنه قوله تعالى : ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾[٢] والعقد فـي البيع إيجابه ، وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه ، واعتقد الشيء صلب ، واعتقد الإخـــاء ثبت)[٣] ، وفي اللسان : (عقد قلبه على الشيء لزمه٠٠٠٠ وتعقد الإخاء اســتحكم مثـل تذلل ، وعقدة كل شيئ إبرامه)[٤]

قال الراغب الاصفهانى : (العقد :الجمع بين أطراف الشيئ ، ويستعمل ذلـــك فـي الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ثم يستعار ذلك للمعاني نحو عقد البيـــع والعـهد وغيرهما فيقال عاقدته وعقدته وتعاقدنا وعقدت يمينه ٠٠٠)[٥] ، وفي المصباح المنـــير : (اعتقدت كذا :عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة ما يدين الإنسان بـــه ، ولـه عقيدة حسنة : سالمة من الشك [٦] .

من هذه النصوص يتبين أن مدار كلمة(عقد) على الوثوق والثبـات والصلابـة فـي الشيء ولزومه ، والصدق به ، ومن هنا جاء تعريف العقيدة كما صـــرح بـه صـاحب المعجم الوسيط فقال : (العقيدة :الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده ، والعقيدة فـــي الدين : مايقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل والجمع عقائد)[٧]

---

١) سورة المائدة آية ١

٢) سورة المائدة آية ٨٩

٣) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة عقد ٤/٨٦-٨٧

٤) ابن منظور لسان العرب مادة عقد ٣/٢٩٧-٢٩٨

٥) الراغب الأصفهانى مفردات ألفاظ القرآن مادة عقد ص ٥٧٦

٦) الفيومي : المصباح المنير مادة عقد ٢/٤٢١

٧) إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط مادة عقد ٢/٦١٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العقيدة في الاصطلاح الشرعي : هي التصديق الجازم عن يقين دون شك أو ظن وقيل هي (الأصول التي أمرنا الله باعتقادها وحددها رسوله ﷺ [١] بقوله : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى" [٢] ، فالعقيدة إذا هي الأمور اليقينية التي يصدق بها القلب وتطمئن لها النفس دون ريب ولا شك فيها ، فالإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه الشك لدى المعتقد يسمى عقيدة في الاصطلاح العام بصرف النظر عن نوع الاعتقاد حق أو باطل .

أما العقيدة الإسلامية فهي الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وبكل ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره وما أجمع عليه سلف الأمة [٣].

ومن مستلزمات العقيدة الصحيحة الثابتة في القلب أن يقر المسلم لله بالتسليم في الحكم والأمر والقدر والشرع ، ويقر بالتسليم لرسوله ﷺ بالاتباع والطاعة والتحكيم فإذا بلغ شعور الإنسان بالشيئ إلى هذا الحد الذي يصبح يحرك عواطفه ويوجه سلوكه إلى ما انعقد عليه قلبه واستقر عليه علمه أصبح يحمل اسم العقيدة .

---

١) هاشم محمد علي المنهاج الإسلامي ، ١١/١، دار الثقافة الدوحة

٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام . ، ٣٧/١

٣) انظر عبدالرحمن حسن الميداني ، العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٣١ دار القلم دمشق وبيرون ط٦ سنة١٤١٢هـ . وناصر العقل ، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ، ص٩ دار الوطن للنشر ،الرياض ط١ وحسن البنا ، رسالة العقائد من مجموعة الرسائل ص٣٧٩ .

المطلب الثاني

أهمية العقيـــــــدة

عقيدة التوحيد هي الدين الحنيف دين الفطرة التي فطر الله النـــاس عليـها ، وهـي موجودة مع وجود هذا الإنسان كما ثبت ذلك بالدليل القطعي من كتاب الله[١] قال تعـالى: ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الديـن القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[٢]

فآدم فطره الله على العقيدة السليمة فكان موحدا لله معتقدا ما يجب له مـن التعظيـم والطاعة ، وأخذ تعالى على بنيه من بعده العهد والميثاق أنه ربهم وأشهدهم على أنفسـهم في أصل خلقهم من أصلابهم قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتـهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هـذا غافلين ﴾[٣] ، فالناس كلهم يولدون على الفطرة وينشأون عليها ما لم تصرفهم صـوارف الشر والضلال عنها ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى : "...واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتـهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا .."[٤]

ومن أهمية العقيدة يجد المتأمل أن مسألة الدعوة إلى التوحيد والتحذير مـن الشـرك ووسائله هي القضية الأولى التي جاء ذكرها في القرآن بين الرسل وأممهم[٥] قال تعـالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[٦] وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[٧]

فالدعوة إلى العقيدة وسلامتها والتحذير من الشرك بكل صوره هما الأصل الأول فـي دعوة المرسلين من أولهم إلى آخرهم ، وبهذه الغاية تصلح كل شئون الدنيا والدين لأن

---

١) انظر ناصر العقل ، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ص١٩

٢) سورة الروم آية ٣٠

٣) سورة الأعراف آية ١٧٢

٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفاة التـي يعرف بـها فـي الدنيـا أهل الجنـة وأهل النـار ٢١٩٧/٣ برقـم ٢٨٦٥

٥) ناصر العقل مباحث في عقيدة أهل السنة ص٢٢

٦) سورة الأنبياء آية ٢٥

٧) سورة النحل آية ٣٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الناس لا يذعنون لله تعالى إلا إذا صحت عقيدتهم ، ولهذا جاءت أغلب آيات القرآن في تقرير عقيدة التوحيد ممثلة في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وهو مقتضى لا إله إلا الله محمد رسول الله [١] كما أن الرسول ﷺ قضى أغلب وقته في تثبيت العقيدة في النفوس والحفاظ عليها وحمايتها من الشبهات والجهاد في سبيلها ، حيث قاتل ﷺ الناس على عقيدة التوحيد ونبذ الشرك حتى يكون الدين كله لله وحده يقول ﷺ " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله " [٢]

وكما بين ﷺ أن الناس مفطورون على عقيدة التوحيد بقوله : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "[٣] ، فعقيدة التوحيد إذا هي الأصل الذي كان عليه آدم والأجيال من ذريته من بعده إلى أن طرأ فيهم الشرك ، قال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق﴾[٤] وفي بيان الآية يقول ابن عباس : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[٥]

وهكذا تتابعت دعوات الرسل حاملة معها مشعل الهداية والنور من عهد نوح عليه السلام إلى أن ختمت بنبينا محمد ﷺ ، فبدأ كتاب الله في مكة ببيان أهمية العقيدة في مرحلة الضعف للإعداد والتكوين والتربية ، ولأنها القضية الأساسية لهذا الدين ممثلة في قاعدتها الرئيسية الألوهية والعبودية ، فهي قضية كل إنسان لأنها تفسر له وجوده في هذا الكون وغايته التي يسعى من أجلها ، وتفسر له نشأته ، وتحدد له مصيره ونهايته .

---

١) انظر المرجع السابق ص٢٤-٢٥

٢) متفق عليه :البخاري كتاب الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ١/١١ــ١٢، ومسلم كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ٢/٥٣

(٣) متفق عليه ، البخاري كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي ٢/٩٧ المكتب الإسلامي في استانبول

ومسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٣/١٠٤٧

٤) سورة البقرة آية ٢١٣

٥) ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/٣٣٤

ومن أهمية العقيدة أنها تجيب على الأسئلة الثلاثة التي شغلت عقول الناس في القديم والحديث ، وما ضلت البشرية إلا يوم أن كانت الإجابة بشرية قاصرة فضاعت بسببها وهذه الأسئلة هي من أين جئنا ؟ ولماذا جئنا ؟ وإلى أين المصير ؟ [١]

فالعقيدة إذا كالروح الذي يسري في أحكام الشريعة ومسائل الأخلاق فتعطيها الحياة النابضة في كل جوانبها .

---

١) انظر هاشم محمد علي ، المنهاج الإسلامي ١٢/١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثالث

موضوعات العقيدة

تشتمل موضوعات العقيدة على التوحيد بجميع فروعه ومسائله كما تشمل موضوعات الإيمان والإسلام والغيبيات والنبوات والقدر والأخبار ، وأصول الأحكام القطعية وسائر أصول الدين والاعتقاد [١] .

وتشتمل كذلك على الردود على الملل كاليهود والنصارى وغيرهم وذلك بمجادلتهم وبيان بطلان عقائدهم المنحرفة والتصدي لشبهاتهم وصد كيدهم للإسلام والمسلمين ، وتشمل الرد على النحل المختلفة من أهل الأهواء والبدع والضلال وأصحاب المذاهب الهدامة .

فالتوحيد ينقسم إلى توحيد الألوهية ، والربوبية ، والأسماء والصفات ، وذكر ابن القيم أن التوحيد الذي دعت إليه رسل الله نوعان هما (توحيد في المعرفة والإثبات ، وتوحيد في المطلب والمقصد ، فالأول : هو حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وعلوه فوق سماواته على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده ، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح)[٢] مثل قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ... ﴾[٤] وهذا النوع هو الذي يسمى التوحيد العلمي الاعتقادي وفيه إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ، فتوحيد العلم مداره (على إثبات صفات الكمال ، وعلى نفي التشبيه والمثال والتنزيه عن العيوب والنقائص)[٥]

أما النوع الثاني من التوحيد فهو الإرادي الطلبي(توحيد الألوهية) وفيه أن الله واحد أحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وأنه المستحق وحده لجميع أنواع

---

١) انظر ناصر العقل مباحث في عقيدة أهل السنة ص ١٠

٢) ابن القيم ، تهذيب مدارج السالكين ص ٦٦١

٣) سورة الحديد آية ٣

٤) سورة الحشر آية ٢٢ وانظر ٢٣ ، ٢٤

٥) ابن القيم ، تهذيب مدارج السالكين ص ٣٥

العبادة من صلاة وزكاة وحج وصيام ودعاء واستغاثة واستعانة ونذر وذبح وتوكل وخوف ورجاء وغيرها من أنواع العبادات القولية والفعلية والاعتقادية .

هذا في التوحيد أما في الإيمان فأولوياته أصول الإيمان الستة من الإيمان بالله ، وملائكته ، والكتب المنزلة جميعها وأن القرآن أفضلها وناسخها ، والإيمان بأنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم وأنهم أفضل ممن سواهم من البشر ، والإيمان باليوم الآخر وكل ما صح فيه من الأخبار ، والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى والإيمان بانقطاع الوحي بعد محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين والإيمان بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين ، والإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة .

وأنهم كلهم أولياء الرحمن ، وكل مؤمن فيه من الولاية بقدر إيمانه والإيمان بما صح الدليل عليه من الغيبيات ، كالجنة والنار ، والصراط ، والميزان ، والقبر ونعيمه أو عذابه ، والعرش ، والكرسي وغير ذلك مما أخبر الله تعالى به في كتابه أوأخبره نبيه ﷺ في سنته .

كما يدخل في موضوعات العقيدة ، التوسل بأنواعه ، والأولياء وكراماتهم ، والعباد وأفعالهم ، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وأنه لا يقطع لأحد معين بجنة أو نار إلا ما ثبت بالدليل ، وأن الكفر والشرك والظلم والفسق من الألفاظ الشرعية وينقسم إلى أكبر وأصغر وأن تفصيلاتهم من موضوعات العقيدة .

إن هذه الموضوعات وغيرها مما يتعلق بالعقيدة هي أحكام شرعية جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فيجب اتباعها وعدم مخالفتها ولا الإعراض عنها لا بالقول ولا بالفعل ولا بالاعتقاد ، والله تعالى خاطب عباده بقوله: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾(١) وهو يشتمل فيما يشتمل عليه على العقيدة بشتى فروعها كما يشتمل على الشريعة والمنهاج والأخلاق ، وكما قال تعالى: ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم .. ﴾(٢) وأعظم ما أنزله الله تعالى في كتابه علم العقيدة ، حيث لم تخل سورة من سور القرآن من بيانه وتوضيحه كما سيتضح ذلك عند الحديث عن آيات الاتباع في العقيدة

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٥

(٢) سورة الأعراف آية ٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما أخبر الرسول ﷺ في سنته عن شمول العقيدة لجوانب الحياة المختلفة فقال: " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان " (١)

(١) أخرجه الامام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضله وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان ٦٣/١

المطلب الرابع

آيات الاتباع في العقيدة

لما كانت أمور العقيدة من الغيب كان مبناها على التسليم بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ ، حيث أن مصادرها هو القرآن الكريم وما صح عن رسوله ﷺ في سنته كما اعتبر إجماع الأمة المبني عليهما أو أحدهما من مصادرها ، لأن العقيدة من أصول الدين التوقيفية وقد بين الرسول ﷺ مسائلها أتم بيان ، ولهذا كان المرجع في فهم نصوصها الواردة في الكتاب والسنة إلى الصحابة والتابعين ومن اتبعهم من أئمة الهدى والدين ، لأن الله تعالى مدح الصحابة ورضي عنهم ودعا كل داخل إلى الإيمان بعدهم أن يكون على طريقهم قال تعالى:﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾[١]

كما ذم تعالى مشاقة الرسول ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين وتوعد عليها بأشد العقوبة ، قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾[٢] ، وبذلك كانت عقيدة أهل السنة هي الأولى بالاتباع لأنها الحق ، والحق أحق أن يتبع.

إن الآيات التي تحدثت عن العقيدة في كتاب الله كثيرة جدا بل القرآن كله حديث عن العقيدة ، كما قال ابن القيم : ((إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد ، شاهدة به داعية إليه فإن القرآن: إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره ، فهي حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته ، وما فعل بهم في الدنيا ، ومايكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء توحيده ، وإما خبر عن أهل الشرك ، وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب ، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد ، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم))[٣].

١) سورة البقرة آية ١٣٧
٢) سورة النساء آية ١١٥
٣) ابن القيم ، تهذيب مدارج السالكين ص ٦٦١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن من دلالات اهتمام القرآن بالعقيدة وإعلاء شأنها إبراز دورها الفاعل في النفوس ، وإظهار أثرها القوي على الأقوال والأفعال والسلوك والأفكار ، وقد أراد ابن القيم أن يثبت ما قرره لنا بمثال حي من القرآن فقال: (الحمد لله) توحيد (إياك نعبد) توحيد (وإياك نستعين) توحيد (اهدنا الصراط المستقيم) توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد الذين أنعم الله عليهم (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) الذين فارقوا التوحيد ، ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد ، وشهد له ملائكته وأنبياؤه ورسله قال: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام..﴾[١] فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد والرد على جميع هذه الطوائف ، والشهادة ببطلان أقوالهم ومذاهبهم)[٢]

لكن هذا المبحث سيقتصر موضوعه على بعض الآيات التي تحدثت عن اتباع العقيدة الصحيحة بلفظ الاتباع وذلك من باب البيان والتوضيح لا من باب الشمول والاستيعاب .

فمن آيات الاتباع قوله تعالى: ﴿.. وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه...﴾[٣] ، والمعنى (إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولا إلى بيت المقدس ثم صرفناك عنها إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ، ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبه أي مرتدا عن دينه ، وإن كانت لكبيرة أي هذه الفعلة وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة ، أي وإن كان هذا الأمر عظيما في النفوس ، إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول ، وأن كل ماجاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم مايريد ، فله أن يكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكا كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق)[٤] ، ففي هذه الآية يظهر حال المكلف فيما إذا كان متبعا للرسول ﷺ في كل شئونه عن إيقان وتصديق أم يتبعه فيما وافق هواه فقط ولهذا كانت هذه الآية فيها امتحان للناس كما قال ابن جرير :

---

١) سورة آل عمران آيتي ١٨-١٩

٢) ابن القيم ، تهذيب مدارج السالكين ص ٦٦١-٦٦٢

٣) سورة البقرة آية ١٤٣

٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٢٦٢/١

وذلك (لأن محنة الله أصحاب رسوله في القبلة إنما كانت فيما تظاهرت به الأخبار عند التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة ، حتى ارتد فيما ذكر رجال ممن كان قد أسلم ، واتبع رسول الله ﷺ ، وأظهر كثير من المنافقين من أجل ذلك نفاقهم ، وقالوا مابال محمد يحولنا مرة إلى ها هنا ومرة إلى ها هنا ، وقال المسلمون فيما مضى من إخوانهم المسلمين وهم يصلون نحو بيت المقدس بطلت أعمالنا وأعمالهم وضاعت وقال المشركون تحير محمد ﷺ في دينه فكان ذلك فتنة للناس وتمحيصا للمؤمنين)[١]

ومن آيات الاتباع قوله تعالى: ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾[٢]

والمعنى: (فإن حاجك يا محمد النفر من نصارى أهل نجران في أمر عيسى صلوات الله عليه فخاصموك فيه بالباطل ، فقل انقدت لله وحده بلساني وقلبي وجميع جوارحي)[٣]

وقل أيضا لعامة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذا مشركي العرب سائلا إياهم أأسلمتم ؟ بمعنى (هل أقررتم التوحيد وأخلصتم العبادة والألوهية لرب العالمين دون سائر الأنداد والشركاء التي تشركونها معه في عبادتكم إياهم ، وإقراركم بربوبيتهم وأنتم تعلمون أنه لا رب غيره ولا إله سواه ، فإن أسلموا يقول: فإن انقادوا لإفراد الوحدانية لله وإخلاص العبادة والألوهية له فقد اهتدوا يعني قد أصابوا سبيل الحق ، وسلكوا محجة الرشد)[٤]

ومن الآيات أيضا قوله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم • قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾[٥] فهذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فيكون كاذبا في دعواه حتى يتبع الشرع المحمدي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله كما قال ﷺ : "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "[٦].

١) ابن جرير الطبري ، جامع البيان ٢/١١-١٢
٢) سورة آل عمران آية ٢٠
٣) ابن جرير الطبري ، جامع البيان ٣/٢١٤
٤) المرجع السابق ٣/٢١٤
٥) سورة آل عمران آيتى ٣١-٣٢
٦) أخرجه البخاري في كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٣/١٦٧ ومسلم كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ٢/١٣٤٤ برقم ٧١٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محبة الله الحقيقية يقتضي منها الاتباع الحق ليحصل للعبد المكلف فوق ما طلب وهو حب الله له لأنه الأعظم فليس الشأن أنْ تُحِبّ إنما الشأن أنْ تُحَبّ ، ولهذا ذكر ثمرة هذا الاتباع وهو حب الله لهذا المتبع ومغفرة ذنوبه[١] ثم أمر تعالى بطاعة رسوله ونهى عن مخالفة أمره في كل شيء (فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولوا العزم منهم في زمانه ما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته)[٢]

وإن كان نزول هاتين الآيتين وسابقتهما في شأن نصارى نجران إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل في محنة هذه المحبة والأمر بهذا الاتباع كل مخاطب من أمة محمد ﷺ وذلك لأن القلوب لما ادعت محبة الله أنزل الله هذه الآية اختبارا وامتحانا لهذه القلوب ، كما فسرت المحبة بالاتباع والطاعة من جانب العباد ، وفسرت محبة الله لعباده إنعامه عليهم بالغفران[٣]

ومن آيات الاتباع قوله تعالى: ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾[٤] ففي هذه الآية قضاء من الله للإسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلها ، فليس هناك أحسن دينا ولا أصوب طريقا وأهدى سبيلا ممن استسلم بوجهه لله فانقاد له بالطاعة ، واتبع نبيه فيما جاء به مقتديا بالدين الذي كان عليه خليل الرحمن وأمر به نبيه من بعده[٥] مخلصا لله في ذلك حيث أن عمل العامل لا يقبل إلا بشرطين (أن يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون متابعا للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة وباطنه بالإخلاص)[٦] ، وهذه الآية تكون أقرب للاستدلال في جانب العقيدة لأن اتباع ملة إبراهيم يتمثل في جانب العقيدة والتوحيد لأنه كان حنيفا كما وصفه ربه بذلك ، والحنيف هو المائل عن الشرك إلى التوحيد[٧].

١) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٤٧٧/١
٢) المرجع السابق ٤٧٧/١
٣) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٦٠/٤
٤) سورة النساء آية ١٢٥
٥) انظر ابن جرير ، جامع البيان ٢٩٧/٤
٦) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٧٤٤/١
٧) انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ٢١٠/٥

ومن آيات الاتباع قوله تعالى : ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ٠ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل﴾[١] يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ (اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك فاعمل به ، وانزجر عما زجرك عنه فيه ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك من عبادة الأوثان والأصنام ، فإنه لا إله إلا هو ، يقول لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له لا إله إلا هو فالق الحب والنوى٠٠)[٢] وفي الآية أمر من الله لرسوله بالإعراض عن بهتان المشركين ، لأن هذا الإعراض عنهم هو اتباع لما أنزل إليه من ربه[٣] وهو إعراض عن مكابرتهم وأذاهم لا إعراض عن دعوتهم إلى الحق [٤]

ومن آيات الاتباع قوله تعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾[٥] ، جاءت هذه الآية الكريمة كختام لآيات الوصايا العشر في هذه السورة وأعظم وأول تلك الوصايا كان عدم الإشراك بالله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا٠٠٠﴾[٦] فهذا الذي وصى الله به وأمر اتباعه هو صراطه المستقيم أي طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده أن يعملوا به ويجعلوه لأنفسهم المنهاج الذي يسلكوه ٠

ونهاهم أن يسلكوا طريقا سواه أو يبغوا دينا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل[٧] ويلاحظ أن الله تعالى وحد سبيله في الآية لأن الحق واحد ، وجمع السبل لتفرقها وتشعبها كما قال تعالى: ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور٠٠﴾[٨] فجمع الظلمات ووحد النور ٠

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: " هذا سبيل الله مستقيما " وخط عن يمينه وشماله ثم قال: " هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه[٩] ثم قرأ (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه٠٠٠)

١) سورة الأنعام آيتي ١٠٦-١٠٧
٢) ابن جرير الطبري جامع البيان ٣٠٨/٥
٣) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٤٢٣/٧
٤) المرجع السابق ٤٢٥/٧
٥) سورة الأنعام آية ١٥٣
٦) سورة الأنعام آية ١٥١
٧) انظر ابن جرير جامع البيان ٨٧/٨-٨٨
٨) سورة الأنعام آية ١
٩) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٣٥/١ واللفظ له وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣١٨/٢ وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن آيات الاتباع قوله تعالى : ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾[١] ومعنى الآية: قل يا أيها الناس إني رسول الله الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما في تدبيرها وتصريف شئونها ، أرسلني إليكم جميعا لا إلى بعضكم دون بعض كما كان يرسل الأنبياء من قبلي[٢] وهو سبحانه(لا إله إلا هو) أي (لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له جل ثناؤه دون سائر الأشياء غيره من الأنداد والأوثان ، إلا لمن له سلطان كل شيء ، والقادر على إنشاء خلق كل ما شاء وإحيائه وإفنائه إذا شاء إماتته (فآمنوا بالله ورسوله) أي صدقوا بآيات الله الذي هذه صفته ، وأقروا بوحدانيته وأنه الذي له الألوهية والعبادة ، وصدقوا برسوله محمد ﷺ أنه مبعوث إلى خلقه داع إلى توحيده وطاعته (واتبعوه لعلكم تهتدون) اعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله .. لكي تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحق في اتباعكم إياه)[٣]

ومن آيات الاتباع قوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾[٤] يقول تعالى لرسوله ﷺ آمرا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسوله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي ، وقوله(وسبحان الله) أي وأنزه الله وأجله وأعظمه وأقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير أو عديل أو نديد أو ولد أو والد أو صاحبة أو وزير أو مشير ، تبارك وتقدس وتنزه وتعالى عن ذلك كله علوا كبيرا)[٥] قال تعالى : ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾[٦]

---

١) سورة الأعراف آية ١٥٨

٢) انظر ابن جرير جامع البيان ٨٦/٦

٣) المرجع السابق ٨٦/٦-٨٧ بتصرف واختصار

٤) سورة يوسف آية ١٠٨

٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٦٥٢/٢ ، وانظر ابن جرير ، جامع البيان ٨٠/٨

٦) سورة الإسراء آية ٤٤

المقصود أن الاتباع الحق في العقيدة أمر الله تعالى به في كتابه في جميع مجالات العقيدة كأصول الإيمان الستة وفروعه ذلك أن جوانب العقيدة ليست من الأمور التي يجتهد فيها المكلف فيأتي برأيه أو يتبع رأي غيره فيها بل كلها أمور توقيفية فلابد من التلقي من الشارع واتباع توجيهاته ، ولأنها غيب ، والغيب لا يعلمه إلا علام الغيوب فليس لأحد أن يحدث أمرا من أمور الدين زاعما أنه يجب التزامه أو اعتقاده فالله أكمل الدين ، وانقطع الوحي ، وختمت النبوة قال تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾(١)

وقال ﷺ: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "(٢) فهذا الحديث أصل من أصول العقيدة ، ومن قواعد الدين العظام ، كما أن الاتباع للحق في جوانب العقيدة وغيرها جاء تأكيده على لسان المصطفي ﷺ في سنته القولية والفعلية والتقريرية .

فعن عمربن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه(٣) النبي ﷺ فغضب فقال : " أمتهوكون(٤) فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني "(٥)

إن آيات الاتباع في العقيدة تدعو العبد المسلم أن يهتم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأنهما المصدران الرئيسان في بيانها والدعوة إلى اتباعها وهما اللذان يدعوان للدخول في الدين كله والإيمان بهما فيتبعون النصوص ، وعدا ووعيدا ، وإثباتا وتنزيها ويتركون الابتداع ، ويحرصون على الاقتداء بالنبي ﷺ والاهتداء بأئمة الهدى العدول المقتدى بهم في العلم والعمل والدعوة من الصحابة ومن سار على نهجهم ، ومجانبة من خالف سبيلهم كما يتوسطون في فهم الاعتقاد بين فرق الغلو وفرق التفريط كما يتوسطون في الأعمال والسلوك بين المُفرِطين والمُفْرِطين ويتوسطون كذلك في معاملة الخلق بعد عبادة الخالق فينصفون ويعدلون بين الخلق فلا يغلون في موال ولا يجورون على معاد ، ولا يغمطون صاحب الفضل فضله أيا كان كما يتوسطون في التعامل مع الفتن فيرون أن السلامة في البعد عنها إلا إذا تبين لهم الحق بأدلته فينصرونه ويعينون أتباعه، هذه بعض سمات أهل الاتباع الحق.

١) سورة المائدة آية :٣

٢) أخرجه مسلم كتاب الاقضية باب نقض الأحكام الباطلة وردمحدثات الأمور ١٣٤٣/٣

٣) أي قريء عليه ... .

٤)التهوك : التحير ، وقيل الوقوع في الشيئ بقلة مبالاة ، انظر ابن الاثير النهاية ٢٨٢/٥

٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٨٧/٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثانى

مجالات الاتباع للحق في الشريعة

المطلب الأول : تعريف الشريعـــــــــة

المطلب الثاني : أهمية الشريعـــــــــة

المطلب الثالث : موضوعات الشريعـــة

المطلب الرابع : آيات الاتباع في الشريعة

المطلب الأول

تعريف الشريعـــة

الشريعة والشرع أصلها (شرع : الشين والراء والعين أصل واحد وهو شيئ يفتـــح في امتداد يكون فيه ، من ذلك الشريعة : وهي مورد الشاربة الماء ، واشـتق مـن ذلـك الشرعة في الدين والشريعة)[١]

وفي اللسان : (الشريعة والشرعة ما سن الله من الدين وأمر به كالصوم والصـــلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر)[٢] ، تقول شرع الوارد : تناول الماء ، وشرع الديـن : سنه وبينه قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾[٣]، وشرع الأمر : جعلـه مشروعا مسنونا ، وشرع الطريق : مده ومهده ، والشريعة : ما شرعه الله لعبـاده مـن العقائد والأحكام ، والشريعة : الطريقة قال تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمـر فاتبعها﴾[٤] ، والتشريع : سن القوانين [٥]

وفي المفردات : (الشرع : نهج الطريق الواضح ، يقال شرعت له طريقا والشـرع مصدر ، ثم جعل اسما للطريق النهج فقيل له شرع وشرع وشريعة واستعير ذلك للطريقـة الإلهية[٦]قال تعالى: ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾[٧] وفسرت الشـرعة : الديـن ، والمنهاج : الطريق ، وقيل الشرعة والمنهاج جميعا الطريق ، والطريق هنا الديـن [٨] ، قال ابن عباس (شرعة ومنهاجا) : سبيلا وسنة [٩] ، وقال قتادة (شـرعة ومنـهاجا) الدين واحد والشريعة مختلفة [١٠] ، فالشريعة إذا هي : (اسم للأحكام الجزئية التي يتـهذب بها المكلف معاشا ومعادا سواء كانت منصوصة من الشارع أو راجعة إليه)[١١]

---

١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة ٢٦٢/٣
٢) ابن منظور لسان العرب مادة شرع ١٧٥/٨ وما بعدها
٣) سورة الشورى آية ١٣
٤) سورة الجاثية آية ١٨
٥) انظر إبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط ٤٧٩/١
٦) الراغب الأصفهانى مفردات ألفاظ القرآن مادة شرع ص ٤٥٠
٧) سورة المائدة آية ٤٨
٨) انظر ابن منظور لسان العرب مادة شرع
٩) ابن جرير الطبرى ، جامع البيان ٢٧٠/٦
١٠) المرجع السابق ٢٧٠/٦-٢٧١
١١) أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، الكليات ٥٢٤ مؤسسة الرسالة بيروت ط١ سنة ١٤١٢هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من التعريفات السابقة يتبين أن الشرع والشرعة والشريعة كلمات مترادفة من أصل واحد وتطلق على معنى:

أ ــ ورود الماء

ب ــ سن القوانين

ج ــ مد الطريق وتمهيده

د ــ ما شرعه الله لعباده من الدين والملة .

هـ ــ سميت شريعة تشبيها لها بشريعة الماء من حيث أن من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة روي وتطهر[١]

الشريعة في الاصطلاح :

هي : (ماشرع الله تعالى لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء سواء كانت تعلقت بكيفية عمل أو بكيفية اعتقاد)[٢]، وعرفت أيضا بأنها :(الأحكام الجزئية التي يتهذب بها المكلف معاشا ومعادا سواء كانت منصوصة من الشارع أو راجعة إليه)[٣] كما عرفت بأنها : (كل فعل أو ترك مخصوص من نبي من الأنبياء صريحا أو دلالة)[٤] وبناء على هذه التعريفات فإن الشريعة في الاصطلاح الشرعي[٥] تطلق على أربعة معان:

١ــ فالشريعة : هي كل ما أنزل الله تعالى على نبي من أنبيائه وشرعه لهم من الاعتقاد والعمل وغيره ، فتكون هنا شاملة للعقيدة والشريعة والأخلاق قال تعالى: ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾[٦] .

٢ــ وتطلق الشريعة على ماشرع الله لجميع الرسل من أصول الاعتقاد والبر والطاعة مما لا يختلف من دعوة نبي لآخر وفي بيان هذا يقول تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ..﴾[٧]

---

١) انظر الراغب ، مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٥٠

٢) التهانوي كشاف اصطلاحات الفنون ١٢٩/٤ بتصرف المؤسسة المصرية العامة للكتاب

٣) أبو البقاء الكفوي ، الكليات ٥٢٤

٤) المرجع السابق ص ٥٢٤

٥) انظر عثمان جمعة ضميرية ، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص ١١٦ فما بعدها

٦) سورة الجاثية آية ١٨

٧) سورة الشورى آية ١٣

٣ــ كما تطلق الشريعة ويراد بها العقائد خاصة ، مثل الاعتقاد أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ومثل عدم تكفير أهل القبلة بمجرد اقتراف الكبائر ، ومثل إثبات الشفاعة بشروطها ، وغير ذلك من الأصول الخاصة بالعقيدة ، وتسمى هذه الأصول الاعتقادية عند أهل السنة : شريعة ، ولهذا ألف محمد بن الحسن الآجرى كتابا في اعتقاد أهل السنة وسماه (الشريعة)[١] ، كما كتب عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري عن العقيدة وسماه : (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة)[٢]

٤ــ وتطلق الشريعة على ما خص الله به كل نبي من الأحكام العملية وما سنه لأمته مما يختلف من دعوة نبي لآخر من المناهج وتفصيل العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والسلوك والآداب ، وغيرها قال تعالى : ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾[٣] ، بمعنى أن الدين في أصله واحد لكل الأنبياء أما الشرائع فهي متعددة ، ولعل هذا المعنى الأخير للشريعة عليه مدار البحث وهو المقصود بهذا العنوان .

ونخلص من هذا أن الشريعة تطلق ويراد بها أحد معنيين :

١ــ الطريقة المستقيمة قال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ﴾[٤] أي جعلناك على منهاج واضح من أمر الدين [٥]

٢ــ مورد الماء الجاري الذي يقصد للشرب ، تقول شرعت الإبل إذا وردت شريعة الماء فشريعة الماء يردها الناس للري .

وسميت الديانة شريعة على التشبيه لأن فيها شفاء النفوس وطهارتها [٦] ووجه الشبه ما في الماء من المنافع وهي الري والتطهير[٧] ثم سميت الأحكام الشرعية العملية التي سنها الله للناس جميعا على لسان رسوله محمد ﷺ في الكتاب والسنة شريعة ، لأنها مستقيمة محكمة الوضع لا ينحرف نظامها فهي كالجادة المستقيمة لا اعوجاج فيها ، أو لأنها شبيهة بمورد الماء لأنها سبيل إلى حياة النفوس وغذاء العقول كما أن مورد الماء سبيل إلى حياة الأبدان .[٨]

١)هو محمد بن الحسن بن عبد الله أبو بكرالآجري نسبة لآجر من قرى بغداد كان ثقة صدوقا دينا له تصانيف كثيرة توفي سنة٣٦٠هـ. (انظر تأريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٤٣/٢ : دار الكتاب العربي بيروت

٢)هو فقيه حنبلي عالم بالحديث ولد سنة٣٠٤ وتوفي سنة٣٨٧ (انظر طبقات الحنابله لابن ابي يعلى ١٤٤/٢ مطبعة السنة المحمدية ١٣٧١هـ

٣) سورة المائدة آية ٤٨

٤) سورة الجاثية آية ١٨

٥) انظر ابن جرير جامع البيان ج١٤٦/٢٥

٦) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٢٣/٦

٧) المرجع السابق ٣٤٨/٢٥

٨) انظر عبدالودود السريتى ، تأريخ الفقه الإسلامى ص٩، دار النهضة العربية ، بيروت سنة ١٩٩٣م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني

أهمية الشريعة

المقصود بالشريعة هنا هي نصوص الكتاب والسنة المتمثل في الأحكام الشرعية العملية التفصيلية التي جاءت لتنظم حياة الناس بخالقهم في أمر الدين وأمر الدنيا وتنظم حياتهم مع الخلق بل ومع أنفسهم ٠

فالشريعة إذا ضرورية لاستقامة حياة الإنسان ، فلا يصلح الناس في هذه المعمورة بدون تشريع من الله يحدد لهم علاقاتهم بربهم ويحد من تصرفات أفرادهم وذلك لأن النفوس مجبولة على الأثرة وحب الذات والإفراط في امتلاك الأشياء لتتميز بها دون الآخرين مما يولد اختلالا في حقوق الأفراد وحرياتهم بهذه الدوافع فكانت الشرائع السماوية رحمة بالعباد وضرورة لهم فهي التي تحدد علاقاتهم وتفصل فيما يختلفون فيه وتحد من تحكم الهوى بينهم فيمتنع تصادم الرغبات والشهوات بين الأفراد وبهذا يحفظ لهم ما يحتاجون إليه من أمور معادهم ومعاشهم من الضروريات والحاجيات وغيرها ٠[١]

فالشريعة الإسلامية لم توضع تكاليفها لمجرد إدخال الناس تحت سلطة الدين (بل وضعت لتحقيق مقاصد الشارع في قيام مصالحهم في الدين والدنيا معا وروعي في كل حكم منها : إما حفظ شيئ من الضروريات الخمسة (الدين والنفس والعقل والنسل والمال) التي هي أسس العمران المرعية في كل ملة ، والتي لولاها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، ولفاتت النجاة في الآخرة ، وإما حفظ شيئ من الحاجيات كأنواع المعاملات ، التي لولا ورودها على الضروريات لوقع الناس في الضيق والحرج ، وإما حفظ شيئ من التحسينات التي ترجع إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات ، وإما تكميل نوع من الأنواع الثلاثة بما يعين على تحقيقه ، ولايخلوا باب من أبواب الفقه (عبادات ، ومعاملات ، وجنايات وغيرها من رعاية هذه المصالح وتحقيق هذه المقاصد التي لم توضع الأحكام إلا لتحقيقها)[٢]

---

١) انظر عبدالله الدرعان المدخل للفقه الإسلامى ص١٥-١٦ مكتبة التوبة الرياض ط١ سنة١٤١٣ وبدران أبو العينين ، الشريعة الإسلامية ص٧ ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية(د٠ ط)

٢) إبراهيم بن موسى الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة المقدمة ١/٣-٤ دار الكتب العلمية بيروت ط١ سنة ١٤١١هـ ٠

وبهذا كان شرع الله عدلاً بين عباده وهدى لخلقه إلى الصراط المستقيم لأنه صادر من خالقهم العالم بأحوالهم وحاجياتهم ومن هذا ندرك سر اختلاف شرائع الأنبياء ، إذ الحكمة في ذلك مراعاة مصالح العباد في كل عصر فالله الذي شرعها راعى في شرعها حال المكلفين وعاداتهم وما تحتمله مداركهم[١] ويناسب عقولهم ، وهذا بخلاف القوانين الوضعية التي مهما ارتقت لا تحقق شيئا من ذلك للإنسان على الوجه الذي تتحقق معه المصالح وتندفع به المفاسد وذلك لأنها من صنع الإنسان الناقص والقاصر عن معرفة الخير والشر بالإضافة إلى اندفاعه خلف شهواته ومصالحه كما أن نظره يقف على ظواهر الأمور فلا يعلم ما تنطوي عليه نفس الإنسان لذا تأتي قوانينه خالية من عنصري الدين والخلق فلا تهذب ظاهر الإنسان ولا باطنه لأنها ليس لها قوة الشريعة التي لها الأمر الفعال على الإنسان في سره وجهره فتقيم منه وازعا على نفسه وتربي في النفوس طهارة القلب ، والشعور بالواجب وقوة الضمير ، كما تعنى بتوثيق العلاقة بين الإنسان وخالقه ثم بينه وبين غيره من المجتمع الإنساني .

إن شريعة الله تدعو الناس إلى المصلحة العامة عن طريق الوعد الحسن والترغيب في الخير ، وتنهى عن المفسدة عن طريق الوعيد والتهديد[٢] فاتباع الشريعة والتزامها طاعة يترتب عليها الثواب ، أما الإعراض عنها وعدم اتباعها فهي مخالفة يترتب عليها العقاب ، فشريعة الله إذا تحيط بكل وجوه المصلحة لبني الإنسان ولا تتأثر بعوامل العرف والعادة والزمان والمكان لأنها من صنع الله الذي أتقن كل شيئ ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾[٣]

ومن أهمية الشريعة أنها جاءت لتربية الفرد الصالح والأمة الصالحة عن طريق رعايتها لمصالح البشر من خلال كفالة ضرورياتهم ، وتوفير حاجياتهم وتأمين تحسيناتهم كل ذلك عن طريق اليسر والتسامح ورفع الحرج عنهم ؛ فلا تكلفهم بما يشق عليهم سواء في أعمال القلوب أو أعمال الجوارح حيث أن تكاليفها كلها في حدود المقدور والمستطاع قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسها إلا وسعها ﴾[٤]

---

١) انظر بدران أبو العينين ، الشريعة الإسلامية ص٧ .

٢) انظر عبدالله الدرعان ، المدخل للفقه الإسلامي ص١٦

٣) سورة الملك آية ١٤

٤) سورة البقرة آية ٢٨٦

ومن أهميتها أنها لا تباعد بين المادة والروح في أحكامها ولا تفصل بين الدنيا والآخرة بل تنظر إلى الحياة كوحدة واحدة متكاملة تحقق العدل بين القريب والبعيد ، والعدو والصديق وهي تخاطب البشر كافة في كل زمان ومكان ، مستجيبة لكل الحاجات التشريعية للأمة ، ذلك لأن نصوصها تمتاز بالأصالة والخلود الأبدي ، ولم تمتد إليها يد التحريف والتبديل[١] فهي محفوظة بحفظ الله لها قال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[٢]

---

١) انظر حمد بن ناصر العمار أساليب الدعوه الإسلامية المعاصرة ص٣٠٩ مركز الدراسات والاعلام الرياض سنة ١٤١٦هـ وانظر الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب ١٠٨٨/٢ ،وانظر محمد رشيد رضا تفسير المنار ٢٩/٩

٢) سورة الحجر آية ٩

المطلب الثالث

موضوعات الشريعة

اختلف العلماء في تحديد موضوعات الشريعة بين موسع ومضيق فمنهم من توسع فيه فقسمها إلى :

أ ــ الأحكام الاعتقادية ، ب ــ الأحكام الأخلاقية ، ج ــ الأحكام العملية .[١]

ومنهم من اقتصر تقسيمه للشريعة إلى الأحكام الشرعية العلمية والتي تؤلف

أ ــ قسم العبادات ، ب ــ قسم المعاملات .[٢]

وقد دون علماء الشريعة مدونات كبيرة لبيان هذه الأحكام سميت بكتب الفقه تناولوا فيها تفصيلات تلك الأحكام ، فالأحناف تناولوها تحت أقسام العبادات ، والمعاملات والعقوبات[٣] ، والشافعية قسموها إلى أربعة أقسام :ــ

١ــ أحكام شرعية تتعلق بأمر الآخرة : العبادات .

٢ــ أحكام شرعية تتعلق بأمر الدنيا لبقاء الشخص : المعاملات .

٣ــ أحكام شرعية تتعلق بأمر الدنيا لبقاء النوع : المناكحات .

٤ــ أحكام شرعية تتعلق بأمر الدنيا باعتبار العقوبات[٤] .

أما المالكية فقد توسعوا أكثر في التفصيلات لموضوعات الشريعة بعد أن قسموها إلى عبادات ومعاملات ، فقد ضمنوا كل قسم عشرة كتب ومائة باب فانحصر عندهم موضوعات الفقه في عشرين كتابا ومائتي باب [٥] .

ــ نخلص من هذه التقسيمات أن موضوع أحكام الشريعة هي موضوعات الفقه باعتباره يتناول الأحكام الشرعية العملية حسب اصطلاحات المتأخرين ، وانحصرت أقسامه في فرعين كبيرين هما :ــ فرع العبادات

وفرع المعاملات

---

١) انظر عمر سليمان الأشقر خصائص الشريعة الإسلامية ص٢٨، مكتبة الفلاح، الكويت ط٣ سنة ١٤١٢هـ .

٢) انظر عمر الأشقر ، تاريخ الفقه الإسلامي، ص٢٠ مكتبة الفلاح ،الكويت ط٢ سنة١٤١٠هـ .

٣) ابن عابدين حاشية ابن عابدين ٥٦/١، الطبعة الأميرية القاهرة ط٣ .

٤)انظر التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ٣٢/١

٥) انظر ابن جزي المالكي ، قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية ص٩١٦دا ر العلم للملايين بيروت

فرع العبادات : واندرجت تحته موضوعات كثيرة منها :ـ

١ـ الطهارة وتحتها المياه والنجاسات والوضوء والغسل والتيمم والحيض والنفاس ٠

٢ـ الصلاة بجميع أحكامها ٠

٣ـ الزكاة بجميع تفصيلاتها ٠

٤ـ الصيام ٠

٥ـ الاعتكاف ٠

٦ـ الجنائز ٠

٧ـ الحج والعمرة ٠

٨ ـ المساجد وأحكامها ٠

٩ـ الأيمان والنذور ٠

١٠ـ الجهاد ٠

١١ـ الأطعمة والأشربة ٠

١٢ـ الصيد والذبائح[١] وغيرها مما يدخل تحت قسم العبادات من الأحكام ٠

أما مباحث قسم المعاملات فأكثر من أن تحصى ذلك لأنها تشتمل على الأحكام التي تنظم علاقة الفرد بالفرد ، وعلاقته بالجماعة ، وعلاقة الفرد بالدولة الإسلامية ، كما تشمل علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول الأخرى ، والغرض من هذه الأحكام هو المحافظة على حقوق الناس ، وتحقيق مصالحهم ودفع الفساد والضرر الواقع عليهم ، فهي أحكام مشروعة لحفظ الأمن والنظام وتحقيق قواعد العدل بين أفراد المجتمع ومنع الظلم عنهم ٠

ويندرج تحت قسم المعاملات ما يأتي من الفروع:ـ

ـ **البيوع وما يتعلق به من** : أحكام الأسرة المسلمة ابتداء من الزواج وما يلحق به من الإيلاء والظهار واللعان والنفقة والحضانة والرضاعة وحقوق الأولاد والطلاق ، والوصية والإرث وانتهاء بالأوقاف وغير ذلك مما يندرج في أحكام الأسرة [٢]

ـ **أحكام العقوبات** (الحدود والقصاص والتعزير) : ويدخل فيها أحكام القرض والرهن والإجارة والحوالة والشفعة والوكالة والعارية والوديعة كما يتناول اللقطة والكفالة

---

١) انظر عمر الأشقر ، تاريخ الفقه الإسلامي ص ٢٠ ٠

٢) انظر عمر الأشقر تاريخ الفقه الإسلامي ص ٢١

والجعالة والشركة والغصب والهبة والحجر ٠

ـ وأحكام القضاء والشهادات والإقرار[١] وأحكام الأطعمة والأشربة ، وغير ذلك من موضوع المعاملات المختلفة ؛ كأحكام الذميين والمستأمنين وأحكام غير المسلمين ٠

هذا وقد لاحظ العلماء فروقا عدة جعلتهم يذهبون إلى تقسيم الأحكام الشرعية إلى عبادات ومعاملات ومن هذه الفروق :ـ

١ـ اختلاف المقصود الأصلي لكل من العبادات والمعاملات ، فإذا كان الغرض من الحكم الشرعي التقرب إلى الله وشكره وابتغاء ثوابه في الآخرة فإنهم يجعلونه في قسم العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج٠٠٠ أما إذا كان الغرض منه تحقيق مصلحة دنيوية أو تنظيم العلاقة بين فردين فإنهم يجعلونه في قسم المعاملات ٠

٢ـ يشترط لإتيان فعل من أفعال العبادات العلم بأن الآمر بذلك الفعل هو الله تعالى لأن ذلك العلم شرط فيما يتقرب به العبد إلى ربه من العبادات إذ لا بد للمكلف من نية التقرب بالعبادة إلى الله تعالى ٠

أما المعاملات فليست تأديتها مشروطة بالنية في التقرب إلى الله بفعلها – بمعنى تفسد بدونها – ولكن إذا اقترنت بتلك النية لتحقيق مقصد من مقاصد الدين فإن الفاعل يثاب على ذلك ، فلو كان على الإنسان دين مثلا فقضاه بشرطه وفي الوقت المتفق عليه دون نية التقرب إلى الله تكون تأديته صحيحة لكنها إن اقترنت بنية يثاب على ذلك لامتثاله لمقتضيات الشرع ، وهذا هو مقاصد الاتباع للحق في جانب المعاملات حيث يحصل المكلف على الثواب الجزيل على كل فعل يقوم به وإن تعلق فعله بتحقيق مصلحة بينه وبين غيره حيث لا يذهب فعله هدرا بل يحصل عليه الثواب لوجود نية التقرب به إلى الله تعالى[٢] ٠

٣ـ الأصل في العبادات أنها غير معقولة المعنى بل جاءت النصوص آمرة أوناهية ولا يعلم حقيقتها إلا الله ، وعلى العبد المكلف أن يطيع ويستسلم لأمر الله بالاتباع وللأمر المنهي عنه بالبعد وعدم الاقتراب أما أحكام المعاملات فالأصل فيها أنها معقولة المعنى يدرك العقل كثيرا من مقاصدها والغاية من مشروعيتها[٣] نريد أن نصل من هذا أن

---

١) انظر عبدالله الدرعان ، المدخل للفقه الإسلامي ص ٥٢-٥٣

٢) انظر عمر سليمان الأشقر تاريخ الفقه الإسلامي ص ٢٢-٢٣

٣) انظر المرجع السابق ص ٢٣

موضوعات الشريعة كلها بفرعيها يجب الاتباع فيها لما شرع الله في كتابه ولما بينه رسوله ﷺ في سنته ، واتباع ما كان عليه صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، وأئمة الهدى والدين من بعدهم فقد صرح كتابه بالاتباع الكامل في كل شرع الله عقيدة وشريعة وأخلاقا فقال تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾[١] كما أن نبي الهدى والرحمة صرح فحصر الاتباع به وبسنته من بعده فقال ﷺ " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي "[٢] والله تعالى دعا الناس من بعد الصحابة أن يكون إيمانهم مثل إيمان الصحابة الكرام فقال : ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾[٣](فهذه شهادة الإله الحق سبحانه وكفى بها شهادة لمن اقتفى أثر السلف الكرام في الإيمان بمثل ما آمنوا به كله تاما غير ناقص ، أما غيرهم ممن تولى عن الإيمان بمثل إيمانهم فهم في شقاق وبعد عن الهداية)[٤]

---

١) سورة الأنعام آية : ١٥٥

٢) أخرجه أبوداود في كتاب السنة باب لزوم السنة ٤/٢٠٠ رقم ٤٦٠٧

٣) سورة البقرة آية ١٣٧

٤) هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ، المنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة ص ١٠ اختصار محمود بن منصور مكتبة الصحابة جده ط ١ سنتة ١٤١٥هـ .

المطلب الرابع

آيات الاتباع في الشريعة

المقصود بالشريعة في هذا المطلب هو العبادات بجميع تفاصيلها والمعاملات بشتى صنوفها ، والله تعالى أمر نبيه ابتداء باتباع هذه الشريعة التي أنزلها إليه وأمره كذلك أن يلزم غيره بها من كل من آمن بها واتبع رسوله قال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾[١] ، أي جعلناك على طريقة ومنهاج من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج والبينات الواضحة فاتبعها بإجراء أحكامها في نفسك وفي غيرك من غير إخلال بشيئ منها[٢] وفي هذا إشارة إلى أن الرسول ﷺ لم يؤت مجرد آيات وإنما أوتي الدين كله ، وأنه قد جعل القائم على شريعة هذا الدين ، فمتى ماورده الوارد وجد عنده الري من هذا المورد [٣]

إن مصدر هذه الشريعة هو هذا القرآن الذي هو أشبه بالماء الذي يرده الوارد للسقيا منه ، وكتاب الله يرده الوارد لأن فيه حياة للقلوب والأرواح ، فيجد عنده الري الكامل حيث امتازت الشريعة التي جاء بها بتعليل الأحكام ، وسد الذرائع ، والأمر بالنظر في الأدلة ، وبرفع الحرج ، وبالسماحة ، وبشدة الاتصال بالفطرة [٤] .

إن دين الله مبني على الاتباع والاقتداء والتأسي والخضوع للحق الذي جاء به هذا النبي الأمي ﷺ ، ولهذا كثرت النصوص التي تأمر بالاتباع للحق في جوانب الدين المختلفة من عقيدة وشريعة وأخلاق ، كما استفاضت النصوص التي تنهى عن اتباع غير أوامر ونواهي هذا الدين من أنواع الاتباع للباطل ، فالاتباع يكون إذا لنصوص هذه الشريعة ، أما الاقتداء والتأسي فيكون بمن جاء بهذه الشريعة وهو نبي الله محمد ﷺ حيث أرسله الله إلى كل الخلق ، الإنس والجن من العرب والعجم ، كتابيهم وغير كتابيهم فهم مطالبون باتباعه والإيمان به (في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة

---

١) سورة الجاثية آية ١٨

تفسير

٢) انظر الفخر الرازي التفسير الكبير ٢٦٦/١٤ ، وانظر/ أبو السعود:محمد بن محمد العماوى ٧١/٨ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت دون تأريخ

٣) انظرعبد الكريم الخطيب التفسير القرآني للقرآن ٢٣٩/٧، دار الفكر العربي دون تأريخ

٤) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٥٠/٢٥

في عقائده وحقائقه وطرائقه وشرائعه ، فلا عقيدة إلا عقيدته ولا حقيقة إلا حقيقته ، ولا طريقة إلا طريقته ، ولا شريعة إلا شريعته، ولا يصل أحد من الخلق إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، في أقوال القلب وعقائده ، وأحوال القلب وحقائقه ، وأقوال اللسان وأعمال الجوارح ، وليس لله وليّ إلا من اتبعه باطناً وظاهراً فصدقه فيما أخبر به من الغيوب ، والتزم طاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات ٠ فمن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر ملتزماً طاعته فيما أوجب وأمر به ٠٠٠لم يكن مؤمناً)[١] ،

وقد حصرت آية سورة الأعراف أن العمل بالشريعة يتوقف على الاتباع وحده ، لأن قضية هذه الشريعة الأساسية هي الاتباع لنصوصها دون زيادة فيه أو نقص منه ، اتباع لكل ما أمر الله به في كتابه المنزل أو سنة رسوله ﷺ ، ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ٠٠٠٠﴾[٢] ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾[٣]

ولما كان الاتباع ملزماً لكل مكلف في كل جوانب الشريعة اكتفى كتاب الله بالإشارة إلى الأمر بالاتباع بلفظه في بعض جوانب الشريعة مما يمكن أن تضعف فيه النفس للتذكير والاهتمام فمن ذلك جاء :

١ــ في جانب القصاص : قوله تعالى : ﴿٠٠٠٠ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة٠٠٠٠﴾[٤] إن هذا الحث بالاتباع سبق في الآية نفسها بالأمر بنداء المؤمنين بالإيمان الذي يقتضي منهم التلقي عنه سبحانه ﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾(٥)، وبعد هذا النداء جاء بيان شريعة القصاص ، وأنه عندما يحصل عفو من أولياء المقتول وقبول الدية بدلاً من قتل الجاني ، أمر تعالى أولياء الدم أن يطلبوه بالمعروف والرضا ، كما أمر القاتل أو أولياءه أن يؤدوا ما طلب منهم بإحسان وإجمال ، ليتحقق بذلك صفاء القلوب وتقوى

---

١) ابن تيمية مجموع الفتاوى ١٠/٤٣٠-٤٣١

٢) سورة الأعراف آية ٣

٣) سورة الأنعام آية ١٥٥

٤)سورة البقرة آية ١٧٨

٥) سورة البقرة آية ١٧٨.

أواصر الأخوة بين الأحياء ويستشعر الجميع أخوة الإيمان التي جمعتهم .

ومما يدل على عظم هذه الشريعة أن هذا التشريع لم يكن مباحا في شريعة بني إسرائيل إنما شرع هذا العفو في شريعة الإسلام استبقاء للأرواح عند حصول التراضي وصفاء النفوس [١]

٢ــ في جانب الجهاد : قال تعالى : ﴿أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾[٣]

جاء سياق هاتين الآيتين في معرض الحديث عن معركة أحد التي لم تقتصر على النزال في الميدان وحده بل تعدته إلى ميادين أخرى كالنفس والحياة بأشملها ، فحصل انتصار على شهوات النفس وانتصار بتميز صفوف الجماعة وتمايزهم عن صفوف غيرهم ، وانتصار بتماسك الصف والتزامهم طاعة الله مع اتباع شريعته في كل الأوامر والتوجيهات متوكلين على الله في كل خطوة من خطوات الطريق ، معتقدين أن كل ماحصل لهم من النصر والهزيمة كله كان بتدبير الله وفق سنته الجارية وهو كله خير لهم ، وإن انتهت المعركة في ميدان الأرض إلا أنها لم تنته في ميدان النفس والحياة ، فكان في ذلك توجيه وتعليم وبيان لهم وأن العواقب ترتب تارة على ما يصدر من نشاط البشر وسعيهم سواء تمسكوا بالمنهج واتبعوه أو فرطوا فيه[٤] ، لكن الخير كله محصور في اتباع الحق والسير عليه وإن لم يحدث انتصار عاجل أو غنيمة حاضرة ، ولهذا قال : ﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ ففاز بذلك ، (أي لا يستوى من اتبع رضوان الله فيما شرعه فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه وأجير من ويل عقابه ، ومن استحق غضب الله وألزم به فلا محيد له عنه)[٥] ، وقال : ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ﴾ لأنهم نفذوا أوامره بكل دقة فتفضل عليهم بأن حفظهم مما يكرهون عاجلا وآجلا لأنهم اتبعوا رضوانه وإن لم يحصل لهم نصر في ميدان المعركة حصل لهم نصر أكبر منه في ميدان النفس بحسن

---

١) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ١٦٤/١

٢) سورة آل عمران آية ١٦٢

٣) سورة آل عمران آية ١٧٤

٤) انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ٤٥٧/١-٤٥٩

٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٥٦٣/١

اتباعهم للحق والتضحية في سبيله بكل ما يملكون وما لا يملكون من النفس التي وهبهم الله إياها ثم اشتراها منهم ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة... ﴾[١] فقوله (فانقلبوا) يقتضي أنهم خرجوا للقاء العدو الذي بلغ عنهم أنهم جمعوا لهم ولم يعبأوا بتخويف الشيطان ، لإحسانهم الظن بالله واتباعهم رضوانه فتفضل عليهم وحفظهم من ملاقاة المشركين مع نيلهم فضل الجهاد [٢]

٣ــ في جانب الطيبات والخبائث : قال تعالى : ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ .... فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾[٤] .

ففي الآية الأولى بيان من الله للعلامات المميزة والمتعلقة بتشريع هذا النبي الأمي من المعروف ، والمنكر ، والطيبات والخبائث ، والإصر والأغلال ، فالمعروف شامل لكل ما تقبله العقول والفطر السليمة ، والمنكر ضده ويجمعها معنى الفطرة ، التي هي قوام الشريعة المحمدية كما قال تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ... ﴾[٥] ، وهذه أوضح علامة لتعريف أحكام الشريعة المحمدية .

والطيبات جمع طيبة ، وقد روعي في التأنيث معنى الأكيلة أو معنى الطعمة تنبيها على أن المراد الطيبات من المأكولات[٦] ، كما دل عليه قوله تعالى في نظائرها ﴿ياأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ﴾[٧] ، وليس المراد الأفعال الحسنة لأن الأفعال عرفت بوصف المعروف والمنكر والمأكولات لا تدخل في المعروف والمنكر إذ ليس للعقل حظ في التمييز بين مقبولها ومرفوضها ، ولهذا جعل الله من المأكولات ما هو طيب

---

١) سورة التوبة آية ١١١

٢) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٧١/٤ .

٣) سورة الأعراف آية ١٥٧

٤) سورة الأعراف آية ١٥٨

٥) سورة الروم آية ٣٠

٦) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٣٤/٩-١٣٥

٧) سورة البقرة آية ١٦٨

ومنها ماهو خبيث[١] ، والمكلف ملزم باتباع شرع الله في المطعومات يجتنب الخبيث الضار المستقذر منها ، ويتناول الطيب الحلال ، ومن ميزة هذه الشريعة أنها جاءت بنسخ ما كان موجودا في الشرائع الإلهية السابقة من الشدة والتكاليف بالأعمال الشاقة مثل العقوبة بالقتل على المعصية ، وتحريم مأكولات طيبة كثيرة وعدم تشريع التوبة من الذنوب ، ولا استتابة المجرم وغيرها فجاءت هذه الشريعة برفع الحرج عن الناس وتيسير أمورهم وأحوالهم ولهذا دعت إلى اتباع هذا النبي والائتساء به كما قال : ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ واتباع النور تمثيل للاقتداء بما جاء به القرآن [٢].

وتضمنت الآية الثانية وصف النبي المرسل بأنه (يؤمن بالله وكلماته)، وذلك لأن الدعوة يسبقها إيمان الداعي بحقيقة ما يدعو إليه ووضوحه في نفسه ويقينه منه ، كما تضمنت مقتضى هذا الإيمان الذي يدعوهم إليه وهو اتباعه فلا يكفي أن يؤمنوا ما لم يتبعوا إيمانهم الاتباع العملي بأحكام شريعته وذلك لأن هذا الدين (ليس مجرد عقيدة تستكن في الضمير كما أنه كذلك ليس مجرد شعائر تؤدى وطقوس ، إنما هو اتباع كامل لرسول الله ﷺ فيما يبلغه عن ربه وفيما يشرعه ويسنه ، والرسول لم يأمر الناس بالإيمان بالله ورسوله فحسب ، ولم يأمرهم كذلك بالشعائر التعبدية فحسب ، ولكنه أبلغهم شريعة الله في قوله وفعله .

ولا رجاء في أن يهتدي الناس إلا إذا اتبعوه في هذا كله فهذا هو دين الله ، وليس لهذا الدين من صورة أخرى إلا هذه الصورة التي تشير إليها هذه اللفتة (واتبعوه لعلكم تهتدون) بعد الأمر بالإيمان بالله ورسوله ، ولو كان الأمر في هذا الدين أمر اعتقاد وكفى لكان في قوله (فآمنوا بالله ورسوله) الكفاية)[٣] ، إن مجال الاتباع في الشريعة في جانب الأحكام العملية من عبادات ومعاملات يظهر في السنة أكثر منه في القرآن ذلك لأنها تتميز بالشمول والتفصيل والبيان لما ورد في آيات الكتاب من الإجمال .

فالقرآن أمر باتباع الرسول والاقتداء به ، بل قصرت القدوة عليه لأنه مناط الرسالة وموضع الوحي ، قال تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ... ﴾[٤] ، ولهذا ترك كتاب الله تفصيل الأحكام المجملة فيه للرسول ﷺ

١) انظر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ١٣٥/٩-١٣٦
٢) انظر المرجع السابق ١٣٨/٩
٣) سيد قطب في ظلال القرآن ١٣٨٠/٣
٤) سورة الأحزاب آية ٢١

في قوله وفعله كما قال تعالى: ﴿٠٠٠وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[١] ، فالقرآن يأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والصوم والحج وغيرها قال تعالى : ﴿وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً ٠٠٠﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿٠٠٠يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ٠٠﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿٠٠٠ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ٠٠٠﴾[٤]

ولكن كيف يؤدي ذلك المكلف ؟ ومتى ؟ وأين ؟ وبم ؟ وعلى أي طريقة ، كل ذلك نجد توضيحه في السنة النبوية (في أقوال الرسول ، وأفعاله وتقريراته ﷺ) ، ففي الصلاة جاء عنه (صلوا كما رأيتموني أصلي)[٥] " اتباع كامل لأعمال الصلاة في كل جوانبها : شروطها وأركانها وواجباتها وسننها ومستحباتها ، فقد أداها ﷺ على أكمل وجه وأحسنه ودعا أتباعه من أمته أن يؤدوها على نفس الوجه الذي علمهم إياه دون زيادة أو نقصان ٠

وفي شأن الزكاة كذلك فالله تعالى أمر بإعطائها وحدد الأصناف الذين تدفع لهم[٦] ثم ترك بقية التفصيلات لنبيه ﷺ في سنته حيث حدد الرسول ﷺ مقدار الزكاة والأموال التي تجب فيها ونصاب هذه الأموال التي تجب فيه الزكاة وزمن وجوبها ، فقد جعلها في أربعة أصناف من المال هي أكثر الأموال دوراً بين الخلق وهي :ـ

١ـ بهيمة الأنعام (الإبل والبقر والغنم) ٠

٢ـ الجوهران (الذهب والفضة) ٠

٣ـ أموال التجارة على اختلاف أنواعها[٧] ٠

٤- الحرث

وقد بعث ﷺ السعاة والعاملين على الصدقات ليتسلمونها من أصحابها وبين لهم

١) سورة النحل آية ٤٤

٢) سورة المزمل آية ٢٠

٣) سورة البقرة آية ١٨٣

٤) سورة آل عمران آية ٩٧

٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥٣/٥ ، ورواه ابن حبان في صحيحه ٥٠٤/٥ (٢١٣١) قال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط البخاري انظر الفتح ٤٠٦/٢ ٠

٦) وذلك في قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ٠٠٠﴾ التوبة : ٦٠

٧) انظر ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ١٤٥/١

ولكل من يأتي بعدهم أحكام تحصيلها وآدابه[١] ، ومن هذه التوجيهات قوله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن " إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " [٢] ، وبهذا يتعين على المكلف أن يكون متبعا في تشريع الزكاة لكل ما جاء عن الله ورسوله ﷺ دون زيادة أو نقصان .

وفي شأن الصيام بين الله في كتابه أنه فرض الصيام على المسلمين كما فرضه على من قبلهم ، وترك تعالى تفصيلات ذلك للسنة النبوية فقد بين ﷺ في سنته الصيام تارة بقوله وتارة بفعله وأخرى بتقريراته فقد صام ﷺ تسع رمضانات شملت أنواعا من تنقلاته في الحضر والسفر وفي الأمن والإقامة والجهاد وغير ذلك وفي كلها كان البيان الفعلي لأمر الصيام للأمة ينقله سلفها إلى خلفها بكل تفاصيله فقد جاءت الأحاديث حافلة ببيان أحكام الصيام وآدابه ومتى يبدأ الصيام ومتى ينتهي " صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته " [٣]

وعم يصوم الإنسان ومم يصوم ؟ ومتى يبدأ الإمساك والإفطار كل ذلك وغيره شملته السنة المطهرة مما يتعين على المسلم تعلم هذه الأحكام من مظانها وتطبيقها عمليا دون أن يجتهد برأيه فيضل عن الاتباع الحق ويبعد عن لزوم السنة والاتباع .

وفي شأن الحج يبين الله تعالى في كتابه فرضه وأمر بإتمامه مع ذكر بعض أركانه وواجباته ومحذوراته كما جاء ذلك في آيات سورة البقرة من قوله تعالى : ﴿وأتموا الحج والعمرة لله ...﴾ إلى قوله : ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات ....﴾[٤] .

وسميت سورة كاملة باسمه مما يدل على أهميته وعظم شأنه ثم كان التفصيل الأدق والأعمق للرسول ﷺ بقوله وفعله ولذلك دعا الناس في عهده إلى حضور حجه لينقلوا عنه صورة الحج الصحيحة فأعلن في الملأ حجه فحضره خلق عظيم بين للناس فيه

---

١) انظر أبو الحسن على الحسن الندوى ، الأركان الأربعة ص١١١، دار القلم ، الكويت ط ٤ سنة١٣٩٨ هـ .

٢) أخرج البخاري في كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة رقم ١٤٥٨ انظر الفتح ٣٣٢/٣

٣) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ٧٦٢/٢

٤) سورة البقرة من الآية ١٩٦ إلى ٢٠٣

مناسكهم(١) من التجرد والتوحيد والإخلاص وحسن المتابعة في كل أنساك الحج من مواقيت وإحرام ووقوف وإفاضه ورجم وسعي وطواف وغير ذلك ، بل أثر عنه قوله ﷺ : " خذوا عني مناسككم " (٢) ، لأن في العبادات (البطلان حتى يقوم دليل على الأمر والأصل في العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم)(٣) ، فلا واجب إلا ما أوجبه الله ولا حرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه(٤) .

يقول ابن تيمية(٥) : (العبادات مبناها على الشرع والاتباع لا على الهوى والابتداع فإن الإسلام مبني على أصلين : أحدهما أن نعبد الله وحده لا شريك له ، والثاني : أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله ﷺ لا نعبده بالأهواء والبدع ،

قال تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ٠إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ﴾(٦) ،

وقال تعالى : ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾(٧) ، فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله ﷺ من واجب ومستحب لا نعبده بالأمور المبتدعة كما ثبت في السنن ٠٠٠(إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها) (٨) ، وليس لأحد أن يعبد إلا الله وحده ، فلا يصلي إلا لله ولا يصوم إلا لله ولا يحج إلا بيت الله ولا يتوكل إلا على الله ٠٠٠)(٩)

---

١) هي سورة الحج وجاء فيها ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ٠٠﴾ آية ٢٧

٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب استحباب رمي العقبه يوم النحر ٢/٩٤٣ رقم ١٢٩٧ ، ولفظه عنده (لتأخذوا مناسككم)

٣) ابن قيم الجوزية إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/٣٤٤ ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض

٤) المرجع السابق ١/٣٤٤ ٠

٥) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام الحراني الحنبلى كان إماما حافظا مجتهدا نبغ في جميع العلوم وألف فيها توفي ٧٢٨هـ انظر (عمر البزار الاعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ١٤ فما بعده ط ٢ سنة١٤٠٦هـ)٠

٦) سورة الجاثية آيتى ١٨، ١٩

٧) سورة الشورى آية ٢١

٨) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٦٥٥.

٩) ابن تيمية ، الفتاوى ١/٨٠

المبحث الثالث

مجالات الاتباع للحق في الأخلاق

المطلب الأول: تعريف الأخلاق

المطلب الثاني: أهمية الأخلاق

المطلب الثالث: موضوعات الأخلاق

المطلب الرابع: آيات الاتباع في الأخلاق

المطلب الأول
تعريف الأخلاق

الأخلاق جمع خلق بضم الخاء أي بضمتين كعنق أو بضم فسكون كصلب وأصلاب ، قال ابن فارس : ((الخاء واللام والقاف أصلان : أحدهما تقدير الشيء والآخر ملامسة الشـــيء ، فأما الأول فقولهم : خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته ... ومن ذلك الخلق ، وهي الســـجية لأن صاحبه قد قدر عليه))[١] ، ووردت كلمة الخلق في القاموس المحيط بمعنى السجية والطبع والمروءة والدين والخلقة بمعنى الفطرة[٢]

وفي لسان العرب : بضم اللام الطبيعة وجمعها أخلاق (الخلق بضم اللام وسكونها: وهـــو الديـــن والطبع والسجية ، وحقيقته أنه (وصف)[٣] لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهمـــا أوصـــاف حســـنة وقبيحة)[٤] ، وإذا كانت كتب اللغة تطلق الخلق ــ بضم اللام وسكونها ــ على الطبع وعلى السجية فهل هناك فرق بين المدلولين مدلول الطبع ومدلول السجية ، أم هما من الألفاظ المترادفة ؟

يـــرى كـــثير من الباحثين أن هناك فرقاً بينهما[٥] ، وهو أن الطبع يطلق على الخلق الفطـــري ، فالطبع ــ بسكون الباء ــ هو الجبلة التي خلق الإنسان عليها ، والسجية تطلق على الخلق الفطري والمكتسب إذا أصبح عادة ، يقول الشاعر في تثبيت ذلك[٦] :

سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع[٧] .

وبهذا يتضح أن الخُلق ــ بالضم هو الصورة الباطنة للإنسان ويقابله الخَلق ــ بالفتح

---

١)ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة مادة خلق ١٢ ٢١٤

٢)انظر الطاهر أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط ١٠٠١٢ الشركة العربية للكتاب ط ٣ سنة ١٩٨٠م

٣)اضـــيفت لاستقامة معنى الكلام انظر سامى حجازى العلاقة بين العقيدة والأخلاق فى الإسلام ص١٠٩ رسالة علميه قدمت عام ١٤٠٣هـــ غير مشهورة .

٤)ابن منظور لسان العرب مادة خلق ١٢٤٥/٢

٥) انظـــر منصـــور رجب ، تأملات في فلسفة الأخلاق ص١٣ ط٣ ، سنة ١٩٦١م وعبد المجيد اللبان كتاب الأخلاق الدينية الإسلامية ص٣ مكتبة الأزهر .

٦) القائل هو شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت رضي الله عنه

٧) الشاعر هو حسان بن ثابت، أنظر ديوانه ص١٠٢ تحقيق وليد عرفات دار صادر بيروت ط١٩٧٤م.

فهو الصورة الظاهرية له ، ذلك لأن الإنسان مركب من جسد يدركه البصر ومن روح يدركها البصيرة ، ولكل منها صورة وهيئة قائمة بها ، فصورة الجسد ظاهرة ، وهي التي تسمى خَلقاً بالفتح وصورة النفس باطنة وهي التي تسمى خُلقا بالضم[١]

من هذا البيان اللغوي للأخلاق نخلص إلى ما يأتى:ـ

إن الخلق يدل على الصفات الفطرية ، كما يدل على الصفات التي اكتسبت بالإرادة إن الأخلاق لها جانب نفسي باطني ، وجانب سلوكي ظاهري[٢].

التعريف الاصطلاحي :

اختلف علماء الأخلاق في تعريفهم للخلق ، فقد تنوعت تعريفاتهم له تبعاً لاختلاف طبيعته ، وإن كانت قريبة المعنى من المفهوم اللغوي ، وهذا التعدد في التعريفات إنما هونابع من اختلاف مفهوم الأخلاق لدى كل اتجاه مع اختلاف مشارب المعرفين ونزعاتهم أول تعاريف الأخلاق تعريف ابن مسكويه[٣] حيث قال : (الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعاله من غير فكر ولا روية)[٤] ، وتبعه على هذا التعريف كثير ممن أتى بعده من أمثال الغزالي[٥] حيث قال : (الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ٠٠)[٦] ، فالغزالي لم يخرج عن فحوى تعريف ابن مسكوية وإنما غيّر أسلوبه فقط فعدّ أن الخلق هيئة راسخة في النفس فخرج ما يكون مكتسباً من الأخلاق ٠

ولذا يرى الباحث أحمد حداد [٧] أن تعريفهما ليس جامعاً مانعاً فقد استخرج من تعريفهما تعريفاً يرى أنه جامع حيث قال : في تعريفه للأخلاق إنه (قوة في النفس راسخة تنزع بها في يسر وسهولة إلى اختيار ما هو خير وصلاح أو شر وجور وذلك بمعيار الشرع الإلهي والفطرة السليمة)[٨] .

١) انظر سامى عفيفي حجازى العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام ص١١٠ رسالة علميه غيرمنشورة قدمت الى جامعة الأزهر عام ١٤٠٣ هـ

٢)المرجع السابق ص ١١٢ ٠

٣)هو أحمد بن محمد يعقوب بن مسكويه كان من فلاسفة المسلمين الذين تأثروا بفلاسفة اليونان أرسطاطاليس ونحوه توفي عام ٤١٢هـ (انظر الزركلى ، الأعلام ٢١١١١

٤) ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق ص ٢٥

٥) هو محمد بن محمد العزالى الطوسي لقب بحجة الإسلام فيلسوف إسلامى متصوف له مصنفات كثيرة أشهرها إحياء علوم الدين ت ٥٠٥ (انظر طبقات الشافعية للسبكي ١٠١/٤ طبعه الحسنية

٦)محمد العزالى إحياء علوم الدين ٤٦/٣

٧)باحث معاصر له رسالة دكتوراه في أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة

٨)أحمد عبدالعزيز الحدادأخلاق النبي في القرآن والسنة ٣٣/١ دار الغرب الإسلامي بيروت ط١ سنة١٩٩٦م

وهـــذا الـــتعريف أقرب ما يكون لموضوع البحث الذي يصبوا إليه الباحث من بيان دور الاتباع الحق في جانب الأخلاق ، لأن الخلق الموافق للشرع الإلهي والفطرة السليمة هـــو الخـــلق الحســـن الذي يجب اتباعه ، وإذا لم يكن كذلك يجب اجتنابه والبعد عنه لأنه يصبح خلقاً سيئاً .

المطلب الثاني

أهمية الأخلاق

للأخـــلاق فـــي الإســـلام منزلة عظيمة ومكانة رفيعة ، وأهميته تكمن في أنه يشمل مجـــال الحيـــاة كـــلها (لأن الأخلاق إذا كانت نمطاً للعمل والسلوك في الحياة فإن عمل الإنســـان لمساعدة الآخرين أخلاق ، وعمله لكسب قوته وقوت من يعوله أخلاق ، وإيمانه بـــالله وعـــبادته له أخـــلاق، لأنه بر)[١] قال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشـــرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... ﴾[٢] ، فلا يتحقق البر دون الإيمـــان والعبادة ، فالبر إذاً هو الأخلاق ، فالأخلاق أمر لا غنى عنه لأنه شرط في دوام الحياة الاجتماعية كما أنه ضروري لتحقيق السعادة للإنسان .

إن كل إنسان في أي عصر يعيش حياة اجتماعية ، وهي تقوم على التعامل والسلوك مـــع الآخـــرين ، وهذا يحتاج إلى وجود قواعد وأنماط للسلوك ترضى عنها المجتمعات ، وعـــلى هـــذا يتقرر أن كل سلوك إنساني يحقق الخير يعد أخلاقاً طالما أن هذا العمل هو لوجه الله تعالى .[٣]

ومما يؤيد هذا الأمر قوله ﷺ : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[٤] ، ومـــن هنا كانت الأخلاق هي المقياس الذي تقاس به أعمال الإنسان الإرادية فيحكم عليها بأنهـــا خير أو شر، حق أو باطل ، ولأهمية الأخلاق كان مدار اهتمام القرآن به منذ بداية نزوله على النبي ﷺ حيث كان مدار القرآن على أمرين :

الأول : تقرير الإيمان بالله وغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة .

---

١)مقداد يالجن ، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ص٨٢ مكتبة الخانجي القاهرة ط١ سنة١٣٩٢هـ

٢)سورة البقرة آية ١٧٧

٣)انظر سامى حجازي العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام ص١٤٨ ، ومقداد يالجن الاتجاه الأخلاقي في الإسلام

٤)أخرجه البخارى كتاب الوصايا باب من ترك ورثته أغنياء ٢٣٤/٥ و اخرجه مسلم كتاب الزهد والرقائق باب الوصية ٧١/٥

وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب الوصية ٧١/٥

الـــثاني : غـــرس الفضـــائل الخـــلقية لـــتزكية القلوب وتطهير النفوس[١] مع تأخير التشـــريعات العملية حتى ترسخ تلك المعاني الفاضلة في النفوس ، فانظر كيف كان غرس الأخلاق الفاضلة يلي أمر العقيدة في اهتمام القرآن .

فقـــد أشاد القرآن (بمكارم الأخلاق وذم مساوئها في آياته المتكررة وسوره المتتالية المكيـــة والمدنية بحيث بلغت مجموع الآيات التي تحدثت عن الأخلاق صراحة أو إشارة أمـــراً أو نهياً ما يقرب من ربع العدد الإجمالي لآيات القرآن الكريم وذلك أربع وخمسمائة وألف آية ، ابتداءً من أول تنزل القرآن في صدر سورة العلق... واختتاماً بآخر الآيات[٢]) تنزلاً وهي قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ... ﴾[٣]

فســـورة العلق فيها الأمر بالقراءة والتنويه بالعلم والإشادة بالكرم الإلهي ، فالأخلاق والعـــلم من أسس تنمية المسلم ، والكرم عنوان على الفضل والجود والسخاء الرباني ، وكـــل هذه معان خلقية ، أما آخر آية نزلت فقد أمرت بالتقوى وهي الأصل الأول لأخلاق الإســـلام الفردية والاجتماعية ، فمن التقوى ينبع كل خلق نبيل وبالتقوى يكف الإنسان عن كل خلق رذيل ذميم [٤] .

إن ابـــتداء تـــنزل القرآن واختتامه بالحديث عن الأخلاق تصريحاً أو إشارة ومجيء تـــلكم الآيات الكثيرة بالحديث عنه وعد علماء الإسلام[٥] الأخلاق بأنها أحد الأصول التي جـــاءت بهـــا الشـــريعة ليدل دلالة واضحة على اهتمام الشريعة بالأخلاق وأنها أصل من أصـــوله العظـــام ، كمـــا بين الرسول الكريم ﷺ أن من أجلِّ غايات بعثته والغرض من رسالته إتمام مكارم الأخلاق قال ﷺ : " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق "[٦] وفي رواية " مكارم الأخلاق "[٧] وفي رواية " بعثت لأتمم حسن الأخلاق " [٨] .

١)أنظرأحمد عبد العزيز الحداد ، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ٤٠/١

٢)أحمد الحداد ، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ٤١/١-٤٢

٣)سورة البقرة آية ٢٨١

٤) انظر المرجع السابق ٤٢/١

٥)انظر الشاطبي ، الموافقات ٨/٢-١٢

٦) أخرجه أحمد في المسند ٣٨١/٢ ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨/٩ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٢٧٤ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٦١٣/٢ وقال صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي .

٧)هذا لفظ البزار حكاه عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨/٩ .

٨) أخرجه مالك في الموطأ باب ما جاء في حسن الخلق رواها بلاغاً ٢١١/٢ قال السيوطى في تنوير الحوالك وصله قاسم بـــن أصـــبغ والحاكم عن طريق عبد العزيز الداودي وأخرج الحديث ابن أبي شيبة في المصنف ١٩٢/١٠ ، والبغوي فى شرح السنة ٢٠٢/١٣ ، قال الألباني : قال ابن عبد البر هو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة (انظر السلسلة الصحيحة ٧٥/١ رقم ٤٥

فيتضـــح من الحديث أن رسالته التي بذل جهداً عظيماً في نشرها بين الناس ، وبعث بهـــا رحمة للعالمين إنما تنشد للبشر تدعيم فضائلهم وتحقيق أخلاقهم وتقويمها لتتحقق لهم ســـعادة الداريـــن لأنه ﷺ قد قَصَر هدف بعثته في هذا الحديث على إتمام مكارم الأخلاق الـــتي بعث الله الأنبياء قبله بها وبقي منها ما يحتاج إلى تكميل وإتمام ، وهذا يدل على أن شريعته ﷺ ذات أسس أخلاقية في كل جوانبها الإيمانية والتعبدية والتعاملية[١] .

ومـــن أهميـــة الأخـــلاق أنها ربانية المصدر نبوية التطبيق والتكميل ، فقد اهتم بها الرســـول ﷺ كاهـــتمام القرآن ، وبلغها بالقول والفعل والتقرير بل كان خلقه القرآن حيث كان سلوكه كله ممتثلاً القرآن .

أمـــا بأقواله فقد حض أمته على الإلتزام بالأخلاق الفاضلة ورغبهم فيها محذراً إياهم من سيئها ، فمن ذلك قوله ﷺ:

١ــ " إن خياركم أحسانكم أخلاقاً " [٢]

٢ــ وقوله ﷺ:(إتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحهاوخالق الناس بخلق حسن)"[٣]

٣ــ وقوله ﷺ: " ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء " [٤] .

٤ــ وقوله ﷺ: " إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم "[٥] .

٥ــ وقوله ﷺ: " إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضـــكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون ، قالوا يارسول الله ما المتفيقهون ؟ قال : المتكبرون) [٦] .

٦ــ وقوله ﷺ: " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً[٧].

١) انظر أحمد الحداد أخلاق النبي في القرآن والسنة ٤٦/١

٢) أخـــرجه البخاري في كتاب الأدب باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا ٨٠/٧-٨١ ومسلم كتاب الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ ١٨١٠/٤ برقم ٢٣٢١

٣) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في معاشرة الناس ٢٣٩/٣ رقم ١٩٨٧ وقال حسن صحيح

٤) أخرجه أبوداود في كتاب الأدب باب حسن الخلق ٢٥٣/٤ برقم ٤٧٩٩ والترمذي في كتاب البر والصله باب ما جاء في حسن الخلق ٢٤٤/٣ برقم ٢٠٠٢ وقال حسن صحيح

٥)اخـــرجه أبوداود في كتاب الأدب باب ماجاء في حسن الخلق ٢٥٢/٤ برقم ٤٧٩٨ وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١/ ٣٥٠ وله شواهد يتحسن بها انظر مكارم الأخلاق للخرائطى الخرائطى رقم ٤٦-٥٣

٦)أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في معالى الأخلاق ٢٤٩/٣ برقم ٢٠١٨ وأخرجه أحمد في المسند ٢ /١٨٩ .

٧) أخـــرجه أبـــوداود فـــي كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٢٢٠/٤ برقم ٤٦٨٢ والترمذي كتاب الرضاع باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ٣١٥/٣ برقم ١١٦٢ وقال عنه حسن صحيح

٧ــ وقولــه ﷺ: " إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيئ وإن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً "(١).

٨ــ وســئل ﷺ عــن البر والإثم فقال : " البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس "(٢) .

٩ــ كما سئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : " تقوى الله وحسن الخلق " وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : " الفم والفرج "(٣) ، ففي مقابلة الرسول ﷺ بين البر والإثــم دلالــة واضــحة على أن حسن الخلق يشمل الدين كله من عقائد وأحكام شرعية المتمثلة فى العبادات والمعاملات فالدين كله إذاً خلق (٤) .

بل جعل ﷺ أن أصحاب الأخلاق الحسنة منازلهم أعلى الجنان حيث قال :" أنا زعيم بــبيت في ربض(٥) الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه " (٦) .

ففي هذه الأحاديث وغيرها كثير، مما لم يذكر هنا دلالة واضحة على أهمية الأخلاق فــي الإســلام وعــلو منزلــتها الــرفيعة في المصدرين ، ويمكن إجمال أهمية الأخلاق واستجلاؤها في النقاط الآتية :ــ

١ــ تعليل هدف البعثة النبوية بالعمل على تقويم مكارم الأخلاق وإشاعتها فقد كانت جــل غايــة دعوة الرسول ﷺ إكمال البناء الأخلاقي " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " قــال تعــالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ﴾(٧)

٢ــ إن الأخلاق الفاضلة هي جماع الدين كله كما مضى فى حديث البر والإثم وسئل ﷺ عن الدين فقال : " حسن الخلق "(٨).

١) أخرجه الامام أحمد في المسند ٩٩/٥ ، وعزاه المنذري إلى الطبرانى قال واسناد أحمد جيد ورواته ثقات وحسنه الألبانى انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٤٠٩/٣

٢) أخرجه مسلم في كتاب البروالصلة باب تفسير البر والإثم ١٩٨٠/٤ برقم ٢٥٥٣

٣) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق ٢٤٥/٣ برقم ٢٠٤ وقال صحيح غريب

٤) انظر ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ص٢٣٩ طبعة دار المعرفة ، بيروت .

٥) معنى ربض الجنة : ما حولها خارجاً عنها (انظر ابن الاثير النهاية ١٨٥/٢) والمراء : الجدال.

٦) أخرجه أبوداود في كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق ٢٥٣/٤ وحسنه الالبانى

٧)سورة البقرة آية ١٥١

٨) أخرجه الديلمي بلفظ (الإسلام حسن الخلق) عن أبى سعيد الخدري انظر كنز العمال ١٧/٣ برقم ٥٢٢٥

٣ــ إن المؤمنين يتفاضلون بمدى حسن خلقهم واكتماله في نفوسهم كما مضى (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً ٠٠)

٤ــ مدح الله لرسوله ﷺ بحسن الخلق يدل على عظيم منزلة الأخلاق ، قال تعالى: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[٢] .

٥ــ كثرة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالأخلاق تدل على أهميته ٠

٦ــ أن الخلق الحسن من أفضل الوسائل المثقلة لحسنات المؤمن ، والمقربة له من محبة الرسول ﷺ والقرب من مجلسه ٠

٧ــ الأخلاق الحسنة سبب للنجاة من النار والفوز بالجنة ، قال ﷺ : " إن العبد ليبلغ بحسن الخلق عظيم درجات الآخرة وأشرف المنازل وأنه لضعيف العبادة "[٣]

٨ــ الخلق الحسن صفة يحبها الله ورسوله قال ﷺ لأشج عبد القيس[٤] إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة ٠٠٠" [٥].

٩ــ إن حسن الخلق أفضل منحة يعطيها الله للإنسان بعد الإيمان فقد سئل ﷺ ما خير ما أعطي المرء ؟ قال : " حسن الخلق "[٦].

١٠ــ تعد الأخلاق الحسنة من علامة العبادة الحقة كما تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ٠٠٠" [٧] فصلاح الأخلاق يتوقف عليه صلاح أفعال الإنسان لأن سلوكه يتوافق مع المعاني التي استقرت في نفسه ٠

١١ــ إن الأخلاق في الأمم عنوان عز ومصدر قوة وعامل أساسي في بناء المجتمع مما يدل على أهميتها وعلو شأنها ٠

---

١)سورة القلم آية ٤

٢)سورة آل عمران آية ١٥٩

٣) أخرجه الطبراني في المعجم انظر الترغيب والترهيب ٧٨/٥

٤) هو المنذر بن عائز بن المنذر لقبه النبي ﷺ (الاشبح) فاشتهر به ينسب الى قبيلة عبد القيس وهم من البحرين (انظرابن سعد الطبقات ٥٥٧/٥)

٥)أخرجه أبوداود فى كتاب الأدب باب في قبلة الحسد ٣٥٧/٤ برقم ٥٢٢٥ واحمد في المسند ٢٠٦/٤ وأصل الحديث فى مسلم برقم ١٨

٦)اخرجه الإمام أحمد فى المسند ٢٧/٤ ٠ كما أخرجه ابن حبان والحاكم والبيهقي ، وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ومسلم

٧)سورة الفرقان آية ٦٣

المطلب الثالث

موضوعات الأخلاق

إن المجـــال الذي تتناوله الأخلاق في الإسلام مجال واسع حيث يشمل الحياة كلها ، ذلـــك لأنهـــا تتـــناول كل سلوك الإنسان وأفعاله فهي تشمل أفعال الإنسان الخاصة به أو المتعـــلقة بغيره فرداً أو جماعة أو دولة ، فلا يخرج شيئ عن دائرة الأخلاق ، مما لا نجد له نظيراً في شريعة سماوية أو قانون وضعي[١]، فالأخلاق في الإسلام لم تغادر شعبة من شعب الحياة إلا وتناولتها فى شتى المجالات ، بيئة الفرد ، والبيت والمدرسة وفي مجالات السياســـة والاقتصـــاد والاجـــتماع والـــترفيه والأدب وحـــتى في ساحات الحرب والسلم والمؤتمرات والأسواق فكل هذه المواقع إلا وللأخلاق فيها أثر بالغ [٢]

إن الـــنظام الأخلاقي في الإسلام يحتضن في رحابه كل الفضائل الإنسانية والأعمال الخيـــرة ويدخـــل فيـــه كـــل ســـلوك إرادي صادر من كل إنسان راشد ولو أردنا تعديد موضـــوعات الأخلاق حسب أفرادها لطال بنا المقام ، لكن لو تم ارجاع موضوعاتها إلى أصـــول عامـــة تنضوي تحتها لسهل الأمر ، وذلك لأن تعداد أفراد الأخلاق أمر في غاية الصعوبة لشمولها واتساع دائرتها حيث يدخل فيها جميع الصلات الإنسانية بل تتعداها إلى علاقة الإنسان بغيره من الكائنات الحية .

وفـــي ظلال القرآن بيان الشمول والتكامل في الأخلاق (إن أول ما يبرز للنظر عند مطالعـــة ســـورة الحجرات هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة لعالم رفيع كريم نظيف سليم متضمنة القواعد والأصول والمباديء والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم والتي تكفل قيامه أولاً ، وصيانته ثانياً .

عالم يصدر عن الله ويتجه إلى الله ويليه أن ينتسب إلى الله . عالم نقي القلب نظيف المشـــاعر ، عف اللسان ، وقبل كل ذلك عف السريرة ، عالم له أدب مع الله ، وأدب مع رسولـــــه ، وأدب مع نفسه ، وأدب مع غيره أدب في هواجس ضميره ، وفي حركات

---

(١)انظر محمد عبدالله دراز دستور الأخلاق في القرآن ص٦٨٩ مؤسسة الرسالة ط٤ سنة ١٤٠٢هـ

(٢)انظر الهاشمى عابد توفيق المدخل الى التصور الإسلامي للإنسان والحياة ١٦١ دار الفرقان عمان سنة١٤٠٢هـ

جوارحـــه ، وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه ، وله نظمه التي تكفل صيانته وهـــي شـــرائع ونظم تقوم على ذلك الأدب وتنبثق عنه وتتسق معه فيتوافق مما باطن هذا العـــالم وظاهره وتتلاقى شرائعه ومشاعره وتتوازن دوافعه وزواجره ، وتتناسق أحاسيسه وخطاه وهو يتجه ويتحرك إلى الله)[١].

وقـــد صـــدرت هـــذا العام أعني ١٤٢٠هـــ موسوعة كبيرة في بيان تعداد مفردات الأخلاق بجانبيها الحسنة والسيئة ، فقد عددوا الصفات المستحبة فأوصلوها الى ٢٠٠ صفة وأوصـــلوا الصـــفاة المذمومـــة إلى (١٦٠) صـــفة فبلغ مجموع الصفاة الحسنة والصفاة المذمومة ٣٦١ صفة [٢] وأحسن من أرجع مفردات الأخلاق هذه إلى أصول وكليات عامة هو عبدالرحمن الميداني[٣] حيث أرجعها إلى أصول ثلاثة :

١ـــ كل دافع ذاتي في الإنسان أكان فطرياً أم مكتسبا يدفعه حتى يعترف لغيره بما له مـــن صفات كمال ، أو بما له من حق – ولو كان في ذلك الاعتراف مساس بما يشتهي الإنســـان لنفسه من كمال أو مجد أو أي حظ من حظوظ النفس أو الجسد – هو من أصول مكارم الأخلاق وكلياتها العامة .

ونقيـــض هـــذا الأصـــل أحد أصول الرذائل الخلقية وكلياتها العامة [٤] ثم ذكر من تعريفات هذا الأصل الاعتراف بكمال ألوهية الله وربوبيته والإذعان لذلك بدافع ذاتي من الإنســـان والاعتراف للوالدين وللمعلم ولكل ذي فضل بفضله وكذا صاحب كل مزية وكل ذي حق بحقه [٥].

٢ـــ كل دافع ذاتي في الإنسان سواء أكان فطريا أم مكتسبا يدفعه حتى يؤدي الحقوق الـــتي عليه كاملة ، أو حتى ينعم على غيره بعطاء من عمله أو من قدرته أو من جاهه أو مـــن ماله متجاوزا ذلك عوامل نفسه الأنانية هو من أصول مكارم الأخلاق وكلياتها العامة ونقيض هذا الأصل أحد أصول الرذائل الخلقية وكلياتها العامة .

---

١)سيد قطب في ظلال القرآن ٣٣٣٥/٦ -٣٣٣٦

٢)انظـــر كتاب موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ إعداد مجموعة من المختصين (بلغ عددهم ٣١ عالماً وباحثاً) وخرج الكتاب في ١٢ مجلداً .

٣) هو عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني استاذ كبير وباحث معاصر له مؤلفات نافعة في مجالات الشريعة والاخلاق والسلوك – استاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٤)عبدالرحمن الميداني ، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٤٧/١ دار القلم دمشق وبيروت ط١ سنة ١٣٩٩هـــ .

٥)انظر المرجع السابق ٤٨/١

٣ــ كــل دافع ذاتي في الإنسان فطري أو مكتسب يدفعه حتى ينظر إلى المنح التي يخــتص الله بها عباده ، ويوزعها بينهم ، إنما هي مظاهر حكمة الله وعدله فهو ينظر إلى مالديــه مــنها بعيــن القــناعة والرضا ، دون أن تمتد إلى ما وهب الله غيره منها امتداد اعتراض أو حسد هو من أصول مكارم الأخلاق وكلياتها العامة .

ونقيــض هذا الأصل أحد أصول الرذائل الخلقية وكلياتها العامة [١]إن الموضوعات الــتي تتناولها الأخلاق شاملة لكل قطاعات الإنسان : فكره ، واعتقاده ، وقلبه ، ونفسه ، وسلوكه .كما أن موضوعاتها ترتبط كذلك بجوانب الشريعة المختلفة فنلاحظ :

١ــ ارتباط الأخلاق بالعبادات بمختلف أبوابها.

٢ــ ارتباط الأخلاق بالعقيدة.

٣ــ ارتباط الأخلاق بالمعاملات بشتى صنوفها.

إن الأخلاق الإسلامية علاقتها بالإيمان بالله وثيقة تصل إلى درجة ثبوت الإيمان عند التحــلي بها أو فقده عند التخلي عنها أو عن بعضها ذلك لأن الذي يحمل على التخلي عن رذائــل الأخــلاق والتحــلي بفضــائلها إنما هو الإيمان بالله تعالى ، ولهذا كانت العناية بــالأخلاق تــلي العناية بالإيمان بالله وباليوم الآخر ، وهذا ما أكده الرسول ﷺ في سنته بقولــه : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا " [٢] فصرح الحديث أن كامل الخلق هو كــامل الإيمــان وســيئ الخلق ناقصه فالعلاقة بينهما إذاً علاقة تلازم ، فهي علاقة أصل بأصل لا يكمل أحدهما حتى يكمل الآخر [٣].

أمــا ارتباط الأخلاق بالعبادات المختلفة فواضح جلي حيث جاءت تعليلات كثيرة في جــزئيات كــل عبادة تنبئ بأمور أخلاقية فاضلة وأهم تلك العبادات ذات الأثر العظيم في تزكية الأخلاق البشرية الصلاة ، والزكاة والصيام والحج .

فــبالرغم من أن العبادة مطلوبة لمقتضى سر إيجاد العباد مطلوبة كذلك لأجل تقويم الأخلاق وتزكيتها كما دلت على ذلك النصوص الشرعية [٤] ففى شأن الصلاة قال تعالى: ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر .. ﴾[٥]

١)عبدالرحمن الميداني الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/٤٨-٤٩

٢)سبق تخريجه في ص ٢١٩

٣)انظر أحمد الحداد ، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ١/٨٣-٨٥ .

٤)انظر المرجع السابق ١/٢٤٢

٥) سورة العنكبوت آية ٤٥

وفى أمـــر الزكاة قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجـــنا لكـــم مـــن الأرض ﴾[١] وقولـــه تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صـــدقة تطـــهرهم وتـــزكيهم بهـــا ﴾[٢] أي خذ أيها الرسول بعضا من أموالهم تكون مطهرة لهم من الذنوب ومـــن حـــب المال ، وتزكيهم بها عن سائر الأخلاق الذميمة التي حصلت لهم بسبب حب المال [٣]. وفي شأن الصيام يقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كـــتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[٤] فالصوم يورث التقوى لأن به تنكسر الشهوة وينقمع الهوى وفي الحديث قوله ﷺ : " ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " [٥]. وفي شأن الحج يقول تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات فمـــن فـــرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج .. ﴾[٦] فمنع تعالى أن يكـــون في الحج أي شيئ يجر إلى مساويء الأخلاق [٧] وبين أن الحج من أعظم العبادات التي تربي الناس إلى تزكية النفس وتهذيب الأخلاق لما فيه من الأحكام والأداب فالعبادات إذا عامل مهم من عوامل تزكية النفوس وتهذيبها .

أمـــا ارتباط الأخلاق بالمعاملات فأكثر من أن يحصى لشموله واتساع دائرته ، وقد ذكرنا في موضوعات المعاملات مدى شمولها وكل جزء من أجزاء تلك المعاملات يدخلها الأخلاق ويرتبط بها سواء كانت :

- مما يتعلق بوجوه الصلة بين الإنسان وبين الناس الآخرين .
- أو كانت مما يتعلق بوجوه الصلة بين الإنسان نفسه .
- أو كانت مما يتعلق بوجوه الصلة بين الإنسان وأحياء غير عاقلة .

ففـــي احترام العقود يقول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود... ﴾[٨] ، وفي أداء الأمانة يقول ﷺ :(أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك)[٩] ، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة التي ربطت بين الأخلاق والمعاملات في شتى جوانبها المختلفة .

١)سورة البقرة آية ٢٦٧ .
٢)سورة التوبة آية ١٠٣
٣)انظر القاسمي ، محاسن التأويل ٣١٢/٨
٤)سورة البقرة آية ١٨٣
٥)أخرجه البخاري في الصوم باب من لم يدع قول الزور والعمل به ، الفتح ١١٦/٤ رقم ١٩٠٣
٦)سورة البقرة آية ١٩٧
٧)انظر الألوسي ، روح المعاني ٨٦/١
٨)سورة المائدة آية : ١
٩)أخـــرجه الإمام أحمد في المسند ٤١٤/٢ ، وأبوداود في البيوع / باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده ، ٢٩٠/٣ ، رقم ح ٣٥٣٥ ، قال محقق جامع الأصول حديث صحيح .

المطلب الرابع
آيات الاتباع في الأخلاق

إن حديث القرآن عن الاتباع للحق في الأخلاق حديث طويل يتبين ذلك من خلال كثرة الآيات وتنوعها في جانب الأخلاق كما سبق بيانه في الحديث عن أهمية الأخلاق [١] حيث بلغت قريبا من ربع آيات القرآن ، فقد تعرض كتاب الله لأصول الأخلاق التي يريد الله تعالى من عباده أن يتحلوا بها ويستجيبوا لتوجيهاتها فيكونوا بذلك صالحين لتلقي الأوامر والتوجيهات الربانية .

ولما كان القرآن الكريم كتاب إيجاز وإعجاز فقد تحدث عن مكارم الأخلاق ومحامد الخصال حديثه الموجز المبين فصار رائداً لكل مؤمن راغب في التحلي بالفضائل والتزين بمحاسن الطباع كما قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم .. ﴾[٢] ولهذا جاءت آيات الأخلاق في القرآن قصيرات بألفاظها واسعات فسيحات بمفاهيمها ومضامينها [٣] كما قال تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾[٤]

إن توجيهات القرآن في مجال الأخلاق واتباعها أخذت مجالين :

المجال الأول يتعلق بالرسول ﷺ باعتباره القدوة الحسنة والأسوة التي تتأسى به الأمة في كل المجالات ، بل جعل القرآن أن التاسي به جانب مهم للغاية فى سلوك المتبع ولا يمكن أن يكون اتباع دون التأسي به قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾[٥] فقد اشتملت هذه الآية على مسائل مهمة منها:

١ــ اختصاص الرسول عليه السلام بالقدوة وحده وقصرها عليه .

٢ــ إن هذه القدوة تخص المؤمنين بالرسول وحدهم دون سواهم (لقد كان لكم)

٣ــ تقييد الأسوة ووصفها بأنها حسنة [٦]

٤ــ إن الذي يرجو الله وثوابه هو الذي يقتدي بالرسول ويتبع سبيله .

٥ــ إن القدوة الحسنة طريق أساس فى اكتساب الأخلاق الحميدة .

١) انظر ص ٢١٧ من هذا البحث

٢)سورة الإسراء آية ٩

٣)) أحمد الشرباصي ، موسوعة أخلاق القرآن المقدمة ص ((ل))

٤) سورة الأعراف آية ١٩٩.

٥) سورة الأحزاب آية ٢١.

٦)انظر محمد إبراهيم شقرة السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنيه المسطرة ص٢٩ مكتبة المعارف ، الرياض ط١

ولهذا جاءت توجيهات آيات القرآن إلى الرسول ﷺ بأمره باتباع الخلق الحسن تارة وبمدحه بها أخرى ، قال تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ..﴾[١] ، ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾[٢] ، ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾[٣] ﴿... فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾[٤] ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾[٥] ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[٦] ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[٧] وغيرها من الآيات الكثيرة التي تأمره وتدعوه إلى الأخلاق الفاضلة.

ففي الآية الأولى بيان حسن معاشرته وسهولة معاملته يقول الطبري (فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك لنت لهم لاتباعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك وحسنت لهم أخلاقك ، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه ، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتبعك ، ولا ما بعثت به من الرحمة ولكن الله رحمهم ورحمك معهم فبرحمة من الله لنت لهم)[٨].

قوله: ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم ...﴾ فالله طهره من الفظاظة وجعله رحيماً بالمؤمنين رؤوفاً وذُكرت نعته في التوراة (ليس فظاً ولا غليظاً ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح) ومعنى ﴿لا نفضوا من حولك ﴾ أي لتركوك وتفرقوا عنك[٩] فتمثلت الرحمة الإلهية في أخلاق النبي ﷺ (وطبيعته الخيرة الرحيمة الهينة اللينة المعدة لأن تتجمع عليه القلوب وتتألف حولها النفوس ...

١)سورة آل عمران آية ١٥٩
٢)سورةالأعراف آية ١٩٩
٣)سورة الشعراء آية ٢١٥
٤)سورة الأنعام آية ٣٣
٥) سورة التوبة آية ١٢٨
٦)سورة النحل آية ١٢٥
٧)سورة القلم آية ٤
٨)ابن جرير الطبري ، جامع البيان ١٥١/٤
٩)المرجع السابق ١٥١/٤ بتصرف .

فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم فجعلته ﷺ رحيماً بهم ليناً معهم ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر ، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ ، وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب لنفسه قط ، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية ، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه)[١].

ومن الآيات التي جاءت تعزز هذا الجانب ، قوله تعالى : ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾[٢] ، ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة .. ﴾[٢]

فالرب سبحانه بسط هؤلاء مع خلقه ليقتدي بهم السالك ويهتدي بهم الحيران ويشفى بهم العليل ويستضاء بنور هدايتهم ونصحهم ومعرفتهم في ظلمات دياجي الطبع والهوى[٤]

أما الآية الثانية ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف ﴾ فيها أمر من الله لرسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ، وهو الفضل ومالا يجهدهم وأن يترك الغلظة عليهم ، كما أمره أن يأمر الناس بالعرف وهو المعروف في كلام العرب [٥] ، ومن المعروف (صلة رحم من قطع ، وإعطاء من حرم والعفو عمن ظلم ، وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه فهو من العرف ، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى ، فالحق فيه أن يقال : قد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف كله لا ببعض معانيه دون بعض)[٦].

فهذه الأخلاق السامية ما أمر به الرسول ﷺ إلا ليقتدي به أصحابه واتباعه من بعدهم فأمر أن يأخذ (العفو الميسر الممكن من أخلاق الناس في المعاشرة والصحبة ، ولا تطلب إليهم الكمال ولا تكلفهم الشاق من الأخلاق ، واعف عن أخطائهم وضعفهم ونقصهم

---

١)سيد قطب في ظلال القرآن ١/٥٠٠-٥٠١

٢)سورة فصلت آية ٣٤

٣)سورة المؤمنون آية ٩٦

٤)على الحمد الصالحى ، الضوء المنير على التفسير ١٣٨/٢ مؤسسة النور للطباعة ، الرياض ط١ وانظر ابن القيم ، مدارج السالكين ٣٠٢/٣

٥)انظر ابن جرير الطبري جامع البيان ٩/ ١٥٣-١٥٥

٦)ابن جرير الطبري ، جامع البيان ١٥٦/٩

كل أولئك في المعاملات الشخصية لا في العقيدة الدينية ولا في الواجبات الشرعية ، فليس في عقيدة الإسلام ولا شريعة الله يكون التغاضي والتسامح ، ولكن في الأخذ والعطاء والصحبة والجوار ، وبذلك تمضي الحياة سهلة لينة فالإغضاء عن الضعف البشري والعطف عليه والسماحة معه واجب الكبار الأقوياء تجاه الصغار الضعفاء ورسول الله راع وهاد ومعلم ومرب فهو أولى الناس بالسماحة واليسر والإغضاء ...

وكل أصحاب الدعوة مأمورون بما أمر به رسول الله ، فالتعامل مع النفوس البشرية لهدايتها يقتضي سعة الصدر، وسماحة الطبع ، ويسراً وتيسيراً في غير تهاون ولا تفريط في دين الله)[١] ، فقد جمع الله تعالى مكارم الأخلاق في هذه الآية[٢] وأمر بها رسوله ، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ ما هذا يا جبريل قال : (إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك)[٣] ولهذا روى علي عنه قوله ﷺ (ألا أدلكم على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة تعفو عمّن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك)[٤].

ومن الآيات التي تعزز خلق الحلم والعفو هذا قوله تعالى : ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم ..﴾[٥] ، ﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾[٦] ، وأما الآية الثالثة ففيها الأمر للرسول بخفض الجناح لاتباعه المؤمنين يقول الطبري فى قوله تعالى : ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾[٧] (وألن لمن آمن بك واتبعك واتبع كلامك وقربهم منك ولا تجف بهم ولا تغلظ عليهم)[٦] فالتعبير عن اللين والمودة والعطف بخفض الجناح يمثل لطف الرعاية وحسن المعاملة ورقة الجانب مما يدفع الاتباع إلى الاقتراب منه واتباعه[٧]

أما الآية الرابعة وهي قوله ﴿ فإنهم لايكذبونك ﴾فتشير إلى صدقه وأمانته ﷺ وفي الآية تسلية من الله لنبيه في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه ، أي قد علمنا بتكذيبهم لك وحزنك وتأسفك عليهم فلا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه

١)سيد قطب ، في ظلال القرآن ١٤١٩/٣ وانظر محمد نسيب الرفاعي ، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ٢٦٤/٢ مكتبة المعارف الرياض طبعة سنة١٤١٠هـ

٢)انظر ابن القيم ، مدارج السالكين ٣٠٥/٢

٣)اخرجه ابن ابى حاتم كما رواه ابن مردويه عن جابر وابن جرير في تفسير الآية انظرها في تفسيره ١٠٥/٩

٤)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢٣٥/١٠ رقم ٢٠٨٨٠

٥)سورة آل عمران آية ١٥٩

٦)سورة المائدة آية ١٣

٧)سورة الحجر آية ٨٨

بصـــدورهم كما روي عن علي رضي الله عنه قال : قال أبو جهل للنبي ﷺ إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به) فأنزل الله تعالى الآية[١].

وفـــي شـــفقة الرســـول ﷺ ورحمته ورأفته بالناس تقرأ قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ﴾[٢] والله تعالى أرسل رسوله وكساه بهذه الصفات الفاضلة والأخلاق الكريمة (لتتربى الأمة على الكمال الخلقي الذي اشتملت عـــليه هـــذه الصفات فيكون لها من صفات نبيها حظ تتلاقى به في حياتها فتسودها الرأفة والـــرحمة فـــتكون كمـــا وصف الله نبيه وأصحابه وإن تباعدت بها الأزمان وتناءت بين أفـــرادها الديـــار وذلك[٣] قوله سبحانه ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمـــاء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثـــر الســـجود ..﴾[٤] الآيـــة ، ومن المؤكد أن كل آية نزلت فى وصف خلق من أخلاق الرســـول ﷺ (ما نزلت إلا والمقصود بها أولاً هم المسلمون سواء أكانوا من الصحابة أم كـــانوا ممن خلفهم ومهمة الرسول تنفيذها ليكون هو القدوة الماثلة أمامهم فلا يعسر عليهم فهمهـــا ولا يشـــق عليهم وهذه هي المزية للتربية الإسلامية)[٥] ، وهنا يأتى دور المجال الثاني من توجيهات القرآن في مجال الأخلاق وهو :

جـــانب اتـــباعه ﷺ حيـــث جاء توجيه المؤمنين وأمرهم وحثهم على اتباع الأخلاق الفاضـــلة مـــع الاقتداء بنبيهم والامتثال لأخلاقه ﷺ وإذا كان الله قال لنبيه (فاعف عنهم) وقال له (خذ العفو) فإنه قال لهم ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾[٦] وقال: ﴿ وليعفـــوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾[٧] ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور ﴾[٨] .

---

١)ابن جرير الطبري ، جامع البيان ٦١/١٤ ، , انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٢١٥٤/٤ .

٢)سورة التوبة ١٢٨.

٣)محمد إبراهيم شقرة ، السيرة النبوية العطرة ص ٢٠٥

٤)سورة الفتح آية ٢٩

٥)محمد شقرة ، السيرة النبوية العطرة ص ٢٠٠-٢٠١

٦)سورة البقرة آية ١٠٩

٧)سورة النور آية ٢٢

٨)سورة الشورى آية ٤٣

وقوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... ﴾[١] الآية ، وقال : ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾[٢] ، وقال : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾[٣] ، ففي الآيات الثلاث الأولى أمرهم بما أمر به رسوله ﷺ حتى يختبروا أنفسهم ويجربوا ذلك فيمضون امتثالها وتحقيقها فإن وفقوا فالحمد لله وإن كانت الأخرى رجعوا إلى رسولهم فاقتدوا به وتأسوا أفعاله حتى تذل أنفسهم لتلك الأخلاق فقد مدح تعالى رسوله بالخلق العظيم ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[٤] فينظرون إليه ويرون إليه مصداق هذه الآية في شأنه كله في مسجده وبيته وفي سلمه وحربه ، ومع أصحابه وأهله ومع أوليائه وأعدائه ٠وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : (كان خلقه القرآن)[٥] ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه[٦] فعن أنس رضي الله عنه قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط ، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله ، ألا فعلته ؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً ...)[٧] وقد امتازت أخلاقه ﷺ بالبساطة والسهولة وكلما اقترب أصحابه منه رأو فيه من الأخلاق ما لم يكونوا قد عرفوه من قبل ولهذا (امتاز كل صحابي بخلق من أخلاقه ﷺ أقام عليه متأملاً متبصراً فحذقه فعرف به ، وما قدر واحد منهم أن يجمع لنفسه كل أخلاقه عليه ﷺ بل إن بعضهم كان يقول في خلق من أخلاقه ﷺ أصابه أخ له : وتلك التي لا نطيق ٠ وكان من حذق خلقاً من أخلاقه ﷺ يكفيه عن سائر الأخلاق إذ تمثله إياه بكامله وحرصه على أن يتمثله كما هو في رسول الله كان يضفي عليه بركة يحس بها فكأنه قد تمثل قدراً من أخلاقه كلها ﷺ[٨]

١)سورة البقرة آية ١٧٧
٢)سورة آل عمران آية ١٣٤
٣)سورة النحل آية ٩٠
٤)سورة القلم آية ٤
٥)أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم ٢٤٠٨٠
٦)ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٥١٧/٤ .
٧)متفق عليه انظر البخاري كتاب الاستئذان باب ومسلم كتاب الفضائل ، باب ..... كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ١٨٠٤/٤ رقم ٢٣٠٩
٨) محمد إبراهيم شقرة ، السيرة النبوية العطرة ص٢٠٠

فالمؤمنون مأمورون بالاتباع الحق في الخلق لأن الخلق من الدين كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عندما سئل عن البر فقال : " البر حسن الخلق "[١] ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ...﴾[٢]

فحسن الخلق هو البر ، والبر هو الإيمان بالله واليوم الآخر وما عطف عليه وقد اشتملت الآية على الدين كله بأقسامه الثلاثة الإسلام من صلاة وزكاة ....الإيمان بالله وملائكته ...الإحسان ، الوفاء والصدق والصبر والتقوى

أما قوله تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...﴾ ففيها أمر من الله تعالى لعباده باتباع الأخلاق الفاضلة وذلك لأن العدل هو فعل كل مفروض من عقائد وشرائع ، وسير مع الناس في أداء الأمانات وترك الظلم ، والانصاف وإعطاء الحق والإحسان هو فعل كل مندوب إليه)[٣]

(والعدل في هذا الموضوع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملاً والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته ، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته)[٤] ، وعلى هذا تكون العلاقة بين العدل والإحسان أن العدل هو الذي (يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل ، لا تميل مع الهوى ولا تتأثر بالود والبغض ، ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب والغنى والفقر والقوة والضعف إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع ، وتزن بميزان واحد للجميع .

والإحسان يلطف من حدة العدل الصارم الجازم ، ويدع الباب مفتوحاً لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثاراً لود القلوب وشفاء لغل الصدور ، ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحاً أو يكسب فضلاً ، والإحسان أوسع مدلولاً ، فكل عمل طيب إحسان ، والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل ، فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه وعلاقاته بأسرته وعلاقاته بالجماعة ، وعلاقاته بالبشرية جميعا)[٥] .

---

١)أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة باب تفسير البروالاثم ١٩٨٠/٤ رقم ٢٥٥٣

٢)محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان ٤٢٦/٨-٤٢٧ بتصرف

٣)ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٩٤/٨ .

٤)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٧٦٩/٢ .

٥)سيد قطب ، في ظلال القرآن ٢١٩٠/٤

ولهـــذا كانت هذه الآية ﴿ أجمع آية في القرآن لخير أو لشر ﴾[١] كما قال ذلك عبد الله بـــن مسعود[٢] رضي الله عنه فالله تعالى بين فيها (أنه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهـــلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به ، وليس من خلق سيىء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه ، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها) [٣]

ومن آيات الاتباع في الأخلاق ، قوله تعالى : ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا .. ﴾[٤] وقولـــه تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحســـاب ﴾[٥] وقولـــه تعالى : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾[٦] وهذه الآية تدخل في الشريعة لأنها تتناول جانب القصاص وقد سبق بيانها في مظانها (آيات الاتباع في الشريعة)[٧] كما تدخل في الأخلاق لأن فيها جانباً سلوكياً من حيث التعامل بين أولياء المقـــتول وبين القاتل وأوليائه وهذا يدل بجلاء على التلاحم العميق بين الأخلاق والشريعة والعقيدة وعدم الانفصال بينها كما جاء في الحديث (الدين حسن الخلق) [٨] وكما جاء عن ابـــن القيم قوله (الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين)[٩] ، وهذا يـــدل على أهمية الأخلاق ودور الاتباع الحق فيها لأن الخلق الحسن يحمل على الفضائل ويمنع من الرذائل ، فيكون لدى المكلف السياج المنيع من اقتراف الرذائل والوقوع فيها ، فهو إذا يحمل على الاتباع الحق ويمنع من الاتباع الباطل .

إن مكارم الأخلاق (رحمة للعالمين في الدنيا ومنزلة عليا للمؤمنين في الآخرة)[١٠].

---

١)ابن جرير الطبري جامع البيان ١٦٣/١٤

٢)هوابن غافل بن حبيب الهزلى حليف بنى زهرة أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلها لازم النبي ﷺ وكان من المكثرين عنه (انظر الاصابة ٣٦٨/٢ .

٣)ابن جرير الطبري جامع البيان ١٦٣/١٤

٤)سورة النساء آية ١٣٥

٥)سورة ص آية ٢٦

٦)سورة البقرة آية ١٧٨

٧)انظر ص ٢٠٥ من هذا البحث

٨)سبق تخريجه انظر ص ٢٢٠

٩)ابـــن قيم الجوزية مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٣٠٧/٢ تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت سنة١٣٩٢هـــ .

١٠)محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان ٤٢٧/٨

الفصل الثانى

مجالات الاتباع للباطل في العقيدة والشريعة والأخلاق

المبحث الأول : مجالات الاتباع للباطل في العقيدة

المبحث الثانى : مجالات الاتباع للباطل في الشريعة

المبحث الثالث : مجالات الاتباع للباطل في الأخلاق

المبحث الأول

مجالات الاتباع للباطل في العقيدة

المطلب الأول : اتباع الباطل في العقيدة عند الكفار والمشركين

المطلب الثانى : اتباع الباطل عند أهل الكتاب والمنافقين

المطلب الثالث : اتباع الباطل عند أمة الاستجابة

المطلب الأول

اتباع الباطل في العقيدة عند الكفار والمشركين

يـــندرج تحـــت هذا الأصل الكفار والمشركون ومن كان على شاكلتهم ممن ليس لهم كـــتاب منزل من عند الله بل هم خارج دائرة كتب الله فيكون باطلهم أعلى الباطل وأعظمه وأخطـــره ، فالكفـــار والمشركون باطلهم مطلق وهو أعظم الباطل لأنهم ليسوا على دين وليس لهم كتاب ، قال تعالى : ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آيـــاتي وما انذروا هزواً ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ٠٠ ﴾[٣] إن باطل الكفار يتمثل في إنكار الخالق أو إنكار كماله أو إنكار ما جاءت به رسله من إنكار ما دلت عليه الأدلة القاطعة وتناقلته جميع الشرائع الصحيحة الماضية حتى علمه البشر[٤]

والكفر خمسة أنواع : كفر تكذيب ، وكفر استكبار وإباء وكفر إعراض ، وكفر شك ، وكفر نفاق [٥] ، فكفر التكذيب هو اعتقاد كذب الرسل وهو قليل في الكفار فالله أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾[٦] وقال تعالى لرسوله ﴿ فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾[٧]

وأمـــا كفر الإباء والاستكبار فنحو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار قـــال تعالى : ﴿ إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾[٨] ومن هذا كفر من عرف صـــدق الرسول وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباءً واستكباراً وهو الغالب على

---

١)سورة الكهف آية ٥٦

٢)سورة الحج آية ٦٢

٣)سورة محمد آية ٣

٤)انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٤٨/١-٢٤٩ ٠

٥)انظر ابن القيم ، تهذيب مدارج السالكين ص ١٩٢ ، وعلي الصالحي الضوء المنير ٤٠١/٢

٦)سورة النحل آية ١٤ ٠

٧)سورة الأنعام آية ٣٣ ٠

٨)سورة البقرة آية ٣٤ ٠

كفـــر أعداء الرسل ككفر فرعون وقومه ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾[١] وكفـــر اليهود ﴿ فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ﴾[٢] ، وأما كفر الإعراض : بأن يعرض بســـمعه وقلـــبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جـــاء به البتة قال تعالى : ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾[٣] وهو كفر الملحدين اليوم من المسمين بأسماء إسلامية المقلدين للإفرنج من اليهود والنصارى المنحلين عن كل خلق وفضيلة زاعمين بجاهليتهم وسفههم أن هذا هو سبيل الرقي والمدنية .

وأمـــا كفر الشك : فإنه لا يجزم بصدقه ولا يكذبه بل يشك في أمره وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عنه في آيات صدق الرسول عليه السلام .

وأمـــا كفـــر النفاق : فهو أن يظهر بلسانه الإيمان وينطوي قلبه على التكذيب ، وأما كفر الجحود فنوعان : مطلق عام ، ومقيد خاص .

فالأول : أن يجحد ما أنزله الله جملة ، ويجحد إرسال الرسول .

والثاني : أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام أو يحرم ويحلل على هواه .

فكل هذا وغيره من أنواع اتباع الباطل الذي خرج به الكفار عن دائرة دين الله .

فأما الشرك : فنوعان أكبر وأصغر .

فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله وهـــو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ولهذا قالوا لآلهتهم ﴿ تالله إن كـــنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾[٤] والأصغر كيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله .

والشـــرك منه ما يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ومنه ما يتعلق بعبادة الله ومعاملته سبحانه وتعالى .

والشـــرك الأكـــبر ينقســـم إلى شرك في الربوبية وشرك في الألوهية وفي الأسماء والصفات ، أما شرك الربوبية فنوعان [٥] :

١)سورة المؤمنون آية ٤٧ .

٢)سورة البقرة آية ٨٩ .

٣) سورة الأحقاف آية ٣.

٤)سورة الشعراء آيتى ٩٧-٩٨ .

٥)انظر ابن تيمية مجموع الفتاوى ١٤/١٤ ، ومحمد أحمد ملكاوي عقيدة التوحيد في القرآن ص ١١٢

النوع الأول: شرك التعطيل وهو من أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون عندما قال ﴿ وما رب العالمين ﴾[١] فهو أشهر من أنكر الصانع لكنه كان في الباطن مستيقنا بها قال تعالى ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ..﴾[٢] ويدخل هنا القائلون بالصادفة والطبيعة والدهريون الذين قالوا : ﴿ ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾[٣] ، كما يدخل كذلك الفلاسفة القائلون بقدم العالم وأبديته وأن العقل الفعال هو الخالق المدبرلكل ما تحته ، والشيوعيون المنكرون للإله ، والقائلون بوحدة الوجود كابن عربى[٤] وغيره .

أما النوع الثاني : شرك من اعتقد بأكثر من صانع للعالم كالثنوية من المجوس الذين قالوا بوجود إلهين للعالم إله النور وإله الظلمة وكذا النصارى وسيأتي الحديث عنهم ، لكنهم لم يسووا بين هذه الآلهة بل فاضلوا بينها فيكون شركهم في بعض الربوبية وبهذا لم يوجد من أثبت صانعين متماثلين في جميع الصفات ، فشرك الربوبية إذا معلوم الامتناع عن جميع أهل الأرض من الموحدين والمشركين وحتى المنكرين له كان عن مكابرة فقط بالرغم من استيقان أنفسهم [٥].

أما القسم الثاني فهو شرك الألوهية : وهذا أدق أنواع الشرك وأكثرها شيوعا فمن صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله أو صرفها لله ولغيره فهو مشرك في الألوهية وقد حارب القرآن هذا النوع من الشرك وهدم كل وسائله قال تعالى:﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم..﴾[٦] ، وأنواع هذا الشرك كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى ، ومنها على سبيل المثال ، النذر لغير الله ، الخوف من غير الله ، التوكل على غير الله ، العمل لغير الله ، والخضوع والذل لغير الله ، وابتغاء الرزق من عند غيره .

ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن

١)سورة الشعراء آية ٢٣

٢)سورة الإسراء آية ١٠٢

٣)سورة الجاثية آية ٢٤

٤)انظر ابن تيمية مجموع الفتاوى ٣/٩٧ ، والعز الحنفى شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥

٥)ابن قيم الجوزية تهذيب مدارج السالكين ص ١٩٧-١٩٨ باختصار وتصرف

٦) سورة فاطر آية ١٣-١٤

استغاث به وسأله قضاء حاجته ، بل هو محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده ، فجرد حبه وخوفه ورجاءه وذله وتوكله واستعانته والتجاؤه كله لله ، مخلصا في قصده لله متبعا لأمره[١]

أما الانحراف في توحيد الأسماء والصفات فيتمثل في أمرين :

١ــ التمثيل : وهو تمثيل الله بخلقه ويدخل فيه اليهود والنصارى والرافضة الذين يصفون الله بالأكل والنوم والتعب والراحة [٢] .

٢ــ التعطيل وهو أربعة أقسام :

أ ــ سلب النقيضين عن الله كقولهم لا موجود ولا معدوم ...

ب ــ وصف الله بالسلوب والإضافات دون صفات الاثبات وجعله هو الوجود المطلق .

ج ــ إثبات الأسماء دون الصفات كقولهم عليم بلا علم قدير بلا قدرة ..

د ــ إثبات بعض الصفات دون بعض كمن أثبت سبع صفات .... [٣]

وسيأتي مزيد بيان عن نوع هذا الانحراف وكيفيته عند تناول كل ملة ونحلة مستقلة .

---

١)انظر ابن قيم تهذيب مدارج السالكين ص ١٩٨

٢)انظر زيد بن عبد العزيز الفياض الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ص ٦٣مطابع الرياض ط١ سنة١٣٧٨هـ .

٣)ابن تيمية ، الرسالة التدمرية ص ٤ مطبعة السنة المحمدية ط١ سنة ١٣٧١هـ .

المطلب الثاني

اتباع الباطل عند أهل الكتاب والمنافقين

المقصود بأهل الكتاب هم اليهود والنصارى أما باطلهم فلا يعد ولا يحصى لكثرته وتنوعه ، وقد جاءت في كتاب الله آيات كثيرة تدعوهم إلى ترك الباطل الذي تلبسوا به وتأمرهم باتباع الحق الذي جاءهم به آخر رسول والذي بشرت بقدومه ومبعثه كتبهم ، والقرآن يفرد كل واحدة منهم في الخطاب تارة ويجمعهم تارة . قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيئ وقالت النصارى ليست اليهود على شيئ وهم يتلون الكتاب ... ﴾[٤]

، وهذه أصدق كلمة قالها كل واحد منهم نحو الآخر حيث أقر كل منهما أن صاحبه على باطل.

وفي كتاب الله آيات كثيرة تبين باطلهم وتدعوهم إلى الحق منها ، قال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء ﴾[٥]

فأهل الكتاب مازالوا يشهدون الحق واضحا في دين الإسلام سواء المطلعون منهم على حقيقة ما جاء فى كتبهم عنه من بشارات أو رأوه من حقائقه عيانا ، ومع هذا كفر أكثرهم لا لنقص الدليل ولكن للهوى والمصلحة والتضليل ، ولهذا القرآن يناديهم بـ (يا أهل الكتاب) لأنها الصفة التي من شأنها تقودهم إلى آيات الله وكتابه ، كما يناديهم ليفضح ما يقومون به من لبس الحق بالباطل لإ خفائه وكتمانه وتضييعه في غمار الباطل على علم وعن عمد وفي قصد [٦]. وقد عرفنا كتاب الله ببعض الخصائص النفسية لبني إسرائيل المتمثلة في التكذيب بالحق ونقض العهد والميثاق وقتل الأنبياء ورد المعجزات والإيمان بما يخالف العقل

١)سورة البقرة آية ١١٣ .
٢)سورة آل عمران آية ٧٠ .
٣)سورة آل عمران آية ٧١ .
٤)سورة آل عمران آية ٩٨ .
٥)سورة آل عمران آية ٩٩ .
٦)انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ٤١٤/١ .

والفطرة كالإيمان بالعجل وغير ذلك [١] ، فقد تخلى أهل الكتاب عن دينهم وشابهوا في اعتقادهم للكفار قبلهم قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾[٢]

وقد تجلى انحراف أهل الكتاب وباطلهم وضلالهم فى صور متعددة كان اليهود أسبق إلى تلك الانحرافات ثم تبعهم أكثر النصارى تقليدا ومشابهة مع إضافة أباطيل أخرى إليها .

ويمكننا إجمال بعض انحرافات اليهود :ـ

١ـ وصفوا الله تعالى بأقذع الصفات التي لم يسبقهم إليها أحد ولم يوافقهم أو يلحقهم أحد بمثلها بعدهم ، ومنها :ـ

أ ـ افتراؤهم على الله بنسبة البخل إليه ، قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾[٣] .

ب-افتراؤهم بنسبة الفقر إليه قال تعالى : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ... ﴾[٤] .

ج-افتراؤهم على الله بنسبة الولد ، قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ... ﴾[٥].

د-افتراؤهم على الله بالكذب وعلى أنبيائه بالقتل ، قال تعالى : ﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار .. ﴾[٦] وقال تعالى : ﴿ ... وقتلهم الأنبياء بغير حق ﴾[٧] .

هـ اعتداؤهم على حرمات الله ، قال تعالى: ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدو منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾[٨] .

٢-افتراؤهم على خلق الله بالاستهانة والاستهزاء والاستعباد .

---

١)انظر محمد بن عبد الله السحيم مسلموا أهل الكتاب وأثرهم فيَ الدفاع عن القضايا القرآنية ٤١٧/١ ، دار الفرقان ، الرياض ط١ سنة ١٤١٣هـ .

٢)سورة التوبة آية ٣٠ .

٣) سورة المائدة آية ٦٤ .

٤) سورة آل عمران آية ١٨١ .

٥)سورة التوبة آية ٣٠ .

٦)سورة آل عمران آية ١٨٣ .

٧)سورة آل عمران آية ١٨١ .

٨)سورة البقرة آية ٦٥ .

أ- قتلهم الأنبياء بغير حق ٠

ب-إفتراؤهم على مريم ٠

ج-افتراؤهم على هاروت وماروت ٠

د-إفسادهم في الأرض ٠ هـ إستعبادهم خلق الله ٠

٣ـ استبدلوا بالوحدانية الوثنية وبالإسلام الكفر واتخذوا الأصنام وبدلوا أوامر الله ، وحرفوا التوراة ، قال تعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ٠٠٠ ﴾[١] ٠

وقال تعالى : ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾[٣] ، فهذا قليل من كثير من أباطيلهم وسيأتي بعضها فى مبحث الشريعة ٠

أما انحرافات النصارى فتتمثل في الآتي :

١-ادعاؤهم أن المسيح ابن الله ، وقد مر عندهم هذا الاعتقاد بعدة مراحل كما بينه بعض من هداه الله من أتباعهم [٤] ، يقول إن تأليه المسيح وبنوته مر بعدة مراحل بعد مضي فترة وجيزة على رفع المسيح إلى السماء ، تحول من ابن مريم إلى ابن يوسف النجار وألحق به أخوة وأخوات ، ثم أصبح ابن داود ، ثم أصبح ابن الإنسان ، ثم ابن الله ، ثم الابن فقط ، ثم المسيح ، ثم الحمل [٥].

٢-التأثر بالأمم الوثنية فى عقائدها من القول بالتثليث وبنوة المسيح والتجسد ٠

قال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ٠٠٠ ﴾[٦] ، وقال تعالى : ﴿ ... وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾[٧] ٠

٣-لكثرة انحرافهم وتنازعهم في العقائد لجأوا إلى المجامع لجمع شملهم فأسهمت في التحريف أكثر وقررت عقائد باطلة ٠

٤-تأثرهم بالفلاسفة الذين يرون في المادة والجسم شرا وخبثا فصاروا مثلهم ، وتوسيعهم

---

١)سورة البقرة آية ٥٩ ٠

٢) سورة البقرة آية ٧٥ ٠

٣) سورة النساء آية ٤٦ ٠

٤)هو عبد الأحد داود أحد مسلمي أهل الكتاب ، انظر محمد في الكتاب القدس ص ٢٣٠ ٠

٥)المرجع السابق ص ٢٣٠ وانظر محمد السحيم مسلموا أهل الكتاب ٤٥٧/١ ٠

٦)سورة المائدة آية ٧٣ ٠

٧)سورة التوبة آية ٣٠ ٠

دعوة المسيح لتشمل جميع الأمم مع أنها خاصة ببني اسرائيل .

٥-ملأوا كنائسهم ومعابدهم بالصور والصلبان وعظموها ، وضلالهم في اختراع صكوك الغفران وغير ذلك من الأباطيل [١] .

وبعد هذا الضلال الواضح يدعي أهل الكتاب أنهم أحباء الله وأبناؤه ، وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان يهودياً أو نصرانياً وغير ذلك من الادعاءات الباطلة .

قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ...﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم ﴾[٣] ، ولما كانت هذه مجرد أماني يقولونها هم كما يقولها غيرهم فقد حسم الله هذا الأمر ورد على مدعيه رداً حاسماً ، فقال تعالى : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾[٤] .

أما أنواع الباطل عند المنافقين فهي أكثر من أن تحصى ، إن إضافة المنافقين مع أهل الكتاب فى مطلب واحد يعود إلى أصل نشأتهم وتكوينهم حيث كانوا حلفاء فى المدينة مع اليهود ولم يكن فى مكة نفاق بل كان كفر أو إيمان فقط ، فالنفاق داء عضال يخفى على كثير من الناس بل وحتى على من تلبس به فيزعم أنه مصلح وهومفسد وهونوعان :

١-نفاق أكبر .

٢-نفاق أصغر .

فالأول: يوجب الخلود في النار بل في دركها الأسفل وهو الذي يظهر الإسلام بلسانه ويبطن الكفر بقلبه والله تعالى كشف أسرارهم في كتابه وجلى أمرهم لعباده ليحذروهم لأنهم الأعداء الحقيقيون[٥] مع ادعائهم نصرة الإسلام وموالاته (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) [٦]

---

١)انظر إبراهيم خليل أحمد ، محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ص ١٥٩ نشر دار المنار القاهرة ط٥ سنة١٤٠٥ هـ . وانظر محمد السحيم مسلموا أهل الكتاب ٥٠٢/١ .

٢)سورة المائدة آية ١٨ .

٣)سورة البقرة آية ١١١ .

٤)سورة النساء آية ١٢٣ .

٥)انظر ابن قيم تهذيب مدارج السالكين ص ١٩٨ .

٦)سورة المنافقون آية ٤ .

حيث هدموا كل معقل للإسلام وطمسوا أعلامه ٠

٢-وقلعوا كل حصن له وخربوه ٠

فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية ، فقد اتفقوا على مفارقة الوحي ولـــم يقبلـــوا هدى الله الذي أرسل به رسوله فمن انحرافات المنافقين وأباطيلهم [١] :

١-الإعراض عن القرآن الكريم ٠

٢-سوء الظن بالله ٠

٣-الاستكبار عن قبول الحق ٠

٤-الامر بالمنكر والنهي عن المعروف ٠

٥-إذاعة اسرار المؤمنين ونشر الفاحشة بينهم ٠

٦-التحاكم إلى الطاغوت والتولي عن الشرع ٠

٧-الخداع والمراوغة والقعود عن الجهاد ٠

٨- معاداة المؤمنين وموالاة الكفار ٠

٩-السخرية من المؤمنين ٠

١٠-التكاسل عن الصلاة والمراءات في أعمالهم ٠

وغير ذلك من أنواع باطلهم التي خالفوا بها الكتاب والسنة واتبعوا بذلك ســـبيل الغوايـــة والضلال ٠

---

١)انظر عادل بن علي الشدي دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة ص ٥٣١ رسالة ماجستير قدمت الى جامعة الملك سعود قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية غير منشورة ٠

المطلب الثالث

اتباع الباطل عند أمة الاستجابة

المقصود بأمة الاستجابة هي أمة الإسلام الذين ءامنوا بـــالله ربـــا وبالإســـلام دينـــا وبمحمد نبيا ورسولا ، ثم حصل منهم بعد ذلك تقصير وبعد عن الحق الذي اتبعوه وآمنوا به فوقعوا بذلك في أنواع من اتباع الباطل فى جوانب الشريعة وأحكامها المختلفة .

وسيتم عرض الأصول العامة التي حصل فيها الانحراف واتباع الباطل وهي علـــى النحو التالي :

١-الافتراق عن الجماعة .

٢-احداث البدع في دين الله .

٣-الانحراف عن أصول الإيمان .

٤-الانحراف فى أمر الصحابة .

٥-الانحراف فى شأن الكبائر ومرتكبيها .

ولأهمية كل قسم من هذه الأقسام سنتناول كل واحد منها بنوع من التفصيل والبيان علـــى شكل مسائل تحت هذا المطلب [١].

المسألة الأولى:الافتراق عن الجماعة

المقصود بالافتراق هو المباينة والمفاصلة والانقطاع عن الجماعة ، وفي الاصطلاح الشرعي هو:(الخروج عن السنة والجماعة في أصل من أصول الدين القطعية أو أكثر)[٢] ويتناول هذا الخروج أصلاً عقديًا أو مخالفة الإجماع أو مخالفة إجماع المسلمين وإمامهم.

وقد نهى الله تعالى فى كتابه عن الافتراق فقال تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقـــوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ ... أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ... ﴾[٥]

١) إن الأهمية القصوى هي التي أدت الى طول هذا المطلب .

٢) ناصر العقل ، الافتراق ص٦ دار الوطن ، الرياض ط الأولى .

٣)سورة آل عمران آية ١٠٥ .

٤)سورة آل عمران آية ١٠٣ .

٥) سورة الشورى آية ١٣ .

كما حذر النبي ﷺ أمته من الوقوع في الافتراق فقال ﷺ : " افترقت اليهود على ثلاث وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي " [١] وهذا الحديث مشهور رواه جمع كبير من الصحابة [٢] ، كما أخبر ﷺ أن الأمة ستتبع الأمم السابقة وهو خروج وافتراق فقال : "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال : فمن ؟ " [٣] .

وهذا الافتراق الذي ذمه الرسول ﷺ وحذر منه لم يرد به المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام (وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد وفي تقدير الخير والشر وفي شروط النبوة والرسالة وفي موالاة الصحابة وما جرى مجرى هذه الأبواب)[٤]، والافتراق المنهي عنه هو أشد من الاختلاف بل هو ثمرته ويكون على الأصول الكبرى من دين الإسلام التي لا يسع الخلاف فيها والتي ثبتت بالنصوص القطعية كتابا وسنة أو إجماعا ، فالوقوع في الافتراق وقوع في الباطل المنهي عنه ومع هذا فقد أخبر ﷺ أن الافتراق واقع في الأمة لا محالة لأنه من سنن الله الكونية ومع ذلك أمر أتباعه من بعده بمدافعته بالسنة الشرعية ونهى عن اتباع السبل المتفرقة والأهواء التي تؤدي إلى الافتراق ، ولما كان الافتراق يبدأ بالخروج عن النصوص واختراع الأفكار والعقائد الباطلة والآراء الضالة والمواقف المخالفة لما كان عليه الصحابة والتابعون ، فقد جاء التحذير عن مشاقة الرسول ﷺ واتباع سبيل غير المؤمنين قال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى﴾ [٥] ، وبالمقابل أمر ﷺ بلزوم الجماعة وعدم الخروج عنها فقال ﷺ :

---

١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب شرح السنة ٤/٥ برقم ٤٥٩٦ والترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ٢٥/٥ برقم ٢٦٤٠ كما أخرجه غيرهم كالإمام أحمد ٢٣٢/٢ وابن ماجه ١٣٢١/٢ والحاكم ٤٨٠/٢ .

٢) منهم أبوهريرة وعبدالله بن عمرو وأنس بن مالك ومعاوية وأبو الدرداء وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص .

٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب السنة باب قول النبي ﷺ لتتبعن فتح ٣٠٠/١٣ رقم ٧٣٢٠ فتح ٣١٤/١٣ ومسلم في كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى ٢٠٥٤/٤ رقم ٢٦٦٩ .

٤) المباركفوري تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ٣٩٨/٧ .

٥) سورة النساء آية ١١٥ .

" من فارق الجماعة شبرا فكأنما خلع ربقة الإسلام من عنقه " [١] وقال ﷺ : " من فارق الجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية " [٢] ، والمقصود بمعنى الجماعة في الأحاديث جماعة العقيدة والمنهج بأن يلتزم المكلف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم من أمور الاعتقاد وأصول الدين لأن ذلك هو الأصل .

الثاني : الجماعة بمعناها الخاص وهو لزوم جماعة المسلمين التي لها إمام موافق للشرع وعدم مفارقتها[٣] ، وعلى هذا فالجماعة هو (ما وافق الحق وإن كنت وحدك)[٤] فهو ما وافق طاعة الله تعالى ، وقال نعيم بن حماد :[٥] (إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة الأولى قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ)[٦] .

فكل خروج عن الجماعة هو اتباع للباطل إن كان عن قصد وتعمد أما إن كان عن جهل أو خطأ أو غفلة أو نسيان فله شأن آخر بشرط إن ذكر صاحبه الحق رجع إليه دون استنكاف أو استكبار .

المسألة الثانية:إحداث البدع في دين الله

البدعة في اللغة هي الشيء المخترع على غير مثال سابق[٧]وفي الشرع عرفت بأنها: (ما أحدث في دين الله وليس له أصل عام ولا خاص يدل عليه)[٨] ، وهناك تعريفات أخرى لكن أحسنها وأوضحها وأجمعها قول من قال : (الطريقة المخترعة في الدين تضاهي الشريعة يقصد بها زيادة التقرب إلى الله ولم يقم على صحتها دليل شرعي صحيح أصلا أو وصفا)[٩] .

١)أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٣٣/٢ وحسنه الشيخ الألباني انظر السلسة الصحيحة رقم ٩٨٤ .
٢)أخرجه البخاري في الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ، فتح ١٢١/١٣ رقم ٧٤٣ ومسلم في الأمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ١٤٧٦/٣ رقم ١٨٤٨ .
٣) أنظر جمال بادي وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق ص ٩٧ دار الوطن للنشر ، الرياض ط١ سنة١٤١٢هـ .
٤) أثر قاله ابن مسعود أنظر أباشامة ، الحرادث والبدع ص ٢٢ .
٥) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي أبوعبدالله المرزوي من شيوخ البخاري صدوق يخطئ كثيرا فقيه عارف بالفرائض توفي سنة ٢٢٨ (انظر ابن حجر تقريب التهذيب ص ١٠٠٦ .
٦) ابن قيم الجوزية إعلام الموقعين ٣٩٧/٣ .
٧) أنظر ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ١٠٦/١-١٠٧ .ومختار الصحاح ٤٤/٤٣ .
٨) محمد حسين الجيزاني ،قواعد معرفة البدع ص٢٤ دار ابن الجوزي السعودية الدمام ط١ سنة١٤١٩هـ .
٩) عبدالعزيزبن عبدالسلام قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١٧٢/٢ وما بعدها دار الكتب العلمية .

فالبدعة هي إحداث في دين الله ما لم يأذن به لقوله ﷺ "٠٠٠ وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ٠٠" [١] والإحداث جاء التحذير عنه في قوله : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " [٢] ، وفي هذه الأحاديث يظهر بيان قيود البدعة وهي :

أولاً : أن يكون فيها الإحداث وهو الإتيان بالأمر الجديد المخترع ٠

ثانياً: أن يكون هذا الإحداث في الدين ٠

ثالثاً : أن لا يوجد له مستند من الشرع [٣].

ولهـذا اتفق أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن يليهم من أئمة المسلمين المشهود لهـم بالخير في القرون الأولى على ذم البدع وتقبيحها والبعد عنها لأنها من الباطل الذي جـاء النهي عن اتباعه ، والله تعالى لم يتعبد عباده بالبدع والأهواء بل تعبدهم بما شرعه لهـم من الدين القويم ، كما أنه ما من بدعة تخترع إلا ماتت مكانها سنة وذلك لأن الدين كامل ولهذا قال أحد السلف[٤]:(ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع من سنتهم مثلها)[٥].

والبدعة سبب للهلاك والضلال كما قال ابن مسعود رضي الله عنه (٠٠٠ ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم)[٦] فهي التي تفتح باب الفرقة والاختلاف والبعد عن الصراط المستقيم فمن قلل من شأنها قادته إلى الفسوق والعصيان[٧] ولذلك جاء تحذير السلف من البدع كلها صغارها وكبارها كما جاء عنهم قولهم : (واحذر صغار المحدثات فإن صغار البدع تعود حـتى تصـير كبار ، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع المخرج منها فعظمت وصارت ديناً يُدان به فخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام)[٨] ٠

إن إحـداث البدع في دين الله تعالى يعد من أعظم الأسباب المؤدية إلى اتباع الباطل ذلك لأن البدعة تعتمد على الأصول الآتية :

١ـ التقرب إلى الله تعالى بما لم يشرعه ٠

١) أخرجه أبوداود في كتاب السنة باب لزوم السنة ٢٠١/٤ رقم ٤٦٠٧ والنسائي في صلاة العيدين رقم ١٥٧٨ وجملة (كل بدعة ضلالة) أخرجها مسلم في الجمعة رقم ٨٦٧ ٠

٢) سبق تخريجه في ص ١٩٣٠

٣)أنظر محمد حسين الجيزاني ، قواعد معرفة البدع ص٢٠ ٠

٤) هو التابعي الجليل حسان بن عطية المحاربي مولاهم ثقه فقيه عابد توفي بعد ١٢٠هـ (انظر تقريب التهذيب ٢٣٣)

٥) أخرج هذا الأثر الدارمي في سننه انظر ٤٥/١ ٠

٦) سبق تخريجه عند مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة ح ٦٥٤ ٠

٧) انظر سليم بن عيدالهلالي ، البدعة وأثرها السيئ في الأمة ص٣٢ دار الهجرة الدمام ط٣ سنة ١٤٠٩هـ ٠

٨) سليم الهلالي ، البدعة وأثرها السيئ في الأمة ص ٣٢ ٠

٢ــ والخروج على نظام الدين الإسلامي .

٣ــ الذرائع المفضية إلى البدعة [١]

وبيـــان ذلـــك يكون بأن الأصل في العبادات المنع لأنها مبنية على التوقيف فكل من تعـــبد الله بشيء لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ فقد جاء ببدعة ضلالة حيث لا يتقرب إلى الله إلا بما شرعه من طاعات ولا يعبد إلا بما أذن به من عبادات[٢] قال تعالى : ﴿ أم لهم شـــركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله .. ﴾[٣] فكل (من دان بشيء لم يشرعه الله فذاك بدعة)[٤] .

أما بيان الأصل الثاني : فإن كل من جعل لغير شريعة الإسلام حق الانقياد والطاعة فقد جـــاء بـــبدعة ضلالة إذ الانقياد والإذعان لا ينبغي أن يكون لشيء إلا لدين الإسلام فكل من خـــرج عن مقتضى هذا الأصل خرج من السنة إلى البدعة ومن الاستقامة إلى الاعوجاج[٥]، والابـــتداع فـــي هـــذا الأصـــل يـــتأتى من أصحاب الرئاسات كالملوك والرؤساء وأصحاب السياسات الجائرة كما يتأتى من أهل المطامع والأهواء كأحبار اليهود ورهبان النصارى ومن اتـــبعهم مـــن عـــلماء الأمة وكذا من الجهال وبعض المتصوفة الذين اعترضوا على حقائق الشرع بالأذواق والمواجيد والكشوفات الباطلة التي تضمنت إبطال شرع الله ودينه[٦].

أمـــا الأصـــل الثالث : فيبين أن كل عمل يفضي إلى الإحداث في الدين فهو ملحق بالـــبدعة إن لـــم يكـــن بدعة[٧] ، والذريعة هي : (ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضى إلى فعل محرم)[٨] ، مثاله :

نهـــي الله عن سب آلهة الكفار لكون هذا السب ذريعة إلى أن يسبوا الله تعالى عدْواً وكفْـــراً عـــلى وجه المقابلة قال تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾[٩] فكل ما أدى إلى الممنوع فهو ممنوع لأن الوسائل لها أحكام المقاصد ولذلك فكل ما أفضى إلى البدعة وأدى إليها فهو ملحق بها .

١) محمد حسين الجيزاني قواعد معرفة البدع ص ٤٥ .
٢) انظر المرجع السابق ص ٤٦ .
٣) سورة الشورى آية ٢١ .
٤) ابن تيمية الاستقامة ١/٤٢ .
٥) الشاطبي الاعتصام ٢/٤٨-٤٩ .
٦) انظر محمد حسين الجيزاني ، قواعد معرفة البدع ص ٤٧-٤٩ .
٧) انظر المرجع السابق ص ٥٠ .
٨) ابن تيمية الفتاوى الكبرى ٦/١٧٢ .
٩) سورة الأنعام آية ١٠٨ .

ومـــن هـــذا المنطلق جاء ما يعرف بقاعدة سد الذرائع واعتبرت أصلاً شرعيًا يقوم مبناها على الاحتياط وحماية الدين[١] ، ومع هذا فالبدع ليست على درجة واحدة بل منها: البدع المكفرة ، ومنها البدع المفسقة ومنها ما دون ذلك لكنها كلها من الضلال الذي حذر منه الرسول ﷺ أشد التحذير ونهى أمته عن الوقوع فيه كما في قوله : " وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة "[٢].

ولا شك أن هذه النصوص التي جاءت تأمر المكلفين بلزوم الجماعة والاتباع وتنهى عـــن الفـــرقة والابـــتداع تحمل في طياتها أهمية اتباع الرسول ﷺ والاقتداء به في جميع أقوالـــه وأفعالـــه ـــ ما لم يكن خاصاً به ـــ وتدعو إلى التمسك بسنته وعدم الخروج عليها والـــتزام طريقـــته في السنن الفعلية والتركية واتباع سبيل المؤمنين من بعده ، وعدت كل مخالفـــة لذلـــك خروجًا عن الحق ودخولاً في اتباع الباطل المنهي عنه في الكتاب والسنة ومخالفـــة للإجماع الذي كان عليه أهل القرون الأولى ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم جعلنا الله بفضله منهم .

المسألة الثالثة:الانحراف عن أصول الإيمان

وقـــد جـــاءت هذه الأصول في كتاب الله تعالى مجموعة ومفرقة[٣] وجاءت في سنة رســـول الله ﷺ كمـــا في حديث جبريل " .... فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكـــته وكتـــبه ورســـله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " [٤] ، فالإيمان بالله تضـــمن الإيمـــان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، فهو المتفرد بالخلق والتدبير وهذا يتضمن إفراده بأفعال العباد التي أمرهم بها وشرعها لهم من الدعاء والصلاة والصيـــام والزكاة والحج والذكر ، وجميع أفعال العبادة القولية والفعلية والاعتقادية سواء كانت من أعمـــال اللسان أو القلب أو الجوارح فصرف شيء من هذا لغيره اتباع للباطل وانحراف

---

١) انظر ابن قيم الجوزية إعلام الموقعين ١٣٥/٣ وما بعدها .

٢)سبق تخريجه من حديث العرباض بن سارية (أوصيكم بتقوى الله ..) ص ٨٥

٣) كمـــا قـــال تعالى :﴿ .. ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين .. ﴾ البقرة ٧٧ وقوله ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ... ﴾ البقرة٢٨٥ .

٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ٣٦/١-٣٧ رقم ٨ .

عن الحق ، كما أن الإلحاد في أسمائه التي سمى بها نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ يعتبر اتباع للباطل ولذلك كانت أسماؤه كلها حسنى بمعنى كاملة عظيمة فمن لم يثبت ما أثبته الله في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ في سنته ، أو لم ينزهه عما نزه منه نفسه أو نزهه عنه رسوله ﷺ فهو متبع للباطل .

فمن اعتقد في الله أو في صفاته أو أسمائه غير ما بينه الله فهو متعد ظالم متبع للباطل كأن ينفي الصانع أو ينفي بعض أسمائه أو صفاته أو يؤولها أو يحرفها أو يلحد فيها ، ومن أبطل الباطل أن يدعي أن العالم قديم وإذا كان كذلك فلا صانع في الحقيقة ، كما أن من وصف الله بأنه (لا يوصف بنفي ولا إثبات أي لا يقال إنه موجود ولا معدوم ولا قادر ولا غير قادر ولا عالم ولا غير عالم وكذلك في باقي الصفات ومقصودهم بهذا جحد الصانع وإنما تستروا بهذه العبارة عند العامة حتى لا يفهم مقصودهم فإنه لا نفي أبلغ من القول إنه ليس بشيء ولا موجود ولا معدوم)[١].

والمذهب الحق إفراد الله سبحانه بصفات الكمال (كما أثبتها لنفسه وأثبتها له رسله منزهة عن التعطيل والتحريف والتمثيل والتكييف والتشبيه بل تثبت له سبحانه حقائق الأسماء والصفات وتنفي عنه فيها مماثلة المخلوقات إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل)[٢] قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [٣].

إن اتباع الباطل في أسماء الله وصفاته يتمثل في منهج المنحرفين عن منهج السلف ، وهم طائفتان[٤] : ١ــ المشبهة .

٢ــ المعطلة.

فأما المشبهة فقد شبهوا الله بخلقه وجعلوا صفاته من جنس صفات المخلوقين ولذا سموا مشبهة ، حتى أنهم غلوا في اثبات الصفات حتى أدخلوا في ذلك ما نفاه الله ورسوله مما لا يليق به سبحانه من صفات النقص تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وقد نفى الله في كتابه مشابهته لخلقه ونهى عن ضرب الأمثال له قال تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[٥]

١) محمد الحسن الديملي بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٧٢-٧٣ إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان .
٢) ابن قيم الجوزيه تهذيب مدارج السالكين ص ٦٤٦ .
٣) سورة الشورى آية ١١ .
٤) صالح بن فوزان الفوزان الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ١٣٢/١ نشر إدارات البحوث العلمية الرياض ط١ سنة ١٤١٠هـ .
٥) سورة الشورى آية ١١ .

وقال تعالى : ﴿ هل تعلم له سميا﴾[١] فمن شبه صفات الله بصفات خلقه لم يكن عابدا لله في الحقيقة وإنما يعبد وثنا صوره له خياله ، وهو مشابه للنصارى الذين يعبدون المسيح ابن مريم يقول نعيم بن حماد[٢] (من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن نفى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيه)[٣] ، وأما المعطلة فهم الذين نفو عن الله ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال زاعمين أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم فهم على طرفي نقيض مع المشبهة ومذهب التعطيل مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين والفلاسفة ، ثم انتقل إلى المعتزلة والأشاعرة وقد تفاوتوا في التعطيل ، فالجهمية ينفون الأسماء والصفات والمعتزلة يثبتون الأسماء مجردة عن معانيها وينفون الصفات والأشاعرة يثبتون الأسماء وسبع صفات فقط هي العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وينفون بقية الصفات ، وشبهة الجميع فيما نفوه لأنهم يرون أن إثباتها يقتضي التجسيم فتعين عندهم نفيها وتعطيلها تنزيها لله عن التشبيه بزعمهم ويسمون المثبتين لها مشبهة ولهم من النصوص الدالة على إثباتها موقفان :

الموقف الأول : الإيمان بألفاظها وتفويض معانيها بالسكوت عن تفسيرها .

الموقف الثاني : صرف هذه النصوص عن مدلولها إلى معان ابتدعوها وهذا ما يسمونه بطريقة التأويل وسموه طريقة الخلف وقالوا هي الأعلم والأحكم[٤] ، ولا شك أن كل هذا من اتباع الباطل الذي حذر الله منه في كتابه قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾[٥] والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقيقتها ومعانيها عن الحق الثابت لها وهو مأخوذ من الميل .. ومنه الملحد في الدين : المائل عن الحق إلى الباطل ..)[٦] ، إذا عرف هذا فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع منها:ـ

---

١) سورة مريم آية ٦٥ .

٢) هو ابن معاوية بن الحارث الخزاعي أبو عبدالله المروزي نزيل مصر صدوق يخطئ كثيرا فقيه عارف بالفرائض ، ان من شيوخ البخاري توفي ٢٢٨ (انظر ابن حجر تقريب التهذيب ص ١٠٠٦ رقم ٧٢١٥ .

٣) صالح الفوزان الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ١/١٣٥ .

٤)المرجع السابق ١/١٣٥-١٣٦ .

٥) سورة الأعراف آية ١٨٠ .

٦) علي الحمد الصالحي الضوء المنير على التفسير ٣/٢٤٢-٢٤٣ .

١-أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية والعزى من العزيز ٠

٢-تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً٠

٣-وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول اليهود إنه فقير ٠

٤-تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها ، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني ٠

٥-تشبيه صفاته بصفات خلقه ، تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً [١]٠

وكـــل هذه الاعتقادات والآراء من أنواع الاتباع الباطل في أسماء الله وصفاته نسأل الله السلامة منه ٠

والملائكـــة : خـــلق مكرمون منهم جبريل الذي كان واسطة بين الله وبين رسله في تبليغ الرسالات وهم خلق من خلق الله خلقهم من نور[٢] وأمرهم بعبادته وتنفيذ أوامره في خـــلقه وكـــل صـــنف منهم له عمل يقوم به قال تعالى : ﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾[٣] فمنهم الوسائط[٤] ومنهم السفراء كجبريل عليه السلام حامل رسالات الله إلى رســـله فمـــن جحد بهم يكون كافراً ، أو فسرهم بغير هذا التفسير كالفلاسفة وغيرهم ممن يرى أنهم أرواح خفية دقيقة بسيطة وليسو أجساماً أو قال عنهم أنهم أفلاك أو غير ذلك من الأقاويل فهو متبع للباطل في شأن هذا الأصل من أصول الإيمان ٠

كمـــا أن من أنكر أن الله أنزل كتباً أو أوّلها أو حرّفها فقد اتبع الباطل ، فقد أنزل الله كتباً إلى رسله للهداية ، فالإيمان بها مما عُلم من الدين بالضرورة ما عَلِم منها المكلف وما لـــم يعلم والاعتقاد بعدم كمالها أو شمولها أو تضمنها للهداية والإصلاح اتباع للباطل ، كا أن الاعتقاد بصلاحية كتب غير القرآن اتباع للباطل لأن القرآن أعظم كتب الله وهو ناسخ لهـــا ومهيمن عليها كما قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكـــتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من العلم لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا٠٠ ﴾[٥] ٠

١) علي الحمد الصالحي الضوء المنير على التفسير ٢٤٣/٣ باختصار وانظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٣٥٨/٢

٢) كمـــا أخبرعـــليه ﷺ بقوله (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار) أخرجه مسلم عن عائشة فى كتاب الزهد والرقائق ، رقم ٢٩٩٦ ٠

٣) سورة الأنبياء آية ٢٧ ٠

٤) كما في حديث " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار ٠٠٠" متفق عليه البخاري في المواقيت رقم ٥٥٥ ، ومسلم في المساجد رقم ٦٣٢ وحديث (إن لله ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر ٠٠٠) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء رقم ٢٦٨٩ ٠

٥)سورة المائدة آية ٤٨ ٠

فمـــن اعتقد في كتب الله غير هذا الاعتقاد أو ادعى فيها أنها من كلام الأنبياء لا من كلام الله تعالى فقد اتبع الباطل وخرج عن دين الله ، وبهذا يتبين أن اتباع الباطل في كتب الله المنزلة له صور متعددة وأمثلة يصعب حصرها لكثرتها منها :

الـــتكذيب والإنكار لهذه الكتب أو بعضها أو سبها أو الطعن فيها أو الاستهزاء بها أو انتقاصها أو الاستخفاف بها أو الادعاء باختلاقها وافترائها وغير ذلك من الأقاويل الباطلة ، والله تعـــالى يقول منزهاً كتابه عن كل ذلك: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[١] .

أمـــا اتـــباع الـــباطل في رسل الله فيتمثل في سبهم والطعن فيهم أو في رسالتهم أو الاستهزاء بهم أو تنقصهم أو إنكار نبوة واحد منهم أو القول بتفضيل الأئمة عليهم أو إنكار معجـــزاتهم أو آيـــاتهم التي أتوا بها ، فمن جحد رسالة واحد منهم فإنه كافر متبع للباطل خـــارج عن الحق ذلك لأن الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان العظام فهم الطريق المؤدي إلى الإيمـــان بـــالله ، فهم ضرورة للبشرية لابد منهم لاستجلاء الحق وبيانه والهداية إلى الطريق المستقيم فالرسالة هامة للعباد (لابد لهم منها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شـــيء ، والرســـالة روح العـــالم ونوره وحياته فأيّ صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور)[٢].

إن قيام دين الله في الأرض يتوقف عليهم فهم واسطة بين الله وخلقه فالذي يجب في حقهـــم الإيمان بهم وتصديقهم وإجلالهم وتعظيمهم والاعتقاد بأنهم أفضل الخلق عند الله قد اختصـــهم ســـبحانه بوحيه وأمرهم بتبليغ دينه فهم أكمل الخلق علماً وعملاً ودعوة وهداية والاعـــتقاد فيهم غير هذا هو اتباع للباطل وانحراف عن الحق فمن (استخف بمحمد ﷺ أو بـــأحد من الأنبياء أو أزرى عليهم أو آذاهم فهو كافر بالإجماع)[٣] ، ويتأكد الاحتراز من اتباع الباطل في شأن نبينا محمد ﷺ أكثر من غيره وذلك لأنه أفضل الرسل وخاتمهم وآخـــرهم ولدلالة النصوص من الكتاب والسنة على تأكيد ذلك فكل مبغض كاره للرسول ﷺ ومعـــادٍ له أو مســـيء إليـــه مبتور مقطوع كما أخبر الله بذلك في قوله تعالى : ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾[٤] .

١)سورة فصلت آية ٤٢ .

٢)ابن تيمية مجموع الفتاوى ٩٣/١٩ .

٣)القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٠٦٩/٢ دار الكتاب العربي بيروت .

٤) سورة الكوثر آية ٣ .

فأخبر سبحانه بصيغة الحصر والتوكيد أن مبغض الرسول ﷺ هو المقطوع يقول ابن تيميـــة : ((إن الله ســـبحانه بـــتر شانىء رسوله ﷺ من كل خير فيبتر ذكره وأهله وماله فيخســـر ذلـــك في الآخرة ، ويبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحاً لمعاده ويبتر قلـــبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والإيمان برسله ويبتر أعماله فلا يستعمله فـــي طاعـــة ويبـــتره مـــن الأنصار فلا يجد له ناصراً ولا عوناً ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة))[١] .

إن الإفراط والتفريط في حق الرسل عامة وفي حق نبينا محمد ﷺ خاصة كله من الاتـــباع الباطل الذي جاء التحذير من الوقوع فيه في نصوص الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم.. ﴾[٢] ، فيفهم من الآية أن إيذاء الرسول ﷺ محادة لله ورسوله لأن ذكره اقتضى ذكر المحادة[٣] وقوله ﷺ : " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله "[٤] .

إن نصـــوص الكـــتاب والسنة وإجماع الأمة دلت على توقير الرسول ﷺ وتعظيمه التعظيم الذي يرضاه ويأمر به ويثنى على فاعله بخلاف التعظيم الذي فيه إجحاف أو غلو ممـــنوع أو خروج عما لم يشرعه الله تعالى فهو اتباع للباطل وانحراف عن الحق ، فسب الرسول ﷺ وتنقيصه يعد كفراً وناقضاً من نواقض الدين لوجود آيات كثيرة في كتاب الله تـــدل عـــلى كفر شاتمه ، كما أجمعت الأمة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه[٥] قال تعالى:﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾[٦]

وبهذا يعلم حكم من سب سائر أنبياء الله أو تنقصهم أو استخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به أو أنكرهم أو جحدهم يكون حكمه كحكم من سب نبينا محمد ﷺ وذلك لأن الله قال في كتابه:

---

١)ابن تيمية ، الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٤٢١ دار الكتب العلمية بيروت .

٢)سورة التوبة آية ٦١ .

٣)انظر ابن تيمية ، الصارم المسلول ص ٢٤ .

٤)أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب قول الله ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ فتح ٦/٤٧٨-ح ٣٤٤٥ .

٥)انظر عبدالعزيز محمد العبد اللطيف نواقض الإيمان القولية والعلمية ص ١٦٥ دار الوطن الرياض ط١ سنة١٤١٤هـ .

٦)سورة الأحزاب آية ٥٧ .

﴿ إن الذيـن يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن بـبعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾[١] ، يقول ابن تيمية : (والحكم في سب سائر الأنبياء كالحكم في سـب نبيـنا) ويقول أيضاً : (إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهراً وباطناً سواء كان السـاب يعـتقد أن ذلـك محرم أو كان مستحلاً له أو كان ذاهلاً عن اعتقاده ، هذا مذهب الفقهـاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل)[٢] ، فالتنقص وعدم الاحترام والسـب والاستهزاء كله وغيره مما يشابهه من الاتباع الباطل في حق أنبياء الله ورسوله ﷺ يؤدي إلى الردة عن الإسلام والكفر بالله تعالى نسأل الله السلامة والعصمة من الوقوع فيه .

أمـا اتـباع الـباطل في شأن اليوم الآخر فيشمل إنكار هذا اليوم أصلاً أو إنكار ما يحـدث فيه كله أو بعضه وذلك اتباعاً للظن السيء ، إن إنكار البعث تكذيب ظاهر لآيات القـرآن الصـريحة في إثباته كما أن إنكاره رد للأخبار الصحيحة في وقوعه وتكذيب لما اتفقت عليه دعوة الرسل ونزلت به كتب الله السماوية[٣] ، كما أن إنكار هذا اليوم كفر بالله تعـالى كما دلت عليه آيات كثيرة قال تعالى : ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم.. ﴾[٤] ، وقال تعـالى : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾[٥] ، فالإيمان بالمعاد دل عليه نصوص الكتاب والسنة كما دل عليه العقل والفطـرة السليمة[٦] فإنكاره من نواقض الإيمان ومما ينافي تصديق القلب وإقرار اللسان وهو سوء ظن بالله تعالى وتعطيل أسماء الله وصفاته ، يقول ابن القيم : (ومن ظن أنه لن يجمـع عـبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله ، وان أعداءه هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء)[٧] .

---

١)سورة النساء آيتي ١٥٠-١٥١ ،

٢)ابن تيمية ، الصارم المسلول ص٤٥١ .وانظر الشنقيطى أضواء البيان ٦١٧/٧ .

٣)انظر عبدالعزيز محمد نواقض الإيمان ص ٢٢٥ .

٤)سورة الرعد آية ٥ .

٥)سورة التغابن آية ٧ .

٦)انظر ابن أبي العز الحنفي شرح العقيدة الطحاوية ٥٨٩/٢ .

٧)ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد فى هدى خير العباد ٢٣٠/٣ مؤسسة الرسالة بيروت ط١٣ سنة ١٤٠٦ هـ .

وســـوء الظـــن بالله ذنب عظيم وعقابه شديد (ولم يجيء في القرآن وعيد أعظم من وعيد من ظن به ظن السوء)[١] ، (وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث فلا إيمان لـــه ولا شـــهادة وفي ذلك ما يغني ويكفي مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت فلا وجه للإنكار في ذلك)[٢] .

إن اتـــباع الـــباطل فـــي الإيمان باليوم الآخر يتناول تكذيبه أو تكذيب ما يكون قبله وأثناءه وبعده ، كالتكذيب بأشراط الساعة وأماراتها أو القبر وفتنته أو النفخ في الصور أو تفاصيل المحشر من نشر الصحف أو نصب الموازين أو الصراط أو الحوض والشفاعة ، وقـــد جـــاء في الطحاوية (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقـــراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان)[٣] فالاتباع الحق هو تصديق هذا اليوم وتصديق ما يجري فيه من أحداث كما أخبر الله في كتابه أو أخبر نبيه ﷺ في سنته دون زيـــادة أو نقصان لأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى وكل انحراف فيه عن ذلك هو اتباع للباطل وخروج عن الحق .

أما اتباع الباطل في شأن عقيدة القضاء والقدر فأوسع من أن يشمله هذا المطلب ذلك لأن هذا الأصل هو أكثر من ضلت به الفرق والجماعات والأفراد لأن الخلاف حوله كان طويـــلاً وعميقاً واستدلال كل فرقة لمذهبها كان كثيراً ومستفيضاً فمن الصعب الإلمام إلى كل أنواع الباطل فيه لكن نشير إشارات إلى أهم أقوال الفرق الباطلة فيه .

إن الـــباطل فـــي القدر جاء من باب التوسع فيه ومن باب إدخال العقل ولهذا كان ﷺ يـــنهى صحابته عن التنازع في القدر لأنه مظنة الاختلاف الذي يدعو فيه الى القول بغير الحـــق وهو منهي عنه كما روي في الحديث : " إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا " [٤].

---

١)ابن قيم الجوزية ــ الصواعق المرسلة ١٣٥٦/٤ دار العاصمة الرياض ط ١ ١٤٠٨هـ

٢)ابن عبدالبر ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١١٦/٩ طبعة وزارة الأوقاف الإسلامية ،المغرب .

٣)أبوجعفر أحمد بن محمد الطحاوي ، العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦ ضمن شرح العقيدة للحنفي .

٤)أخـــرجه الطبراني في المعجم الكبير ٩٣/٢ رقم ١٤٢٧ ط١سنة ١٩٨٠م قال الهيثمي فيه يزيد بن ربيعة وهوضعيف انظر (مجمع الزوائد للهيثمي ٢٠٢/٧) .

ولمـــا كـــان للقضاء والقدر أدلة متوفرة في الكتاب والسنة فقد وجه هذا المنهي إلى الـــنهي عـــن الخوض فيه بباطل ومحاولة معرفة الحق عن طريق العقل القاصر كما أن الـــنهي وجِّـــه الى الجـــانب الخفي من القدر بأن الله كيف هدى هذا وأضل ذلك ومنع هذا وأعـــطى ذلك فالله حجب علم ذلك عن خلقه[١] فتكون محاولة كشفه من الباطل الذي جاء النهي عن البحث فيه.

إن الذيـــن اتـــبعوا الباطل في القدر انقسموا الى عدة فرق ويمكن باختصار عرض أقوالهم وما قالوه في القدر :

القـــول الأول : أن العـــباد مجبورون على أعمالهم لا قدرة لهم ولا إرادة ولا اختيار والله وحـــده هو خالق أفعال العباد،وأعمالهم إنما تنسب إليهم مجازاً ، قال به الجبرية وأهم فرقهم الجهمية حيث نسب عن الجهم قوله : (لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونـــا فاعـــلين أو مستطيعين لما وصفتا به)[٢] فيظهر أن مذهبهم جبر خالص يجعل الانسان في أعماله كورقة الشجر التي تحركها الرياح [٣].

القـــول الـــثاني: أن أفعال العباد ليست مخلوقة له وإنما العباد هم الخالقون لها وهذا مذهـــب المعتزلة ومن وافقهم فهم ينكرون الدرجة الثانية من درجات القدر[٤] والتي تشمل مرتبـــتي الإرادة والخلق فينفونها عن الله ويثبتونها للإنسان حيث يقولون : (اتفق كل أهل العـــدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم وأن من قال أن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه)[٥] .

القـــول الثالث : قول الأشاعرة والماتريدية وأتباعهم يقولون : (إن الله سبحانه خالق أفعـــال العـــباد وبهذا الأصل خالفوا المعتزلة القائلين بأن الله لا يخلق أفعال العباد بل هم الخـــالقون لها ، وبتميز هذا الجانب عند الأشاعرة والماتريدية صار مذهبهم مشهوراً بأنه مذهب أهل السنة والجماعة وهذا حق .

١)انظـــر عـــبدالرحمن صالح المحمود ، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه ص ١٨-١٩ دار النشر الدولي ، الرياض ط١ سنة ١٤١٤هـــ .
٢)عبدالقادر البغدادي ، الفرق بين الفرق ص ٢٦١ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
٣)انظر عبدالرحمن المحمود القضاء والقدر ص ٢٠٣ .
٤)انظر المرجع السابق .
٥) عبدالجبار الهمذاني ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ٣٤٠/٢ تحقيق توفيق الطويل .

ولكن عند عرض مذهبهم في الجانب الثاني من قضية خلق أفعال العباد وهو جانب تعلق أفعال العباد بهم وهل هم الفاعلون لها ؟ أو هي كسب لهم ؟ وما مدى تعلق العباد بأفعالهم ٠٠ عند عرض مذهبهم في هذا يتضح مدى اختلافهم وبعدهم عن مذهب أهل السنة والجماعة[١] ، ثم إن بقية الفرق تنضم إلى أحد هذه الأقوال الثلاثة ، فبعض الصوفية وبعض المرجئة انضموا إلى القول الأول[٢] أما الرافضة فمنهم من قال أن أفعال العباد مخلوقة لله ومنهم من قال أنها غير مخلوقة ، ومنهم من قال لا جبر ولا تفويض [٣] ، ولهذا يقول ابن تيمية (والمقصود أن الإمامية إذا كان لهم قولان كانوا متنازعين في ذلك كتنازع سائر الناس لكنهم فرع على غيرهم في هذا وغيره فإن مثبتهم تبع للمثبتة ونفاتهم تبع للنفاة)[٤].

وبعد عرض هذه الأقوال الباطلة في القدر لابد من عرض القول الحق فيه وهو قول أهل السنة والجماعة بدءا من الصحابة والتابعين وأتباعهم الى يومنا هذا وهو القول الحق الذي جاء بيانه في الكتاب والسنة ٠

إن مذهب السلف في القدر أنهم يؤمنون بالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى ويؤمنون بمراتبه الأربعة : العلم والكتابة والمشيئة والخلق والتكوين فالله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم وكتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ وأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكل شيء يحدث في الأرض والسماء يكون بمشيئته ولا يكون في ملكه إلا ما يريد وأن الله تعالى خالق كل شيء ومن ذلك أفعال العباد كما دلت عليه النصوص [٥] فأفعال العباد داخلة في المرتبة الرابعة، ومذهب السلف (أن الله خالق أفعال العباد والعباد فاعلون حقيقة والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم) [٦].

---

١)عبدالرحمن المحمود القضاء والقدر ص ٢٠٦ ٠

٢)انظر البغدادي الفرق بين الفرق ص ٢٠٢ ٠

٣)انظر أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ١١٤/١ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط٢ سنة ١٣٨٩هـ ٠

٤)ابن تيمية منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ٢٢٩/٢ مكتبة دار العروبة ٠

٥)أنظر ابن تيمية العقيدة الواسطية ص ٢١ مطبعة سعد الراشد، الرياض ٠

٦)المرجع السابق ص ٢٢ ٠

هذا هو القول الوسط وهو القول الحق في القدر وما عداه فهو من الأقوال الباطلة التي جاء التحذير عنها والنهي عن الوقوع فيها وكلما حكم العبد المكلف النصوص في باب القدر سلم له دينه ، وكلما اتبع هواه وأدخل عقله كان إلى الانحراف والضلال أسبق وأوقع لأن القدر سر الله في خلقه فمن هتك سره أدخله ناره وهو من الغيب الذي يمنع الخوض فيه على وجه التنازع والاعتراض ٠

المسألة الرابعة:الانحراف في أمر الصحابة

الصحابة رضي الله عنهم هم نقلة هذا الدين والمجاهدون في سبيله وقد هجروا ملذاتهم وأوطانهم لنشر الدين ورفع رايته فحقيق على من عرف ذلك أن الدين يحتاج إلى من يطبقه في نفسه ثم يحمله ويبلغه إلى الناس بالحجة والبيان والسيف والسنان ، وقد كان ذلك من مهمة الصحابة وإلا وئد هذا الدين في مهده لا سمح الله ، فقد اختار الله تعالى لحمل هذا الدين وصحبة نبيه الكريم ﷺ هؤلاء الفضلاء من البشر بعد الأنبياء والرسل وأخبر عن فضلهم ومدحهم وأثنى عليهم في آيات كثيرة فوصفهم بالإيمان وناداهم به ومدحهم ورضي عنهم قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾[١] وقال تعالى :﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾[٢] ، وغير ذلك من الآيات التي تؤكد فضل الصحابة ومحبة الله لهم[٣] كما وردت هناك أحاديث كثيرة عن نبي هذه الأمة ﷺ تؤكد فضل الصحابة وتبين فضلهم وتدعو لحبهم والترضي عنهم واتباعهم والترحم عليهم ، كما وردت آثار كثيرة عن علماء الأمة في فضلهم.

ولهذا كله كان لزاما حماية أعراض الصحابة ونشر فضائلهم والترضي عنهم وهذا أمر واجب على كل مسلم وذلك لأنه وجدت طوائف من بعدهم ادعت الإسلام كذبا وزورا

---

١)سورة الأنفال آية ٦٤ ٠

٢)سورة التوبة آية ١٠٠ ٠

٣)انظر كلام محقق شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للا لكائى ١٣١٠/٧ ٠

وتحاول بكل ما تملك أن تكره الأمة الإسلامية في سلفها بعد أن كرهتهم هي ، وزيادة في التقريع تصف هذه الطائفة بأوصاف منها براء ويريدون من ذلك محاولة إبطال هذا الدين والقضاء عليه ، ويترتب على هذا الاعتقاد الباطل أمور منها :[١]

١-تكذيب القرآن الذي أثنى عليهم ومدحهم في عشرات الآيات .

٢-اتهام الله بأنه لم يختر لنبيه ﷺ أصحابا يحفظونه من بعده .

٣-اتهام النبي ﷺ بأنه لم ينجح في تربية أصحابه وغرس العقيدة في نفوسهم .

٤-نزع الثقة في كل ما نقله الصحابة رضي الله عنهم من هذا الدين .

٥-ابطال الدين الذي أراده الله ليكون أبديا إلى قيام الساعة لعدم توافر النقل المأمون حسب زعمهم .

٦-عدم إقامة الله الحجة على الناس .

ومن الذين اعتقدوا هذا الاعتقاد الباطل في شأن الصحابة الروافض الذين أبغضوا الصحابة وسبوهم وتنقصوهم ، وكذلك النواصب الذين يؤذون أهل بيت النبي ﷺ بكل قول أو عمل[٢] ، كما أن الذين يتحدثون في الخلاف الذي حدث بين الصحابة بقصد المفاضلة بينهم والإساءة إلى بعضهم وتقليل لشأن البعض الآخر أو تخطئة بعضهم هم مخطئون لما للصحابة من سوابق وفضائل وصحبة كل ذلك وغيره من اتباع الباطل في شأن الصحابة والذي جاء التحذير عنه ففي الحديث قوله ﷺ : " إذا ذكر أصحابي فأمسكوا...)[٣] وقوله ﷺ : " لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)[٤] ، وقد كان لأهل السنة والجماعة أصول في شأن الصحابة خالفوا بها من عداهم من أهل الزيغ والضلال وأهل الافتراق والباطل وهي أنهم : (لايزرون بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا يطعنون عليه ولا يحملون له حقدا ولا بغضا ولا احتقارا فقلوبهم وألسنتهم من ذلك براء ولا يقولون عنهم إلا ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله:

---

١)هبة الله اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٣١١/٧ (انظر كلام المحقق في الهامش) .

٢)انظر ابن تيمية العقيدة الواسطية ص ١٧٣ نشر إدارات البحوث العلمية ، الرياض .

٣)سبق تخريجه في ص ٢٦١

٤)أخرجه البخاري في المناقب باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا ، فتح ٢١/٧ ح(٣٦٧٣) ومسلم في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة ١٩٦٧/٤ ح(٢٥٤٠) .

﴿ ...ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾[١] فهذا الدعاء الصادر ممن جاء بعدهم ممن اتبعوهم بإحسان يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله ﷺ وثنائهم عليهم وهم أهل لذلك الحب والتكريم لفضلهم وسبقهم وعظيم سابقتهم واختصاصهم بالرسول ﷺ ولإحسانهم إلى جميع الأمة لأنهم هم المبلغون لهم جميع ما جاء به نبيهم ﷺ فما وصل لأحد علم ولا خبر إلا بواسطتهم وهم يوقرونهم أيضا طاعة للنبي ﷺ حيث نهى عن سبهم والغض منهم ، وبين أن العمل القليل من أحد أصحابه يفضل الكثير من غيرهم وذلك لكمالهم وصادق إيمانهم[٢] ، كما أنهم يقدمون من قدمه الله ورسوله منهم فيقدمون من أنفق قبل الفتح على من أنفق بعدها ويقدمون المهاجرين على الأنصار لأنهم جمعوا الوصفين الهجرة والنصرة ويقدمون أهل بدر على غيرهم كما يعتقدون أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ويشهدون بالجنة لكل من شهد له الرسول ﷺ بذلك كالعشرة وغيرهم ويقرون على تفضيل الأربعة على الترتيب الوارد فيهم وكذلك أهل السنة والجماعة يحبون آل بيت رسول الله ﷺ بخلاف أهل الزيغ والباطل ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسولهم حيث قال يوم غد يرخم[٣] (أذكركم الله في أهل بيتي)[٤] ، وأهل بيته هم من تحرم عليهم الصدقة من آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس ، فأهل السنة يرعون لهم حرمتهم وقرابتهم للرسول ﷺ كما يحبونهم لإسلامهم وسبقهم وحسن بلائهم في نصرة دين الله كذلك يتولون أزواجه من بعده ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة وهن أمهات المؤمنين .

أما ما روي من مساويء الصحابة فيرى أهل السنة أن أكثرها كذب قد زيد فيه ونقص منه وغير فيه ، أما ما صح منها فيرون أنهم معذورون فيه لأنهم مجتهدون فإن أصابوا فلهم أجران وإن أخطاوا لهم أجر واحد والخطأ مغفور لهم ، يقول ابن تيمية : (ثم ان القدر الذي ينكر من قبل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح)[٥].

١)سورة الحشر آية ١٠ .

٢)محمد خليل هراس ، شرح العقيدة الواسطية ص ١٦٦ نشر إدارات البحوث العلمية الرياض .

٣)قيل اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي بين مكة والمدينة بالجحفة ، وقيل اسم ضم غيضه هناك نسب إليها الغدير ، والغيضة الشجر الملتف (أنظر شرح العقيدة الواسطية ص ١٧١) .

٤) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب ١٨٧٣/٤ ح(٢٤٠٨) .

٥)ابن تيمية شرح العقيدة الواسطية ص ١٧٦ .

هذا هو الاتباع الحق في شأن ما يخص الصحابة وكل ما عداه من السب والشتم والتنقص وغيره فهو من الاتباع الباطل الذي مارسه أهل الزيغ والضلال والجهلة المتعصبون الذين لم يقدروا قدر حملة هذا الدين والمبلغون له فافتروا عليهم بما ليس فيهم ظلما وعدوانا.

المسألة الخامسة:الانحراف في شأن الكبائر ومرتكبيها

إن أمر تكفير مرتكب الكبيرة دعا علماء المسلمين إلى إعادة النظر في حقيقة الإيمان والكفر ، وبم يعد المؤمن مؤمنا ويعد الكافر كافرا وبم يخرج المؤمن من عداد الموعودين بالجنة ، ففي ما يخص الإيمان يرى كل من الخوارج والمعتزلة والمرجئة أن الإيمان شيء واحد لا يتبعض ولا يتجزأ فهو عند الخوارج والمعتزلة : مجموع التصديق القلبي والنطق اللساني والعمل بالجوارح وهو فعل الطاعات وترك المعاصي فإذا ذهب بعضه بارتكاب كبيرة ذهب كله ، وهو عند المرجئة مجرد المعرفة والأعمال ليست منه فلما كان الإيمان عند الخوارج والمعتزلة لا يتبعض قالوا من فعل ذنبا زال بعض الإيمان فيزول كله فيخلد صاحبه في النار ، وكل من الفريقين لا شك أنه غالط فيما قال متبع للباطل .

أما أهل السنة فقد عرفوا الإيمان بأنه تصديق وقول وعمل ويرون أنه يتبعض ويتجزأ ويزيد وينقص : يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهذا فرق بينهم وبين من خالفهم ، يقول ابن تيمية : (وأصل قول أهل السنة الذي خالفوا به الخوارج والجهمية[١] والمعتزلة والمرجئة : أن الإيمان يتفاضل ويتبعض[٢] كما قال النبي ﷺ (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)[٣] .

وإذا كانت هذه الآراء هي نظرة تلك الفرق في الإيمان فما هو منهجهم في مرتكب

---

١)يرون أن الإيمان لايتبعض فمن كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمنا تام الإيمان ليس معه بعض الإيمان . انظر ابن تيمية الفتاوى ٥٠/١٣ .

٢)ابن تيمية الفتاوى ٣٥٥/٣ .

٣)أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب كلام الرب عزوجل يوم القيامة رقم ٧٥١٠ انظر الفتح ٤٧٤/١٣ .

الكبيرة ؟ يتلخص أقوال الطوائف في مرتكب الكبيرة إلى قولين متناقضين متطرفين بينهما قول وسط لأهل السنة والجماعة :

الطرف الأول : يمثله الخوارج والمعتزلة : فالخوارج حكموا بخروج مرتكب الكبيرة من الإيمان وسموه كافرا إلا فرقة منهم[١] ثم اختلفوا هل كفره كفر شرك أو كفر نعمة ؟

أما حكمه في الدنيا فهو حكم الكفار تجري عليه أحكامهم فيكون حلال الدم والمال عند من قال بكفره كفر شرك ، وليس كذلك عند من قال أن كفره كفر نعمة ، أما حكمه في الآخرة فإنه يخلد في النار لا يخرج منها[٢] ، أما المعتزلة فيحكمون بخروج مرتكب الكبيرة من مسمى الإيمان لا إلى الكفر ولكن إلى منزلة بين المنزلتين فيكون حكمه في الدنيا حكم باقي المسلمين في حرمة الدم والعرض والمال أما حكمه في الآخرة فيرون دخوله النار والخلود فيها لكنهم قالوا إن عذابه دون عذاب الكفار[٣] ومذهبهم هذا مدون في كتبهم مثل قولهم (صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين لا يكون اسمه اسم الكافر ولا اسمه اسم المؤمن وإنما يسمى فاسقا)[٤] والفاسق عندهم (يخلد في النار ويعذب فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين)[٥].

فالخوارج والمعتزلة يتفقون في صاحب مرتكب الكبيرة على أمرين ويختلفون على أمرين ، فاتفقوا على سلب اسم الإيمان عنه وكذلك الحكم عليه بأنه من أهل النار مخلد فيها مع قول المعتزلة أن عذابه دون عذاب الكفار ، أما ما اختلفوا فيه فاسمه وحكمه في الدنيا فسمته الخوارج كافرا مع اختلافهم في نوع كفره بين كفر شرك أو كفر نعمة أما المعتزلة فلا يسموه مؤمنا ولا كافرا بل هو عندهم فاسق في منزلة بين الكفر والإيمان .

أما حكمه في الدنيا عند الخوارج فقد انقسموا إلى طائفتين : طائفة تجري عليه أحكام الكفار فتبيح دمه وماله وطائفة تجري عليه أحكام المسلمين فلا تستبيح ذلك منه ، وأما حكمه في الدنيا عند المعتزلة فتجري عليه أحكام المسلمين في حرمة الدم والعرض والمال[٦]

---

١)هذه الفرقه تسمى النجدات : انظر عباس السكسكي البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان ص ١٣ .
٢)انظر عمار طالبي ، الموجز في تحصيل السؤال وتخليص المقال في الرد على أهل الخلاف ضمن كتاب آراء الخوارج ٦/٢ الشركة الوطنية الجزائر طبعة ١٣٩٠ ، وانظر الشهرستانى ، الملل والنحل ١١٥/١ .
٣)انظر محمد باكريم وسطية أهل السنة بين الفرق ص ٣٤١ .
٤)القاضى عبدالجبار المعتزلى ، شرح الأصول الخمسة ص ٦٩٧ .
٥)المرجع السابق ص ٦٦٦ .
٦)انظر محمد باكريم وسطية أهل السنة بين الفرق ص ٣٤٣ .

أما الطرف الثاني فيمثله طوائف المرجئة : إن الاصل الذي يجمع طوائف المرجئة بمختلف طوائفها والذي لأجله سموا أهل الإرجاء هو إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان فكل مرجيء يقول بذلك ولذلك جاء قولهم في مرتكب الكبيرة من المسلمين متسقا مع أصلهم حيث يرون أنه مؤمن كامل الإيمان وارتكاب الكبائر لا يؤثر في إيمانه أما في الآخرة فهو من أهل الجنة إذا مات موحدا مؤمنا وإن زنى وسرق وقتل[١] وعبارتهم في ذلك مشهورة وهي قولهم (لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة)[٢] ومذهبهم يتمثل في قولهم (الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو المؤمن وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الإيمان ولا يضر تركها حقيقة الإيمان ولا يعذب على ذلك إذا كان الإيمان خالصا واليقين صادقا)[٣] ، فهذا موقف المرجئة من أصحاب الكبائر ويرى المتأمل أنه يغلب عليه التفريط الزائد عكس الطرف الأول .

أما القول الوسط فهو قول أهل السنة والجماعة ومن وافقهم[٤] فهم يرون أن ارتكاب الكبائر لا يخرج المرء من الإيمان بل الذي يخرجه من الإيمان هو الشرك بالله تعالى ومرتكب الكبيرة عندهم أنه مؤمن عاص أو فاسق ويقولون عنه أنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يزول عنه اسم الإيمان بالكلية بذهاب بعضه ، كما لا يعطونه اسم الإيمان المطلق ، أما حكمه في الآخرة فيرون أنه إذا مات ولم يتب دخل تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وأدخله الجنة وإن شاء أدخله النار فعذبه فيها بقدر ذنوبه ، لكنه لا يخلد في النار كالكفار بل يخرج منها بعد أن يأخذ عقابه فيها [٥] ، ويتضح للمتفحص أن هذا القول يأتي بعد جمع نصوص الوعد والوعيد في الكتاب والسنة وبالتالي يصبح القول العدل الوسط الذي لا إفراط فيه وتفريط فمن اتبعه فقد اتبع الحق ومن حاد عنه إلى غيره فقد اتبع الباطل بشتى صنوفه فنسأل الله الاستقامة على الحق والثبات عليه إلى أن نلقاه .

---

١)انظر المرجع السابق ص ٣٤٤ ، وانظر عبدالعزيز المجذوب أفعال العباد فى القرآن ص ٤٨٨ .

٢)الشهرستانى ، الملل والنحل ١/١٤٠ .

٣)المصدر السابق ١/١٤٠ .

٤)مذهب الأشاعرة يوافق مذهب أهل السنة حيث يقول أبوالمعالى الجويني فى تقريره (من مات من عصاة أهل الإيمان من غير توبة فأمره مغيب إن شاء الله غفر له أو شفع فيه شفيع وإن شاء عرضه على النار بقدر ذنبه ثم عاقبته الفوز الأكبر والنجاة . (انظر العقيدة النظامية ص ٨٩ ٩٠ تحقيق أحمد حجازى ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة سنة١٣٩٨هـ).

٥)انظر محمد باكريم وسطية أهل السنة بين الفرق ص ٣٤٦ . وانظر عبد العزيز المجذوب أفعال العباد في القرآن ص ٤٩١ فما بعدها .

المبحث الثاني

مجالات الاتباع للباطل في الشريعة

المطلب الأول : اتباع الباطل في العمل بالشريعة المنسوخة .

المطلب الثاني : اتباع الباطل في العمل بالشريعة القائمة .

مجالات الاتباع للباطل في الشريعة

أصل هذا المبحث هو قوله تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ [١] المقصود بالشريعة في هذا المبحث هي الأحكام العملية التي تتناول العبادات والمعاملات .

أما العبادات فكلها توقيفية لا يصح شيء منها بالاجتهاد فلا بد فيها من تحقق شرطين حتى تقبل هما : الإخلاص والمتابعة ، وبعدم تحقق المتابعة يقع المكلف في الباطل الذي جاء التحذير من الوقوع فيه في الكتاب والسنة إذ العبادة (إنما تبطل بفعل محظور أو ترك مأمور)[٢]

إن مجالات الباطل في الشريعة أكثر تشعبا منها في العقيدة وذلك لتوسع فروع الأحكام الشرعية بفرعيها (عبادات – ومعاملات) ، ولهذا يحسن تناولها على شكل أصول عامة يندرج تحت كل أصل فروع متعددة .

---

١) سورة الشورى آية ٢١

٢)ابن قيم الجوزية أعلام الموقعين ٢/٣١ .

المطلب الأول

اتباع الباطل في العمل بالشريعة المنسوخة

يـــندرج تحت هذا الأمر اليهود والنصارى لأنهم يدعون أن شريعتهم قائمة إلى الآن بعد نسخها بشريعة رسول الله محمد ﷺ ، فقد جاءت شريعته مهيمنة وناسخة لكل الشرائع السابقة لها فهي آخر الرسالات وخاتمتها قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لمـــا بيـــن يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ...﴾[١] .

ومعـــنى (مهيمناً) حاكماً على ما قبله من الكتب حيث يتضمن بأنه (أمين وشاهد ، وحـــاكم على كل كتاب قبله ، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشـــملها وأعظمهـــا وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ماليس فى غيره)[٢]

فالنســـخ واقـــع فـــي الشرائع الإلهية كما دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكـــثرهم لايعـــلمون)[٣] ، بمعـــنى أتينا بآية بدل أخرى أو بشريعة بدل شريعة وأحللناها مكانها لمصلحة العباد [٤] .

ومـــن أمثلة نسخ الشرائع فقد نسخت شريعة عيسى بعض ما جاء في شريعة موسى (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ..)[٥] ، كما نسخت شريعة الإسلام الشرائع السابقة

---

١)سورة المائدة آية ٤٨ .

٢)ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٩١/٢ .

٣)سورة النحل آية ١٠١ .

٤)انظر عبد الرحمن عبدالله الدرويش الشرائع السابقة ومدى حجيتها في الشريعة الإسلامية ص ١٤٣ طبعة عام ١٤١٠هـ

٥)سورة آل عمران آية ٥٠ .

فـــي الجملة ومنها شريعة اليهود (التوراة) وشريعة النصارى (الإنجيل) ، والنسخ إنمـــا حصـــل في الشرائع دون الأصول والعقائد حيث كل رسول دعا قومه إلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك .

أمـــا فروع الشرائع وجزئياتها وتفاصيلها من الحلال والحرام والعادات والمعاملات والعبادات فهو الذي تعرض للنسخ ، فما ورد في شريعة الإسلام من ذلك فهو الحكم الذي يجب العمل به واتباعه لأن كل من عمل بما يخالف ذلك فقد عمل بالشرائع المنسوخة وهو عيـــن الـــباطل الـــذي حذر الله من اتباعه وقد قال عليه السلام (والذي نفسي محمد بيده لايســـمع بى أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[١] ، وقوله ﷺ : " لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني "[٢] .

إن أدلـــة وجوب اتباع الشريعة وتحريم الخروج عنها باتباع شرائع منسوخة محرفة كثيرة جداً منها :ـــ

نصـــوص تـــدل على عموم رسالة النبي وشريعتة لجميع العباد : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾[٣] ، وقوله: ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً﴾[٤]

ومنها نصوص تدعو أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسول واتباع شريعته وترك ما هم عـــليه من الدين المنسوخ والمحرف منها : قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ، وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ..﴾[٥] ، وقوله ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل)[٦].

ومـــنها أن دعوته ﷺ كانت للعرب والعجم كتابيين وأميين كما قال ﷺ :(وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) [٧] .

١)أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ١/١٣٤ رقم ١٥٣

٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم ١٤٢٢٠

٣)سورة سبأ آية ٢٨ .

٤)سورة الأعراف آية ١٥٨ .

٥)سورة البقرة آية ٤٠ـــ٤١ .

٦)سورة المائدة آية ١٩ .

٧)أخـــرجه البخاري في كتاب التيمم باب قول الله ﴿ فلم تجدوا ماء ﴾فتح ١/٤٣٥ـــ٤٣٦ ح(٣٣٥) ومسلم في المساجد ١/٣٧٠ـــ٣٧١ (ح٥٢١) .

ومنها التصريح بأن الدين الذي لا يقبل الله دينا غيره هو دين الإسلام قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[١]

تلك هي بعض الأدلة التي تدل على أن العمل بالشرائع المنسوخة هو من الاتباع للباطل الذي حذر الله تعالى منه ، وأن باطل أهل الكتاب في مجال الشريعة كثيرة بل كل شريعتهم منسوخة ، حيث أن ما يعملون به اليوم لا يعد من أصل ماجاء في كتبهم التوراة والإنجيل بل دخله التحريف والتبديل والتغيير حتى أصبح من شريعة البشر وقوانينهم الباطلة .

---

١)سورة آل عمران آية ٨٥ .

المطلب الثاني

اتباع الباطل في تحريف الشريعة القائمة

إن شريعة الله تعالى هي أحكامه التي أنزلها على رسوله وأمره بتنفيذها في نفسه وتبليغها إلى عباده حتى يطبقوها ويعملوا بها ، وبهذا يعلم أن أي حكم عملي موجود في هذه الحياة ويطبقه المكلفون في واقعهم لا يخرج عن ثلاثة أحكام :

١-إما أن يكون حكماً منزلاً . [١]

٢-أو يكون حكماً مؤولاً .

٣-أو يكون حكماً مبدلاً .

أما الأول : فهو الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وحكم به بين عباده وهو حكمه الذي لا حكم له سواه وهو واجب الاتباع .

وأما الحكم المؤول : فهو أقوال المجتهدين المختلفة التي غايتها أن يكون جائز الاتباع ، ولا يجب اتباعها ولا يكفر ولا يفسق من خالفها فإن أصحابها لم يقولوا هذا حكم الله ورسوله بل قالوا اجتهدنا برأينا فمن شاء قبله ومن شاء لم يقبله ولم يلزموا به الأمة.

وأما الحكم المبدل : فهو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يحل تنفيذه ولا العمل به ولا يسوغ اتباعه وصاحبه بين الكفر والفسوق والظلم. [٢]

قال تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾[٣] ، فوجه الاستدلال بالآية أن كل ما حكم به الرسول ﷺ فهو مما أنزل الله تعالى بحيث لا يحل لمسلم أن يخالفه أو يخرج عنه .

وبعد معرفة هذه الأحكام المعمول بها في الدنيا يظهر للمتأمل أن هناك فئة كبيرة من أدعياء التنوير تسعى لتحريف الشريعة القائمة المتمثلة فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

١)انظر علي الصالحي ، الضوء المنير على التفسير ٢/٤١٠ ، نقلا عن ابن القيم الروح ص ٣٢٥ .

٢)انظر علي الصالحي الضوء المنير ٢/٤١١ .

٣)سورة المائدة آية ٤٩ .

حيث نرى ونسمع هنا وهناك صيحات تنادي بهذا التحريف تارة بالخفاء وأخرى بالعلن يحدوهم الجهل أو التعصب أو الهوى جهل بالحكم القائم بالشريعة أو تعصب ممقوت للذات أو للمذهب أو للإمام أو هوى متبع إلى ما يلائم طبعهم.

إن تحريف نصوص الشريعة في هذا العصر قائم بما يوافق أهواء الحكام ، أو أهواء المكلفين ومصالحهم ولا شك أن هذا التحريف هو قول على الله بغير علم الذي حذر الله منه في كتابه ، قال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾[١] ، فرتب تعالى المحرمات في الآية أربع مراتب وجعل القول عليه بغير علم أشد هذه المحرمات وأعظمها إثما وهو يشمل القول عليه في أسمائه وصفاته ودينه وشرعه[٢] .

إن أنواع التحريف للشرع القائم كثيرة منه على سبيل المثال لا الحصر ما يثار حول القضايا الآتية :

١-قضية الربا .

٢-قضية الميراث .

٣-قضية إقامة الحدود .

٤-قضية المساواة بين الرجل والمرأة .

٥-قضية فصل الدين عن الدولة .

النتيجة لكل ذلك هو الحكم بغير ما أنزل الله .

إن اتباع الباطل فى الربا يكمن فى استباحة الفوائد الربوية وحصر مفهوم الربا في ربا النسيئة ، مع إخراج ربا الفضل عن التحريم ، مع تقييدهم ذلك بالأضعاف المضاعفة.

وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه ، فتحريم الربا بنوعيه ثابت بالنصوص قال تعالى : ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾[٣]

---

١)سورة الأعراف آية ٣٣ .

٢)انظر علي الصالحي الضوء المنير ١٥٠/٣ وانظر ابن القيم أعلام الموقعين ٣٨/١ .

٣)سورة البقرة آية ٢٧٥ .

إن متبعي الباطل فى قضية الميراث يتهمون الشريعة بالتحيز للرجل وجعل حق المرأة نصف حق الرجل دون النظر إلى الأعباء المنوطة بكل طرف ، وحاجة الرجل ومسؤلياته ولكن متى فسدت الفطر والعقول لم يبق لضلالها حد معقول ٠

إن التحريف في إقامة الحدود يأتي من تشويه سمعة الشريعة والتشنيع عليها فى أحكام القصاص بقتل القاتل ، وقطع يد السارق وجلد شارب الخمر والزاني والقاذف ، والتعزير بالجلد على الجرائم كل ذلك تطهيرا للفاعل وزجرا له عن معاودة الجريمة ، وعظة للناس ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب ﴾[١] ، والمحرفون ينسبون كل هذه الحدود إلى القسوة والوحشية وعدم الملائمة للعصر ٠

ومن تحريف الكلم عن مواضعه ادعاء المساواة بين الجنسين فى كل الجوانب والمجالات ضاربين عرض الحائط بالتكوين النفسي والخلقي والخلقي للرجل والمرأة ٠

فالجاهلون بالشريعة يعملون على تذويب هذه الفوارق المعلومة عقلا وشرعا وعادة بأهوائهم مخالفة لأمر الله ٠

كما أن قضية اتباع الباطل في فصل الدين عن الدولة من الأمور التي أخذت بعدا إعلاميا ضخما حتى رأى أولئك المبطلون (أن السياسة لا تكون من الدين أبدا وأن اعتبار الإسلام دينا سياسيا ليس سوى فهم جاهلي)[٢] ، كل ذلك التحريف ليصلوا به أن الإسلام ليس له نظام سياسي ٠

إن حصيلة هذه الأمور كلها تعود إلى الحكم بغير ما أنزل الله فى كافة الحياة السياسية والإقتصادية والاجتماعية والتشريعية ، ولا شك أن السير وراء أولئك المحرفين للشرع هو نوع من أنواع اتباع الباطل الذي جاء التحذير عنه كتابا وسنة ٠

---

١)سورة البقرة آية ١٧٩ ٠

٢)محمد سعيد العشماوي الخلافة الإسلامية ص ٨٢ دارسينا القاهرة ط٢ ١٩٩٢م ٠

المبحث الثالث

مجالات الاتباع للباطل في الأخلاق

المطلب الأول : أصول الأخلاق الباطلة

المطلب الثاني : الأخلاق الباطلة عند الكفار

المطلب الثالث : الأخلاق الباطلة عند أهل الكتاب والمنافقين

المطلب الرابع : الأخلاق الباطلة عند أمة الاستجابة

المطلب الأول

أصول الأخلاق الباطلة

إن الأخلاق تنقسم إلى أخلاق باطلة وأخلاق حقة،أو مذمومة وممدوحة وقد ذكر الله كلا القسمين في كتابه ، ففي بيان الخلق الممدوح جاء قوله تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[١] ، وجاءت الإشارة إلى الخلق المذموم في قوله تعالى : ﴿ إن هذا إلا خلق الأولين ﴾[٢] ، وهذا إنما يفهم من سياق الآيات حيث حكى الله عن قوم هود عليه السلام تأييس نبيهم من عدم قبول وعظه وإرشاده وأن الأمر بالنسبة لهم سواء وعظ أم لم يعظ وهو تعبير فيه استهانة واستهتار وجمود ، في اتباع الباطل محتجين عليه بأن ذلك هو خلق الأولين ونهجهم وهم يسيرون على نهج وسبيل الأولين[٣] .

وقرئت (خلق الأولين) بفتح الخاء وتسكين اللام والمعنى (ما هذا الذي جئتنا به إلا أخلاق الأولين كما قال المشركون من قريش[٤] ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾[٥] ، والقراءة الأخرى هي (بضم الخاء واللام يعنون دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأولين من الآباء والأجداد ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا معاد ولهذا قالوا (وما نحن بمعذبين)[٦][٧]

فعلى قراءة الضم يكون الخُلُق بمعنى السجية المتمكنة في النفس التي تبعث على الأعمال والتي يناسبها من خير أو شر ولما دعاهم رسولهم إلى الخلق الحق والدين الحق رفضوا له وتعللوا بأن هذا الذي جاءهم به ما هو إلا أخلاق الأولين وعاداتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون [٨] ، وعلى قراءة الفتح والسكون يكون المعنى أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الأولين.[٩]

١)سورة القلم آية ٤ .
٢)سورة الشعراء آية ١٣٧ .
٣)انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٥/٢٦١٠ .
٤)ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٣/٤٥٦ .
٥)سورة الفرقان آية : ٥ ، كلا القراءتين سبعيتان قرأ بفتح الخاء وسكون اللام ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وقرأ بضمهما نافع وابن عامر وحمزة وعاصم أنظر (مكي بن أبى طالب كتاب التبصرة في القراءات السبع ص ٦١٦ الدار السلفية ط٢ ١٤٢٠هـ .
٦)سورة الشعراء آية ١٣٨ .
٧)ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٣/٤٥٦ .
٨)انظر ابن عطية الأندلسي المحرر الوجيز ١١/١٣٧ ، والزمخشرى الكشاف ٣/٣٢٧ .
٩)انظر المرجع السابق .

فالخلق مصدر خلق إذا كذب في خبره كقوله تعالى : ﴿ وتخلقون إفكا ﴾[١] ، فيكون المعنى (أن ما تزعمه من الرسالة عن الله كذب وما تخبرنا من البعث اختلاق)[٢].

فيكون معنى الآية إما (أن يكون المحكي عنهم أرادوا مدحا لما هم عليه من الأحوال التي أصروا على عدم تغييرها فيكون أرادوا أنها خلق أسلافهم وأسوتهم فلا يقبلوا فيه عذلا ولا ملاما ... ، ويجوز أن يكونوا أرادوا ما يدعو إليه رسولهم ، أي ماهو إلا من خلق أناس قبله ، أي من عقائدهم وما راضوا عليه أنفسهم وأنه عبرعنها وانتحلها أي ماهو بإذن من الله تعالى)[٣] .

إن أصل الأخلاق الباطلة أو المذمومة تنحصر في الكبر والمهانة والدناءة وتنشأ منها ، (فالفخر، والبطر، والأشر، والعجب ، والحسد ، والبغي ، والخيلاء ، والظلم ، والقسوة والتجبر ، والإعراض ، وإباء قبول النصيحة ، والاستئثار، وطلب العلو، وحب الجاه ، والرئاسة ، وأن يحمد بما لم يفعل ، وأمثال ذلك كلها ناشئة من الكبر ، وأما الكذب والخسة ، والخيانة ، والرياء ، والمكر ، والخديعة ، والطمع ، والفزع ، والجبن ، والبخل والعجز ، والكسل ، والذل ، لغير الله واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ونحو ذلك، فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس)[٤] .

إن الأخلاق الباطلة لها أصول ترجع إليها وتنبثق منها أما أجزاء أفرادها فكثيرة جدا فقد عدها لفيف من الباحثين[٥] فأوصلها إلى واحد وستين ومائة صفة وخلقا ذميما [٦] ، وبالتأمل يمكن إرجاع تلك الأخلاق المذمومة إلى أصول كلية[٧] هي :

الأصل الأول : كل دافع ذاتي في الإنسان فطري أو مكتسب يدفعه حتى يجحد ما لغيره من كمال أو حق ابتغاء وجه الشيطان ، او استجابة لعامل الكبر في نفسه ، أو لما يشتهي لنفسه من كمال أو مجد ، او استجابة لأي حظ من حظوظ النفس أو الجسد ضمن المؤثرات الأنانية ، هو من أصول الرذائل الخلقية وكلياتها العامة ، ومن أمثلته :

جحود فضل ذوي الفضل ، وإنكار مزايا ذوي المزايا وغمط الحق لأصحابه استجابة للدوافع النفسية أو لشهواتها .

١)سورة العنكبوت آية ١٧ .
٢)ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٩/١٧٣ .
٣)المرجع السابق ١٩/١٧٢ باختصار .
٤)ابن القيم الفوائد ص ١٨٨ .
٥) اشترك في تأليف موسوعة الأخلاق بشقيها المذموم منها والممدوح ٣١ عالما وباحثا .ذكروا في مقدمة ج١
٦)انظر صالح بن حميد وآخرون موسوعة نضرة النعيم ١٢/١٦ .
٧)انظر عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني الأخلاق الإسلامية وأسسها ص ٤٧ــ٤٩ . دار القلم دمشق ط١ سنة ١٣٩٩هـ .

الأصل الثاني : كل دافع ذاتي في الإنسان فطري أو مكتسب ، يدفعه حتى يتعدى على ما ليس له به حق ، بغية حيازته لنفسه أو يدفعه حتى يبخل بعطاء ينفع أخذه ولا يضر باذله أو يبخل بما يدفع الضرورة الملحة عن غيره مع عدم اضطراره إليه ، أو مع عدم حاجته إليه ، إلا حاجة الاستجابة للطمع أو الشره أو الشهوة أو رغبة الاستزادة المفرطة للرفاهية الزائدة ، كله من الأخلاق الباطلة[١] .

الأصل الثالث : كل دافع ذاتي في الإنسان فطري أو مكتسب يدفعه حتى يعترض على حكمة الله أو يحسد الآخرين على ما وهبهم الله من فضله هو من أصول اتباع الأخلاق الباطلة. [٢]

وبهذا يتضح أن الأخلاق الباطلة عامة تشمل كل نواحي الحياة المختلفة فى جوانبها المتنوعة ، إلا أنها سلبية ممقوتة ممقوت من يتخلق بها والعبد المكلف مأمور بمعرفتها ليحذر الوقوع فيها ، نسأل الله أن يجنبنا الصفات السيئة والأخلاق المذمومة .

---

١) انظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني الأخلاق الإسلامية وأسسها ص ٤٩

٢)المرجع السابق ص ٤٩ .

المطلب الثاني

الأخلاق الباطلة عند الكفار

إن أصول الأخلاق الباطلة التي جاءت الإشارة إليها في المطلب السابق للكفار منها نصيب وافر حيث لا دين يردعهم ولا كتاب يوجههم إلى الخلق الحسن ، وإن كان من أصل فطرتهم قد يكون عندهم خلق حسن رفيع إلا أنه لم يجد العناية والتربية والتوجيه من دين قويم فيتلاشى أو يختفي لغلبة جانب الأخلاق الباطلة عليه ، حيث لا يمكن أن تكون هناك أخلاق بدون الدين كما لا يمكن أن يكون هناك قانون بدون أخلاق ، فمن الدين يعرف حسن الخلق من قبيحها ، والدين هو الذي يربط الإنسان بالمثل العليا فيحد من أنانيته وطغيان غرائزه وسيطرة عاداته .[١]

ولهذا لما سئل ﷺ عن خيار الناس قال : " خيارهم فى الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " [٢] ، فقد ذكرت كتب التراجم والسير بعض الأخلاق الحميدة للكفار[٣] مثل الكرم والشجاعة والنجدة والحمية والعزة والدفاع عن العرض وغيرها [٤] ، لكنها لم تجد دينا يهذبها فغلا فيها أصحابها وتطرفوا في تطبيقها فقامت بينهم النزاعات والحروب الطاحنة لأتفه الأسباب .

فكان الاعتدال فى جانب الأخلاق غائبا عندهم ، ولهذا ساد مجتمع الجاهلية السابق منه واللاحق الآن الظلم بشتى صوره ، بل كان يكفي الكفر نفسه أن يكون أظلم الظلم ﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ... ﴾[٥]

وقد ذكر كتاب الله كثيرا من صفات الكفار وأخلاقهم الباطلة سأكتفي بذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر مع الاقتصار على ذكر دليل لكل خلق ذميم :

---

١)انظر يوسف القرضاوي الإيمان والحياة ص ٢٠٩ مؤسسة الرسالة بيروت ط٧ سنة ١٤٠١هـ .

٢)أخرجه البخاري في كتاب الانبياء باب واتخذ الله إبراهيم خلايلا ١١١/٤ . ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل يوسف عليه السلام ١٨٤٦/٤ـ١٨٤٧ رقم ٢٣٧٨ .

٣)هذا كان ما يخص عرب الجاهلية وكان يعود الى أصل نزعتهم وفطرتهم أما ماجاورهم من الكفار فلم توجد فيهم تلك الخصال وكذا كفار اليوم يندر أن توجد فيهم تلك الصفاة .

٤)انظر صفي الرحمن المباركفوري الرحيق المختوم ص ٦٨ دار الكتاب و السنة باكستان ط١ سنة١٤١٧هـ .

٥)سورة النساء آية ١٦٨ .

١-اتباع الباطل ﴿ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ﴾[١]

٢-اتباع الهوى ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ﴾[٢]

٣-الاعتراض على الله ﴿ ٠٠ وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا٠٠٠ ﴾[٣]

٤-الإعراض عن الحق﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾[٤]

٥-البخل ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما أتاهم الله من فضله ..﴾[٥]

٦-التكبر ﴿ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[٦]

٧-الكذب ﴿ ٠٠ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾[٧]

٨-كره الحق ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾[٨]

وغير ذلك من الأخلاق الذميمة التي لا تعد لكثرتها مثل الإفساد في الارض، التفرق الجهل ، الخيانة ، الذل ، السخرية ، العداوة ، الغرور ، الغفلة ، الفجور ، الفسق ، الكيد ، المكر ، منع الخير ، نقض العهود ، نكران النعيم ٠

إن مـــدار الأخـــلاق الباطلة على الجهل والظلم والكذب والعناد ، جهل بالله وشرعه وظلم لأنفسهم ولعباد الله ، وعناد عن الحق عملاً بما زينت لهم أنفسهم ٠

وبهذا يتضح أن معظم الأخلاق الباطلة والذميمة التي فصلها أهل الأخلاق فأوصلوها إلى مائـــة وواحد وستين خلقاً ذميماً ينطبق كلها أو معظمها على الكفار الذين لا رادع لهم من دين أو كتاب منير ٠

---

١)سورة محمد آية ٣ ٠
٢)سورة الروم آية ٢٩ ٠
٣)سورة البقرة آية ٢٦ ٠
٤)سورة الأنعام آية ٤ ٠
٥)سورة النساء آية ٣٧ ٠
٦)سورة الأعراف آية ٣٦ ٠
٧)سورة آل عمران آية ٧٥ ٠
٨)سورة محمد آية ٢٨ ٠

المطلب الثالث

الأخلاق الباطلة عند أهل الكتاب

أطلق كتاب الله تعالى مصطلح أهل الكتاب على اليهود أتباع نبي الله موسى ﷺ والنصارى أتباع نبي الله عيسى ﷺ ، وكان يفترض أن يكون لهم خلق اكتسبوه من كتبهم المنزلة ، لكن لما وكل الله حفظ شريعتهم إليهم كما قال تعالى : ﴿ ... والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾[١] ففرطوا في حفظها فلحقها التحريف في كل مجالاتها ففسدت أخلاقهم تبعاً لفساد المعتقد والشريعة .

ولهذا صارت أخلاقهم كلها باطلة عندما يتعاملون مع غير أهل ملتهم وإن كانت لهم بعض الأخلاقيات فيما بينهم .

واليهود يعتبرون أعظم أهل الأرض فساداً في جانب الأخلاق لأنها تنبع من حقدهم وعداوتهم لأهل الأرض قال تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾[٢] .

ففي الآية بيان سوء طوية اليهود وسوء خلقهم وسوء فعلهم مع أنبيائهم من قبل،ومع الرسول ﷺ ومع المسلمين ومع جميع البشر، مع أنهم أهل كتاب لم يغير شيئاً من الحقيقة فعداؤهم كعداء المشركين وأشد وأنكى [٣] .

أصبحت جبلة اليهود منحرفة لم يستجيبوا لداعي الخير ذلك أنهم (جحدوا فضل الله عليهم وجحدوا أنبياءه ، وجحدوا كل فضل قدمه إليهم أحد من البشر وقابلوا كل ذلك بانكار الجميل أو الطمع أو الجشع والحسد وقساوة القلب ، كرهتهم كل الأمم لخصالهم تلك فانطووا على أنفسهم يملأ نفوسهم الحقد الدفين على الأمم كلها يريدون أن يستعبدوا الأمم كلها ويسخروها لمصالحهم، وعقدتهم الكبرى أنهم شعب الله المختار ، ومن ثم فينبغي أن يكون بقية البشر خدماً وعبيداً لهم ويكونوا وحدهم هم المسيطرين)[٤] من هذه الرؤية

---

١)سورة المائدة آية ٤٤

٢)سورة المائدة آية ٨٢

٣)انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٢/٩٥٩ـ٩٦٠ .

٤)محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ص ٧٩ ، دار الشروق بيروت ط١ سنة١٤٠٣هـ .

الفوقيـــة للـــنفس يـــنظرون إلى كل من حولهم بعين الاحتقار والإزدراء والسخرية ، ويعاملون كل البشر بكل خلق باطل ذميم من حسد وظلم وبغي واعتداء وافتراء وغير ذلك

كما أن النصارى سيتبعون اليهود فى معاملة كل من خالف أهل ملتهم بالقسوة والظلم والشـــدة والحروب والتعالي وهذا يعود الى المباينة التي حصلت في المعتقد من أول وفد نصراني جاء من نجران وقابل الرسول ﷺ ودعوته وإن أظهروا فى ذلك الوقت المسالمة لضـــعفهم إلا أنـــه ترجم هذا الحقد فى أول مجابهة مع المسلمين في معركة اليرموك التي أظهـــروا فيهـــا وقفـــتهم النكدة وحقدهم الخبيث ثم تجلت أحقادهم على الإسلام وأهله في الحـــروب الصليبية المشهورة طوال قرنين من الزمان ثم أخلاقياتهم في حروب الإبادة في الأندلـــس ثم أخلاقياتهم في الممالك الإسلامية في إفريقيا، ثم مع كل من خالفهم في العالم أجمـــع [١] ، وإن كـــان هناك يوجد من النصارى وليس النصارى كلهم من له خلق حسن وقلب رحيم ولين عند التعامل وهولاء أبعد عن خلق التكبر والتعالي وفي الغالب هم الذين يستجيبون لدعوة الله وهذا ما أكده كتاب الله تعالى :

﴿ ولـــتجدن أقـــربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهـــبانا وأنهم لا يستكبرون ٠ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ٠٠٠ ﴾[٢]

فاليهود قولاً واحداً أخلاقهم مع أمم الأرض كلها باطلة والنصارى مثلهم وإن كان في بعـــض النصـــارى قرب من المسلمين وبعد عن التكبر ولذا فكثيراً ما نسمع أن نصرانيا أســـلم، وقـــل أن نســـمع أن يهوديـــا أســـلم وهذا من بداية عهد الدعوة وإلى اليوم وهذه الأخلاقيـــات الباطلة ضد أمم الأرض عامة وضد المسلمين خاصة هو ما ترجمه كتاب الله تعـــالى : ﴿ ولـــن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾[٣] ، وقـــد بين كتاب الله كثيراً من أخلاقيات أهل الكتاب الباطلة فمنها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

---

١)انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٩٦٦/٢ ٠

٢)سورة المائدة آية ٨٢ ٠

٣)سورة البقرة آية ١٢٠ ٠

١-الحسد : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ... ﴾[١]

٢-الخيانة : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم ... ﴾[٢]

٣-المراوغة : ﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾[٣] الآيات

٤-الكذب : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما . ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾[٤]

٥-نقض العهود : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ... ﴾[٥]

٦-الظلم : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾[٦]

٧-الاستهزاء بالمؤمنين : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ﴾[٧]

٨-افتراؤهم على الله ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ﴾[٨] إن أخلاقيات أهل الكتاب الباطلة كثيرة جدا إن لم تكن كل أخلاقياتهم مع من خالفهم باطلة وهذا نابع من عدم تمسكهم بدين قويم حيث حرفوا كتابهم واتبعوا أهواءهم ولذلك لم ينضبط لهم خلق حسن فتجد السفه ديدنهم ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾[٩] ، وقسوة القلوب تميزهم عن غيرهم كما

---

١)سورة البقرة آية ١٠٩ .

٢)سورة المائدة ١٣ .

٣)سورة البقرة آية ٦٧ وانظر إلى ٧٣ .

٤)سورة آل عمران آية ٧٥ .

٥)سورة المائدة آية ١٣ .

٦)سورة البقرة آية ٥٩ .

٧)سورة البقرة آية ١٤ .

٨)سورة التوبة آية ٣٠ .

٩)سورة البقرة آية ١٤٢ .

قال تعالى: ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾[١] ، كما أن كتمان الحق وإلباسه الباطل من خلقهم ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾[٢]

والغرور والتعالي على الخلق من صفاتهم ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق .. ﴾[٤]

تلك هي بعض أخلاقيات أهل الكتاب الباطلة التي يتعاملون بها مع غيرهم ممن خالف معتقدهم وملتهم وهي أخلاقيات إن دلت على شيء فإنما تدل على الفساد فى المعتقد والإفساد في الأرض ، نسأل الله السلامة في ديننا وخلقنا .

---

١)سورة البقرة آية ٧٤ .

٢)سورة البقرة آية ٤٢ .

٣)سورة البقرة آية ١٢٠ .

٤) سورة المائدة آية ١٨ .

المطلب الرابع

الأخلاق الباطلة عند أمة الاستجابة

أمة الاستجابة هم الذين جاء وصفهم فى كتاب الله تعالى في قوله ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذيـــن اصـــطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾[١] ، فالظالم لنفسه وإن كان من المصطفين إلا أنه جر نفسه إلى ارتكاب المعاصي (فإن معصية المرء ربه ظلم لنفسه لأنه يورطها في العقوبة المعينة للمعاصي على تفصيلها وذلـــك ظـــلم للـــنفس لأنه اعتداء عليها إذ قصر بها عن شيء من الخيرات قليل أو كثير وورطها فيما تجد جزاء ذميما عليه) [٢]

وقـــد يســـأل ســـائل فيقـــول هل لأمة الاستجابة أخلاقيات باطلة يقربها من مصاف أخلاقيات أمم الكفر والشرك وأهل الكتاب المحرفة كتبهم والمتبعون لأهوائهم ؟

الجـــواب نعم ، لأن أمة الاستجابة هم الذين استجابوا لدعوة الله ثم حصل من بعضهم التقصير والتفريط في أداء الواجبات في كل أو بعض المجالات التي أمروا أن يعملوا بها بعد الاستجابة، ومنها مجالات الأخلاق ، وفيهم من ليس منهم ممن آمن ظاهراً وكفر باطناً كالمـــنافقين ، وفيهم من قصر عن الوصول إلى رتب أهل الهمم العالية فوقع فيما وقع فيه من الأخلاقيات المذمومة ، ولا شك أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه ٠

فمـــن فقد الإيمان كان نصيبه أوفر من اتباع الأخلاق الباطلة ومن ضعف إيمانه فله نصـــيب بحســـبه ، فالرجل المعوج السلوك الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد[٣] يوصف حالـــه بأنـــه قليل الحياء وفي الحديث " الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار " [٤]

---

١)سورة فاطر آية ٣٢ ٠

٢)ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٣١٢/٢٢ ٠

٣)انظر محمد الغزالي خلق المسلم ص ٩ ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ط٨ سنة١٣٩٤هـــ ٠

٤)أخرجه الحاكم ٥٢/١ وقال صحيح على شرط الشيخين وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب الحياء ١٤٠٠/٢ ٠

ومن خرج عن ضوابط الأخلاقيات الممدوحة بالتعدي والإساءة والظلم فقد أخذ نصيبا مـــن باطل الأخلاق ، " والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه " (١)

كما أن الثرثرة والهذر والمزاح الزائد يوقع في الباطل وقاعدة الإسلام فى ذلك هي " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت " (٢)

إن الإيمـــان والصـــلاح والأخـــلاق عناصر متلازمة متماسكة لا يمكن الفصل بينها والخـــلل في أحدها يحدث خللاً في الآخر فاتباع باطل الأخلاق ناتج عن خلل في الإيمان والصلاح ، ويمكن أن نتناول أخلاقيات أمة الاستجابة الباطلة على شكل مسائل :

المسألة الأولى : أخلاق المنافقين الباطلة ٠

المـــنافقون يمكن عدهم من أمة الاستجابة باعتبار نطقهم بالشهادتين ويمكن عدهم من أمة الدعوة باعتبار أن الإيمان لم يخالط بشاشة قلوبهم والله قال عنهم : ﴿ ومن الناس من يقـــول آمـــنا بـــالله وبـــاليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾(٣) ولذلك كان عذابهم أشد : ﴿ إن المـــنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾(٤) ولهذا جعلتهم هنا مع أمة الاستجابة باعتبار الظاهر ٠

وفـــي مـــبحث سابق ضممتهم إلى أهل الكتاب لظهورهم معهم وقربهم بهم باعتبار باطـــنهم والحـــق أننا لسنا مسئولين عن باطنهم لأن لنا الظاهر والله يتولى السرائر فيكون موقعهم أن يذكروا مع أمة الاستجابة. ومن أخلاقهم الباطلة التي جاءت في كتاب الله ٠

١-الـــبخل : ﴿ المـــنافقون والمـــنافقات بعضـــهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ٠٠ ﴾(٥)

٢-البغضـــاء ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالاً ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ٠٠٠ ﴾(٦)

١)أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب إثم من لايأمن جاره بوائقه ٧٨/٧ ٠

٢)أخرجه مسلم في كتاب اللقطة باب الضيافة ونحوها ١٣٥٢/٣ـــ١٣٥٣ رقم ١٧٢٦ ٠

٣)سورة البقرة آية ٨ ٠

٤)سورة النساء آية ١٤٥ ٠

٥)سورة التوبة آية ٦٧ ٠

٦)سورة آل عمران آية ١١٨ ٠

٣-التذبذب ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾[١]

٤-التظاهر بالإيمان ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين ﴾[٢]

٥-الخصام ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾[٣]

٦-الرياء والمخادعة ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴾[٤]

٧-الشماتة ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾[٥]

٨-الكذب ﴿ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾[٦]

تلك بعض صفات المنافقين وأخلاقهم الباطلة فى القرآن على سبيل المثال لا الحصر ولو ذهبنا نعددها واحدة تلو الأخرى لطال بنا المقام لكثرتها فهم الذين آخوا اليهود وناصروهم [٧] ، وادعوا الإيمان والطاعة مع إبطان خلافها وأذاعوا أسرار المؤمنين واستكبروا عن قبول الحق وأظهرو الصلاح مع فسادهم وأعرضوا عن القرآن وعن التوبة ، وتميزوا بقلة العلم والسفه والسخرية من المؤمنين ، وأساءوا الظن بالله تعالى .

المسألة الثانية:الأخلاق الباطلة عند ضعاف الإيمان من المسلمين

إن من نظر إلى التناحر والتشاحن الذي يسود أفراد الأمة الإسلامية وجماعاتها يوقن تماما ان ذلك من اتباع الباطل في مجالات الأخلاق المختلفة ، وذلك بالرغم من أن الله تعالى أخبر عباده في كتابه بقوله تعالى ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾[٨] والتقوى تمنع من الوقوع في محذور الأخلاق ومذمومها بين أفراد الأمة الواحدة التي يجمعها كتاب واحد ورسول واحد وقبلة واحدة وهدف وغاية واحدة ، وفي كتابها جاء

---

١)سورة النساء آية ١٤٣ .
٢)سورة البقرة آية ٨ .
٣)سورة البقرة آية ٢٠٤ .
٤)سورة النساء آية ١٤٢ .
٥)سورة آل عمران آية ١٢٠ .
٦)سورة التوبة آية ٩٠ .
٧)انظر عادل علي الشدي دراسة قرآنية في النفاق وأثره فى حياة الأمة ص ٥٣١ .
٨)سورة المؤمنون آية ٥٢ .

التفصيل المقنع في بيان عقيدتها وشريعتها وأخلاقها وفي سنة نبيها البيان المفصل المترجم إلى الواقع العملي السلوكي ومع هذا وقعت في أخلاق كثيرة مذمومة وذلك بسبب الجهل والظلم والشهوة والغضب والتي هي الأركان التي تدور حولها كل الأخلاق الباطلة وتنفصل عنها .

(فالجهل يريه الحسن في صورة القبيح ، والقبيح في صورة الحسن . والكمال نقصا والنقص كمالا ، والظلم : يحمله على وضع الشيء في غير موضعه ، فيغضب في موضع الرضى ويرضى في موضع الغضب ، ويجهل في موضع الأناة ، ويبخل في موضع البذل ... ، والشهوة : تحمله على الحرص والشح والبخل ، وعدم العفة والنهمة والجشع والذل والدناءات كلها ، والغضب : يحمله على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه ، ويتركب من بين كل خلقين من هذه الأخلاق : أخلاق مذمومة) [١] .

ولا شك أن المكلف يصعب عليه أن يستقيم له حال فيعتدل في كل أموره بل يعيش بين أمرين يتجاذبانه ضعف وقوة ، إفراط وتفريط حتى قال ابن القيم (وملاك هذه الأربعة أصلان : إفراط النفس في الضعف وإفراطها في القوة فيتولد من إفراطها في الضعف : المهانة والبخل والخسة واللؤم والذل والحرص ، وسفساف الأمور والأخلاق ، ويتولد من إفراطها في القوة الظلم والغضب والحدة ، والفحش والطيش ، فالأخلاق الذميمة يولد بعضها من بعض) [٢]

إن مجالات الأخلاق الباطلة عند أمة الاستجابة تتمثل في الهجر دون عذر وعقوق الوالدين ، والتفريط فى صلة الرحم ، والتدابر بين المسلمين بغير سبب ظاهر والجفاء والجدال ، والحقد والرشوة وصغر الهمة ، والعنف ، والغش والغلو والغيبة والنميمة واللغو واللهو وغيرها كثير مما يمارسه المسلمون اليوم فى حياتهم العامة والخاصة .
وأساس ذلك كله يعود إلى التبعية والتشبه وتقليد الكفار والمشركين في أخلاقهم حيث اكتسبت الأمة منهم كثيرا من الأمراض الخلقية الذميمة مثل (الأنانية، وحب الذات ،

---

١)ابن القيم تهذيب مدارج السالكين ص ٤١٦ـ٤١٧ هذبه عبد المنعم العزي .
٢)المرجع السابق ص ٤١٧ .

والحسد، والأثرة والحقد والتباغض والتفكك الأسري والاجتماعي واتباع الهوى والشهوة وعقوق الوالدين وقطع الرحم وعقوق الجار والشح والبخل والخيانة والخداع والمؤامرات والاغتيالات والفتك والقتل وهتك الأعراض والنصب والسرقة والاحتيال ... الخ) [١]

وهكذا نجد أن الكفار اهتموا بهدم الأخلاق الفاضلة بين المسلمين قبل كل شئ وسلطوا كل إمكاناتهم وجهودهم الكبيرة لذلك ، يريدون لأمة الإسلام أن تنسلخ من أخلاقها التي فيها عزها وسعادتها والدفع بها إلى تبديلها بأخلاقيات الكفار القائمة على الانغماس فى الدنيا بكل شهواتها وملذاتها فأزيحت الأخلاق من مجال السياسة فأصبح المصطلح السائد : الغاية تبرر الوسيلة بمعنى ممارسة السياسة بلا أخلاق ٠

ثم أزيحت الأخلاق من المجال الاقتصادي فحل الربا محل البيع ، والغش والخداع محل الأمانة ، والكذب محل الصدق ... إلى آخر ما هناك من تغيير صالح الأخلاق بفسادها ٠

ثم أزيحت الأخلاق من مجال العلم فلم يعد هدفه البحث عن الحقيقة المجردة إنما صاحبه مصالح وأهواء وشهوات فحلت الطبيعة محل اسم الله وصار كل شئ ينسب إليها ثم أزيحت الأخلاق من مجال الفكر فلم يلتزم المفكر بأمانة الكلمة فأصبحت وسائل الإعلام كلها مضللة أخذت على نفسها إفساد الدين والخلق ٠

ثم أزيحت الأخلاق من مجال العلاقات الجنسية بدعوى أن الجنس ليس له علاقة بالأخلاق لأنها مسألة ذكر وأنثى يجري بينهما ما يجري بين الذكر والأنثى بلا قيود ولا حدود [٢] ، فأصبحت الأمة تعيش هذه الفوضى في الأخلاق في جميع مجالاتها بين مقل منهم ومكثر حسب ضعف الإيمان وقوته ومع ذلك كله يوجد فيها طائفة مستمسكة بأخلاق الكتاب والسنة داعية إلى ذلك نسأل الله أن يجعلنا منهم ٠

---

١)ناصر العقل التقليد والتبعية وأثرهما فى كيان الأمة الإسلامية ص ١٢٤ دار المسلم الرياض ط٢ سنة١٤١٤هـ ٠

٢)انظر محمد قطب مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٨٦ـ٤٨٧ دار الشروق بيروت ط١ سنة١٤٠٣هـ ٠

الباب الرابع

أسباب الاتباع وأركانه ونماذجه

الفصل الأول : أسباب الاتباع للحق وأركانه وقواعده ونماذجه .

الفصل الثاني : أسباب الاتباع للباطل وأنواعه وأركانه ونماذجه .

الفصل الأول

أسباب الاتباع للحق وأركانه وقواعده ونماذجه

المبحث الأول : أسباب الاتباع للحق ٠

المبحث الثاني : أركان الاتباع للحق ٠

المبحث الثالث : قواعد الاتباع للحق ٠

المبحث الرابع : موانع الاتباع للحق ٠

المبحث الخامس : نماذج الاتباع للحق ٠

المبحث الأول

أسباب الاتباع للحق

المقصود من الأسباب الغاية التي ينشدها المكلف من اتباع الحق ، فلماذا يتبع الحق ؟ وماذا يريد من وراء ذلك ؟ ، فهذه الأسباب هي عبارة عن الدواعي التي تدعوه أو البواعث التي تحركه من أجل اتباع الحق والاستمساك به ويمكن ترتيب هذه الغايات إلى مطالب على النحو الآتي :

المطلب الأول : الخوف من عقاب الله تعالى .

المطلب الثاني : الطمع في ثواب الله تعالى .

المطلب الثالث : محبة الله تعالى وإجلاله .

المطلب الرابع : قوة الحق وتأثيره على النفوس .

المطلب الخامس : مصاحبة الصالحين والاقتداء بهم .

المطلب الأول : الخوف من عقاب الله تعالى

الخوف في اللغة مأخوذ من (خاف) أو (خوف) يخاف خوفا ومخافة [١] ، وفي الاصطلاح هو (توقع حلول مكروه أو فوات محبوب) [٢] ، كما عرف بأنه (انفعال النفس من أمر متوقع) [٣] .

فالخوف هو تأثر حاصل من الانسان نتيجة توقعه حدوث مكروه فى الحال أو المآل وهو من الغايات التي يقصدها المكلف من اتباعه للحق ، وهو ليس مقصوداً لذاته كالمحبة بل يقصد لغيره ولهذا يزول بزوال المخوف منه ، وقد أخبر تعالى أن أهل الجنة لا خوف عليهم كما أن أهل الاتباع الحق لا خوف عليهم ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٤] .

إن عقاب الله تعالى عظيم ، وبطشه أليم شديد حيث أعد لكل من اتبع الباطل بشتى صنوفه من الشرك والابتداع والعصيان ومخالفة الأوامر والنواهي شتى أصناف العذاب وبين ذلك لعباده حتى يخافوه فيتبعوا أمره ويجتنبوا نهيه ، قال تعالى : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾[٥] وقال تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾[٦] ، وقال تعالى : على لسان رسوله : ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾[٧] .

إن من أسباب اتباع الحق وغاياته الخوف من الله تعالى فقد جعل الله له منزلة عظيمة حيث ((خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال ، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال ولهذا كرر سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال وما احتوت عليه من الزقوم والضريع

---

١)انظر لسان العرب مادة (خوف) ٩٩/٩ والقاموس المحيط ١٤٤/٣ .
٢)الجرجانى ، التعريفات ص ١٠١ .
٣)محمد رشيد رضا تفسير المنار ٤٢٨/١٠ دار المعرفة .
٤)سورة الأحقاف آية ١٣ .
٥)سورة البروج آية ١٢ .
٦)سورة آل عمران آية ٢٨ .
٧)سورة يونس آية ١٥ .

والحميم والسلاسل والأغلال إلى غير ذلك مما فيها من العظائم والأهوال ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه وجد من ذلك العجب العجاب وكذلك السنة الصحيحة التي هي مفسرة ومبينة لمعاني الكتاب))(١) ، قال تعالى: ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾(٣) .

كما أخبر تعالى على لسان رسله نوح ، وشعيب ، وإبراهيم ، وهود إنذارهم لأقوامهم خوف الله تعالى(٤) ، كما حكى تعالى عن الشيطان قوله : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾(٥) ، ومن الأحاديث قوله ﷺ " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر" (٦) ، وقوله ﷺ (... فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتلهيكم كما ألهتهم) (٧) .

إن أخوف الناس من كان أعرفهم بربه قال تعالى : ﴿ إنّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾(٨) وجاء في وصف الملائكة أنهم : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾(٩) ، وقال ﷺ : ﴿ ... فو الله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية ﴾(١٠) فكانت الملائكة والأنبياء والأولياء أشد خوفا لله من غيرهم .

إن الخوف من الله تعالى وعقابه يدفع الإنسان إلى البحث عن الحق واتباعه وبذلك يصبح من أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

---

١) ابن رجب ، التخويف من النار ص ٦، ٧ .
٢)سورة الأنعام آية ٥١ .
٣)سورة الأنعام آية ١٥ والزمر آية ١٣ .
٤)انظر الآيات هود ٢٦ ، ٨٤ ، مريم ٤٥ ، الأحقاف : ٢١ .
٥) سورة الحشر آية : ١٦ .
٦) أخرجه الإمام أحمد ، في المسند مسند الأنصار رقم ٢٣١١٩ والبغوي في شرح السنة ٣٢٤/١٤ .
٧)ـ أخرجه البخاري في الجزية والموادعة باب الجزية والموادعة ، فتح ٢٥٧/٦-٢٥٨ (٣١٥٨) وأخرجه مسلم في الزهد والرقائق ٢٢٧٣/٤ـ٢٢٧٤ (٢٩٦١) .
٨) سورة فاطر آية ٢٨ .
٩) سورة النحل آية ٥٠ .
١٠) أخرجه البخاري باب ٧٢ رقم ٦١٠١ ، ومسلم في الفضائل باب علمه ﷺ بالله ١٨٢٩/٤ رقم ٢٣٥٦ .

المطلب الثاني

الطمع في ثواب الله تعالى

الطمع في اللغة مأخوذ من مادة (ط م ع) التي تدل على رجاء الشيئ في القلب تقول طمعت أطمع طمعا وطماعية فهو طمع وطامع [١] ،

وفي الاصطلاح : الطمع : (نزوع النفس إلى الشيء شهوة له) [٢] .

إن الطمع يكون محمودا ومذموما ، فالمذموم ما كان منه في حطام الدنيا وزخرفها وسيأتي في الاتباع للباطل ، أما هنا فهو المحمود لأنه بمعنى الرجاء في ثواب الله ومغفرته قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم ﷺ : ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾[٣] ولهذا كان من المحركات والغايات التي تدفع المكلف نحو الحق واتباعه الطمع والرجاء فيما عند الله من الثواب والمغفرة والرضوان والله تعالى أعد لأوليائه الجنة وهيأ لهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، قال تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ٠ أدخلوها بسلام آمنين ﴾[٤] .

وقد أخبر الله عن المؤمنين قيامهم الليل خائفين من عقابه وطامعين في جزيل ثواب ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾[٥]

وعن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) قال أبو هريرة (اقرأوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[٦][٧] .

---

١) أنظر ابن منظور لسان العرب مادة طبع ، وابن فارس مقاييس اللغة مادة طمع ٣/٢٥ ٠

٢) الراغب ، مفردات ألفاظ القرآن مادة طمع ٥٢٤ ٠

٣) سورة الشعراء آية ٨٢ ٠

٤) سورة الحجر آيتى ٤٥ ، ٤٦ ٠

٥) سورة السجدة آية ١٦ ٠

٦) سورة السجدة آية ١٧ ٠

٧) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لها ٦/٢١ ٠

إن متبع الحق يريد الحصول على ثواب الله والسلامة من عقابه قال تعالى : ﴿ ومن أراد الآخـــرة وســـعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾[١] ، وقد حكى تعـــالى على لسان متبعي الحق من النصارى قولهم ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾[٢] .

فهـــؤلاء النصارى لما رأو المسلمين وسمعوا القرآن أسلموا ولم يتلعثموا[٣] بل اتبعوا الحـــق وانقـــادوا له طمعـــاً لمـــا عند الله ، فكافأهم الله على إيمانهم وتصديقهم كما قال : ﴿ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾[٤] ، وإذا كان نبي الله إبراهيم أبو الأنبياء طمع في سعة فضل الله ورجاء رحمته ومغفرته وعفوه فإن غيره من المسلمين أولى وأحرى أن يطمعوا بذلك .

---

١) سورة الإسراء آية ٩ .
٢) سورة المائدة آية ٨٤ .
٣) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١١٧/٢ .
٤) سورة المائدة آية ٨٥ .

المطلب الثالث

محبة الله تعالى وإجلاله

المحبة مأخوذه من مادة (ح ب ب) التي تدل على اللزوم والثبات قال ابن فارس : (واشتقاق الحب والمحبة من أحبه إذا لزمه)[١] ، تقول : (حببت فلانا في الأصل بمعنى أحببت حبّة قلبه) [٢] .

والمحـــبة في الاصطلاح : (ميل النفس إلى ما تراه وتظنّه خيراً)[٣] فالمحبة الميل إلى ما يوافق المحبّ لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر .

إن محبة الله قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون ونعيم النفوس وسرورها فهي حيـــاة ونـــور وشفاء ولذة للقلوب والأرواح[٤] بل هي الغاية المقصودة والمحرك الأساس لقـــلوب المكـــلفين فـــي اتباع الحق (فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة والعقول الزاكية أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من محبته تعالى والأنس به والشوق إلى لقائه) [٥]

إنّ العبد قد فطر على محبة الله تعالى وجعلت طمأنينة قلبه عند حصولها ، يقول ابن تيمية (إنّ الله سبحانه فطر القلوب على أنه ليس في محبوباتها ما تطمئن إليه وتنتهي إليه إلا الله وحـــده وأن كل ما أحبه المحبّ من مطعوم أو ملبوس ومنظور ومسموع وملموس يجد من نفسه أن قلبه يطلب شيئاً سواه ويحب أمراً غيره يتألهه ويصمد إليه ويطمئن إليه)[٦] قال تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾[٧] .

ومحبة الله تتمثل في أن تهب كلك لمن أحببت بمعنى (تهب إرادتك وعزمك وأفعالك ونفســـك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبا في مرضاته ومحابه . فلا تأخذ لنفسك منها إلاّ مـــا أعطاك فتأخذه منه له)[٨] ، قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾[٩]

١) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة حبب ٢٦/٢ .
٢) الراغب مفرادات الفاظ القرآن مادة حب ص ٢١٤ .
٣) الراغب ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٣٦٣ .
٤) انظر ابن القيم مدارج السالكين ٥/٣ .
٥) ابن قيم إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١٩٧/٢ دار المعرفة بيروت .
٦) ابن تيمية مجموع الفتاوى ٧٢/١٠ .
٧) سورة الرعد آية ٢٨ .
٨) ابن القيم تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٢ .
٩) سورة آل عمران آية ٣١ .

وقـــال تعالى : ﴿ ... والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة عـــلى الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾[٢] .

فالآيـــة الأولى تســـمى آية المحبة لمّا ادّعت القلوب محبة الله أنزل الله تلك الآية[٣] ، وتعرف بآية المحنة لامتحان القلوب بها[٤] ، أما الآية الثانية ففيها بيان أن الذين آمنوا أشد حـــباً لله من أصحاب الأنداد لأنداءهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله [٥] ، وفي الآية الثالثة ذكر الله أربع علامات :

١-الرحمة والشفقة على المؤمنين .

٢-والغلظة على الكافرين كما قال تعالى : ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾[٦]

٣-الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد واللسان والمال .

٤-الاجـــتهاد في مراضي الله وعدم المبالاة في لومة اللائمين في ذلك ، وهذا علامة صحة المحبة [٧] .

إن الله تعالى استحق المحبة وحده دون سواه لأنه خلق الخلق في أحسن تقويم وأوجد لهم النعم الكثيرة وكرمهم على كثير ممن خلق ، وأنواع نعمه وإحسانه لا يحيط بها حصر ولا عد كما قال تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾[٨] .

والإنســـان مجـــبول على حب نفسه وبقائه وكماله ويكره ضد ذلك من النقصان كما يحـــب بطبعه من أحسن إليه وواساه ونصره وقمع أعداءه وأعانه على جميع أغراضه ولا شك أن المحسن إليه بكل ذلك وغيره هو الله تعالى ، ومن هذا كان الحب باعثاً إلى السعي نحو المحبوب واتباع منهاجه والاجتهاد في إرضائه مهما كان حجم التكاليف ومشقات

---

١) سورة البقرة آية ١٦٥ .
٢)سورة المائدة آية ٥٤
٣)انظر على بن أحمد النيسابورى أسباب النزول ص ٧٣ ، مكتبة المنتبئ القاهرة .
٤) انظر ابن القيم تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٥ .
٥) المرجع السابق ص ٥١٤ .
٦) سورة الفتح آية ٢٩ .
٧) انظر ابن القيم تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٦ .
٨) سورة إبراهيم آية ٣٤ .

الطريق ، فمن عمر قلبه بحب ربه وابتغاء مرضاته هان عنده ما يحب من الشهوات واسترخص في سبيل الله ما يستغلي من نفس وأهل ومال ووطن ، إن المحبة هي إيثار المحبوب على جميع المصحوب ، وموافقة الحبيب في المشهد والمغيب [١] .

يقول ﷺ " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " [٢] ، وبذلك يعلم أن حب الله تعالى كان من الغايات التي تحرك المكلف نحو اتباع الحق والاستمساك به محبة لله تعالى وإجلالا له ، اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يبلغنا حبك .

---

١) انظر ابن القيم ، تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٢ .
٢) أخرجه البخاري في الإيمان باب حلاوة الايمان فتح ١/٦٠ رقم ١٦ . ومسلم في الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١/٦٦ رقم ٤٣ .

المطلب الرابع
قوة الحق وتأثيره على النفوس

من العوامل التي تحرك القلوب نحو اتباع الحق قوة الحق وتأثير سلطانه على النفوس ذلك التأثير الفوري التلقائي عند سماع آيات القرآن تقرع الأسماع فينطبع على قلب السامعين فيتفاعلون مع الحق ويستجيبون له ويهتدون به إن كان هناك خلو وبعد عن الاستكبار والعناد .

إن قوة خطاب القرآن للناس كان صداها قويا ، فقد كانت محركا قويا نحو اتباع الحق ، ولذلك كلف الرسول ﷺ أن يسمع الناس كلام الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾[1] ، فقد أدرك سر تأثير القرآن كل من تأمل آياته وما فعله في نفوس من نزل عليهم ، وكذا كل من استمع لآياته خاليا من المؤثرات الخارجية يقول سيد قطب (إن في هذا القرآن سرا خاصا يشعر به كل من يواجه نصوصه إبتداء قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيه ، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن ، يشعر أن هنالك شيئا ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير وأن هنالك عنصرا ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن يدركه بعض الناس واضحا ويدركه بعض الناس غامضا ولكنه على كل حال موجود ، هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التي تشعها ؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة ؟ أهي هذه العناصر كلها مجتمعة ؟ أم أنها هي وشئ آخر وراءها غير محدود !

ذلك سر مودع في كل نص قرآني يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن إبتداء ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله)[2] ، ثم يضرب مثالا بما حصل له من ذلك التأثر هو ورفاقه وهم في جلسة سمر عندما سمعوا قارئا يقرأ سورة النجم بصوت جميل فأنصتوا خاشعين وعاشوا معه متأثرين به بكل

---

١) سورة التوبة آية ٦ .

٢) سيد قطب في ظلال القرآن ٦/٣٣٩٩ .

مشـــاعرهم وأحاسيســـهم إلى آخـــر آية من السورة وهي قوله تعالى ﴿ فاسجدو لله واعبدوا﴾(١) ، عندها انفجر سيد قطب بالبكاء ولم يتمالك نفسه كما لم يستطع إيقاف دموعه ولا احتباسها رغم ما بذل من جهد (٢) .

إن القرآن الكريم قد أثر في الأعداء كما أثر في الأتباع والذي يهم هنا هو تأثيره في الأعداء لأنه كان الدافع والمحرك لهم إلى اتباع الحق ، ففي حادثة إسلام عمر بن الخطاب مـــا يـــدل عـــلى هـــذا التأثير ، فقد كان معروفاً بحدة الطبع وشدة الشكيمة ولقد لقي منه المسلمـــــون ألوان الأذى وخرج يوماً متوشحاً سيفه يريد القضاء على الرسول ﷺ فلقيه نعيم بن عبدالله (٣)، فقال أين تعمد ياعمر ؟ فقال أريد أن أقتل محمداً ، قال كيف تأمن من بـــني هاشـــم وبني زهرة ، فدخلا في حوار زاد من غضب عمر ثم وجهه إلى بيت أخته فاطمـــة(٤) الـــتي أسلمت هي وزوجها ، فزاد غضبه ورجع عن وجهته واقتحم بيت أخته فـــبطش بهـــا حتى أدمى أخته بلطمة في وجهها ويمكن أن يتأمل هذا الغضب المتتابع من عمر عند خروجه وعند حواره مع نعيم وعند سماعه إسلام أخته ثم نجده بعد هذا الثوران يخـــور فيطـــلب مـــن أخته نسخة القرآن ، والشاهد أنه أخذها بعد أن تطهر فقرأ فيها من سورة طه ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ﴾(٥) ، فيتأثر بما يقرأ وينطفيء غضبه الشديد ويثني على القرآن ويطلب الذهاب به إلى الرسول ﷺ (٦) .

فانظر كيف كانت قوة الحق أكبر من قوته وجبروته وغضبه وكيف كان تأثير الحق فـــي نفسه مما كان له السبب في هدايته واتباعه له ، كما تأثر ممثل قريش عتبة بن ربيعة عندما ذهب إلى الرسول ﷺ وعرض عليه مطالبه فسمعه حتى أنهى كلامه، ثم طلب منه أن يسمعه كلام الله ، فقرأ عليه من أول سورة فصلت ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم.. ﴾إلى أن بلغ قوله تعالى ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾(٧) قال حسبك حسبك، و وضع يده على فم الرسول ﷺ وناشده بالرحم أن يكف

١) سورة النجم آية ٦٢

٢) انظر المرجع السابق ٦/٣٤٢٠/٣٤٢١) .

٣) نعيـــم بن عبدالله النّحّام العدوي من السابقين إلى الاسلام حتى كان عاشر عشرة استشهد في معركة أجنادين في عهد عمر رضي الله عنهم (انظر الإصابة ٢/٥٦٧ ــ ٥٦٨) .

٤) فاطمـــة بنت الخطاب بن نفيل القرشية العدوية أخت عمر أسلمت قديماً مع زوجها سعيد بن زيد (انظر الإصابة ٤ ٤/٣٨١) .

٥) سورة طه الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

٦) أنظر جمال الدين ابن الجوزي صفة الصفوة ١/١٤٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٩هـ.

٧) سورة فصلت آية ١ ، ١٣ .

وذلك مخافة أن يقع النذير[١] ثم ذهب إلى قومه وطلب منهم أن يكفوا عن ما هم فيه وقد تأثر بما سمع ولولا العناد والاستكبار لكان أحد المتبعين للحق .

إن النماذج الذين تأثروا بسلطان القرآن وقالوا كلاما وهم لا يملكون من أنفسهم شيئاً كثير من أمثال الوليد بن المغيرة الذي قال في القرآن (والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلى)[٢] ، وعندما أجبره قومه أن يتراجع عن ذلك قال فيه : إنه سحر يؤثر عن غيره فنزلت الآيات من سورة المدثر : ذرني ومن خلقت وحيدا ... ﴾[٣] .

وأمثال جبير بن مطعم الذي قال بأن قلبه كاد يطير عند سماعه لآيات تلاها الرسول ﷺ من سورة الطور في صلاة المغرب[٤] وهي قوله تعالى: ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ إلى قوله: ﴿المسيطرون﴾[٥].

إن قوة هذه الآيات أثرت على نفسه فانزعج لها لفهمه معناها ومعرفة ما تضمنته [٦] ولما كان بعيداً عن رفقاء السوء من قومه وكان قلبه خالياً من العناد كان سببا لهدايته واتباعه الحق .

إن هذا التأثر بقوة الحق واتباعه لم يتوقف على الأفراد فحسب بل على الجماعات كذلك ويمكن أن يضرب المثال بالمجتمع المكي والمجتمع المدني وطائفة من مجتمع النصارى ، ففي المجتمع المكي كان زعماء المشركين من قريش يسارق بعضهم بعضاً فيخرج من جنح الليل المظلم فيبحث عمن يتلوا القرآن فيستمعون له لاستيلائه على مشاعرهم ، وذات ليلة خرج بعض زعمائهم[٧] ليستمعوا القرآن من الرسول ﷺ وهو يصلي في بيته فاستمعوا له إلى الفجر ثم جمعهم الطريق وكان كل واحد منهم لا يدري بالآخر ثم تلاوموا على ذلك فأعادوها ثانية ثم تعاهدوا على أن لا يعودوا مرة أخرى[٨] ولولا الحسد وعزة النفس التي كانت عندهم لكانوا أول المتبعين للحق ، فكان المانع

---

١) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١١٦/٤ .
٢) المرجع السابق ٥٧٠/٤ .
٣) سورة المدثر الآيات ١١ــ٣٠ ، وانظر ابن كثير تفسير القرآن ٥٧٠/٤ .
٤)انظر صحيح البخاري كتاب التفسير ، تفسير سورة الطور ٤٩/٦ــ ٥٠ .
٥)سورة الطور الآيات ٣٥ – ٣٧
٦)انظر ابن حجر فتح الباري ٦٠٣/٨ .
٧) وهم أبو سفيان بن حرب ، وأبو جهل بن هشام والأخنس بن قيس .
٨) انظر ابن هشام السيرة النبوية ٣٣٧/١ .

من اتباعهم القرآن هو العناد والمكابرة ، وإلا أدركوا تأثيره في نفوسهم ونفوس كل من يستمع له فمنعوا الناس الوافدين إلى مكة من ذلك ونهوهم عن ذلك[١] ، أما المجتمع المدني لما زال عنهم الحسد والعناد كانوا أول المتأثرين به والمتبعين له كما حدث ذلك عندما أسمعهم إياه سفير الإسلام الأول[٢] إلى المدينة حيث أرسله الرسول ﷺ يعلمهم القرآن فنزل هو وابن أم مكتوم[٣] عند أسعد بن زرارة[٤] فأغضب هذا سعد بن معاذ[٥] ـ سيد الأوس رضي الله عنه قبل إسلامه حتى قال لابن أخيه أسيد بن حضير[٦] ألا تذهب إلى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا فتزجرهما ٠

والشاهد عندما سمع القرآن أثر في نفسه فكان سببا لاتباع الحق ، وكذلك صاحبه وكانا سيدين مطاعين في قومهما ، وما أمسى الليل إلا دخل الحي كله رجالا ونساء في الإسلام[٧] كل ذلك من تأثير القرآن في نفوسهم ٠

أما طائفة النصارى فيكفي ما أخبر الله عنهم ﴿ ٠٠٠ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾[٨] ، هذا بعض تأثير القرآن في نفوس الأفراد والجماعات مما كان له الأثر والمحرك القوي في اتباعهم الحق إلا من منعه العناد والاستكبار منهم ، أو منعه رفقة السوء ، جعلنا الله هداة مهتدين ٠

---

١) كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ آية ٤٦ فصلت ٠

٢) هو مصعب بن عمير بن هاشم العبدري أحد السباقين إلى الاسلام هاجر الهجرتين وشهد بدرا واستشهد في أحد كان أول داعية إلى الاسلام (انظر الإصابة ٤٢١/٢) ٠

٣) هو عبدالله بن عمرو بن شريح ابن ام مكتوم مؤذن الرسول ﷺ وكان رجلا أعمى (انظر الإصابة ٣٥١/٢) ٠

٤) هو أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة الأنصاري شهد العقبتين وكان نقيبا على قبيلتة وهو أول من بايع ليلة العقبة توفي قبل معركة بدر (انظر ابن حجر الإصابة ٣٤/١) ٠

٥) ابن النعمان بن عبد الأشهل سيد الأوس ، شهد بدرا ورمي بسهم يوم الخندق ، وحكم بين بنى قريظة وأجيبت دعوته ، مات سنة خمس (انظر الإصابة ٣٧/٢) ٠

٦) ابن سماك بن عتيك أبو يحى من السباقين إلى الاسلام أسلم على يد مصعب وكان أحد النقباء جرح في معركة أحد ومات سنة ٢٠ وقيل ٢١هـ (انظر الإصابة ٤٩/١) ٠

٧)انظر ابن هشام السيرة النبوية ٧٧/٢ـ٧٩ ٠

٨) سورة المائدة آية ٨٣ ٠

المطلب الخامس

مصاحبة الصالحين والاقتداء بهم

القدوة الحسنة في الإسلام لها مكانتها الرفيعة ولذلك أمر الله تعالى بمصاحبة الجليس الصالح وتصبير النفس معه على ذكر الله ، قال تعالى لرسوله ﷺ – وأمته تبع له في ذلك ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾[١] .

كما حذر الرسول ﷺ من مصاحبة جليس السوء لئلا تجنح النفس بطبعها إلى شيء من أخلاقه ، قال ﷺ " مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير : إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة [٢] .

وقال ﷺ " الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل[٣] .

إن في مصاحبة الصالحين ومجانبة الفاسقين دافع قوي يدفع المكلف نحو الاتباع الحق حيث يقتدي بهم وبفعالهم الحسنة لأن القدوة : هي الدعوة الصامتة ، وما انتشر الإسلام في بقاع العالم إلا عن طريق القدوة الحسنة حيث كان أهل الصلاح ينزلون في البلاد النائية ويتخلقون بأخلاق الإسلام الفاضلة ويعملون بأحكامه وآدابه مما دفع كل من رآهم وتعامل معهم وصاحبهم إلى اتباع ما هم فيه من الحق وترك ما كان عليه هذا المتبع من الضلال والشرك ، فاسلم عن طريق القدوة عدد لا يحصى كثرة من الناس ، خاصة فى الديار التي لم تصل إليها جيوش الإسلام ولا دعاته ، مما وصلها التجار المسلمون فاقتدى بهم الناس مما يدل على أن مصاحبة الصالحين محرك قوي للنفوس على اتباع الحق ولزومه .

---

١) سورة الكهف آية ٢٨ .

٢) أخرجه البخاري الذبائح باب المسك ، فتح ٦٦٠/٩ رقم ٥٥٣٤ ومسلم في البر والصلة ، باب استحباب مجالسة الصالحين ٢٠٢٦/٤ رقم ٢٦٢٨ .

٣) أخرجه أبو داود في الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس ٢٥٩/٤ (٤٨٣٣) والترمذي في الزهد رقم ٢٣٧٨) .

وهناك أيضا محركات أخرى يمكن أن تكون سببا لدفع المكلف إلـــى اتبـــاع الحـــق والاستمساك به يمكن الإشارة إليها دون الحديث عنها خوف الإطالة ومنها: ــ

١-الانسجام بين فطرة الإنسان والحق الذي أمر باتباعه ٠

٢-تحصيل الثمرات الدنيوية والأخروية الموعود بها لمن اتبع الحق ٠

المبحث الثاني

أركان الاتباع للحق

المقصود بالأركان الركائز الأساسية التي يقوم عليها الاتباع والتي تتمثل في الآمـــر والمأمور والأمر المتبع فالآمر بالاتباع هو الله تعالى، والمتبع وخصائصه وهو الرســـول ﷺ، والمتبع وصفاته وهو المكلف، والأمر المتبع وهو المنهاج

ويمكن تقسيم هذه الأركان إلى أربعة أقسام على النحو الآتي :

المطلب الأول : الآمر بالاتباع .

المطلب الثاني : المتبع وخصائصه .

المطلب الثالث : المتبع وصفاته .

المطلب الرابع : أصول الأمر المتبع .

المطلب الأول

الآمر بالاتبـــــاع

الحاكم هو الآمر بالاتباع وهو الله جلت قدرته قال تعالى : ﴿ ... ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾[١] ، فالله تعالى يأمر رسوله باتباع منهاجه ووحيه وكتابه كمـــا يـــأمر المكلفين باتباع ذلك المنهاج من جاءهم به قال تعالى : ﴿ اتبع ما أوحي إليك من ربـــك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ وأن هـــذا صراطـــي مســـتقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .. ﴾[٣] ، فالله تعالى لـــه كمـــال الخلـــق والرزق ، وله كمال الحكم والأمر ، وله كمال الإنعام والإفضال ، فهو المالك الحي القيـوم الرب المعبود الرحمن الرحيم ، الآمر الناهي الذي يجب طاعته واتباع أمره له الأســـماء الحسنى والصفات العليا الكاملة والمنزهة عن التشبيه والمثال ، ترجـــع أصـــول صفاتـــه وأسمائه إلى اسم الله ، الرب ، الرحمن ، الملك ، فعلـــى هـــذه الأربـــع مـــدار الأســـماء والصفات [٤].

إن الرب تبارك وتعالى دعا عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين :

١-طريق النظر في مفعولاته .

٢-طريق التفكر في آياته .

فالأولى هي آياته المشهودة ، قال تعـــالى : ﴿ إن فـــي خلـــق الســـموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ... ﴾[٥] ، وقولـــه تعالى:﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألبـــاب﴾[٦] أما الثانية فهي آياته المسموعة المعقولة ، قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن..﴾[٧] .

١ــ سورة الأنعام آية ٦٢ .

٢ــ سورة الأنعام آية ١٠٦ .

٣ــ سورة الأنعام آية ١٥٣ .

٤ــ ابن القيم تهذيب مدارج السالكين ص ٣٥ .

٥) سورة البقرة آية ١٦٤ .

٦)سورة آل عمران آية ١٩٠ .

٧) سورة النساء آية ٨٢ .

وقال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ﴾[١] .

إن مفعولات الله دالة على أفعاله التي تدل على الصفات وفيها مصالح وغايات تدل على حكمته ، كما أن فيها منافع وإحسان تدل على رحمته ، كما أن فيها منافع أخرى ومنها الإكرام والعناية التي تدل على محبة الله تعالى لخلقه [٢] وغير ذلك من المنافع وأما آياته المسموعة فشاهدة بصدقه ، فهو الشاهد والمشهود له ، وهو الدليل والمدلول عليه ، دليل بنفسه على نفسه ، فهو أعرف من كل معروف وأبين من كل دليل[٣] ولهذا قالت الرسل لأقوامها ﴿ أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾[٤]

المقصود أن الله تعالى يتصف بخصائص الكمال والجلال والجمال المتمثل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، (فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شئ وخالقه والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته ، وتحت قهره فاجتمعوا بصفة الربوبية ، وافترقوا بصفة الإلهية فألهه وحده السعداء وأقروا له طوعا بأنه الله الذي لاإله إلا هو) [٥] .

إن الله سبحانه هو الحاكم ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾ [٦]، وهو تعالى الآمر باتباع شرعه ودينه المتمثل في كتابه وسنة نبيه ﷺ (فالدين والشرع والأمر والنهي مظهره وقيامه من صفة الإلهية ، والخلق والإيجاد والتدبير والفعل من صفة الربوبية ، والجزاء بالثواب والعقاب والجنة والنار من صفة الملك ، وهو ملك يوم الدين فأمرهم بإلهيته وأعانهم ووفقهم وهداهم وأضلهم بربوبيته ، وأثابهم وعاقبهم بملكه وعدله ...)[٧] .

وأما الرحمة فهي التعلق والسبب الذي بين الله وبين عباده فالتأليه منهم له ، والربوبية منه لهم ، والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده ، بها أرسل إليهم رسله وأنزل

---

١) سورة ص آية ٢٩ .

٢) انظر ابن القيم الفوائد ص ٣١ــ٣٢ .

٣) انظر ابن القيم ، الفوائد ، ٣٣ .

٤) سورة إبراهيم آية ١٠ .

٥)ابن القيم ، تهذيب مدارج السلكين ص ٤١.

٦)سورة الرعد آية ٤١

٧)ابن القيم ، تهذيب مدارج السلكين ص ٤١.

عـــليهم كتـــبه وبها هداهم وبها أسكنهم دار ثوابه ، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم فبينهم وبينه سبب العبودية ، وبينه وبينهم سبب الرحمة) [١] .

فالخلق خلق الله تعالى والأمر أمره ، قال تعالى : ﴿ .. ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾[٣] ، وقال تعـــالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾[٤] .

وورد في الدعاء المأثور " اللهم لك الملك كله ولك الحمد كله وإليك يرجع الأمر كله ، أســـألك من الخير كله وأعوذ بك من الشر كله " [٥] ، كما أن الرسول ﷺ أمر بالاتباع قـــال تعـــالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾[٦] وأنّ أمره تبيين وتفسير للأوامر الربانية وتأكيد لها كما قال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[٧] .

---

١) ابن القيم تهذيب مدارج السالكين ص ٤١-٤٢

٢) سورة الأعراف آية ٥٤ .

٣) سورة الملك آية ١٤ .

٤)سورة المؤمنون آية ١١٥ــ ١١٦ .

٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٩٦/٢ وصححه محمد الرفاعي في مختصر تفسير ابن كثير ٢٠٩/٢) .

٦) سورة آل عمران آية ٣١ .

٧)سورة النساء آية ٨٠

المطلب الثاني

المتبع وخصائصه

لما كان الآمر باتباع الحق على الإطلاق هو الله تعالى فإذا وجه الأمر بالاتباع إلى الرسول فالمقصود أن يتبع المنهاج الذي أنزله الله إليه وإذا وجه الأمر بالاتباع إلى المكلف كان المقصود أن يتبع المنهاج ويتبع الرسول الذي جاء به لأن الله كلفه بحمل رسالته إلى الناس كافة كما كلفه بترجمة منهاجه فى واقع الحياة فصار قدوة كاملة للمكلفين فلزم اتباعه بل لا يتصور ولا يتضح الطريق إلا باتباعه ، فكان اتباعه وطاعته هي عين طاعة الله واتباعه ، كما قال تعالى : ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾[١] وقوله ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾[٢] وقوله ﴿ قل أطيعوا الله واطيعوا الرسول ﴾[٣] ولما كان الاتباع يعني الإلتزام بالمنهج الصحيح ، والسير على الصراط المستقيم المؤدي إلى الحق ، المطلوب الذي يبتغيه كل أحد ، وأن هذا المنهج لم يطبقه في الواقع العملي السلوكي إلا رسول الله ﷺ جاءت النصوص كلها كتابا وسنة تأمر باتباعه بل لم أجد آية في كتاب الله تأمر باتباع الله تعالى وإن كانت هناك آيات كثيرة تأمر بطاعة الله تعالى ، وإنما آيات الاتباع جاءت تأمر باتباع الوحي(٤) أو اتباع أمر الله أو اتباع رسوله ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾[٥] ﴿ اتبع ما أوحي إليك من ربك ﴾[٦] ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه ﴾[٧] .

وفي هذا دلالة واضحة على أن الاتباع أوسع من الطاعة وأعلى درجة منها ويكاد يكون أن كل آية جاء فيها اتباع تضمنت الطاعة لأن كثيرا من الآيات جاء فيها ذكر العصيان مقابل الاتباع ، ولا شك أن العصيان هو ضد الطاعة ، قال تعالى : ﴿إن أتبع إلا ما يوحي إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾[٨] .

١ــ سورة النور آية ٥٤ .
٢ــ سورة آل عمران آية ٣١ .
٣ــ سورة النور آية ٥٤
٤-حتى الملائكة لما سألوا الله المغفرة للمؤمنين قالوا ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ﴾ غافر : ٧ .
٥ــ سورة الأعراف آية ٣ .
٦ــ سورة الأنعام آية ١٠٦ .
٧ــ سورة الأنعام آية ١٥٥ .
٨ــ سورة يونس آية ١٥ .

وقال تعالى : ﴿ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ قال ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري ﴾[٢] وغيرها من الآيات [٣] .

فتدل الآيات على أن الاتباع أوسع وأشمل وأعلى من الطاعة ويظهر في الاتباع وجود التلازم بين التابع والمتبوع برغبة من التابع وإرادة منه ، فلم يقتصر على امتثال الأمر فقط كما هو عند الطاعة لأنها تكون برغبة وبغير رغبة من الطائع .

وبتتبع آيات الاتباع في القرآن لم يرد فيها أمر أو دعوة لاتباع شخص سوى الرسول ﷺ [٤] ، فالمقصود إذا من هذا الركن وهو ((المتّبع)) فهو رسول الله ﷺ الذي يجب اتباعه وطاعته واقتفاء آثاره والتأسي به فى كل أقواله وأفعاله ، ويحرم على كل مكلف مخالفته (ويجب عليهم ترك كل قول لقوله فلا حكم لأحد معه ولا قول لأحد معه ، كما لا تشريع لأحد معه) [٥] فكل ما أمر به الرسول ﷺ أو نهى عنه يجب اتباعه فيه ، دون تردد لأن طاعته واتباعه عليهم واجبة بإطلاق وهو معصوم لا ينطق عن الهوى بل كل ما أمر به أو نهى عنه فهو من الوحي الذي جاء به ﴿ إن هو إلا وحي يوحى .. ﴾[٦] .

فيكون الاتباع لأمر الله ووحيه وكتابه المنزل المشتمل على الهدى والرضوان باتباع من جاء به ومثله بأن طبقه في نفسه في واقع الحياة بسلوكه العملي أتم تطبيق وهو رسول الله ﷺ وهنا يمكن أن يَرِدَ سؤال وهو : لماذا كان المتبع هو الرسول ﷺ دون سواه ؟

هذا ما جاء مؤكدا في آية من كتاب الله تعالى وهي قوله : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ... ﴾[٧] ، فهذه الآية يمكن أن نعتبرها الباب الذي نلج منه للوقوف إلى شخص الرسول ﷺ ، ومعرفة بعض خصائصه التي وصل بها هذه الدرجة العظيمة .

---

١) سورة هود آية ٥٩ .
٢) سورة طه آية ٩٢ــ٩٣ .
٣) انظر القصص ٥٠ ، لقمان ١٥ ، نوح ٢١ .
٤) جاء ذلك في عدة آيات بلغت تسع مواضع ، انظر البقرة ١٤٣ ، آل عمران : ٣١ ، ٥٣ ، الأعراف : ٥٧ ، الأنفال ٦٤ ، التوبة ١١٧ ، يوسف ١٠٨ .
٥) ابن قيم الجوزية زاد المعاد ٣٨/١ .
٦) سورة النجم آية ٤ .
٧) سورة الأحزاب آية ٢١ .

فنجد الآية الكريمة قصرت القدوة عليه دون سواه (لأنه مناط الرسالة وموضع الوحي والله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته ومن كان هذا حاله فلا بد أن يكون فى معدنه وجبلته الاستعداد الكامل لنقل ما يتلقى من ربه إلى الناس من غير نقص أو زيادة ، وهذا يقتضي أن يكون فيه من المواهب النفسية والعقلية ما لا يكون عند الآخرين ... فبهذه المواهب وبذلك الاستعداد استحق أن يكون للنبي العظيم ﷺ درجة لا يستحقها غيره فضلا عن أن يكون ممكنا أن ينالها ، تلكم هي العصمة)[١] .

فقد امتاز ﷺ بخصائص وكمالات أهلته أن يكون المقتدى به والمتبع دون سواه ، فمن هذه الكمالات التي امتاز بها ﷺ [٢] – والبشر يتفاوتون فيها :

١–كمال الخلق .

٢–كمال الخلق .

٣–فضائل الأقوال .

٤–فضائل الأعمال .

فكل واحدة تحتاج إلى تفصيل وبيان لكني أجملها فيما يلي :

إن كمال خلقه ﷺ بعد إعتدال صورته يكون بأربعة أوصاف .

١–السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم ، الداعية إلى التقديم والتسليم وكان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته حين أتوه مع اعتبارهم لصولة الأكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة .

٢–الطلاقة الموجبة للإخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة ، وقد كان محبوبا استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله[٣] مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد على الظمأ .

٣–حسن القبول الجالب لممايلة القلوب حتى تسرع إلى طاعته وتذعن بموافقته وقد كان قبول منظره ﷺ مستوليا على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا استوحش منه مباعد إلا من ساقه الحسد إلى شقوته وقاده الحرمان إلى مخالفته .

---

١) محمد إبراهيم شقرة ، السيرة النبوية العطرة ص ٢٩ــ ٣٠ .

٢) انظر موسوعة نضرة النعيم ٤٣٩/١ فما بعدها .

٣) أي لم يبغضه أو يجافه (انظر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٨٥٨)

٤-ميل النفوس إلى متابعته وانقيادها لموافقته وثباته على شدائده ومصابرتـــه ، فمـــا شذ عنه معها من أخلص ولا ند عنه فيها إلا من حرم الخير كله ٠

وهذه الأربعة من دواعي السعادة وقوانين الرسالة قد تكاملت فيه فكمل لما يوازيـــها واستحق ما يقتضيها ٠

الوجه الثاني من الكمالات كمال الخلق ، فقد تميز كماله الخلقي ﷺ بست خصال :

١-رجاحة عقله وصدق فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه ، صحة رأيه وصـــواب تدبيره وحسن تألفه الناس وأنه ما استغفل في مكيدة ، ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الإعجاز في المباديء فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم إلا بـــأصدق حـــدس وأوضح رؤية ٠

٢-ثباته في الشدائد وهو مطلوب وصبره على البأساء والضـــراء وهـــو مكـــروب ومحروب ، ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يخور في شديدة ولا يستكين لعظيمة وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صـــبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي ٠

٣-زهده في الدنيا وإعراضه عنها وقناعته منها فلم يمل إلى غضارتـــها ولـــم يلـــه لحلاوتها وقد ملك من أقصى الحجاز إلى عذار العراق ومن أقصى اليمن إلى شجر عمـــان وهو أزهد الناس فيما يقتنى ويدخر وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر لـــم يخلـــف عينـــا ولا دينارا ولا حفر نهرا ولا شيد قصرا ولم يورث ولده وأهله متاعا ولا مالا ليصرفهم عـــن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنه ٠

٤-تواضعه للناس وهم اتباع ، وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي فـــي الأســـواق ويجلس على التراب ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه وحيائه فصـــار بالتواضع متميزا وبالتذلل متعززا ٠

٥-حلمه ووقاره عن طيش يهزه أو خرق يستفزه فقد كان أحلم في النفار مـــن كـــل حليم وأسلم في الخصام من كل سليم ٠

٦-حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد فإنه ما نقض لمحافظ عهدا ولا أخلف لمراقب وعـــدا ، يرى الغدر من كبائر الذنوب والإخلاف من مساويء الشيم فيلتزم فيهما الأغلظ ويرتكـــب فيهما الأصعب حفظا لعهده ووفاء بوعده ٠

فهذه ست خصال تكاملت في خلقه ففضله الله على جميع خلقه وكفا له بذلك مدح القرآن ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[١] .

الوجه الثالث : فضائل الأقوال ، أما فضائل أقواله ﷺ فكثيرة نقف على أهمها :

١-ما أوتي من الحكمة البالغة وأعطي من العلوم الجمة الباهرة وهو أمي من أمة أمية لم يقرأ كتابا ولا درس علما ولا صحب عالما ولا معلما فأتى بما بهر العقول وأذهل الفطن من إتقان ما أبان وإحكام ما أظهر ولم يتعثر فيه بزلل في قول أو عمل .

٢-حفظه لما أطلعه الله تعالى عليه من قصص الأنبياء مع الأمم وأخبار العالم في الزمن الأقدم حتى لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير .

٣-إحكامه لما شرع بأظهر دليل ، وبيانه بأوضح تعليل ، حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول ولذلك قال ﷺ (أوتيت جوامع الكلم)[٢]

٤-ما أمر به من محاسن الأخلاق ودعا إليه من مستحسن الآداب وحث عليه من صلة الأرحام وندب إليه من التعطف على الضعفاء والأيتام ، ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد وكف عنه من التقاطع والتباعد لتكون الفضائل فيهم أكثر .

٥-وضوح جوابه إذا سئل وظهور حجاجه إذا جادل لا يحصره عي ولا يقطعه عجز ولا يعارضه خصم في جدال ، إلا كان جوابه أوضح وحجاجه أرجح .

٦-أنه محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خبر يكون إلى الكذب منسوبا وللصدق مجانبا فإنه لم يزل مشهورا بالصدق في خبره كان فاشيا وكثيرا حتى صار بالصدق مرموقا وبالأمانة موسوما .

٧-تحرير كلامه في التوخي به إبان حاجته والاقتصار منه على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هذرا ولا يحجم عنه حصرا وهو فيما عدا حالتي الحاجة والكفاية أجمل الناس صمتا وأحسنهم سمتا .

٨-أنه أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا وأوجزهم كلاما وأجزلهم ألفاظا وأصحهم معاني لا يظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخلله فيهقة التعسف .

---

١) سورة القلم آية ٤.

٢) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ١/٣٧٢ رقم(٥٢٣)

١-حسن سيرته وصحة سياسته في دين نقل به الأمة عن مألوف ، وصرفهم به عن معروف إلى غير معروف فأذعنت به النفوس طوعاً وانقادت خوفاً وطمعاً ٠

٢-أن جمع بين رغبة من استمال ورهبة من استطاع حتى اجتمع الفريقان على نصرته وقاموا بحقوق دعوته رغباً في عاجل وآجل ورهباً من زائل ونازل ٠

٣-أنه عدل فيما شرعه من الدين عن الغلو والتقصير إلى التوسط ٠

٤-أنه لم يمل بأصحابه إلى الدنيا ولا إلى رفضها وأمدهم فيها بالاعتدال ٠

٥-تصديه لمعالم الدين ونوازل الأحكام حتى أوضح للأمة ماكلفوه من العبادات وبين لهم ما يحل وما يحرم من مباحات ومحظورات ٠

٦-انتصابه لجهاد الأعداء وقد أحاطو بجهاته وأحدقوا بجنباته ٠

٧-ماخص به من الشجاعة في حروبه ٠

٨-ما منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب ٠

أما خصائصه التي اختص وفضل بها على سائر الأنبياء والبشر فهي كثيرة أجمل أهمها فيما يلي :ـ

ـ أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين إن بقوا أحياء في عهده ليؤمنن به، قال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنّه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلك إصري..﴾(١)

ـ وكانت رسالته عامة لكل البشر(٢) ٠

ـ وختمت به النبوة وأكمل به الدين الحنيف ٠

ـ جعله الله رحمة للعالمين ، وخصه بكتاب خالد ٠

ـ جعل وجوده بين أصحابه أمنة لهم من العذاب ٠

ـ والله أقسم بحياته ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾(٣)

ـ ناداه الله بوصف النبوة والرسالة ٠

ـ نهى الله الناس عن منادات نبيه باسمه ٠

---

١) سورة آل عمران آية ٨١

٢) انظر موسوعة نضرة النعيم ٤٤٩/١ فما بعدها ٠

٣) سورة الحجر آية ٧٢ ٠

ـــ فضله الله بإعطاء جوامع الكلم ٠

ـــ نصره الله بالرعب مسيرة شهر ٠

ـــ خصه الله بمغفرة ذنوبه في حياته ٠

ـــ خص بالوسيلة التي هي أعلى درجة في الجنة ٠

ـــ أعطاه الله المقام المحمود والشفاعة العظمى ٠

ـــ له دعوة مستجابة خبأها لأمته ، وغيرها من الخصائص ٠

ولا شك أن الذي يطاع ويكون إماما للناس هو (من امتلأ قلبه بمحبة الله وفاض ذلك على لسانه فلهج بذكر الله واتبع مراضي ربه فقدمها على هواه فحفظ بذلك ما حفظ من وقته وصلحت أحواله واستقامت أفعاله ودعا الناس إلى ما من الله به عليه ، فحقيق بذلك أن يتبع ويجعل إماما) [١] ٠

فحري بمن كانت هذه صفاته وخصائصه وكمالاته أن تحصر القدوة والتأسي والاتباع عليه دون سواه لأن من يتبعه يطمئن قلبه بأن هذا المتبع لا يحوم حوله الخطأ ولا يتطرق إليه الشك ، لكونه محل العصمة ٠

---

١) عبدالرحمن السعدى تيسير الكريم الرحمن ص ٤٢٥ ٠

المطلب الثالث
المتّبع وصفاته

المقصـــود بالمتـــبع هـــو العبد المكلف الذي خلقه الله تعالى من العدم وأمره بعبادته وطاعـــته واتـــباع شـــرعه ، فهـــو مخلوق من روح وجسد فيعلوا بروحه ويهبط بجسده فتتنازعه قوتان قوة الشهوة وقوة العقل فبالشهوة يحرص على تناول اللذات البدنية البهيمية كـــالغذاء وغيره من سائر اللذات العاجلة وبقوة العقل يحرص على تناول العلوم والأفعال الجميـــلة ذات العاقـــبة المحمـــودة [١]، وللمكلف صفات وخصائص تعود إلى أصل خلقته منها:ـــ

١-التطرف والخروج عن حد الاعتدال فهو شديد الانفعال متطرف العواطف .

٢-العجلة والتسرع دون تمحيص للأمور وتبصر في العواقب ﴿ خلق الإنسان من عجل﴾[٢]

٣-الضعف والعجز أمام خالقه ، وأمام القوي من البشر ، وأمام النوازع والشهوات وأمام المسؤليات الملقاة على كاهله ، تجاه خالقه من واجبات وحقوق قال تعالى ﴿ وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾[٣] .

٤-الظلم والجهل قوله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾[٤] فهو مفطور في أصل خلقته على أن يصلح أفعاله وأخلاقه أو أن يفسدها ، وميسر له سلوك أحد الطريقين : الخيـــر أو الشر قال تعالى:﴿ وهديناه النجدين ﴾[٥] أي عرّفناه الطريقين ، وقوله تعالى : ﴿ إنّا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾[٦] .

---

١)انظر الراغب الأصفهان تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ص ٨٠ دار الغرب الإسلامى بيروت ط١ سنة ١٤٠٨هـ

٢)سورة الأنبياء آية ٣٧ .

٣) سورة النساء آية ٢٨ .

٤) سورة الأحزاب آية ٧٢ .

٥) سورة البلد آية ١٠ .

٦) سورة الإنسان آية ٣ .

وإذا كـــان أكـــثر الناس يكره ما يأمر به العقل ويميل إلى ما يأمر به الهوى فيكون (العقـــل صـــديق مقطوع والهوى عدو متبوع) ﴾[١] ، لذا جاءت شريعة الله لتقود الناس بالسلاســـل إلى مصـــالحها في الدنيا والآخرة لحاجتهم في بدء أمرهم إلى من يقودهم إلى الحق بضرب من القهر بالزجر وأنواع العقوبات قال ﷺ (عجب الله من قوم يقادون إلى الجنّة بالسلاسل) [٢] .

إن تطـــبع المكـــلف بتـــلك الصفات السابقة تحتم عليه أن يكون بحاجة ماسة إلى من يتشبث به ليخرجه من حمأة تلك الظلمات إلى نور الهداية ولا يتحقق ذلك إلا في منهج من أوجـــده وأوجـــد فيه تلك الصفات ، ولكي يكون عبداً متبعاً لا بد من أن تتوفر فيه صفات العبد المطيع المتمثلة في الآتي :ـــ

١-الإيمان والاستقامة على الأمر المتبّع .

٢-محبة الله تعالى .

٣-العلم بالمنهج .

٤-التأسي بالمتبّع .

فمن صفات المتبع أن يكون مؤمناً بالله تعالى ، لأن هناك تلازم بين الإيمان والاتباع فلا إيمان إلا باتباع ولا اتباع إلا بإيمان قال تعالى : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبـــنا مـــع الشـــاهدين ﴾[٣] ، والإيمان أصل عظيم جامع دلت عليه نصوص كثيرة من الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾[٤] .

ففـــي الآية بيان أن الإيمان أصل في الاتباع وإنفاذ حكم الرسول ﷺ بالرضا وسعة الصدر خالياً من الحرج وهو التسليم ظاهراً وباطناً [٥] ، وعن سفيان بن عبد الله الثقفي[٦] رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله : قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك

---

١) انظر الراغب الأصفهان تفصيل النشأتين ص ٨١ .

٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٠٢/٢، والإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد

٣) سورة آل عمران آية ٥٣ .

٤) سورة النساء آية ٦٥ .

٥) انظر عبد العزيز السحيباني الطاعة وأنواعها ص ٨٣ .

٦) سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الثقفي الطلئفي أسلم مع الوفد وسأل الرسول عليه السلام عن أمر يعتصم به (انظر الإصابة ٥٤/٢-٥٥).

قال قل آمنت بالله فاستقم)[١] ، وهذا من جوامع كلمه ﷺ جمع فيه بين الإيمان بالله وتوحيـــده والاستقامة على ذلك إلى الوفاة كما قال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٢] .

٢-كمـــا أن من صفاة المتبع أن يكون محباً لله تعالى كما قال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ... ﴾[٣]

وقوله تعالى : ﴿ ... والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾[٤] ففي الآية الأولى دلالة على أن المحبة أصل مهم للاتباع ، وأن الاتباع دليل على محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ وفي الآيـــة الـــثانية بيان بأن المؤمنين كانوا أعظم محبة لله من المشركين لأندادهم ومتبوعيهم المطـــاعين فيهم ، وحيث كانوا أشد محبة له فهم أشد اتباعاً لمنهجه وتمسكاً بتوحيده يقول ابـــن تيميـــة (محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وآكد أصوله وأجل قواعده بل هـــي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين) ﴾[٥] فالمحبة تستلزم الاتباع كما جاء في الآية الآنفة الذكر.

٣-وعلى المتبع أن يكون عالماً بالمنهج حتى يكون اتباعه على نور وبرهان فأول ما يجـــب على المكلف معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام والله تعالى قدم في كتابه العلم على العمل قال تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾[٦] فلما كان العلم شـــرط لصـــحة القول والعمل قدمه الله تعالى فقال : ﴿ فأعلم ﴾ ثم ثنى بالعمل ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ فعلى العبد المتبع أن يراعي ذلك .

ومـــن صـــفات المتبع التأسي بالمتبّع وذلك أن الله أمر أن تمتثل أمره ونهيه في كل ماجـــاء بـــه وبهذا يتبين أن اتباعه أمر واجب بل فرض عين على الأمة كلها في عسرها ويســـرها ومنشـــطها ومكرهها فلا يصير المسلم مسلماً حتى يتبع الرسول ﷺ في جميع أقوالـــه وأفعالـــه بأن يفعل المكلف مثلما فعل على الوجه الذي فعله ، وأن يترك كل الذي تـــركه أو نهى عنه من المحرمات والمكروهات ، فالاتباع يشمل التأسي ، والاقتداء به في كافة أمور الدين كما يشمل التأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه ﷺ وهذا هو معنى الشهادة

١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام ٦٥/١،رقم ٣٨
٢) سورة الأحقاف آية ١٣ .
٣) سورة آل عمران آية ٣١ .
٤) سورة البقرة آية ١٦٥ .
٥) ابن تيمية مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٨ .
٦) سورة محمد آية ١٩

الذي يتلفظ بها العبد عند دخوله في هذا الدين ٠

الإقرار مع الإعلان بتوحيد الخالق ، لا إله إلا الله وكذلك في ركن الشـــهادة الثـــانى يتبين توحيد الطريق المؤدي إلى الله وإلى شرعه ودينه وكتابه وأشهد أن محمدا رسول الله فهي تحمل معان عظام :

١-طاعته فيما أمر ٠

٢-تصديقه فيما أخبر ٠

٣-إجتناب ماعنه نهى وزجر ٠

٤-أن لا يعبد الله إلا بما شرع ٠

فعلى المكلف أن يقر بالتوحيدين توحيد المرسِل وهو الله وتوحيد متابعة الرســـول ﷺ وهو معنى الشهادتين ٠

المطلب الرابع

أصول الأمر المتبع

إن الأمر المتبع يتعلق بالأصول التي جاءت فيها الأوامر والنواهي ، والتي يجب اتباعها وتتمثل في الأمور الآتية :ـ

١ـ كتاب الله تعالى : فقد جاءت الأوامر صريحة وواضحة باتباعه والعمل بكل ما جاء به قال تعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ... ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾[٢] ، وقوله تعالى : ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾[٣]

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي جاءت تأمر باتباع القرآن وتنفيذ أوامره والابتعاد عن كل ما نهى عنه .

كما أن هناك آيات كثيرة تأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ومعنى طاعة الله اتباع أوامر كتابه قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول... ﴾[٤] ، قال ابن كثير : أطيعوا الله اتبعوا كتابه وأطيعوا الرسول أي خذوا سنته) [٥]

٢-السنة النبوية : السنة هي كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية ، وهي تشمل الأوامر والنواهي سواء كانت للوجوب أو الندب وسواء كانت للتحريم أو الكراهة .

والسنة تشرح القرآن وتبينه وتفصل مجمله كما تستقل عنه بحكم لم يرد فيه ، فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع ، فالرسول ﷺ كلامه كله صدق وحق ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾[٦] .

---

١) سورة الأعراف آية ٣ .

٢) سورة الأنعام آية ١٥٥ .

٣) سورة الزمر آية ٥٥ .

٤) سورة النساء آية ٥٩ .

٥) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٦٨٩/١ .

٦) سورة النجم آيتي ٣، ٤ .

وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تأمر بطاعة الرسول واتباع سنته قال تعالى:﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[١] وقوله تعالى : ﴿ ... فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾[٢] ، إن طاعة الرسول ﷺ واتباعه بعد موته تتمثل في اتباع سنته والاقتداء بهديه .

إن تحكيم السنة والتحاكم إليها وجعلها الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحكام هو الذي يؤكد صدق المسلم في اتباعه الحق لسنة نبيه ﷺ ، وهو الفارق بينه وبين من يريد أن يتبع هواه بغير هدى من الله أو يتحاكم إلى غير السنة المشرفة كالتحاكم إلى الطواغيت ، أو أدلة العقول القاصرة .

٣-أصول الشريعة العامة : إن هذه الأصول قد استنبطها العلماء من القواعد الكلية للشريعة للاستدلال بها على حكم مسألة لم يرد بها نص في الكتاب والسنة فكل مالم يرد في الكتاب أو السنة مما له مستند إلى أصل منهما فاتباعه مشروع للأدلة التالية :

قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ..﴾[٣] فأولي الأمر يعني أهل الفقه والدين ، قال ابن كثير : (والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء) ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿ ... ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾[٥] ، وأولوا الأمر في الآية أولو الفقه والعلم ومعنى يستنبطونه : أي يستخرجون الحكم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ [٦] ، يقول أحد السلف[٧] (سن رسول الله ﷺ وولاة الأمور بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها ، من اقتدى بها فهو مهتد ومن استنصر فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ماتولي وأصلاه جهنم وساءت مصيرا) [٨] .

١) سورة الحشر آية ٧ .
٢) سورة الأعراف آية ١٥٨ .
٣) سورة النساء آية ٥٩ .
٤) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٨٩ .
٥) سورة النساء آية ٨٣ .
٦) انظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٥/٢٩١ .
٧) القائل هو الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله .
٨) ابن القيم الجوزية إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١/١٥٩ دار المعرفة بيروت د، ن .

إن أصول الشريعة العامة مما ينبغي اتباعه لأنه من آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين الذين رضي الله عنهم وأرضاهم ، ومن استنباطات الأئمة المهديين من العلمـــاء الربانيين الذين أمرنا بطاعتهم واتباع آثارهم ٠

المبحث الثالث

قواعد الاتباع للحق

المطلب الأول : التفريق بين البيّنة والتزيين .

المطلب الثاني : التفريق بين الاتباع والتقليد .

المطلب الثالث : الحق لا يعرف بالنتائج

المطلب الرابع : الحق لا يعرف بالتجارب

المطلب الخامس : الحق لا يعرف بالتوارث

المطلب السادس : الحق لا يعرف بالرجال

قواعد الاتباع للحق

إن محور الاتباع هو الدليل والبينة، وسبيله الذي به يعلم هو العلم وله قواعد يعرف بها تتمثل في المطالب الآتية :

المطلب الأول

التفريق بين البينة والتزيين

البينة هي الدليل والبرهان ، والحجة التي يميز بها المكلف الخطأ من الصواب ، والحق من الباطل .

والتزيين هو ما يخيل للناظر أنه دليل وليس هو بدليل إنما هو كالسراب .

فالشيطان يزين للناس أعمالهم فيظنون أنهم على هدى فيتمادون في الضلالة كما قال تعالى ﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾ (١)

وقال تعالى:﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإنّ الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إنّ الله عليم بما يصنعون ﴾ (٢).

ففي آية سورة محمد جاء الاستفهام الإنكاري ، هل يستوي من كان على بينة من ربه ؟ هل يستوي عقلاً وواقعاً هو، بمن زين له سوء عمله ، هل يستوي من رجع إلى نصوص الكتاب والسنة واجماع الأمة ، بمن اكتفى باتباع هواه .

فالذين ءامنوا على بينة من ربهم رأوا الحق وعرفوه واستيقنوا من مصدره واتصلوا بربهم فتلقوا عنه وهم على يقين مما يتلقون غير مخضوعين ولا مضلين.

والذين كفروا زين لهم سوء عملهم فرأوه حسناً وهو سيئ ولم يروا ولم يستيقنوا ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ بلا ضابط يرجعون إليه ولا أصل يقيسون عليه ، ولا نور يكشف لهم الحق من الباطل

---

(١) سورة محمد آية :١٤

(٢) سورة فاطر آية :٨

والشـــيطان يحبب للناس اتباع عبادات ليس لها أصل في الكتاب والسنة ويبغض إليهم الســـبل الشـــرعية ، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولا الذكر) (١)

وإذا غلب على متبع الباطل الهوى مع الجهل بطريقة السنة (توهم أن ما ظهر له بعقله هـــو الطريق القويم دون غيره فمضى عليه فعاد بسببه عن الطريق المستقيم فهو ضال من حيث ظن أن راكب للجادة)(٢)

والـــتزيين فـــي الآية ﴿ أفمن زين له ﴾ ترك مطلقاً وبني للمجهول فقد يكون المزين الشـــيطان ، وقـــد يكـــون النفس ، وقد يكون من الله تعالى عقوبة لهم لأنهم يتسببون بالإعراض عن الحق كما قال تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ (٣)

وقال تعالى ﴿ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ (٤)

أمـــا تزيين الشيطان فيكون بتحسين الفواحش والآثام وتزيينها فيصورها أولاً للناس ثم يحملهم على التخطيط لها ثم يحملهم على دور التنفيذ كل ذلك خطوة خطوة، ولذلك نهى الله تعـــالى عـــن اتباع خطواته فقال ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾(٥)

أما تزيين النفس للإنسان الشر والقبائح، فقد جاء بيانه في كتاب الله تعالى والنفس تنقسم إلى لوامة، وأمارة،ومطمئنة، فكونها لوامة ينقسم إلى قسمين المدح والذم بحسب ما تلوم عليه ، وكونا أمارة بالسوء وصف ذم لها أما النفس المطمئنة فهو وصف مدح لها (٦)

---

(١) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/ ٤١١.

(٢) الشاطبي، الإعتصام ١٣٤/١.

(٣) سورة الزخرف آيتي ٣٦- ٣٧.

(٤) سورة فصلت آية: ٢٥.

(٥) سورة النور آية ٢١.

(٦) انظر علي الصالحي، الضوء المنير على التفسير ٢٣٢/٦.

فالنفس الأمارة تزين للمكلف الشر وتحسنه له، رغبة في حصول الشهوة العاجلة وجاء بيان ذلك في قصة نبي الله يوسف مع امرأة العزيز ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾[١].

وبهذا يتبين الفرق بين الفريقين ، فريق متبع الحق، وفريق متبع الباطل، وأن المقصود من إنكار المشابهة بينهما هو تفضيل الفزيق الأول [٢]أهل البينة التي وصفت بأنها من الله : بمعني (إن الله أرشدهم إليها وحرك أذهانهم فامتثلوا وأدركوا الحق فالحجة حجة في نفسها وكونها من عند الله تزكية لها وكشف التردد فيها وإتمام لدلالتها) [٣]وهذه صورة من صور التفرقة بين هؤلاء وهؤلاء .

---

(١) سورة يوسف آية ٥٣.

(٢) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، ٩٢/٢٦.

(٣) المرجع السابق، ٩٣/٢٦.

المطلب الثاني
التفريق بين الإتباع والتقليد

إن بين الإتباع والتقليد عموم وخصوص عند من يرى التفريق بينهما خلافا لمن رأى أنهما بمعنى واحد .

فالإتباع منه ما هو ممدوح ومنه ما هو مذموم وكذلك التقليد وإن الإتباع الممدوح يكون لنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأما الاتباع المذموم فيكون فيما خالف النصوص والإجماع من اتباع الهوى والشيطان وغير ذلك .

وأما التقليد الذي لا يذم فإنه يكون للعامي الذي لا يقدر على فهم النصوص فيقلد أعلم أهل بلده دون أن يتعصب له في كل أقواله وأحواله فيأخذ من هذا العالم ويأخذ من هذا مع حرصه على العالم العامل بعلمه .

أما التقليد المذموم المحرم فهو أنواع

١- الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء

٢- تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله .

٣- التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد

والفرق بين الأول والثالث أن الأول قلد قبل تمكنه من العلم والحجة، وأن الثالث قلد بعد ظهور الحجة له فهو أولى بالذم ومعصية الله رسوله

وقد ذم الله تعالى في كتابه هذه الأنواع الثلاثة من التقليد في مواضع كثيرة لأنها تمثل أنواع اتباع الباطل .

قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم .. ﴾(٢)

---

(١)سورة البقرة آية: ١٧٠

(٢).سورة الزخرف آيتي:٢٣-٢٤.

فكل من أعرض عما أنزل الله، وقنع بتقليد الآباء، أو قلد شخصا غير مأمون الاتبـــاع للحق، أو قلد بعد ظهور البينة والدليل، فقد جاء ذمه في كتاب الله تعالى ·

ذلك أن العالم قد يزل فليس بمعصوم، فلا يحل ولا يجوز قبول كل ما يقوله إنزالا لقوله منزلة قول المعصوم ، فهذا الذي ذمه كل عالم على وجه الأرض، وذموا أهلـــه وهـــو أصل بلاء المقلدين وفتنتهم فإنهم يقلدون العالم فيما زل فيه وفيما لم يزل فيه وليس لـــهم تمييز بين ذلك فيأخذون الدين بالخطأ (١)وفي الحديث جاء قوله عليه السلام (أشد مـــا أتخوف على أمتي ثلاث: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناقكم .)(٢)

وبهذا يتبين أن محل الاتباع لا يجوز التقليد فيه بحال، وبيان ذلك (أن كـــل حكـــم ظهر دليله من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وســـلم أو اجمـــاع المســـلمين، لا يجوز فيه التقليد بحال، لأن كل اجتهاد يخالف النص فهو اجتهاد باطل، ولا تقليـــد إلا في محل الاجتهاد، لأن نصوص الكتاب والسنة حاكمة على كل المجتهدين، فليس لأحـــد منهم مخالفتها كائنا من كان، ولا يجوز التقليد فيما خالف كتابا أو سنة أو إجماعا، إذ لا أسوة في غير الحق، فليس فيما دلت عليه النصوص إلا الاتباع فقط ولا اجتـــهاد ولا تقليد فيما دل عليه نص من كتاب أو سنة، سالم من المعارض)(٣)

فالاتباع هو أن يتبع المكلف ما جاء عن النبي صلى الله عليـــه ســـلم وعـــن أصحابـــه رضوان الله عليهم .

والآيات الدالة على تسمية ذلك اتباعا كثيرة جدا منها :

قوله تعالى : ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾(٤)

وقوله تعالى : ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ (٥)

---

(١) انظر ابن القيم رسالة التقليد ص ١٦. تحقيق محمد عفيفي المكتب الإسلامي،بيروت ط١ ١٤٠٥هـــ.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه انظر المقدمة باب ٣٣.

(٣) الشنقيطي أضواء البيان ٥٤٧/٧.

(٤) سورة الأعراف آية:٣.

(٥) سورة الزمر آية ٥٥.

وقوله تعالى : ﴿ قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائرمن ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾(١)

إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أن العمل بالوحي هو الاتباع الذي أمر الله به ودعا إليه ، فدل على أن نصوص الوحي الصحيحة الواضحة الدلالة السالمة من المعارض لا اجتهاد فيها ولا تقليد معها ، وذلك لأن اتباعها الإذعان لها فرض على كل أحد كائنا من كان(٢)

وبهذا يتبين الفرق بين الاتباع والتقليد .

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٠٣.

(٢) انظر الشنقيطي أضواء البيان ٥٤٩/٧.

المطلب الثالث

الحق لا يعرف بالنتائج

ما من شك أن الناس في هذا القرن (الخامس عشر الهجري) أصبحوا يجرون وراء المصلحة لاهثين حتى إن كثيرين منهم يزون الحق فيما ينفعهم لا فيما يطابق الواقع أو ما تقوم البراهين على صحته، وقام مذهب ينادي بأن المنفعة مقياس الحقيقة، ويؤكد على أن المهم من كل شيء هو نتائجه، وما يترتب عليه من آثار في الحياة العملية، فكل شيء يحكم عليه بما يتبعه من نتائج، فإن كانت متوافقة مع أغراض الناس ومع ما يريدون كانت خيرا وصدقا وحقا، وإن كانت غير ذلك، كانت شرا وكذبا وباطلا.

فيصر هذا المذهب على أن الفعل لا يوصف بحسن ولا بقبح، وكذا القول لا يوصف بالصدق ولا بالكذب حتى تعرف ثمرته(١)

وهذا هو عين الباطل.

فمتى كانت نتيجة الشيء وثمرته دليلا على أنه حق ؟

فلا النتيجة مقياس على الحق والباطل.

ولا القلة والكثرة مقياس على الحق والباطل.

ولا الضعف والقوة مقياس على الحق والباطل.

ولا الغنى والفقر مقياس على الحق والباطل.

وقد نعى كتاب الله تعالى على كل من نظر إلى هذه الأمور ليتوصل بها إلى معرفة الحق، والحق لا يحتاج لمثل هذه الأمور، بل هو نور تقوم به الحياة، وحبل واصل من السماء يعتصم به الأحياء، ويرتفعون به عن الخلود إلى الأرض أواتباع الهوى، والحق قريب المنال من الناس له معهم شأن، لا تفقده في مواسات فقير، أو محاسبة غني، ولا يغيب في إنصاف مظلوم، أو مؤاخذة ظالم، فهو ميزان عدل بين الخلق ، وحديث صدق في قيامهم بالقسط، لا يخضعه ذو هوى لهواه، ولا ينشده ذو باطل لباطله، فهو عزيز

---

(١) انظر يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة ص ٧-٨. مؤسسة الرسالة، بيروت ط٧، ١٤٠١ه.

منيع، يقذف به الباطل ولو احتمى بسلطان جائر، وينصف به الحق ولو كان لضعيف خامل (١)

ولو كان الحق يعرف بالنتائج لكان التقصير يلحق بعض أنبياء الله الذين أرسلهم الله إلى أقوامهم، ولم يستجب لهم أحد، فلم يكن لهم أتباع. كما جاء ذلك في حديث الشفاعة والذي جاء فيه(ثم يقال ادعو الصديقين فيشفعون، ثم يقال ادعو الأنبياء، قال فيجيء النبي ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي ليس معه أحد..) (٢).

فهل هذا النبي الذي لم يكن له أتباع قصر في تبليغ الحق ؟ وحاشاه من ذلك. لأن أنبياء الله كمل البشر في اتباع الحق والاستمساك به ودعوة الناس إليه مما يدل على أن معرفة الحق ليس له علاقة بما يترتب من نتائج.

---

(١) انظر محمد الراوي، كلمة الحق في القرآن ٢/٩٠٩-٩١٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٤-٥، رقم ١٥، وابن حبان برقم ٧٤٧٦.

المطلب الرابع
الحق لا يعرف بالتجارب

من خلال التجارب يقف الإنسان على معرفة كثير من أمور الطبيعيات والوصول فيها إلى نتيجة، بل ويتعرف على كثير من مصالحه الدنيوية، فيعرف أن هذا ضار وهذا نافع.

ولكن لا يمكن أن توقفه التجارب على معرفة الأمور الغيبية، كما أنها لا توقف الإنسان على معرفة أحكام الطبيعيات والإنسانيات، فلا يعرف بها أن هذا حلال وهذا حرام.

كما أنه لا يتوصل بها على معرفة حكم الله على الأشياء.

وعندما أهمل المكلف هذه القاعدة، وأصبح يعمل التجارب المختلفة في كثير من القضايا لتوصله إلى الحق، فإنه وقع في الضلال والانحراف الخطير، ذلك أن مفهوم العلم يختلف عند الغرب منه عند المسلمين فهو عندهم: ما ثبت بالحس والتجربة فقط.

وهذا ينطبق على أمر الماديات والحسيات فقط.

أما العلم عند المسلمين: فهو ما ثبت بالوحي والحس والتجربة.

إن مجال العلم عند الغرب غير مجال الإيمان، فله عندهم اختصاص لا يتعداه، ومجال لا يتجاوزه. فلا يكون ضمن مجاله التعرف على الحق بواسطة التجارب.

أما العلم عند المسلمين فيكون التعرف على الحق ضمن مجالاته لكن لا عن طريق التجربة، بل عن طريق الوحي.

والعلم ليس خصما للحق ولا اتباعه، ولا هو ضده، بل هو دليل يهدي إليه. ولهذا كثير من العلماء هداهم علمهم إلى الحق واتباعه، ذلك أن العالم أقدر من غيره على استبانة ما في هذا الكون من ترابط وتناسق وإحكام (١).

وقد رد الله في كتابه على أولئك الذين أجروا تجاربهم وأعملوا عقولهم للوصول بها إلى الحق فحرموا وحللوا من خلال آرائهم، قال تعالى: ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من

---

(١) انظر يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة ص٣٣٣.

الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾ (١) .

وقال تعالى﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ (٢) .

ففي الآية الأولى بيان من الله تعالى لسفاهة عقولهم وخفة أحلامهم، والجهل البليغ مع تعديد خرافاتهم وضلالهم، لينبه بذلك الأمة ويحذرهم الوقوع فيما وقعوا فيه من معارضتهم للحق الذي جاء به الرسول عليه السلام بآرائهم، وأنهم لا أهلية لهم في مقابلة الحق، ولا للوصول إليه عبر تجاربهم (٣).

ولا يمكن للمكلف أن يصل إلى الحق في أي مجال كان: في العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق أو المعاملات المختلفة، عبر تجاربه الخاصة، لأنه ناقص العقل والإدراك، محدود التفكير، وبهذا يتبين أن الحق لا يتوصل إليه إلا عن طريق الوحي المنزل، وهذا هو الحق المفصل.

أما الحق المجمل، أو بعض الحق يمكن أن يتوصل إليه أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة عن طريق النظر والتأمل، إلا أنه يصعب عليهم أن يعرفوا أو يَصِلُوا إلى حكم الله على الأشياء بأنها حلال أو حرام، من خلال التجارب.

فالإنسان يعرف مثلا أن لحم الخنزير يشبع لكن هل يصل إلى أنه حلال عند الله تعالى؟ ولهذا جاءت الآية الثانية لتنهى المكلف عن التحليل والتحريم من تلقاء نفسه.

قد عرفت مفسدة هذا اللحم بالشرع (٤) .

ثم عرفت عن طريق التجارب، فألغيت مصلحة الإشباع واعتبرت المفسدة، فروعي التحريم وكانت له الأولى، لوجود المفاسد التي عرفت عن طريق الشرع.

---

(١) سورة الأنعام آية ١٣٦.

(٢) سورة النحل آية ١١٦.

(٣) انظر عبد الرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٢٣٧.

(٤) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ١/ ١٥٦.

وكثيرا ما يحدث هذا الأمر عند تعارض المصالح والمفاسد، والتي يختلف فيها أصحاب العقول السليمة، فيأتي الترجيح من قبل الوحي، بالاعتبار تارة وبالإلغاء أخرى.

وهذا نجده في قضايا كثيرة، عندما يحاول البشر الوصول إلى الحق فيها عن طريق التجارب فيأتي الشارع ويفصل الأمر عن طريق الوحي،وذلك مثل:

١- قضية البيع والربا، قالوا إنما البيع مثل الربا، فرد الله عليهم أن الأول حلال والثاني حرام بقوله:﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ (١) .

٢- قضية الخمر.

٣- قضية الميسر.

قال تعالى: ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما... ﴾ (٢).

فألغى الشرع المنافع واعتبر المفاسد لوجود الإثم العظيم فيه.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥.

(٢) سورة البقرة آية ٢١٩.

المطلب الخامس
الحق لا يعرف بالتوارث

إن الحق لا يتوقف معالمه على أن يكون قاصرا وجوده على الآباء أو الأشياخ، والتعصب المحض لما عندهم، دون تجاوزهم إلى غيرهم، حيث أن رسالة الإسلام هي: رسالة التحرر الفكري، والانطلاق الشعوري، لا تقر المكلف أن يحاكي ما عند الآباء ،والأجداد، ويرث ما عندهم باعتباره الحق المطلق، بل تدعوه إلى المطالبة بالسند،والحجة، والدليل، كما تدعوه إلى التدبر والتفكر، ثم الاختيار بعد ذلك، المبني على الإرادة واليقين(١) ولهذا لما قال المشركون: ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ (٢)رد الله عليهم على لسان رسوله عليه السلام: ﴿ قال أولوا جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ (٣).

ولو كان الحق يعرف عن طريق التوارث بأن يرثه الأبناء عن الآباء والأجداد لما كرر الله تعالى الرسالات، بعد أن علم المنهج الذي يريده للناس أن يسيروا عليه ، لأبي البشر آدم عليه السلام، ولكان أبناؤه سيتبعون ما يفعله أبوهم، وأبناء أبناء آدم يتبعون أباهم، ولظل الحق موجودا متوارثا بلا تغيير فيه.

وفي هذا رد قوي على المشركين أولا، ثم على كل من رأى أنه يمكنه أن يرث الحق من آبائه أو أشياخه، قال تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾(٤)فالحق إذا يعرف بالدليل والبرهان، والاتباع، لا بالتوارث. والله تعالى يبني في الإنسان ذاتيته، ويدعه حتى تكتمل فيه، فإذا اكتملت تأتي الأوامر، وتأتي النواهي، ويأتي معها ترك حرية الإنسان أن ينظر إلى الحق دون ضغوط أو تهديد أو إجبار، قال تعالى: ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة

---

(١) انظر سيد قطبفي ظلال القرآن ٣١٨٢/٥.

(٢) سورة الزخرف آية ٢٢.

(٣) سورة الزخرف آية ٢٤.

(٤) سورة البقرة آية ١٧٠

الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ (١) ويعلم من هذا أن الإنسان ينهى عن التبعية لغيره، سواء عن طريق التوارث، أو عن طريق التقليد، ذلك أن من يرث عنه الحق أو يقلده بشر مثله، لا تؤمن عليه الفتنة، خاصة وأن أول تغيير في الحق جاءت من أحد الآباء الذين أصابتهم الغفلة من ذرية آدم فتتابعت الرسل لإرجاع المكلفين إلى الحق الذين خرجوا منه، عن طريق تتبع آبائهم، وبذلك تبطل دعوى الإنسان في قوله: بأنه يتعرف على الحق من خلال وراثته من آبائه، أو اتباع ما كانوا عليه ، وتصبح قضية منقوضة(٢) لأن الذي غير أول تغيير لم يقل ﴿ حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ لأنه لم يرث الحق من أب له، كذلك الآباء لم يعقلوا ما غيروه من الحق، ولم يهتدوا إلى خطئهم حتى يعودوا منه إلى الحق الذي أنزله الله على رسله.

وبهذا يعلم أن الحق لا يمكن أن يعرف عن طريق التوارث: يرثه اللاحق عن السابق ، دون بيان حجته أو برهانه الساطع

---

(١).سورة البقرة آية ٢٥٦.

(٢) انظر محمد متولي الشعراوي، تفسيره ٣٤٣١/٦

المطلب السادس

الحق لا يعرف بالرجال

إن الانقياد للحق وقبوله والرجوع إليه أمر مقدم على ربط الحق بالرجال والدوران حول الرجال بحثا للحق عندهم، فالله تعالى قدم اتباع الحق على اتباع الرجال ونددد لأولئك الذين عكسوا هذه القضية فقالوا .ماحكى الله عنهم ﴿وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ﴾ (١) تبين الآية تعلقهم بأشخاص لهم وصفهم الاجتماعي فيريدون أن ينزل القرآن على أشخاص بعينهم حتى يتم اتباعهم لا اتباع الحق وقد رد الله عليهم في كتابه هذا الزعم ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢). ففي الآية بيان الإنكار عليهم قولهم ذلك، ((فإنهم لما نصبوا أنفسهم منصب من يتخير أصناف الناس للرسالة عن الله، فقد جعلوا لأنفسهم ذلك، لا لله،فكان من مقتضى قولهم أن الاصطفاء للرسالة بيدهم، فلذلك قدم "هم" المجعول مسندا إليه على مسند فعلي، ليفيد معنى الاختصاص، فسلط الإنكار على هذا الحصر، إبطالا لقولهم، وتخطئة لهم في تحكمهم))(٣). فالأمر ليس مردودا إليهم بل إلى الله تعالى، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه ينزلها على أزكى الخلق قلبا ونفسا، وأشرفهم بيتا وأطهرهم أصلا(٤). إن المكلف مأمور أن يدور حول الحق، ويتعرف عليه لا أن يدور حول الرجال، فالرجال يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بهم، فمن عرف الحق عرف أهله، والعصمة ممتنعة على غير الأنبياء(٥)، مع اتفاق المسلمين

---

(١) سورة الزخرف آية ٣١.

(٢) سورة الزخرف آية ٣٢.

(٣) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ٢٥/٢٠٠.

(٤) انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٤/١٦٢.

(٥) حتى الأنبياء لا عصمة مطلقة لهم إ لا فيما يبلغونه، حتى لا تجب لهم عصمة عن الصغائر، فهذا آدم عليه السلام أبوا البشر قد عصى ربه ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ طه: ١٢١.ولو كان معصوما كالعصمة المزعومة لدى المتأخرين لأئمتهم وشيوخهم ومتبوعيهم لما قال: ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ الأعراف:٢٣.وهذه الآيات تنفي عن آدم العصمة المطلقة، وهو إمام وخليفة بل هو نبي مكلم، فانتفاؤها عن غيره من باب أولى

على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله، فلا يقرون على سهو فيه وبه يحصل المقصود من البعثة(١).

وقد قال عليه السلام (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)(٢)

وإذا تقرر خطأ ابن آدم لا بد أن نخرج بأمرين:

الأول: عدم متابعة أحد إلا بدليل لاحتمال متابعته في الباطل.

الثاني: لا ينبغي محو المحاسن إذا غلبت، لأن كثرة الفضائل تذهب قلة المساوئ.

وبهذا يعلم أن ((اتخاذ أقوال رجل بعينه بمنزلة نصوص الشارع، لا يلتفت إلى قول من سواه بل وإلى نصوص الشارع، إلا إذا وافقت نصوص قوله، فهذا والله هو الذي أجمعت الأمة على أنه محرم في دين الله، ولم يظهر في الأمة إلا بعد انقراض القرون الفاضلة))(٣).

وقد أعمل السلف قاعدة ((كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم))(٤) والنموذج التطبيقي لدوران المكلف مع الحق لا مع الرجال، مع اعتبار مكانة الرجال، لكن عدم مجاملتهم أو مداراتهم على حساب الحق، ماروي عن عمر بن الخطاب قوله ((لا تزيدوا على مهور النساء على أربعين أوقية... فقامت امرأة من صف النساء فقالت له:ما ذلك لك" قال:" ولم؟" قالت : لأن الله عز وجل يقول: ﴿ وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ﴾ (٥) فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر)) (٦)

وكان الواحد من الأئمة الكبار يتهم نفسه بالجهل والنقص حتى يبين لأصحابه عدم كماله، وأنه إن أخطأ وجب الرجوع إلى الحق لعلمهم بأن الحق هو المقدم على الرجال (٧)، وأن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعا ضلال، والحجة القاطعة والحاكم الأعلى هو الحق، الذي جاء به

---

(١) انظر الذهبي، المنتقى من منهاج الاعتدال، ص ٨٤_ ٨٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٩٨/٣، وحسنه الألباني، انظر صحيح الجامع رقم ١٤١٥.

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢٣٦/١.

(٤) انظر ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ص ٩٢٥.

(٥) سورة النساء آية ٢٠.

(٦) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ص٢٥٠.

(٧) انظر الشاطبي، الاعتصام ٣٥٥/٢.

الشرع([1])، ((فلذلك كان الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع لأنه مصلح النفوس ، ومصلح نظام العالم البشري، فاتباعه واجب عقلا، واتباع غيره لا مصحح له، إذ لا غاية ترجى من اتباعه))([2])، ولهذا قال تعالى: ﴿ قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ﴾ ([3])لقد مضى على أمة الإسلام فترة غير قليلة وهي متعلقة بالرجال أكثر من تعلقها بالأصول، والثوابت، والدليل، والبرهان، وكان من مظاهر ذلك حدوث التعصب المذهبي، وحب رجال المذهب، وتقديمهم على غيرهم ممن هم أعلم منهم وأعلى درجة كالصحابة، والتابعين ، بل تقديمهم على نصوص الكتاب والسنة. بل ربيت كثير من الناشئة على التعلق بالرجال، وإبطال الدليل وإهمال العلم وإماتة روح البحث العلمي النزيه، حتى أصبح دليل المتناقشين الرجال، وترجيحهم من أجل الرجال، وصار طريق الخلاص عندهم يكون بالرجال، لا بالدليل والبرهان، واتباع الحق. يقول الشاطبي: ((ولقد زل بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال، أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة،والتابعين، واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا وأضلوا))([4]). إن أولئك الأقوام الذين نهانا الله عن اتباع غير سبيلهم فقال: ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى.. ﴾([5]) كانوا يزلون مع القرآن حيث زال، ويقولون: من جاءك بالقرآن فاقبل منه، وإن كان بعيدا بغيضا، ومن جاءك بالباطل فارده وإن كان حبيبا قريبا، وينهون أن يكون المكلف إمعة، يقول أنا مع الناس إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت، ولكن يوطن نفسه إن كفر الناس أن لا يكفر([6]).

---

(١) انظر ثامر بن ناصر الغشيان، غلو الأمم في معظميها وأثره على الطوائف الإسلامية ٨٣٥/٢، رسالة جامعية قدمت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الريض عام ١٤١٥ه غير منشورة.

(٢) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، ١٦٢/١١.

(٣) سورة يونس آية ٣٥.

(٤) الشاطبي، الإعتصام ٣٤٧/٢.

(٥) سورة النساء آية ١١٥.

(٦) انظر عبد الرحمن بن علي الجوزي، صفة الصفوة ٤١٩/١- ٤٢١. تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس، دار الوعي، حلب،ط١ ١٣٨٩ه

المبحث الرابع

موانع الاتباع للحق

المانع الأول : اتباع الهوى .

المانع الثاني : اتباع الشيطان .

المانع الثالث : الخوف مما يترتب على اتباع الحق .

موانع الاتباع للحق [١]

الموانع : جمع ومفرده مانع وهو في اللغة الحائل بين شيئين والمقصود به هنا هو الوصف الظاهر المنضبط الذي يلزم من وجوده عدم وجود الاتباع ، وموانع اتباع الحق كثيرة سيقتصر البحث منها على ما جاء منصوصا عليه في آيات الاتباع أو ما كان لصيقا به ٠

إن الحديث عن الاتباع في القرآن لا يكتمل إلا بالحديث عن موانع الاتباع حيث يتحقق الاتباع للحق بزوال كل موانعه :

المانع الأول : اتباع الهوى : قال تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ ٠٠ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلوو أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ [٤] ، بينت الآيات أن المانع الذي منعهم من الاستجابة للدعوة التي جاءهم بها الرسول ﷺ إنما هو اتباعهم للهوى لا غير [٥] ، وليس هناك أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله،والله تعالى لا يهدى القوم الظالمين الذين غلبوا جانب اتباع الهوى عن اتباع الهدى ٠

المانع الثانى : اتباع الشيطان : قال تعالى : ﴿ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ٠ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم

---

(١) استنبط هذا العنوان من آيات الاتباع ثم بقي بعد التعديل النهائي وحذف التقليد من العنوان وكأنه يتعارض مع أسباب أتباع الباطل لأن الموانع هي الأسباب وسأذكر هنا الموانع المباشرة وسأذكر في الاسباب الموانع غير المباشرة لذا لزم التنبيه ٠

(٢) سورة القصص آية ٥٠

(٣)سورة ص آية ٢٦ ٠

(٤)سورة النساء آية ١٣٥ ٠

(٥)انظرابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٣٩/٢٠ ٠

ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾[٢] ، بينت الآيتان أن الشيطان مانع عن اتباع الحق ولهذا حكى الله عنه قسمه لإضلال الناس وإغوائهم ، فقد أكد كلامه بلام القسم ﴿ لأقعدن لهم ﴾ ﴿ لأزينن لهم ﴾ .

فهو الذي يوسوس النفوس ويدفعها إلى الإعراض عن الحق فلم ينج أحد من البشر من إضلاله وتزيينه لأنه علم (أن الله خلق البشر للصلاح والنفع وأنه أودع فيهم معرفة الكمال وأعانهم على بلوغه بالإرشاد فلذلك سميت أعمال الخير في حكاية كلام إبليس صراطا مستقيما وأضافه إلى ضمير الجلالة لأن الله دعا إليه وأراد من الناس سلوكه) [٣] بامتثال الأوامر وترك النواهي إلا أن إبليس عزم على التعرض لهم بالمنع من سلوك هذا الطريق عن طريق التغرير والإضلال والإبعاد عن الصراط بتزيين الشر والسيئات لهم حتى يروها حسنة فيقبلوا عليها وتشغلهم عن اتباع الحق.[٤]

وبهذا يتبين أن الشيطان مانع عن اتباع الحق ولهذا حذر الله كثيرا في كتابه من إغوائه وأخبر أنه يأمر بالسوء والفحشاء والقول على الله بلا علم[٥] بل جاءت أربع آيات فيها النهي الصريح عن اتباع خطواته منها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ... ﴾ [٦] وسيأتى مزيد بيان عن ذلك[٧].

المانع الثالث : الخوف مما يترتب على اتباع الحق ، قال تعالى : ﴿ وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل

---

(١) سورة الأعراف آيتى ١٦ ، ١٧ .

(٢)سورة الحجر آيتى ٣٩ ، ٤٠

(٣)ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٤٨/٨

(٤)انظر المرجع السابق ٦٠/١٤

(٥)كقوله تعالى (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالاتعلمون ﴾ البقرة ١٦٩ .

(٦)سورة النور آية ٢١ وانظر البقرة ١٦٧ ، ٢٠٨ ، والأنعام ١٤٢ .

(٧)انظر مبحث أنواع اتباع الباطل ص ٣٩٦

شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾[٢] .

إذا كانت نظرة الناس سطحية وتصورهم للحياة محدودا [٣] فإنه يوحى إليهم أنهم إن اتبعوا هدى الله عرضهم ذلك للخطر والمخافة وأغرى بهم الأعداء وأفقدهم العون والنصير وعاد عليهم بالفقر ، فهم يعترفون أنه الحق وأنه الهدى لكنهم يخافون إن اتبعوه أن يتخطفهم الناس ، متناسين أن الله وحده هو الحافظ وهو الحامي وبيده مقاليد الأمور (وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تتخطفهم وهم في حمى الله ، وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تنصرهم إذا خذلهم الله ، ذلك أن الإيمان لم يخالط قلوبهم ولو خالطها لتبدلت نظرتهم للقوى ولاختلف تقديرهم للأمور ولعلموا أن الأمن لا يكون إلا فى جوار الله وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هداه .

وأن هذا الهدى موصول بالقوة موصول بالعزة وأن هذا ليس وهما وليس قولا يقال لطمأنة القلوب إنما هو حقيقة عميقة منشؤها أن اتباع هدى الله معناه الاصطلاح مع ناموس الكون وقواه والاستعانة ، وتسخيرها في الحياة فالله خالق هذا الكون ومدبره وفق الناموس الذي ارتضاه له والذي يتبع هدى الله يستمد مما في هذا الكون من قوى غير محدودة ويأوي إلي ركن شديد في واقع الحياة) [٤].

إن الخوف مما يترتب على اتباع الحق من عداوة أعداء الله ومكرهم والاشفاق من تآلب الخصوم ومن المضايقات الاقتصادية أو الحصار العسكرى وغيرهم ماهي إلا أوهام كأوهام قريش يوم أن قالوها للرسول ﷺ لأن الخوف الحقيقي فى ترك اتباع الهدى.

---

(١) سورة القصص آية ٥٧ .

(٢)سورة العنكبوت آية ٦٧ .

(٣)سيد قطب في ظلال القرآن ٥/٢٧٠٣ .

(٤)المرجع السابق ٥/٢٧٠٣.

والتاريخ شاهد على ذلك لأنهم لما اتبعوا الهدى ملكوا مشارق الأرض ومغاربها وأمنو الناس في ديارهم وأموالهم وأعراضهم .

ولهذا رد الله عليهم بكذب هذا العذر الموهوم وأخبرهم أن الذي أمنهم وجعل قلوب الناس تهوي إليهم حاملة معها ثمرات الدنيا وهم عصاة لأمره كيف به أن يعرضهم للموت والخطر ويدع الناس تخيفهم وتتخطفهم من كل جانب وهم تقاة متبعون لهداه سائرون على منهاجه إن هذا من أبطل الباطل ، ولهذا ختم الآية بأن أكثر الناس لا يعلمون أين يكون الأمن وأين تكون المخافة كما لا يعلمون أن مرد الأمور كلها لله سبحانه وتعالى [١] .

ويظل التاريخ يعيد نفسه عندما نرى ونسمع اليوم أناسا يرددون نفس مقولة مشركي مكة إن نصحهم ناصح بأن يتبعوا منهج الله ويحكموا كتابه فيقولون الغرب لا يريد ذلك ونحن نخاف من بطشة إن نحن خالفنا أمره وعملنا خلاف رغبته فيقطع عنا مساعداته ويحاصرنا اقتصاديا وعسكريا بل يهاجمنا في أراضينا ، وكأنهم يرددون ﴿ إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ [٢] .

ويظل الجواب القرآني هو الجواب الدافع والحجة القوية المهيمنة لأهل كل عصر وكل زمان من بداية نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [٣] .

إن الخوف الحقيقى إذا ليس فى اتباع الحق وإنما هو في الاعراض عن اتباع هدى الله كما قال تعالى: ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [٤]

---

(١)انظر المرجع السابق ٥/٢٧٠٤ .

(٢)سورة القصص آية ٥٧ .

(٣)سورة القصص آية ٥٧ .

(٤)سورة البقرة آية ٣٨

المبحث الخامس
نماذج الاتباع للحق

إن النار الشديدة تصهر الخامات، فيتميز الخبيث من الطيب، وإن الحرارة القوية تظهر الذهب الخالص، وفي الظلام القاتم تبدوا النجوم متلألئة، وفي النكبات تظهر المواهب، والشدائد تظهر الرجال، والمعارك تميز الأبطال.فقد أبان التاريخ الإسلامي أمثلة رائعة ونماذج خالدة فريدة ضحت بكل نفيس من أجل اتباع الحق، سواء بالبحث عنه، أو بالتضحية في الاستمساك به، بعد اتباعه بتحمل العوارض والنوازع والابتلاءات والمحن في سبيل الحق،ويمكن أن نقف على كوكبة من هذه النماذج الذين آثروا الحق على أنفسهم، فأصبح عزيزا عليهم فارتفعوا به في الدنيا والآخرة، وصاروا نماذجة حية يقتدي بهم كل من جاء بعدهم.

نماذج الاتباع للحق

المطلب الأول: أمثل نموذج جماعي يضرب لاتباع الحق

المطلب الثاني : من ضحى بحياته من أجل اتباع الحق

المطلب الثالث : من ضحى بملكه من أجل اتباع الحق

المطلب الرابع : من ضحى بحريته ومفارقة أهله من أجل اتباع الحق

المطلب الخامس : من ضحى بماله من أجل اتباع الحق

المطلب السادس : من ضحى ببر والديه من أجل اتباع الحق

المطلب الأول
أمثل نموذج جماعي يضرب لاتباع الحق

إن هذا النموذج الجماعي الذي يضرب به المثل الفريد هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أنزلهم الله أعلى الدرجات، وأثنى عليهم وزكاهم، وبشرهم بالجنة، وبرضاه عنهم.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال((إن الله عز وجل نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه عليه السلام يقاتلون عن دينه .. ..))[١] .

إن جيل الصحابة هم لبنات البناء ووسائل الاكتمال للدين، والوصول به إلى مرحلة الكمال، حيث انتهت إليهم حياة الأنبياء وأصحاب النبوات، وصنعت بهم الصورة الأخيرة والخاتمة للنبوة، كانوا هم محل التلقي لآيات الكتاب، وميدان الفعل والتجريب، ووسائل إيضاح للتطبيق، حياتهم وتصرفاتهم هي أسباب النزول للآيات، وأسباب الورود للأحاديث، لذلك نرى أن الكثير من الآيات والأحاديث سجلا لحياتهم، وتصرفاتهم، وبيانا لخصائصهم، وتصويبا أو إقرارا لممارساتهم، واستنزالا واستدعاء لبعض الأحكام الشرعية [٢].

فكانوا بحق حلقة الاتصال بين الفكر والفعل، بين المبادىء والبرامج، بين التكاليف الإلهية والفعل البشري، فالقرآن والسنة سجل لحياتهم ، فهم أنموذج الفعل، وسبيل الاقتداء، وميدان التطبيق، والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، وهو أعلم بالمؤهلين الذين يكونون قاعدة الرسالة الأولى، الذين يمتلكون الخصائص التي تمكنهم من الامتداد بها ونقلها إلى الأجيال اللاحقة، فكانوا بحق الجيل الذي استدعى الوحي بحركته وتحقق لهم الانفعال به، والتحرك وفق مقاصده .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٧٩،قال الهيثمي: رواه أحمد،والبزار، والطبراني، في الكبير، ورجاله موثوقون انظر مجمع الزوائد للهيثمي ١/١٧٨.

(٢)انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ٥/٢٧٠٣ .

فالله تعالى جعل نصرهم للرسالة موازيا لتأييده ونصره فقال: ﴿ هو الذي أيدك بنصـــره وبالمؤمنين﴾[١].

فالله أيد رسوله بنصره، كما أيده بهداية الصحابة إلى الإيمان بالله ورسوله، الأمر الذي دفعهم للجهاد وتحقيق نصر الله .

فأي جيل أكرم من هذا الجيل، الذي اكتملت لبنات بناء النبوة به، فكان اختيارهم ووجودهم من تمام نعمة الله على أمة الإسلام، فهم جيل خير القرون، شهد لهم الرسول عليه السلام ليكونوا جيل الشهادة على الناس كما كان هو شهيدا عليهم، ونهى عن سبهم والنيل منهم، لتبقى خصائصهم وصفاتهم واجتهاداتهم معالم هادية على الطريق الطويل لمسيرة الدعوة الإسلامية، وحركة الأمة، ويبقى فهمهم للتنزيل متميزا بسبب معاصرتهم له، وكونهم مادته وأدوات فعله وتنفيذه، وأوعية حفظه ونقله، فكانت حياتهم معالم مضيئة في البناء، والفهم والتنزيل على الواقع، حتى يحمى الجانب التطبيقي للقيم من الاجتهادات المعوجة، والانتحالات الباطلة، والتحريفات الجاهلة، والغلو في الدين[٢] .

إن عظمة هذا الجيل ليست على المستوى العربي والإسلامي فحسب إنما هي على المستوى الإنساني العالمي، فكانوا ورثة النبوة، وحملة الرسالة والرحمة للعالمين، وقاعدة البشرية الأولى، ونماذجها التطبيقية.

إن عظم الصحابة وقدرهم ببشريتهم التي تنفي عنهم قضية العصمة عن الخطأ، فهم بشر يجري عليهم الخطأ والصواب، بكل ما في البشرية من أبعاد، وكل ما فيها من نوازع، وفوارق، وغرائز، وخصائص، وتفاوت في أقدار التدين، وفوارق فردية في النظر والاجتهاد، لذلك لا يستطيع أحد أن يلبسهم العصمة في القول والفعل،ولو لم يكونوا بشرا لما استحقوا أن يكونوا محلا للتأسي، وأنموذجا يحتذى لتنزيل الإسلام على الواقع.

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٢.

(٢) أنظر عمر عبيد حسنه في منهجية الاقتداء ص٦٠.

عاشوا حياة البشر بكل أبعادها، فجاءت ممارساتهم واجتهاداتهم مستوعبة لكل الحالات التي تمر بها الأمة الخاتمة إلى قيام الساعة (١).

فاختلفوا، واتفقوا، وتعارضوا، وتوافقوا، ووصلت قناعاتهم واجتهاداتهم في بعض الحالات إلى مرحلة الاحتراب بل احتربوا فعلا، دفاعا عما يعتقدونه من الحق، كل هذا وغيره لتجمع حياتهم أصول الحالات التي تمر بالبشرية جميعا فتتعلم من ذلك اسلوب التعامل مع القضايا كلها، سلبا وإيجابا، ولتشكل حياتهم رؤية لكل السائرين على الطريق للاقتداء بهم كما اقتدوا هم بنبيهم.

إن نزول آية سورة الأحزاب وهي قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴾(٢) .كان بمناسبة غزوة الأحزاب التي زلزلت فيها النفوس، وبلغت القلوب الحناجر، وكاد أن يهتز الاقتداء لتخلف النصر في الظاهر، فجاءت الآية لتؤكد أن الاقتداء إنما يكون في مواطن الشدة ، والصبر، والبأس، والضيق، كما يكون في حال اليسر والراحة، والدعة والأمن، ويكون كذلك في الضروريات، والحاجيات، كما يكون في الكماليات .

وإن كان إشكالية أهل هذا العصر تكمن في الحرص على الاقتداء بالتحسينات والتخاذل عن الاقتداء بالضروريات والمقاصد الكبرى (٣)

وبهذا يتضح أن جيل الصحابة ((هو القاعدة الصلبة للبناء المأمول، والأنموذج المحتذى للتطبيق، والمرتكز الحضاري للانطلاق الصحيح، والدليل العملي لتحويل القيم إلى سلوك وواقع، والوسيلة المعينة لكيفية التعامل مع قيم الدين في الكتاب والسنة من

---

(١) المرجع السابق ص٥٠،٥١.

(٢) سورة الأحزاب : آية ٢١،٢٢.

(٣) أنظر عمر عبيد حسنة في منهجية الاقتداء ص٣٤،٣٥.

قبل البشر، بكل ما يمر به من أقدار التدين، صعودا وهبوطا،ذنوبا وتوبة، ضعفا وقوة،سموا وتقهقرا، اتباعا واجتهادا))[١] .

وهذا ما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء، قال الإمام مالك رحمه الله: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا [٢]

فكانوا بحق كما قال ابن مسعود: ((أفضل هذه الأمة: أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فأعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم وسيرتهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم))[٣]

وقد استدل ابن القيم على وجوب اتباع جيل الصحابة بأدلة كثيرة بلغت عنده ستة وأربعين دليلا من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين [٤] إضافة إلى الأدلة العقلية التي خصّهم الله بها ،من العلم، والفهم، والفضل، ومشاهدة الوحي، والفقه عن الرسول عليه السلام، والتلقي عنه، بلا واسطة، إلى غير ذلك من العوامل التي جعلتهم[٥] الأنموذج الأمثل للاقتداء بهم واتباع آثارهم رضي الله عنهم أجمعين وعنا كذلك، وجعلنا من أتباعهم إنه جواد كريم.

---

(١) المرجع السابق ص٦١، وانظر عبد الكريم النملة، الصحابة في القرآن ٩-٣٣، د.ن ط٢.

(٢) الظلم وأثره السيئ ص ٤٣٩.

(٣) ابن القيم إغاثة اللهفان ج١ ص١٥٩.

(٤) ابن القيم أعلام الموقعين ٤/١٣٠-١٥٣.

(٥) انظر المرجع السابق ج٢ ص٢٦١.

المطلب الثاني

من ضحى بحياته من أجل اتباع الحق

معلوم أنه لا يكفي للمكلف أن يقول إنه مؤمن بالحق متبع له، سائر عليه وكفى دون أن يقدم ما يؤكد ذلك أو يضحي في سبيله لأن جنة الله غالية وثمنها أغلى، فيتطلب التضحيات الجسام، قال عليه السلام: (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة)(١) .

إن النماذج الحية من حياة الأسلاف السابقين والذين ضربوا الأمثلة الفذة في سبيل الحق واتباعه والثبات عليه ترسم لنا الخط البياني الواضح لاتباعهم والاقتداء بهم، كما كانت تضحيات الأنبياء السابقين أمثلة حية للرسول عليه السلام ولأمته من بعده، قال تعالى: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(٢) .

إننا نرى على مر التاريخ من يؤثر الحق على نفسه فيقتل أو يصلب أو ينشر بمنشار فلا يزيده ما يلاقيه في سبيل اتباع الحق إلا استمساكا به أو ثباتا عليه، ومن قرأ قصة أصحاب الأخدود رأى كيف ينتصر الحق في النفوس، وكيف يضحي الإنسان بحياته من أجل اتباع الحق، كما ضحى الراهب، وجليس الملك، والغلام، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه السلام بما أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلام يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه، وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكى ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه٤/٦٣٣، رقم ٢٤٥٠، والبخاري في التاريخ الكبير ٢/١١١

(٢) سورة النساء: آية ٩٠.

بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه، والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء...)[١] إلى نهاية الحديث .....

وفيه أنه عالج جليس الملك، فدل عليه وعلى الراهب، فجاء بهم الملك واحدا واحدا، وطلب منهم ترك اتباع الحق الذي اقتنعوا به أو ينشرهم بالمنشار حتى الموت فاختاروا الموت، فنشر الملك جليسه، ونشر الراهب أيضا، أما الغلام فحاول معه كل أنواع القتل فلم يقدر عليه، حتى دله على طريقة واحدة بها فقط يستطيع قتله، وهي : أن يجمع الناس كلهم على صعيد واحد ثم يصلبه ويأخذ سهما من كنانته ويسم الله برب الغلام ويرميه، ففعل، فمات الغلام، وآمن الناس برب الغلام، فحفر لهم الأخاديد في السكك وأضرم فيها النار فأحرقهم، حتى تقاعست امرأة معها صبي لها، فقال لها:اصبري فإنك على الحق .

أرأيت كيف يمكن أن يضحي الإنسان بحياته من أجل اتباع الحق الذي آمن به واعتقده، وكيف يمكن أن يؤثره على نفسه وأهله.

كما جاد الغلام بنفسه ليحق الحق الذي آمن به [٢] .

ورأيت كيف أن اتباع الحق عز في نفس الراهب، وجليس الملك، فلم يتنازلا عنه،ولم يقبلا غيره، بل ضحيا بنفسهما في سبيله.

ورأيت عدم إقدام الأم في البداية ثم استجابتها وصبرها على الحق بعد تذكير صبيها به، وكذلك الناس الذين ءامنوا برب الغلام بعد مقتله فقد خيرهم الملك بين أن يعودوا عن اتباع الحق فيسلموا من الحرق، أو يبقوا فيحرقوا فاختاروا الثبات على اتباع الحق، والتضحية في سبيله.

وهذا من النماذج الفريدة في الثبات من أجل اتباع الحق، والتضحية في سبيله بأغلى ما يملكه الإنسان في الحياة، وقد سجل كتاب الله هذا الحدث قرآنا يتلى إلى قيام الساعة، في سورة البروج، قال تعالى: ﴿....قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الزهد والرقائق باب قصة أصحاب الأخدود ٢٢٩٩/٤، ٣٠٠٥

(٢) أنظر محمد الراوي ، كلمة الحق في القرآن، ٨١٦/٢.

عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد ﴾ (١).

(١) سورة البروج: الآيات ٤-١١.

المطلب الثالث

من ضحى بملكه من أجل اتباع الحق

إن النموذج يمكن أن يضرب بامرأة فرعون آسية بنت مزاحم، فقد كانت أعظم ملكة في عصرها، وكلما كانت التضحية أعظم كانت الدرجة عند الله أعظم.

فقد ضحت هذه المرأة بملكها من أجل اتباع الحق والاستمساك به، والثبات عليه، وكان بإمكانها أن تظل على عرشها ملكة مقدسة يسجد تحت أقدامها الدهاقين وكبار رجالات الدولة، ويؤتى لها بصحاف الذهب والفضة، ويطاف عليها بما تشتهي من الكؤوس، وتنعم بكل ما لذ وطاب من الطعام، والشراب، واللباس، لكنه الإيمان واتباع الحق حوّلها عن كل ذلك، لأن الإيمان إذا دخل قلبا أحدث انقلابا خطيرا في مفاهيم صاحبه،ورفع الغشاوة التي كانت على عينيه، وجعله يبصر ما لم يكن يراه، وأصبح زوجها الملك المعظم المعبود في نظر الناس أفاكا أثيما عندها، وجعلت تفكر فيه وفيهم، وكيف أنهم سلموا قيادهم له ، وهو يعبث فيهم كيف يشاء، وهو رجل واحد، فلا يرفعون صوتا، وكان ممن إذا قال فعل [١] (ما علمت لكم من إله غيري) [٢] (أنا ربكم الأعلى) [٣] (ما أريكم إلا ما أرى) [٤]

خاضت آسية صراعا نفسيا رهيبا بين ما تعتقد من حق، وبين أوضاعها كملكة وزوجة ملك، إلا أنه لم يدم طويلا صراعها هذا حتى ضحت بملكها وبكل متعه في سبيل اتباع الحق، فأعلنت إيمانها بربها، والتضحية في سبيل ذلك، بالرغم من معرفتها وعورة الطريق وخطورته، فنزلت طوعا عن عرشها، إلى ساحة عذابها فكانت إحدى النساء الخالدات الأربع حتى قال عليه السلام: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من

---

(١) انظر محمود شلبي حياة آسيا بنت مزاحم ص ٢١ فما بعدها دار الجيل بيروت ط٢ ١٤١٢هـ.

(٢) سورة القصص: آية ٣٨.

(٣) سورة النازعات: آية ٢٤.

(٤) سورة غافر :آية ٢٩.

النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) [١] .

وكانت امرأة فرعون مثلا مضروبا للمؤمنين في القرآن لاتباعها الحق وتضحيتها في سبيله، حيث لم يصدها طوفان الكفر الذي عاشت فيه، في قصر فرعون، عن طلب النجاة وحدها، متبرئة من صلتها به ومن عمله، خائفة أن يلحقها شيء من ذلك، قال تعالى: (وضرب الله مثلا للذين ءامنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) [٢] .

حري بامرأة كهذه أن تكون نموذجا مضروبا في الكتاب والسنة، لأنها استعلت بإيمانها، وتجردت في اتباعها لمنهاجه، رغم وجود المؤثرات والأواصر والمعوقات [٣] فاستحقت هذه الإشارة والإشادة العظيمة في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه عليه السلام.

فقد ضحت هذه المرأة بالملك إذ هي امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ [٤].

ثم ضحت بنفسها ثانيا حيث تعرضت لأنكى أنواع التعذيب من زوجها، فصبرت واحتسبت، بل طلبت جوار الله تعالى (إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) .

فاستجاب الله تعالى دعاءها وأنقذها من العذاب الذي تعرضت له من زوجها وزبانيته، حتى انتزع روحها من جسدها فلقيت ربها شهيدة في سبيل اتباع الحق الذي أمر الله باتباعه والتضحية في سبيله .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي عليه السلام باب فضل عائشة ٢٢٠/٤، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل خديجة ١٨٦٨/٤ رقم ٢٤٣١.

(٢) سورة التحريم: آية ١١.

(٣) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٣٦٢٢/٦.

(٤) أنظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٣٧٧/٢٧.

المطلب الرابع
من ضحى بحريته ومفارقة أهله من أجل اتباع الحق

الحق عزيز ومتابعته والاستمساك به ألذ وأعز لمن أنار الله بصيرته، فهو أعز ما يحرص عليه المرأ وأعظم ما توهب الحياة به، وفي سبيله تهون المصاعب والشدائد .

إن هذا النموذج ينطبق على سلمان الفارسي الذي انتقل من بلد إلى بلد، ولقي ما لقي في سبيل الوصول إلى الحق، بل بيع كما تباع السلعة، وهو يبحث عن الحق.

كان سلمان من أهالي فارس من احدى قرى أصبهان [١] ، وكان أبوه على جانب كبير من ديانتهم المجوسية، وكان يحب ابنه هذا ويؤثره على نفسه حتى حبسه في الدار خوفا عليه،إلا أن سلمان لم يضيع وقته في اللهو، بل عكف على دراسة دين آبائه، حتى أصبح سادن النار وموقدها، فلم تشبع رغبته هذه الديانة، وبحث عن غيرها، فمر بكنيسة للنصارى وهم يُصَلّون فأعجب بصلاتهم وسألهم عن أصل دينهم، فأخبروه أنه بالشام، فطلب منهم أن يبحثوا له من يوصله إليها، فلما وصلها صاحب أحد أساقفتهم، فلم يجد عنده الحق الذي كان يبحث عنه،حتى مات، وخلفه آخر فكان أحسن منه وأزهد، وكان سلمان في خدمته حتى مات، فدله أن يرافق رجلا آخر مثله ففعل،حتى مات الآخر، وقبل موته أوصاه أن يهاجر إلى أرض ذات نخل لأنه سيبعث فيها نبي يدين بدين إبراهيم الحنيف، ودله على بعض علاماته التي يعرف بها منها: بين كتفيه خاتم النبوة، ويأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وحثه أن يلحق بتلك البلاد .

رحل سلمان إلى جزيرة العرب مع ركب من قبيلة كلب ببادية الشام، وفي وادي قرى باعوه لرجل يهودي، فأقام عنده، حتى اشتراه يهودي آخر من بني قريظة قدم به إلى يثرب، فظل يتعهد نخله حتى سمع بهجرة الرسول عليه السلام إلى المدينة .

يقول سلمان: إني لفي رأس نخلة، إذ أقبل ابن عم لصاحبي فقال: إي فلان قاتل الله بني فيلة (أم الأوس والخزرج) مررت بهم آنفا وهم مجتمعون على رجل قادم عليهم من مكة يزعم أنه نبي، فو الله ما هو إلا أن سمعتها فأخذني القر ورجفت بي النخلة

---

(١) أنظر الذهبي سير أعلام النبلاء ١/٥٥٠.

حتى كدت أن أسقط، ونزلت سريعا وقلت: ما هذا الخبر؟ فلكمني صاحبي لكمة وقال: وما أنت وذاك ؟ أقبل على شأنك، فأقبلت على عملي حتى أمسيت، فجمعت شيئا فأتيته به، وهو بقباء عند أصحابه، فقلت له: إنه بلغني أنك رجل صالح، ومعك رجال من أصحابك ذووا حاجة، فرأيتكم أحق به، فوضعته بين يديه، فكف يده وقال لأصحابه: كلوا، فأكلوا، فقلت هذه واحدة ورجعت، ولما دخل الرسول عليه السلام المدينة، جمع سلمان شيئا وذهب به إليه وقال له: أحببت كرامتك فأهديت لك هدية وليست بصدقة، ومد يده، وأكل وأكل أصحابه، فقلت: هاتان اثنتان؛ ورجعت فأتيته وقد تبع جنازة في بقيع الغرقد، وحوله أصحابه، فسلمت وتحولت أنظر إلى الخاتم في ظهره، فعلم ما أردت فألقى رداءه، فرأيت الخاتم فقبلته وبكيت، فأجلسني بين يديه فحدثته بشأني كله، فأعجبه ذلك وأحب أن يسمعه أصحابه.

تعددت الروايات في قصة سلمان، وسعيه الحثيث بحثا عن الحق، ومعرفة النبي المنتظر بعد عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، من أصحها ما أخرجها الإمام أحمد من حديث نفسه (١)

وروى البخاري أنه تناوله بضعة عشر سيدا وهو ينتقل بينهم كل واحد منهم يوصي به إلى الآخر (٢)

وثبت في الصحيح أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ (٣) قال أبو هريرة: منهم يا رسول الله ؟ فلم يراجعه، حتى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على سلمان، ثم قال لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء) (٤)

---

(١) أحمد بن حنبل المسند ٤٣٧/٥.

(٢) صحيح البخاري ٩٢٧/٢.

(٣) سورة الجمعة : آية ٣.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير سورة الجمعة قوله تعالى ﴿وآخرين منهم﴾ ج٦ ص٦٣.

دخل سلمان في دين الله وحسن إسلامه، وأصبح من كبار الصحابة، ومن مستشاري الرسول عليه السلام، وهو الذي أشار بحفر الخندق الذي أعجب به المهاجرون والأنصار فأراده كل لنفسه قائلا: (سلمان منا) [١] وجاءت العبارة الكبيرة من صاحب القلب الرحيم، سلمان منا آ ل البيت)[٢] كان سلمان من المعمرين حتى ذكر المؤرخون أنه عاش ما بين ٣٥٠- ٣٥٠ سنة إلا أنه لم يحددوا تاريخ ولادته، كما اختلفوا في سنة وفاته ما بين خلافة عمر وعلي رضي الله عن الجميع، فانتهت حياته في غموض كما بدأت بغموض ويكفيه منزلة ورفعة أنه بلغ إلى بغيته بعد كل تلك التضحيات الجسام التي قدمها فوصل إلى الحق الذي نشده وثبت عليه حتى الممات بل يكفيه فخرا أن يكون اسمه ضمن أصحاب ووزراء ومستشاري خير البرية بل ومن اتباعه الملتزمين بشرعه.

---

(١) أنظر أسد الغابة ٤١٧/٢ والذهبي السير ٥٠٥/١.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٩٨/٣، والبيهقي في الدلائل ٤١٨/٣، والطبراني في الكبير ٦٠٤٠ وضعفه الألباني أنظر ضعيف الجامع ٣٢٧٢.

المطلب الخامس
من ضحى بماله من أجل اتباع الحق

لا شك أن المال زينة الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا... ﴾(١) .

فالمال زينة، وليس قيمة يوزن به الناس ويقدرون على أساسه في الحياة، وإن تعلق به أكثر الخلق، فإن اتباع الحق وميزان العقيدة هي القيم الحقة والباقية التي تستحق أن يهتم بها ويضحى من أجلها.

كثيرون هم الذين ضحوا بمالهم من أجل رفع راية الحق وإعلائه من الرعيل الأول أمثال صديق الأمة أبي بكر الذي أنفق ماله كله في سبيل الله، وعمر الذي أنفق نصف ماله في السبيل نفسه، وعثمان الذي تصدق وأنفق وأعطى وجهز الجيوش العظام بماله.

لكن نموذجنا الذي نريد هو من تعارض عنده اتباع الحق مع الاستمساك بالمال وحيازته وهذه هي الفتنة فأيهما يقدم وبأيهما يستمسك فمن قدم اتباع الحق فهو المضحي وهذا الذي حصل من صهيب الرومي الذي نزل بشأنه قرآن يتلى إلى يوم القيامة، عندما ابتاع ماله ونفسه لله تعالى اتباعا لشرعه وتقديما له على غيره من متع الحياة الدنيا فهو يضحي بكل تلك الأعراض ويخلص نفسه مجردة لله تعالى (٢): قال تعالى: ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ (٣) .

فقد ذكرت روايات عدة في نزول الآية في صهيب الرومي،عندما حال المشركون بينه وبين الهجرة أو بخلي لهم ماله فوافقهم إلى ما طلبوا فتجرد من ماله، وجاء من تلك الروايات أنه : أقبل صهيب مهاجرا نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتبعه نفر من قريش من المشركين فنزل عن راحلته، ونثر ما في كنانته، وأخذ قوسه ثم قال: يامعشر قريش لقد علمتم إني من أرماكم رجلا، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بما

---

(١) سورة الكهف آية ٤٦.

(٢) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٢٠٦/١.

(٣) سورة البقرة آية ٢٠٧.

في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، قالوا: دلنا على بيتك ومالك بمكة، ونخلي عنك، وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه ففعل، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال: أبا يحيى ربح البيع ربح البيع، وأنزل الله الآية [١].

إنه نموذج من نماذج اتباع الحق والتخلي في سبيله عن كل عرض من أعراض الدنيا .

---

(١) أبو الحسن الواحدي أسباب النزول ص ٤٣-٤٤.

المطلب السادس
من ضحى ببر والديه من أجل اتباع الحق

يؤمن متبع الحق بأهمية بر الوالدين ووجوبه عليه، لا لكونهما سبب وجوده فحسب، أو قدما له من الجميل والمعروف ما وجب معه مكافأتهما بالمثل، بل لأن الله أوجب طاعتهما وبرهما على المكلفين، وقرنه بحقه الواجب له تعالى من عبادته وحده دون سواه، فقال: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهر هما وقل لهما قولا كريما) [١] .

وسئل عليه السلام عن أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ فقال: (بر الوالدين) [٢] لذا كان من أعلى ما يتسابق فيه المتسابقون فيجدون عليه محمدة الخلق، وثناء الخالق وحسن ثوابه.

إلا أن هذا البر إذا تعارض مع اتباع الحق ومنع منه فإنهم ما كانوا يبالون به بل كانوا يقدمون اتباع الحق على اتباع أوامر الوالدين فيما فيه معصية لله تعالى.

ووصل بهم أمر التضحية في سبيل اتباع الحق وتقديم النفس والنفيس فيه، التضحية ولو بمن أمروا ببره إذا قويت معارضته للحق ومناوءته له أو معارضة رسوله أو أتباعه، فهذا عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول [٣] يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يأتيه برأس والده الذي عظمت أذيته للرسول عليه السلام وكان رأس المنافقين، وابنه من أبر الناس به، قال عبد الله:(يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه،

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٠٩/١، وابن حبان في صحيحه ٣٤٠/٤, رقم ١٤٦٧

(٣) ابن أبي بن مالك بن الحرث الأنصاري الخزرجي كان أبوه رأس المنافقين في المدينة شهد بدرا وأحدا والمشاهد روت عنه عائشة كان من أبر الناس بأبيه ولكن لم يمنعه ذلك من متابعة الحق والدفاع عنه، (انظر الإصابة ٣٣٥/٢-٣٣٦.)

فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالديه مني، وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا) [١] .

وقبل هذا عندما قال ابن أبي قولته الشنيعة، وهي ما حكاها الله عنه بقوله:﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ [٢] .

فقام عمر فقال دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال عليه السلام: (دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه) [٣] .

ووقف ابنه البار به في باب المدينة وأقسم بمنعه من دخولها إلا بإذن من الرسول عليه السلام قائلا: (والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله عليه السلام العزيز ففعل) [٤] .

وهذا النموذج يتبعه نموذج آخر ممن ضحى ببر أحد والديه وهو سعد ابن أبي وقاص [٥] الذي لبى نداء الإسلام ودخل في دين الله وكان أحد الخمسة الأوائل السابقين إلى الإسلام الذين اتبعوا الحق الذي جاء به المصطفى عليه السلام.

ولما كان أحد أبر الناس بأمه ابتلي في هذا المجال حتى تظهر مصداقيته ويتحقق إيمانه، فقالت له أمه أليس الله قد أمر بالبر، فو الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا

---

(١) أخرجه الطبري بسنده في جامع البيان ١١٦/٢٨. ولم أجده في كتب السنة التسعة المشهورة.

(٢) سورة المنافقون آية ٨.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير باب قوله تعالى﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم..﴾ رقم ٤٩٠٥،ومسلم في البر والصلة باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما رقم ٦٣.

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير باب ومن سورة المنافقين رقم ٣٣١٥ وقال حسن صحيح.

(٥) هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري أبو اسحاق بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين وآخرهم موتا روى عن النبي عليه السلام كثير من الأحاديث . (انظر الإصابة ٣٣/٢.)

حتى أموت فتعير بي أو تدعن دينك هذا فقال لا تفعلي يا أمه فإني لا أدع ديني، فمكثت يوما وليلة لا تأكل فأصبحت وقد جهدت، وسعد يناشدها أن لا تفعل في اليوم الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، وكانت تأبى له عندها قال لها: والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت قبل أن أدع ديني هذا .

ولما علمت جديته وأنه لا يعود أبدا عن دينه الجديد أكلت [١] .

فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾[٢] .

إن رابطة اتباع الحق تعلوا كل رابطة، فمهما بذل الوالدان أو أحدهما من جهد ومجاهدة ومغالبة وإقناع عن طريق الإغراء أو التهديد ليثنيا ولدهما عن متابعة الحق، فهنا يسقط حق طاعتهما لكن يبقى لهما الإحسان والرعاية دون الطاعة والاتباع، وهذا هو النموذج الذي ضربه سعد في هذا الجانب، حيث كان اتباع الحق أغلى عنده وأعلى، فقدمه عندما تعارض مع البر بوالدته الذي اشتهربه دون سواه .

---

(١) انظر الطبري جامع البيان ٢١/٧٠.

(٢) سورة لقمان آية ١٥

الفصل الثاني

أسباب الاتباع للباطل وأنواعه وأركانه ونماذجه

المبحث الأول:أسباب الاتباع للباطل

المبحث الثاني: أنواع الاتباع للباطل

المبحث الثالث: أركان الاتباع للباطل

المبحث الرابع :نماذج الاتباع للباطل

المبحث الأول

أسباب الاتباع للباطل

المطلب الأول: الكبر

المطلب الثاني: الحسد والعناد

المطلب الثالث: الإعراض عن منهج الله والاستغناء عنه

المطلب الرابع: اتباع الشبهات والشهوات

المطلب الخامس: الجهـــــل

المطلب السادس: الابتـــــداع

المطلب السابع: التقليد والتعصب

المطلب الثامن: الغلـــــــو

أسباب الاتباع للباطل

سبق في مبحث موانع الاتباع بعض أسباب اتباع الباطل وهي الموانع المباشرة التي تمنع المكلف عن اتباع الحق.

أما مجال هذا المبحث فسيكون الحديث فيه عن أسباب اتباع الباطل ولا شك أن كل سبب يمكن أن يكون مانعا عن اتباع الحق فإلى أسباب اتباع الباطل:

المطلب الأول

الكبر

الكبر بالكسر الكبرياء والعظمة والتجبر[١]

مأخوذ من مادة (ك ب ر) التي تدل على خلاف الصغر ، تقول: تكبر وتكابر واستكبر وأكبرت الشيء استعظمته، والتكبر والاستكبار التعظم[٢]

وفي الاصطلاح: هو بطر الحق وغمط الناس. فأكبر حالة يتخصص بها الانسان من إعجابه بنفسه وأن يرى نفسه اكبر من غيره[٣]

إن المتكبر يستعظم نفسه ويرى قدرها فوق قدر الغير[٤]

وينزلها فوق منزلتها[٥] مستحسنا فضائل نفسه مستهينا بالآخرين مترفعا عنهم[٦]

إن أشد أنواع الكبر هو الكبر على الله وعلى منهاجه بأن يمتنع من الانقياد له تكبرا وجهلا ،

---

١ انظر ابن منظور: لسان العرب مادة ك ب ر ٥/ ١٢٩.

٢ انظر ابن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة ك ب ر ٥/ ١٥٤.

٣ انظر محمد الغزالي إحياء علوم الدين ٣/ ٣٤٥،دار الشعب، القاهرة، د.ت.

٤ انظر محمد الغزالي إحياء علوم الدين ٣/ ٣٤٥،دار الشعب، القاهرة، د.ت.

٥ انظر التهاوني كشاف اصطلاحات الفنون ١٢٤٧/٣.

٦ انظر ابن مسكويه تهذيب الأخلاق ص ٣٢ دار الكتب العربية، بيروت ط٢، ١٤٠١هـ .

قال تعالى﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروكل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ [١]

والمعنى (سأجعل الصرف عن الآيات عقوبة للمتكبرين على تكبرهم)[٢] فكان الكبر سببا من أسباب اتباع الباطل ﴿ وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا﴾ والغي: هو الفساد والضلال[٣]، إن الكبر مانع من موانع اتباع الحق وسبب قوي من أسباب اتباع الباطل فقد حصل أول انحراف في تاريخ البشرية بسببه عندما رفض إبليس السجود لآدم تكبرا منه وإعراضا قال تعالى﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ [٤]

وقد عد ابن القيم الكبر ركنا أساسيا من أركان الكفر الأربعة وقال: إنه يمنع الإنسان من الانقياد،فإذا انهدم ركن الكبر سهل عليه الانقياد[٥]

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن الكبر (بطر الحق[٦] وغمط الناس)[٧]

قال تعالى:﴿ وما نرسل المرسلين إلامبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا﴾ [٨]

وقال تعالى:﴿ وهمّت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ [٩]

بينت الآيتان أن الذين كفروا (يجادلون بالباطل ليغلبوا به الحق ويبطلوه)[١٠]

---

[١] سورة الأعراف آية:١٤٦

[٢] ابن عطية المحرر الوجيز ٧٨/٦.

[٣] ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٠٥/٩.

[٤] سورة البقرة آية:٣٤

[٥] انظر ابن القيم، الفوائد ص ٢٠٦

[٦] بطر الحق: دفعه، وغمط الناس: احتقارهم (انظر هامش صحيح مسلم ٩٣/١.)

[٧] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ رقم(٩١).

[٨] سورة الكهف آية :٥٦

[٩] سورة غافر آية:٥

[١٠] سيد قطب في ظلال القرآن ٢٢٧٦/٥.

وآية سورة الكهف تفيد معنى الاستدراك منهم. (أي أرسلنا الرسل مبشرين ومنذرين بما فيه مقنع لطالب الهدى ولكن الذين كفروا جادلوه بالباطل لإزالة الحق لا لقصد آخر)[١]

إن منشأ الجدال في آيات الله وردها مع الإنكار بغير حجة سببه الكبر والعياذ بالله قال تعالى ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾[٢]

وبهذا يتبين أن (الكبر والإعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح ولا قبول لتأديب)[٣] فهو سبب من أسباب إتباع الباطل لأنه يبعد المتكبرين عن طاعة الله، والله تعالى يصرفهم عن آياته فتعمى بصائرهم فلا يرون الحق فيكون مصيرهم إلى النار قال تعالى ﴿.. إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[٤] وقال عليه السلام (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[٥]

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير ٣٥٣/١٥.

[٢] سورة غافر آية ٥٦.

[٣] الماوردي، أدب الدنيا والدين ص ٢٣١.

[٤] سورة غافر آية ٦٠.

[٥] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١.

المطلب الثاني

الحسد والعناد

الحسد هو كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه فيتألم الإنسان بما يراه لغيره من الفضائل[١].

وهو خلق ذميم مفسد للدين أمر الله بالاستعاذه منه في قوله تعالى ﴿ومن شر حاسد إذا حسد ﴾[٢].

والعناد من المعاندة وهو شديد المخاصمة واللجاج بغير الحق .

ان الحسد والعناد مانعان من موانع اتباع الحق وسببان دافعان الى اتباع الباطل .

قال تعالى ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله علىكل شئ قدير ﴾[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم:(دب إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء ،والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر)[٤]

فإذا كان الحسد يحلق الدين فلا شك أنه سبب من أسباب اتباع الباطل ولهذا منع كل من تلبس به عن قبول الحق واتباعه وقبول النصيحة فيه ، ولهذا كان العناد والحسد هو المانع لكثير من أهل مكة عن اتباع الحق والدخول في الاسلام رغم تأثير الحق في نفوسهم ، فقد اجتمع ثلاثة نفر من قريش[٥] كان قد استمع كل واحد منهم الى القرآن سرا عن صاحبه ثم انكشف سرهم فسأل أحدهم أباجهل[٦] وكان من أولئك الثلاثة ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنوا عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا

---

[١] انظر ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق ص٣٤.

[٢] سورة الفلق آية ٥.

[٣] سورة البقرة آية ١٠٩.

[٤] أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٦٥/١، ١٦٧ الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع. أنظر ح رقم ٢٥١٠،وقواه المنذري ٥٤٨/٣

[٥] النفر الثلاثة هم أبو سفيان بن حرب وأبوجهل بن هشام والأخنس بن شريق وهم زعماء قريش.

[٦] السائل هو الأخنس بن شريق.

كفرســـي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن بـــه أبدا ولا نصدقه[١] وهذا عناد منه وحسد لأنه اعترف بصدق الرسول عليه السلام حيـــث قال : والله إن محمد لصادق وماكذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجامة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش[٢]

وكـــان يقـــول : يـــا محمـــد انـــا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله ﴿ فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾[٣])[٤]

وقـــد حكى القرآن اعتراف الكفار بسلامة القرآن وإعجازه وأن الذي منعهم من اتباعه هـــو العناد والحسد[٥] لنزول القرآن على محمد عليه السلام ولم ينزل على عظمائهم قال تعالى: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجلٌ من القريتين عظيم﴾[٦] حتى قال قائلهم[٧] (أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها)[٨] ، وبلغ عنادهم أقصاه حين أعلنوا رفضهم لقبوله حتى وإن كان حقاً وهذا ما حكاه الله عنهم بقوله ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[٩]

وبهـــذا يتـــبين أن العـــناد والحسد من الموانع التي تمنع العبد من اتباع الحق ومن الأسباب التي تدفعه إلى اتباع الباطل.

ذلك أن الحسد أول ذنب عُصيّ الله به في السماء عندما حسد إبليس آدم وهو أول ذنب عُصـــي الله به في الأرض عندما حسد ابن آدم أخيه حتى قتله[١٠]، فهو إذاً منبع الشرور ومفـــتاح العواقـــب الوخيمة يورث الحقد ويدل على سفول خلق صاحبه ودناءة نفسه، نسأل الله السلامة منه.

---

[١] انظر ابن هشام السيرة النبوية ٣٧٧/١ فما بعدها مطبعة مصطفى البابي مصر سنة ١٣٥٥هـ.

[٢] انظر الواحدي، أسباب النزول ص١٦١.

[٣] سورة الأنعام آية ٣٣.

[٤] أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام ٣٢٦/٤.

[٥] انظر فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن ص١٥ مكتبة التوبة الرياض ط٧ سنة ١٤١٩هـ.

[٦] سورة الزخرف آية ٣١.

[٧] القائل هو الوليد بن المغيرة، انظر فهد الرومي دراسات في علوم القرآن ص ١٥.

[٨] ابن هشام، السيرة النبوية ٣٨٧/١.

[٩] سورة الأنفال آية ٣٢.

[١٠] أنظر الماوردي، أدب الدنيا والدين ص ١٧٦.

المطلب الثالث

الإعراض عن منهج الله والاستغناء عنه

إن الاستغناء عن منهج الله سبب من أسباب اتباع الباطل، فقد تأصل في نفوس كثير من المبطلين في هذا العصر الحاضر بما لم يكن له مثيل من قبل، وذلك بتبديل شرع الله، ووضع شرائع أرضية مكانه، والحكم بغير ما أنزل الله تعالى.

ومما دفع إلى هذا أسباب خارجية وداخلية فالأولى بفعل الأعداء والثانية بفعل المسلمين، والتي منها حدوث الجمود الفقهي الذي استفحل أمره في أواخر عهد الخلافة العثمانية فاندفع بعض الناس للدعوة إلى أخذ القوانين الوضعية من الغرب والشرق[١]

إن الذين يستغنون عن منهج الله ويعرضون عن دينه ويستبدلونه بالكفر حبا له واستغناء به فالله تعالى لا يطهر قلوبهم، ولا يوفقهم إلى الاهتداء إلى الحق، قال تعالى: ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾[٢]

فإذا تسبب المكلف في الإعراض عن اتباع الحق فالله تعالى يعاقبه بعدم تطهير قلبه، وعدم توفيقه إلى الهداية وقد يستدرج بالنعم من حيث لايعلم، مع إيقاع الذل والفضيحة عليه، وعدم غفران ذنوبه، ومنع هدايته إلى طريق الحق الذي هو الإسلام في الدنيا، وعدم هدايته إلى طريق الجنة في الآخرة.

---

(١) انظر عبد السلام نصر الله الشريف، سنة الله في عقاب الأمم في القرآن ص ٢٦١،دار المعراج، الرياض،ط١، ١٤١٥هـ

(٢) سورة المائدة آية ٤١.

المطلب الرابع
اتباع الشبهات والشهوات

الشبهات والشهوات مادتان فاسدتان يمد بعضهما بعضا والاستمتاع بهما سبب من أسباب اتباع الباطل والبعد عن اتباع الحق فيقع بهما أعظم البلاء والفتنة.

وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ..﴾ [١]

قوله ﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾ أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها.

﴿خضتم كالذي خاضوا﴾ فهذا الخوض بالباطل وهو الشبهات.

ففي الآية إشارة إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلاق والخوض بالباطل، لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح[٢].

إن أعظم الفتنتين يكون بالشبهات التي تحدث من ضعف البصيرة وقلة العلم ولهذا كان مآل متبعها أن توصله إلى الكفر والنفاق فهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع لأنهم ما ابتدعوا إلا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال[٣].

إن فتنة اتباع الباطل بالشبهات تنشأ تارة من فهم فاسد أو نقل كاذب أو حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به أو من غرض فاسد وهوى متبع فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة، ولا ينجي منها إلا تجريد اتباع الرسول عليه السلام وتحكيمه في دق الدين وجله في عقائدة وأعماله وحقائقه وشرائعه لأنه رسول في كل شئ تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل لا يتلقى إلا عنه ولا يؤخذ إلا منه لأن الهدى كله

---

[١] سورة التوبة آية ٦٩.

[٢] انظر ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١٦٦/٢، دار المعرفة بيروت د.ت.

[٣] انظر المرجع السابق ١٦٥/٢، وابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١٠٢/١.

دائر على أقواله وأفعاله[١]. أما فتنة الشهوات، فقد ذكر الله تعالى في كتابه جملة من الشهوات التي يرغبها ويحبها البشر ويطمئنون إليها قال تعالى ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام الحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[٢]

وختمت الآية بأن هذه الشهوات كلها متاع زائل مما يتمتع به في الدنيا ولكن عند الله ما هو أفضل منها وأعلى لمن لم تغرقه هذه الشهوات فتنسيه الهدف الأسمى من خلقه ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ...﴾ ﴾[٣]. إن هذه الشهوات أصلها مباحة لكنها يمكن أن تستعمل للخير والشر حسب ما تستعمل له وهناك شهوات أخرى محرمة كالزنا وشرب الخمور والمخدرات والربا وأكل مال اليتامى بالباطل، والحسد، والكبر، وغيرها من المحرمات.

إن الإغراق في الشهوات المباحة ينسي طاعة الله تعالى ومراقبته[٤] فيدفع المكلف إلى الركون إلى اللذة العاجلة الزائلة التي تنتهي بانتهاء فعلها فيصير عبدا لها وتكون سببا له في اتباع الباطل. وبهذا يتبين أن أصل كل فتنة تحصل باتباع الباطل إنما تكون من تقديم الرأي على الشرع وتقديم الهوى على العقل.

فالأول أصل فتنة الشبهة والثاني أصل فتنة الشهوة وتدفع الأولى باليقين والبصيرة والثانية بالصبر وبالأمرين يخرج الإنسان عن اتباع الباطل ويسلك طريق الحق بل يرقى إلى الإمامة في الدين قال تعالى ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[٥]

قال ابن القيم: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين[٦].

فالشبهات والشهوات دافع قوي وسبب من أسباب اتباع الباطل.

---

[١] انظر ابن القيم، إغاثة اللهفان ١٦٥/٢-١٦٦.

[٢] سورة آل عمران آية ١٤.

[٣] سورة آل عمران آية ١٥.

[٤] انظر حامد محمد المصلح، المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع ص٦٨.

[٥] سورة السجدة آية ٢٤.

[٦] ابن القيم، إغاثة اللهفان ١٦٧/٢.

المطلب الخامس

الجـــــهل

الجهل مأخوذ من مادة (ج هـ ل)التي تدل على معنيين : خلاف العلم والخفة ٠
قال ابن الفارس (الجيم والهاء واللام) أصلان أحدهما خلاف العلم والآخـــر الخفـة وخلاف الطمأنينة، فالأول الجهل نقيض العلم)[١]
وفي اللسان: الجهل نقيض العلم والجهل ضد الخبرة يقال هو يجهل ذلك أي لا يعرفه[٢].
والجهل في الاصطلاح : هو اعتقاد الشيء خلاف ما هو عليه[٣] وقيل هو التقـــدم فـي الأمور المبهمة بغير علم[٤].
وحقيقة الجهل عدم العلم بما من شأنه أن يكون معلوما ولهذا ذم الله الجاهل في كتابـــه كثيرا إلا في حالات نادرة مثل قوله تعالى ﴿.. يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفـــف﴾ [٥] أي من لايعرف حالهم وليس يعني المتخصص بالجهل المذموم[٦].
لما كان الجهل هو خلو النفس من العلم فقد كان من أعظم أسباب إتباع البـــاطل لأنـــه يحول بين صاحبه وبين إتباع الحق.
إن (جهل كثير من الناس أو أكثرهم بالأمر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورســـوله والذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته والذي أمرهم باتباعه)[٧] جعلهم يقعـون في الضلال ذلك أن الجاهل عدو ما يجهل ، والله تعالى أمر رسوله بالاعراض عنـــهم قال تعالى ﴿خذ العفو وامر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين﴾ ﴾[٨]

---

[١] ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة جهل ٤٨٩/١.
[٢] ابن منظور، لسان العرب مادة جهل ٧١٣/٢.
[٣] الجرجاني، التعريفات ص٨٠.
[٤] محمد عبدالرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ص١٣٢ القاهرة سنة ١٤١٠هـ.
[٥] سورة البقرة آية ٢٧٣.
[٦] انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ص٢٠٩.
[٧] ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٥٦/٢٢.
[٨] سورة الأعراف آية ١٩٩.

كما وعظ الله تعالى نبيه محمدا ونوحا عليهما السلام أن لايكونا من الجاهلين ، قال تعالى ﴿... ولوشاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ [١]

وقال تعالى ﴿...فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ ﴾ [٢]

إن الاتباع يتطلب من المتبع أن يفهم معاني نصوص الوحيين وكثيراً من المعاني المعقولة التي تتوافق مع العقل السليم.

ولهذا فإن من أخطر أنواع الجهل التي أدت إلى إتباع الباطل ما يلي :

المسألة الأولى: الجهل بالقرآن.

المسألة الثانية: الجهل بالسنة.

المسألة الثالثة: الجهل بدلالات النصوص وقواعد الاستدلال.

المسألة الرابعة: الجهل بمقاصد الشريعة.

المسألة الأولى: الجهل بالقرآن

فقد أنزل الله تعالى كتابه للهداية والاتباع وحتى يتحقق به ذلك أمر تعالى بتدبره حتى يرفع المكلف الجهل عن نفسه بذلك حيث لايتحقق الاتباع من المتبع إلا بعلم وفهم الأمر المتبع ، ولهذا تكررت الدعوة بتدبرالقرآن وتفهم معانيه قال تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [٣] .

وقال تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾ ﴾ [٤].

وقال تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [٥]

يقول الطبري : (يعني جل ثناؤه بقوله ﴿ أفلا يتدبرون القرآن﴾ أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك ، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم لا تساق معانيه وائتلاف أحكامه ،

---

[١] سورة الأنعام آية ٣٥.

[٢] سورة هود آية ٤٦.

[٣] سورة النساء آية ٨٢.

[٤] سورة ص آية ٢٩.

[٥] سورة محمد آية ٢٤.

وتأييد بعضه بعضا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه ، وأبان بعضه عن فساد بعض)[١]

إن الجهل بأحكام القرآن يعرض المكلف إلى اتباع الباطل لجهله بالحق الذي جاء به كتاب الله تعالى يقول ابن تيمية :(إن ضلال بنى آدم وخطأهم في أصول دينهم وفروعه إذا تأملته تجد أكثره من عدم التصديق بالحق لا من التصديق بالباطل فما من مسألة تنازع الناس فيها في الغالب إلا وتجد ما أثبته الفريقان صحيحان وإنما تجد الضلال وقع من جهة النفي والتكذيب)[٢]

وهذا نتيجة الجهل بالأمر المتبع وقد أخبر تعالى (في غير موضع من كتابه بالضلال والعذاب لمن ترك اتباع ما أنزله وإن كان له نظر وجدل في عقليات وأمور غير ذلك وجعل ذلك من نعوت الكفار والمنافقين)[٣].

قال تعالى ﴿ أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ﴾[٤].

وقد أمن الله من اتبع هداه عن الضلال والشقاء في الدنيا والأخرة قال تعالى ﴿.. فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾[٥]

فقد كان عدم فهم القرآن الكريم سببا من أسباب اتباع الباطل (في انحراف أقوام من المبتدعة فقوم صرفوا دلالته عن معانيها إلى معان أخرى واعتمدوا على العقل في تفسير القرآن الكريم، وقوم جعلوا للقرآن ظاهرا وباطنا ولبسوا على عوام الناس بذلك ، وقوم اعتمدوا في تفسير القرآن على الرأي المجرد والأهواء والظنون ، وما انحراف الخوارج في القديم إلا بسبب جهلهم بالقرآن وعدم فقههم له)[٦].

---

[١] ابن جرير الطبري، جامع البيان ١٧٩/٥.

[٢] ابن تيمية مجموع الفتاوى ١٠٥/٢٠.

[٣] ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ٥٦/١.

[٤] سورة سبأ آية ٨.

[٥] سورة طه آية ١٢٣.

[٦] عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر ٧٩/١، الناشر المؤلف الرياض ط١ سنة ١٤١٩هـ.

فقد قال صلى الله عليه وسلم في وصفهم : (يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)[١].

ومعنى الحديث أنهم ليس لهم من القرآن حظ الا مروره على ألسنتهم بالقراءة النظرية دون وصوله إلى القلوب التي تعقل ما تقرأ وتتدبر المعاني[٢]. قال الشاطبي: (ألا ترى أن الخوارج كيف خرجوا من الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي؟ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفهم بأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يعني – والله أعلم – أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم لأن الفهم راجع إلى القلب فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل به فهم على حال وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف المسموعة فقط وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم)[٣].

يتضح من هذه النصوص أن الجهل بأحكام القرآن سبب من أسباب اتباع الباطل.

المسألة الثانية: الجهل بالسنة.

السنة في اللغة: الطريقة والسيرة

ففي المصباح المنير (السنة: الطريقة، والسنة: السيرة حميدة كانت أو ذميمة والجمع سنن مثل غرفة وغرف)[٤].

أما في الاصطلاح فقد عرفها أهل كل فن بما يتلاءم مع موضوعاتهم من أصوليين وفقهاء ومحدثين، ويهمنا من تلك التعريفات التعريف الشامل الذي يخدم موضوع الاتباع وأن الجهل مضر له، فهي (ما أثر عن النبي عليه السلام من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة)[٥].

---

١ أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ٥٢/٨ ومسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٠/١ برقم ١٠٦٣:

٢ انظر ابن حجر العسقلاني، الفتح ٢٩٣/١٢.

٣ إبراهيم بن موسى الشاطبي، الإعتصام ١٨٢/٢ دار المعرفة، بيروت د.ت.

٤ الفيومي، المصباح المنير مادة سنن ٣٤٥/١.

٥ مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٤٧.

إن حجية السنة ووجوب اتباعها والعمل بها مما تضافرت فيه نصوص الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ...﴾ [١] وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [٢] وقوله تعالى ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [٣].

ففي الآية الأولى أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول عليه السلام تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه[٤] فلا يتوهم متوهم أن ما يأمر به الرسول عليه السلام إن لم يكن في القرآن وإلا لا تجب طاعته فيه[٥] كما قال عليه السلام (يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يأتيه الأمر من أمري فيقول بيننا وبينكم كتاب الله تعالى ما وجدنا فيه من شيء اتبعناه ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه..)[٦]

أما الآية الثانية فهي (حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله)[٧].

أما المقصود بمخالفة أمره في الآية الثالثة فهو مخالفة (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان)[٨]

أما أدلة حجية السنة من الأحاديث فكثيرة منها:

---

[١] سورة النساء آية ٥٩.

[٢] سورة آل عمران آية ٣١.

[٣] سورة النور آية ٦٣.

[٤] انظر ابن القيم، إعلام الموقعين ٤٨/١.

[٥] انظر علي الصالحي، الضوء المنير على التفسير ٢٣٥/٢.

[٦] أخرجه أبو داود في السنة باب لزوم السنة ٢٠٠/٤ (٤٦٠٤) والترمذي في العلم (٢٦٦٤) وابن ماجه في المقدمة (١٢).

[٧] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٧٧/١.

[٨] المرجع السابق ٤١٠/٣.

١- قوله عليه السلام (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[١]

٢- وقوله عليه السلام (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا يارسول الله ومن يأبى؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)[٢].

٣ - وقوله عليه السلام (دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم)[٣].

إن السنة النبوية وحي أوحاه الله على رسوله عليه السلام فهو لا ينطق عن الهوى وسنته تفصل القرآن وتبينه وقد تستقل بحكم لم يرد في القرآن ، فالجهل بها سبب من أسباب الضلال واتباع الباطل فقد أتي أكثر أهل الانحراف والبدع من سوء فهمهم لنصوص السنة وتعطيلهم لها (فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على مايدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك)[٤].

أن الجهل بالسنة أدى إلى الابتداع والكذب ورواية الأحاديث الموضوعة والضعيفة والاستدلال بها واتباع ما تدل عليه وهو من الباطل والانحراف لأنه أراء مجردةعن الأدلة حذر السلف من اتباعها (إياكم وأصحاب الرأي فإن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا)[٥].

وبهذا يتضح أن الجهل بالسنة سبب من أسباب اتباع الباطل .

---

[١] أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ ٥٣٦/١ ومسلم كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام ا لباطلة ١٣٤٤/٣ رقم ١٧١٨.

[٢] أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الإقتداء بسنن رسول الله ١٣٩/٨.)

(٣) أخرجه البخاري في نفس الكتاب والباب السابقين ١٤٢/٨.)

(٤) ابن تيمية مجموع الفتاوى ١١٦/٧.)

(٥) قائله هو الخليفة عمر بن الخطاب الذي أمر الرسول عليه السلام باتباع سنته.انظر فتح الباري ٨٩/١٣ ؟

المسألة الثالثة:الجهل بدلالات النصوص وقواعد الاستدلال :

إن الجهل بما تدل عليه النصوص من الدلالات اللغوية ، والمصطلحات الشرعية والاستخدامات العرفية ، والجهل بالناسخ والمنسوخ،والمطلق والمقيد،والمحكم والمتشابه، والجهل بقواعد الترجيح،وغيره من أنواع الجهل الذي أدي إلى اتباع الباطل .

يقول الشاطبي : (فخرّج أبو عبيد في فضائل القرآن وسعيد بن منصور في تفسيره عن إبراهيم التيمي قال : خلا عمر _ رضي الله عنه _ ذات يوم فجعل يحدث نفسه : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد ؟ فأرسل إلى ابن عباس _رضي الله عنهما _ فقال : كيف تختلف هذه الامة ونبيها واحد وقبلتها واحدة _ زاد سعيد وكتابها واحد _ ؟ قال : فقال ابن عباس ياأمير المؤمنين : إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما أنزل ، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يدرون فيما أنزل فيكون لكل قوم فيه رأي فإذا كان كذلك اختلفوا وقال (سعيد): فيكون لكل قوم فيه رأي فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا قال فزجره عمر وانتهره علي فانصرف ابن عباس ، ونظر عمر فيما قال فعرفه ، فأرسل إليه وقال أعد علي ماقلته ، فأعاد عليه فعرف عمر قوله وأعجبه)([1]).

فانظر كيف أن الجهل بما تدل عليه النصوص سبب من أسباب اتباع الباطل.

المسألة الرابعة:الجهل بمقاصد الشريعة

المقاصد جمع مقصد وهو موضع القصد أو الجهة([2]).

ومقاصد الشريعة هي (المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أنواع التشريع أومعظمها بحيث لايختص بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة)([3]) .

([1]) الشاطبي الاعتصام ١٨٣/٢)

([2]) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة ص٥٠ الشركة التونسية للتوزيع تونس ط٢ سنة ١٤٠٨.

([3]) المرجع السابق.

إن الجهل بمقاصد الشريعة يعني الجهل (بالأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها)([١])

إن الاحكام الشرعية لم تقصد لذاتها، وإنما لأمور أخرى هي معانيها، والمصالح التي شرعت لأجلها وهي تشمل الدنيا والآخرة كما تشمل جميع أنواع التكاليف وجميع أنواع المكلفين([٢]).

ومن الجهل بهذه المقاصد

الجهل بيسر الشريعة حيث جاءت بالتيسير على الناس ورفع الآصارعنهم حيث بعث الله نبيه بذلك كما قال تعالى ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ... ﴾([٣])

وكذلك الجهل برتب المصالح والمفاسد حيث أن (الشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح)([٤])

ولذلك كان الجهل بهذا اليسر وهذه الرتب أدى إلى التعسير على النفس والتشدد في أخذ الدين فكان له الغلبة لأن المتشدد في الدين ينتهي به الأمر إلى أن يغلب، وبالتالي الانهزام والفتور والقعود عن العمل واتباع الباطل بالتجاوز للحق المشروع.

يقول الشاطبي بعد أن ذكر أسباب افتراق المبتدعة:((هذه الأسباب الثلاثة راجعة في التحصيل إلى وجه واحد وهو الجهل بمقاصد الشريعة والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت))([٥])

([١]) علال الفارسي، مقاصد الشريعة ومكارمها ص٧ دار الغرب الإسلامي ط٥ سنة ١٤١٣هـ.

([٢]) أنظر الشاطبي، الموافقات ٣٨٥/٢.

([٣]) سورة الأعراف آية ١٥٧.

([٤]) العز بن عبد السلام قواعد الأحكام ٧٣/٢

([٥]) الشاطبي الاعتصام ١٨٢/٢)

يتبين من هذا أن الجهل يورد المهالك ويجلب لصاحبه المصائب فهو مفسد غير مصلح، يضر ولا ينفع ويخرب ولا يعمر

كل انحراف ومعصية واتباع الباطل أثر من أثاره وثمرة من ثماره([1]).

([1]) أنظر صالح بن حميد وآخرون موسوعة نضرة النعيم ٤٣٨٩/٩.

المطلب السادس

الابتداع

إن الابتداع والتعلق بالمحدثات مما تميل إليه نفوس كثير من البشر لذلك كان سببا من أسباب اتباع الباطل

فصاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها السنة حتى يكون ملبسا بها على الغير، أو تكون هي مما تلتبس عليه بالسنة[١] فقد غلبه هواه وكبرت عليه الشبهة حتى أنه لم يجد مجالا لمناقشتها ومعرفة صوابها من خطئها فإذا صاحب ذلك الجهل بالشرع وضعف الانكار للمحدثات في الأمة مع حصول مال أو جاه عليها صعب الرجوع عنها إلا من رحم الله فتتنامى وتتدرج حتى تتأصل في النفوس حتى تنكر السنن ويبدع أهلها وينقلب الحق باطلا والباطل حقا.

إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها[٢].

قال عليه السلام (إن الله احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة)[٣]

قال الشاطبي (وسبب بعده عن التوبة أن الدخول تحت تكاليف الشريعة صعب على النفس؛ لأنه أمر مخالف للهوى وصاد عن سبيل الشهوات فيثقل عليها جدا لأن الحق ثقيل والنفس إنما تنشط بما يوافق هواها لا بما يخالفه وكل بدعة فللهوى فيها مدخل لأنها راجعة إلى نظر مخترعها لا إلى نظر الشارع فإن تعلقت بحكم الشارع فعلى حكم التبع لا بحكم الأصل؛ مع ضميمة أخرى وهي أن المبتدع لا بد له من تعلق بشبهة دليل، ينسبها إلى الشارع، ويدعي أن ما ذكره هو مقصود الشارع، فصار هواه

---

(١) أنظر الشاطبي الاعتصام ١/٤٠.)

(٢) اللالكائي، شرع أصول الاعتقاد ١/١٣٢ طبعة دار طيبة، الرياض.)

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم ٣٧ وأخرجه الطبراني في الأوسط وحسن إسناده كما حسن إسناده الألباني أنظر السلسلة الصحيحة ٤/١٥٤ برقم ١٦٢٠.

مقصودا بدليل شرعي في زعمه فكيف يمكنه الخروج عن ذلك وداعي الهوى مستمسك بحسن ما يتمسك به وهو الدليل الشرعي في الجملة)[١].

إن المبتدع نصب نفسه مضاهيا للشارع الحكيم، لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجري على سنتها، ولو كان التشريع من مدركات الخلق لم تتنزل الشرائع ولم تبعث الرسل، وقد فهم السلف هذه المعاني العظام فابتعدوا عن البدع وحذروا الناس منها وكانوا يرون أن أصول السنة التمسك بما كان عليه أصحاب محمد عليه السلام والإقتداء بهم وترك البدع والآراء المضلة وكانوا يرون أن من ابتدع بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمد خان الرسالة لأن الله يقول ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [٢]

فالله تعالى أتقن بناء دينه وأكمله فيكون مجال الناس التطبيق والتنفيذ والسمع والطاعة كما أن رسوله عليه السلام بلغه غير منقوص فما انتقل إلى جوار ربه إلا والدين كامل لا يحتاج إلى زيادة.

كما قال عليه السلام (إني تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[٣].

يتضح من هذه النصوص وغيرها أن الابتداع سبب من أسباب اتباع الباطل لأنه يؤدي إلى خلط الحق بالباطل، وحبوط العمل الصالح ولا يرجى لصاحبه توبة وهي أبغض إلى الله من المعاصي. نسأل الله السلامة منها.

---

(١) الشاطبي، الاعتصام ١/١٦٤-٤٦٥.

(٢) سورة المائدة آية ٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه باب ٦ ١/١٦ برقم ٤٣ وأحمد في المسند ٤/١٢٦.

المطلب السابع

التقليد والتعصب

التقليد من أكبر الأدواء التي أصابت الأمة وفرقتها شيعا وأحزابا وهو داء مؤثر على الفرد في دينه ودنياه. وهو ينقسم إلى قسمين جائز ومذموم:

أما الجائز فهو للعامة الذين لا قدرة لهم على النظر في الأدلة واستنباط الأحكام منها فالذي عليه (جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة والتقليد جائز في الجملة ولا يوجبون الاجتهاد على أحد ويحرمون التقليد ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد)([1])

إن التقليد الذي هو سبب من أسباب اتباع الباطل هو التقليد المذموم الذي يتمثل فيه الإعراض عما أنزل الله وعدم الإلتفات إليه اكتفاءا بتقليد الآباء قال تعالى ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾([2])

وكذلك تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله لقول الله تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ ﴾([3])

كما أن تقليد من عارض قوله قول الله تعالى وقول رسوله عليه السلام كائنا من كان يعد من أسباب اتباع الباطل.

وكذلك تقليد مجتهد واحد بعينه دون غيره والتعصب له في الحق والباطل.

كما أن التقليد بعد وضوح الحق ومعرفة دليله يعد اتباعا للباطل.

فقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة بذم هذا النوع من التقليد والأمر بضده وهو الاتباع.

([1]) ابن تيمية مجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٣-٢٠٤.

([2]) سورة لقمان آية ٢١.

([3]) سورة الإسراء آية ٣٦.

قال تعالى ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبانا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ (١)

وقال عليه السلام ﴿تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله﴾ (٢).

فقد زل بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على تقليد الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل (٣).

وبهذا يتبين أن التقليد المذموم كان سببا من أسباب الضلال واتباع الباطل.

أما التعصب فهو أن يرى المكلف أن الصواب ينحصر في رأيه أو رأي إمامه الذي يتعصب له، فمنشأ التعصب هو الهوى بمحبة النفس أو محبة الإمام الذي يقتدي به فيظن العصمة في رأيه ورأي إمامه ولهذا كان التعصب من أعظم أسباب وقوع الناس في الأهواء كالتعصب للآراء والمذاهب والبلدان والأشخاص والقبائل والشعوب، ويؤدي ذلك إلى الافتراق واتباع الأهواء وحدوث القتال بين المتنازعين، ولذلك جاء النهي في السنة عن ذلك مع ترتيب الوعيد الشديد لمن وقع في ذلك (٤).

قال عليه السلام(من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أويدعو إلىعصبية أوينصر عصبية فقتل فقتلة جاهلية ..) (٥)

ومن التعصب إخضاع النصوص الشرعية للأهواء حيث لم يسلموا بها ابتداء بل يعتقدون أمورا من عندهم أو من متبوعهم ثم يستدلون عليه، فيخضعون النصوص

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٠.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب القدر ٢/ ٩٨٨، رقم ٣.

(٣) الشاطبي الاعتصام ٣٤٧/٢.

(٤) انظر ناصر العقل دراسات في الأهواء والفرق والبدع ص٣٧٢، مركز الدراسات دار إشبيليا،ط١، ١٤١٨هـ

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.. ١٤٧٥/٣،رقم ١٨٤٨.

لآرائهم فيتأولون كل دليل خالف هواهم، فيكون الهوى هو المتبع الأول عندهـــم، أمـــا دليل الشرع فهو كالتبع له.

ولهذا كان التعصب للباطل مذموما وسببا من أسباب إتباع الباطل ٠

أما التعصب للحق والاستمساك به فهو محمود مطلوب ويدل على قوة شخصية متبع الحق وكمال إيمانه، ورجحان عقله، وثباته على المبدأ ٠

المطلب الثامن

الغـــــلو

الغلو هو مجاوزة الحد في الأمر المشروع بالزيادة فيه ، وهو سبب لتشديد الله علـــى العبد، وعلى الأمة

قال عليه السلام :(يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلـــو في الدين)(١)

وقال عليه السلام: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحـــد إلاغلبـــه فســـددوا وقـــاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) (٢)

قال تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قـــد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (٣)

إن من أبرز مظاهر الغلو في الأمة والتي كانت سببا في إتباع الباطل نوعان غلو فـــي الأشخاص ، وغلو في الدين ٠

فالغلو في الصالحين كان أول أسباب الضلال والشرك في البشرية، فـــأول شـــرك وقع من قوم نوح كان سببه الغلو في الصالحين حتـــى بعـــث الله إليـــهم أول رســـله، يقارعهم بالحجة والبرهان وكان مما حكى الله عنه قوله ﴿ قال نوح رب إنهم عصونـــي واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا ﴾ (٤)

وقال عليه السلام في الذين يبنون المساجد على القبور ويتخذون الصور للصالحين (٠٠ أولئك شرار الخلق عند الله)(٥)

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك باب قدر حصى الرمي ١٠٠٨/٢،رقم ٣٠٢٩، وصححه الألباني انظر السلسلة الصحيحة ٣/ ٢٧٨١، رقم ١٢٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب الدين يسر ١٥/١.

(٣) سورة المائدة آية ٧٧.

(٤) سورة نوح آية ٢١.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور ٣٧٥/١، رقم ٥٢٨.

إن الغلو في الصالحين ضلت به طوائف كثيرة في تاريخ الإسلام كالرافضة، والصوفية والقبوريين يقول ابن تيمية: (قد وقع فيه طوائف من المتعبدة والمتصوفة حتى خالط كثيرا منهم من مذهب الحلول والاتحاد ماهوأقبح من قول النصارى أو مثله أودونه)[١]

وأما الغلو في الدين فقد كان بابا عظيما من أبواب الضلال والابتداع والتنطع ، ولهذا نهى الرسول عليه السلام أمته عنه لئلا يقعوا فيما وقع فيه من سبقهم من الأمم السابقة التي بعث فيهم الرسل وبين عليه السلام لأمته عواقبه وآثاره منها قوله (هلك المتنطعون) قالها ثلاثا " [٢]يعني المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم [٣] ومنها قوله عليه السلام (لاتشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوما شددوا فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم)[٤].

إن الغلو بفرعيه كان سببا من أسباب اتباع الباطل، فقل أن يسلم منه أحد إلا من رحم الله ولذلك يقول ابن القيم:((ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين،والهدى بين ضلالين، والوسط بين طرفين ذميمين فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد)) [٥].

ومما يؤكد أنه من أسباب الضلال خرجت به ثلاث طوائف عن الجادة وهي:

١- الخوارج فقد تنطعوا في الدين وغلو فيه حتى خرجوا عن السنة.

٢- الرافضة غلو في آل البيت إلى حد التقديس.

---

(١) ابن تيمية ،اقتضاء الصراط المستقيم ٧٧/١، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤،١٤١٤هـ.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم باب هلك المتنطعون٤/ ٢٠٥٥،رقم ٢٦٧٠.

(٣) انظر النووي شرح صحيح مسلم ١٦/ ٢٢٠

(٤) أخرجه أبوداود في كتاب الأدب باب في الحسد ٢٠٩/٥-٢١٠، رقم ٤٩٠٤.

(٥) ابن القيم مدارج السالكين ٢/ ٤٩٦، وانظر تهذيب المدارج ص ٤٩٥.

٣- الصوفية غلو في الصالحين حتى صرفوا لهم كثيرا من أنواع العبادة [١] .

وهناك أمور أخرى يمكن عدها ضمن أسباب اتباع الباطل لا يتسع المجال لذكرها هنا وذلك خوف الإطالة ومنها:

١- الخوف من عقاب الناس قال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [٢].

٢- الطمع في الدنيا وإيثارها، وهو تعلق البال بالشئ من غير تقدم سبب له يؤدي إلى الذل والحرص والجهل والبطالة [٣] .

فيطمع المكلف في حطام الدنيا من مال عارض أو منصب زائل أو جاه حائل فإن ذلك كله مذموم قال تعالى في شأن المنافقين الذين يطمعون في الصدقات ﴿... فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ [٤] .

٣- إلف الباطل وكراهية التغيير، قال تعالى حكاية عن المقلدين الذين ألفوا الباطل ﴿... إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ [٥].

إن العادات والسلوكيات الخاطئة التي تتناقلها الأجيال إذا استحكمت في النفوس صعب عليها مفارقتها والتخلي عنها مما يؤدي إلى اتباعها وهي باطل.

---

(١) انظر ناصر العقل دراسات في الأهواء والفرق والبدع ص ٣٧٢.

(٢) سورة آل عمران آية ١٧٣.

(٣) انظر المناوي التوقيف ص ٣٠٧

(٤) سورة التوبة آية ٥٨.

(٥) سورة الزخرف آية ٢٣.

المبحث الثاني
أنواع الاتباع للباطل

المطلب الأول : النهي عن اتباع سبيل المفسدين

المطلب الثاني: النهي عن اتباع السبل

المطلب الثالث: النهي عن اتباع الشهوات

المطلب الرابع: النهي عن اتباع الظن السيئ

المطلب الخامس: النهي عن اتباع المتشابه

المطلب السادس: النهي عن اتباع الآباء على غير الهدى

المطلب السابع: النهي عن اتباع غير ما أنزل الله

المدخل:

إن الاتباع في القرآن ينقسم إلى قسمين كبيرين هما:

١- الاتباع المحمود المشروع وهو اتباع الحق.

٢- الاتباع المذموم المحرم وهو اتباع الباطل.

ولم نتعرض عند الحديث عن الاتباع المحمود إلى أنواعه، وذلك لأنها كلها تدور حول اتباع الكتاب والسنة أو ما أدى إليهما وهي:

١- اتباع الهدى ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (١).

٢- اتباع الوحي﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾ (٢)

٣- اتباع الرسول عليه السلام ﴿... واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ (٣).

٤- اتباع الصراط المستقيم ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه..﴾ (٤).

٥- اتباع ملة إبراهيم عليه السلام ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ (٥).

٦- اتباع السابقين الأولين ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان...﴾ (٦).

---

(١) سورة البقرة آية ٣٨.

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٦.

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٨.

(٤) سورة الأنعام آية ١٥٣

(٥) سورة النحل آية ١٢٣.

(٦) سورة التوبة آية ١٠٠.

٧- اتباع رضوان الله تعالى ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله...﴾ (١).

أما النوع المذموم لما كان شأنه عظيما كان لزاما أن يبين الباحث أنواعه حسب ورودها في آيات الكتاب العزيز مع زيادة الشرح والإيضاح تحذيرا للمكلف عن مقارفته أو الوقوع فيه.

وإليك بيان أنواعه

إن المتبوعات المحرمة التي تناولتها آيات القرآن الكريم كثيرة جدا، وهي تحمل في طياتها التحذير من اتباع تلك المتبوعات لأنها تكون سبلا ومناهج مخالفة لمنهج الحق الذي أمر الله باتباعه.

وسأورد بيان هذه الأنواع بإجمال ثم يلي ذلك التحدث عن بعض الأصول الجامعة لها.

١- اتباع الهوى ﴿... فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ...﴾ (٢).

٢- اتباع الشيطان وخطواته ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان...﴾ (٣)

٣- اتباع الظن السيئ ﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ (٤).

٤- اتباع الباطل ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ (٥).

٥- اتباع الشهوات ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾ (٦).

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٤.

(١) سورة النساء آية١٣٥ .

(٢) سورة النساء آية ١٣٥.

(٣) سورةالنور آية ٢١.

(٤) سورة الأنعام آية ١١٦

(٥) سورة محمد آية ٣

(٦) سورة مريم آية ٥٩.

٦- اتباع سبيل المفسدين ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (١).

٧- اتباع السبل المتفرقة ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ﴾ (٢).

٨- اتباع سبيل الذين لا يعلمون ﴿... فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ (٣).

٩- اتباع الأباء على غير الهدى ﴿... قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا...﴾ (٤).

١٠- اتباع غير ما أنزل الله ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ (٥).

١١- اتباع ما أسخط الله ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ (٦).

١٢- اتباع غير سبيل المؤمنين:﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين...﴾ (٧).

١٣- اتباع أمر كل جبار عنيد:﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ (٨).

١٤- اتباع من لم يزده ماله وولده إلا خسارا:﴿قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٢.

(٢)سورة الأنعام آية ١٥٣.

(٣)سورة يونس آية ٨٩.

(٤)سورة لقمان آية ٢١.

(٥)سورة الأعراف آية ٣.

(٦)سورة محمد آية ٢٨.

(٧)سورة النساء آية ١١٥.

(٨)سورة هود آية ٥٩.

لم يزده ماله وولده إلا خسارا﴾ [١].

١٥- اتباع المتشابه ﴿...فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه﴾ [٢].

١٦- اتباع سبيل الكفار ﴿وقال الذين كفروا للذين ءامنوا اتبعوا سبيلنا...﴾ [٣].

١٧- اتباع الشركاء ﴿... وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء...﴾ [٤].

١٨- اتباع السحرة ﴿لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ [٥].

١٩- اتباع المستكبرين ﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا﴾ [٦].

٢٠- اتباع أمر فرعون ﴿فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد﴾ [٧].

٢١- اتباع اليهود والنصارى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ [٨].

هذه بعض أنواع اتباع الباطل التي وردت في كتاب الله تعالى.

وقد تم اختيار نصف هذه الأنواع للحديث عنها بالتفصيل وبيان خطورتها وذلك لأنها تمثل الأصول العامة للباطل وهي:-

---

(١)سورة نوح آية ٢١.

(٢)سورة آل عمران آية ٧.

(٣)سورة العنكبوت آية ١٢.

(٤)سورة يونس آية ٦٦.

(٥)سورة الشعراء آية ٤٠.

(٦)سورة غافر آية ٤٧.

(٧)سورة هود آية ٩٧.

(٨)سورة البقرة آية ١٢٠.

الهـــوى [١]، خطـــوات الشـــيطان [٢]، الظن السيئ، الشهوات، سبيل المفسدين، السبل المتفرقة، المتشابه، موجود الآباء، اتباع غير ما أنزل الله، المستكبرين [٣].

وقد جعلت ذلك على شكل مطالب على النحو الآتي:

---

(١) مضى الحديث عنه في نهي المكلفين عن اتباع الباطل ص١٠٦

(٢) تم الحديث عنه مثل سابقه ص ١٠٢

(٣) سبق الحديث عنه في أسباب اتباع الباطل ص ٣٦٦

المطلب الأول

النهي عن إتباع سبيل المفسدين

السبيل : معناه الطريق ، قال ابن الأثير : السبيل في الأصل الطريق والتأنيث فيها أغلب .

وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سلك به طريق التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات .[١]

ومعاني السبيل في القرآن كثيرة حتى أوصلها علماء الوجوه والنظائر ثلاثة عشرة وجها ، فيطلق على البلاغ والمخرج والمسلك والدين والحجة والهدى والطاعة ، والطريق . وغيرها[٢] ويهمنا الوجه الأخير منها لأنه المقصود من عنوان المطلب .

المفسدون : مفرده مفسد وهو نقيض المصلح .

والفساد هو ((العدول عن الاستقامة إلى ضدها))[٣] .

والمفسد : هو الذي يمارس الفساد الذي هو :((خروج الشئ عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا ويضاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة))[٤] .

والمفسدون : هم المتعدون حدود الله الراكبون معصيته التاركون فروضه الفاعلون ما نهى الله عنه[٥] المضيعون ما أمر بحفظه .

يقول تعالى على لسان نبيه موسى وهو يوصي أخاه هارون ﴿... وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدون ﴾[٦] .

---

[١] ابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٣١/٢ - ٣٣٩ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د .ت .

[٢] انظر مقاتل بن سليمان الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ص ١٨٥ .

[٣] على بن محمد الماوردي ، تفسير الماوردي ٧٤/١ .

[٤] الراغب الأصفهاني ، مفردات الفاظ القرآن مادة فسد ص ٦٣٦ ،

[٥] انظر ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ١٢٦/١ - ١٢٧ .

[٦] سورة الأعراف آية ١٤٢ .

فقد جمع موسى في هذه الوصية ملاك السياسية القائمة على الإصلاح والبعد عن الإفساد وطرق المفسدين ((فإن سياسة الأمة تدور حول محور الإصلاح وهو جعل الشئ صالحا بجميع تصرفات الأمة وأحوالها يجب أن تكون صالحة وذلك بأن تكون الأعمال عائدة بالخير والصلاح لفاعلها ولغيره))[١] .

قوله :﴿ ولاتتبع سبيل المفسدين ﴾ أي ((لا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض بمعصيتهم ربهم ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم))[٢] .

وهذا النهي يحمل في طياته التحذير من ((الفساد بأبلغ صيغة لأنها جامعة بين نهي – والنهي عن فعل تنصرف صيغته أول وهلة إلى فساد المنهي عنه – وبين تعليق النهي باتباع سبيل المفسدين)) .

ولما كان المفسد يفعل كل ما نهى الله عنه ويضيع كل ما أمر الله أن يحفظ،جاء هذا النهي عن اتباع طريق كل مفسد والسير وراءه .

واستعير الطريق هنا للعمل المؤدي إلى الفساد للبعد عن مسايرة سلوك سبيل كل من كان الفساد صفته .

يقول ابن عاشور ((فلما تعلق النهي بسلوك طريق المفسدين كان تحذيرا من كل ما يستروح منه مآل إلى فساد ، لأن المفسدين قد يعملون عملا لا فساد فيه ، فنهى عن المشاركة في عمل من عرف بالفساد لأن صدوره عن المعروف بالفساد كان في توقع إفضائه إلى فساد ، ففي هذا النهي سد ذريعة الفساد ، وسد ذرائع الفساد من أصول الإسلام))[٣] .

ولما كان الإفساد في الأرض يكون بالكفر فيها واقتراف سائر المعاصي نهى عن اتباع طريق المفسدين الذين يفعلون المعاصي أو يأمرون غيرهم بها وجاء هذا النهي ليشمل ((ثلاث مراتب من مراتب الافضاء إلى الفساد وهو

---

[١] ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٨٧/٩ – ٨٨ .

[٢] ابن جرير تفسير الطبري ٨٨/١٣ .

[٣] ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٨٨/٩ .

العمل المعروف بالانتساب إلى المفسد وعمل المفسد وإن لم يكن مما اعتاده وتجنب الاقتراب من المفسد ومخالطته))[١] .

والمفسدون ذكرهم الله تعالى في كتابه في أكثر من إحدى وعشرين موضعا[٢] للدلالة على خطورتهم والنهي عن اتباع سبيلهم ، وبين أن عاقبتهم وخيمة قال تعالى : ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾[٣] .

فجعل عاقبتهم أسوء العواقب حيث يدمرهم الله ويهلكهم ويخزيهم ويورث مساكنهم المسضعفين من عباده ، ويتبعهم الذم واللعنة فلا تجد من جموعهم إلا الشتات ولا في ربوعهم إلا الوحشة ، ولم يورثهم الله الذكر الحسن بل يتبعهم في هذه الدنيا اللعنة ويوم القيامة الخزي والفضيحة[٤] .

فيتكرر في كتاب الله الوعيد الشديد الذي ينتظر هؤلاء المفسدين في دار القرار .

وأخبر الله تعالى أنه لا يحب المفسدين قال تعالى :﴿ .. ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾[٥] وقوله :﴿ ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾[٦] .

وبين تعالى أنه لا يصلح عملهم[٧] ، وأخبر تعالى أنه أعلم بهم وبأعمالهم ولهذا سيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب ، قال تعالى :﴿ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين ﴾[٨] .

يقول ابن عاشور :((وجملة ﴿ وربك أعلم بالمفسدين ﴾ معترضة في آخر الكلام على رأي المحققين من علماء المعاني ، وهي تعريض بالوعيد والإنذار وبأنهم من المفسدين ، للعلم بأنه ما ذكر ﴿ المفسدين ﴾ هنا إلا لأن هؤلاء منهم وإلا لم يكن لذكر

---

[١] المرجع السابق ٨٨/٩ .

[٢] انظر محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة فسد ص ٥١٩ .

[٣] سورة الأعراف آية ٨٦ ، وانظر أيضا آية ١٠٣ الأعراف ، وآية ١٤ النمل .

[٤] انظر عبدالرحمن السعدي تفسير السعدي ص ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٥٥١ .

[٥] سورة المائدة آية ٦٤ .

[٦] سورة القصص آية ٧٧ .

[٧] كما قال تعالى :﴿ ... إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدون ﴾ [يونس آية : ٨١] .

[٨] سورة يونس آية ٤٠ .

﴿ المفسدين ﴾ مناسبة ، فالمعنى : وربك أعلم بهم لأنه أعلم بالمفسدين الذين هم من زمرتهم))[١] .

وكل هذا التحذير ما جاء إلا للنهي عن اتباع سبيل المفسدين والبعد عن التأثر بهم . وعدم الرغبة للحصول على ما عندهم ، كما رغب الأغرار قليلي العلم من قوم موسى ممن تعلقت إراداتهم بالدنيا حيث تمنو أن يكون لهم ما عند قارون من الكنوز والأموال الكثيرة ، ويأتي نصح أهل العلم لهم الذين عرفوا حقائق الأشياء بالبعد عن هذا الطريق وثني أنفسهم عنه إلى ما هو خير منه :﴿ ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾[٢] .

لأن قارون كان من المفسدين في الأرض[٣] ، والله تعالى لا يحب المفسدين وينهى عن اتباع سبيلهم .

---

[١] ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ١١/١٧٥ .

[٢] سورة القصص آية ٨٠ .

[٣] انظر الآيات من سورة القصص من ٧٦ – ٨٣ .

المطلب الثاني
النهي عن اتباع السبل

المقصود بالسبل هنا هي الطرق المتفرقة غير المستقيمة وتسمى بنيان الطريق أي متشعبة عن السبيل الجادة والله تعالى نهى عن اتباع السبل المعوجة المقابلة للصراط المستقيم فقال :﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ﴾[١] .

جاءت هذه الآية الكريمة إثر بيان الله تعالى لكثير من الأوامر والكبائر والشرائع الهامة ضمن آيات الوصايا العشر حيث أمر الله تعالى فيها باتباع صراطه الذي جعله مستقيما ، أي قويما لا اعوجاج به عن الحق المتمثل في دينه الذي شرعه لهم وارتضاه ، وهو الإسلام الذي وصى به الأنبياء وأمر به الأمم قبلكم فها هو يدعوكم لأن تعملوا به وتتبعوا أوامره وتجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكوه ولا تسلكوا طريقا سواه ولا تركبوا منهجا غيره ولا تبغوا دينا خلافه[٢] .

والله تعالى حذر عن اتباع غير سبيله فقال :﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ أي تميل قال مجاهد السبل : البدع والشبهات[٣] ، وقال ابن عباس :لا تتبعوا الضلالات[٤] .

وهذه السبل التي حذر منها ((تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام ، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد))[٥] فكل ما نهى الله تعالى عنه في كتابه أو نهى عنه رسوله عليه السلام في

---

[١] سورة الأنعام آية ١٥٣ .

[٢] انظر ابن جرير الطبري جامع البيان ٨٧/٨ – ٨٨ ، وانظر السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٤٣ .

[٣] ابن جرير ، جامع البيان ٨٨/٨ ، وانظر أبو جعفر النحاس ، معاني القرآن الكريم ٥١٩/٢ .

[٤] ابن جرير جامع البيان ٨٨/٨ .

[٥] محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١٣٨/٧ ، نقل بعضه عن ابن عطية المحرر الوجيز ٤٠٠/٥ .

سننه فهو من السبل التي تميل بمن سار بها إلى الجحيم يقول عليه السلام :(ما أمرتكم به فخذوه وما نهيتكم عنه فانتهوا)[١] .

روى أحمد والدارمي في مسنديهما وابن ماجه في سننه والحاكم في المستدرك عن عبدالله بن مسعود قال :(خط لنا ﷺ يوما خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله (أي عن يمين الخط المخطوط أولا وعن شماله) ثم قال :) هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها[٢] ثم قرأ :﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ .

فيدخل في هذه الآية كل ما بينه الرسول ﷺ من دين الإسلام وهو المنهج القويم والصراط السمتقيم فاتبعوا جملته وتفصيله ولا تعدلوا عنه فتقعوا في الضلالات)[٣] .

ومن شدة النهي عن اتباع سبل الضلال والتحذير عنها ترى كثيرا من السلف يدعون إلى الاقتداء بالسنة والأثر ، قال سهل بن عبدالله التستري[٤] :(عليكم الاقتداء بالأثر والسنة فإني أخاف أنه سيأتي عن قليل ، زمان إذا ذكر انسان النبي ﷺ والاقتداء به في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرءوا منه وآذوه وأهانوه)[٥] .

ولعل كثير من هذا الذي كان يخافه سهل قد حدث في هذه الأمة كما نحلظ ذلك في زماننا حيث أصبحنا نشاهد كل من أراد أن يلتزم أوامر الشرع ويعمل بأحكامه متبعا في ذلك أوامره مجتنبا نواهيه أصبح غريبا في بيئته وبين أهله وعشيرته – إلا من رحم ربك – وكأنه غريب عن العيش في ديار المسلمين وهذه هي الغربة الثانية للإسلام بدأت تظهر نواجذها إن لم تكن ظهرت واتسعت قال عليه السلام :(بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء)[٦] .

---

[١] أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة النبي عليه السلام ٣/١ .

[٢] أخرجه أحمد في المسند ٤٦٥/١ ، وابن ماجه في سننه في المقدمة ٦/١ ، والحاكم في المستدرك ٨/٢ .

[٣] فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب ٤/١٤ دار الكتب ، بيروت ط١ ١٤١١هـ .

[٤] هو سهل بن عبدالله التستري أبو محمد أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص له كتاب في تفسير القرآن ،(انظر طبقات الصوفية ص ٢٠٣ ، والأعلام ١٤٢/٣) .

[٥] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١٣٩/٧ .

[٦] أخرجه مسلم في الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا ١٣٠/١ .

وهكذا نجد أن التحذير والبعد عن اتباع السبل المنحرفة المهلكة كانت من وصايا الله تعالى لعباده ، ووصايا رسوله عليه السلام لأمته .

ووصايا السلف الصالح رضي الله عنهم ، كتب عمر بن عبد العزيز[١] وصية غالية لرجل سأله عن القدر فقال ناصحا له وللأمة من بعده :(أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسول الله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته وكفوا مئونته ، فعليك بلزوم الجماعة فإنها لك بإذن الله عصمة ، ثم اعلم إنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها ، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ؛ فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا وإنهم على كشف الأمور كانوا أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أولى فإن كان الهدى ما أنتم عليه فقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم فإنهم السابقون قد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا ما يشفي ؛ فما دونهم من مقصر ، وما فوقهم من مجسر ، وقد قصر قوم دونهم فجفوا وطمع عنهم أقوام فغلوا وإنهم مع ذلك لعلى هدى مستقيم)[٢] .

والله تعالى بين سبيله المستقيم بما أقام عليه من الأدلة الواضحة ، والبراهين القاطعة ليقطع بذلك الطريق على كل من أراد أن يتعلل بعدم بلوغ الحجة له لمعرفة سبيل الله قال تعالى :﴿ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ..﴾[٣] والمعنى :((على الله فضلا وتكرما. بيان الطريق الواضح الموصل إلى الحق والخير بإقامة الأدلة ، وإنزال الكتب وإرسال الرسل))[٤].

وكما قال تعالى :﴿ هذا صراط علي مستقيم ﴾[٥] .

---

[١] عمر بن عبدالعزيز بن مروان اشهر خلفاء بني امية عدلا حتى خامس الخلفاء الراشدين اظهر في خلافته كل سنة وأمات كل بدعة توفي ١٠١هـ . انظر ابن كلخان وفيات الأعيان ٢٠/٦ .

[٢] القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٣٩/٧ .

[٣] سورة النحل آية ٩ .

[٤] وهبة الزحيلي، التفسير المنير ١٣/ ٩١.

[٥] سورة الحجر آية (٤١) .

وقال تعالى :﴿ .. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام... ﴾[١] .

والله تعالى نهى عن اتباع السبل المتفرقة غير المستقيمة لأنها تجعل سالكها متفرقا عن السبيل الجادة التي هي صراطه المستقيم كما قال عنه ابن مسعود تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ابن مسعود :﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ﴾[٢] .

---

[١] سورة المائدة آية ١٥ ، ١٦ .

[٢] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/١٩٩(١٠٤٥٤) وانظر الطبري جامع البيان ٨/٨٩ ، والقرطبي ٧/١٣٨

المطلب الثالث

النهي عن اتباع الشهوات

الشهوات : جمع مفرده شهوة : وهي الرغبة الشديدة.

والقوة النفسانية الراغبة فيما يشتهي[١] .

والشهوة : ما يشتهي من الملذات المادية[٢] .

وتشهى الشيئ : طلبه مرة بعد أخرى[٣] .

وأصل الشهوة :((نزوع النفس إلى ما تريده وذلك في الدنيا ضربان: صادقة ، وكاذبة فالصادقه ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع ، والكاذبة : مالا يختل من دونه))[٤] .

والشهوة في الاصطلاح ((حركة للنفس طلباً للملائم))[٥] .

والشهوات مادة فاسدة مفسدة إذا خرجت عند حد الشرع وحد الاعتدال فيحصل بها أعظم البلاء والفتنة فهي سبب لبعد كثير من الناس عن الحق والصراط المستقيم ومن هذا المنطلق كانت في الأغلب مذمومة واتباعها مردٍ وطاعتها مهلكة[٦] .

إن المسلك العدل تجاه الشهوات هو مسلك الاسلام الذي يتميز بالوسطية بين مسالك أهل الفجور والفحش ومسالك أصحاب الرهبانية والتشدد ، فالأولون اتبعوا الشهوات وتعلقوا بها حتى اشربوا حبها وصارت منتهى مطلوبهم ومرادهم وأضاعوا بسببها الصلوات وسائر العبادات فهؤلاء هم عبيد الشهوات .

فأما أهل الرهبانية فشددوا على أنفسهم وحرموا عليها ما أباحه لها من الطيبات فهم عدّوها مستقذرة كريهة .

---

[١] إبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط مادة شها ٤٩٨/١ ، المكتبة الإسلامية استانبول بدون تاريخ .

[٢] المرجع السابق ٤٩٨/١ .

[٣] المرجع السابق ٤٩٨/١ .

[٤] الراغب الأصفهاني مفردات الفاظ القرآن مادة شها ص ٤٦٨ .

[٥] الجرجاني ، التعريفات ص ١٤٢ .

[٦] انظر ابن عطية المحرر الوجيز ٤٠/٣ .

ودين الله وسط بين هؤلاء وأولئك فهو يراعي في الناس أحوالهم وغرائزهم لأنه تعالى يعلم أن الشهوة من طبيعتهم لأن تركيبهم الفطري يتضمن الميل إليها ولهذا طلب منهم أن ينظموها بحيث لا تطغى على أخلاقهم فيقعوا في المحذور . فأباح لهم المباح منها وعلمهم الكيفية في ضبطها وتهذيبها[١] .

فالله تعالى جعل حب الشهوات مركب في النفوس فقال :﴿ زين للنا س حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب ﴾[٢] .

ففي الآية اختبار من الله تعالى عما زينه للناس في هذه الحياة من أنواع الملاذ من النساء والبنين وغير ذلك فجعل هذه ((الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاه محروصا على الاستمتاع بها))[٣] ففي الآية ابتداء وعظ من الله تعالى لجميع الناس أن لا يتبعوا الشهوات بل يقصروا منها لأن الله سماها شهوات ثم فسرها بتلك الأجناس المذكورة في الآية وفي هذا أقوى داع لتحسيسها ((وأول على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله))[٤] .

فالشهوة صفة مسترذلة عند الحكماء مذمومة ، من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية ، والمقصود من ذكرها للتنفير[٥] عنها لأن من أرخى العنان لشهوته فإن سعارها لاحد له ولا انقضاء .

وجاء ذكر هذا التزيين للناس وما أعقبه من آيات لدلالة التقليل من شأن ما تستلزه الأنفس في هذه الدار ولبيان ((حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى))[٦] بدليل قوله تعالى – في نهاية الآية : ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب ﴾ أي ذلك المذكور كله الذي عرضه

---

[١] النظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ٣٧٣/١ .

وانظر مجلة البيان مقال عبودية الشهوات ص ٨ في العدد ١٣٤ شوال ١٤١٩هـ .

[٢] سورة آل عمران آية ١٤ .

[٣] محمود الزمخشري ، الكشاف ٣٤٢/١ .

[٤] المرجع السابق ٣٤٢/١ .

[٥] انظر الرازي التفسير الكبير ١٦٩/٧ ، وانظر جمال الدين القاسمي محاسن التأويل ٨٠٤/٤ .

[٦] جمال الدين القاسمي ، محاسن التأويل ٨٠٤/٧ .

من اللذائذ المحببة إلى النفوس وسائر مايماثله من الشهوات مما يتمتع بـه ثـم يذهـب ويفنى ولا يبقى له أثر[١] والله تعالى عنده حسن المرجع ، وفي هذا تزهيد فـي الدنيـا وترغيب في الآخرة .

وحسن المآب الذي ختم الله به الآية أنه كما حسن في نفسه فهو أفضل من هذه الدنيـا[٢] وما عليها والله تعالى فصله مبالغة في الترغيب إليه فقال :﴿ قل أؤنبؤكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خـالدين فيـها وأزواج مطـهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾[٣] .

لما عدد تعالى في الآية السابقة نعم الدنيا المتمثلة في شهواتها بين بعدها مباشـرة أن منافع الأخرة خير منها وذلك ((لأن نعم الدنيا مشوبة بالمضرة ونعم الآخرة خالية عـن شوب المضار بالكلية ، وأيضا فنعم الدنيا منقطعة لا محالة ، ونعم الآخـرة باقيـة لا محالة)) ولهذا قال :﴿ قل أؤنبؤكم بخير من ذلكم ﴾ أي ((هل أخبركم بما هو خير لكم من تلك المستلزات))[٤] والشهوات المزينة لكم إنه نعيم أخروي دائم ومتاع لا ينالـه إلا الذين اتقوا ربهم بالواجبات والمستحبات واحترزوا عن المحرمات والمحظورات ، فلمـا ارتفعوا عن شهوات الدنيا ومستلزاتها فلم تستغرقهم ولم ينساقوا وراءها أبدلهم تعالى ما يقابلها في الآخرة مما هو أكمل منها وأفضل وأتم وأدوم ((فإذا كان متاعهم في الدنيـا حرثا معطيا مخصبا ، ففي الآخرة جنات كاملة تجري من تحتها الأنهار وهي فوق هـذا خالدة وهم خالدون فيها ، لا كالحرث المحدود الميقات ، وإذا كان متاعهم فـي الدنيـا نساء وبنين ، ففي الآخرة أزواج مطهرة وفي طهارتها فضل وارتفاع علـى شـهوات الأرض في الحياة، فأما الخيل المسومة والأنعام وأما القناطير المقنطرة مـن الذهـب والفضة فقد كانت في الدنيا وسائل لتحقيق متاع ، فأما في نعيم الآخرة فلا حاجة إلـى الوسائل لبلوغ الغايات))[٥] .

---

[١] انظر محمد علي السوكاني فتح القدير ٣٥٩/١ ، وانظر سيد قطب في ظلال القرآن ٣٧٥/١ .

[٢] انظر الفخر الرازي ، التفسير الكبير ١٧٣/٧ .

[٣] سورة آل عمران آية ١٥.

[٤] محمد علي الشوكاني ، فتح القدير ٣٥٩/١ .

[٥] سيد قطب في ظلال القرآن ٣٧٥/١ .

والشهوات تنقسم إلى قسمين منها :-

١- ما يكون مباحا حلالا .

٢- ومنها ما يكون حراما .

فحلالها ما وافق الكتاب والسنة أو سكتا عنه .

وحرامها مانهى الله تعالى عنه في كتابه أو نهى عنه رسول ﷺ في سننه ، وحتى الشهوات المباحة لم يمدح الشارع اتباعها لأنه يؤدي بالإنسان إلى مالا تحمد عقباه حيث يتحول من المداومة عليها إلى إدمانها ، وإدمان الشهوة الحلال يقسي القلب ويغلقه عن الصفاء والتفكر فينسى خالقه وما خلق من أجله فيصعب عليه الالتزام[١] وهذا يجره رويدا رويدا إلى المعاصي أو يجعله يستهين بالمحرمات ، ويتساهل عن أداء الفرائض والواجبات .

أما ادمان الشهوة الحرام فهو قاصمة الظهر حيث يجعلها وفاعلها شيئا واحدا فيصعب عليه إن عقل تركها ولوعزم على ذلك فإنه يراه أحيانا مستحيلا[٢] .

ولهذا يقول الإمام الشافعي ((من لزم الشهوات لزمته عبودية أبناء الدنيا))[٣] .

فالله تعالى ذم إتباع الشهوات ونهى عنه فقال تعالى :﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ﴾[٤] .

يقول ابن كثير :((لما ذكر تعالى حزب السعداء وهم الأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره ، المؤدين فرائض الله التاركين لزواجره ذكر أنه :﴿ خلف من بعدهم خلف ﴾ أي قرون آخر :﴿ أضاعوا الصلاة ﴾ وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد واقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا أي خسارا يوم القيامة))[٥] .

---

[١] انظر محمد الجمل ، الشهوة ص ١١٩ - ١٢٠ دار البشير ، القاهرة ط١ ١٩٨٤م .

[٢] انظر المرجع السابق ص ١٢٠ .

[٣] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٩٧/١٠ .

[٤] سورة مريم آية (٥٩) .

[٥] ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١٧٢/٣ - ١٧٣ .

فجعل تعالى في الآية أن اتباع الشهوات قرينا ملازما لإضاعة الصلاة ، والصلاة هي المانع الذي يقوم ضد الشهوات الجارفة .

واتباع الشهوات طريق واسع وكبير يدخل فيه مالا يحصى من الشهوات فهو يضم مواكب الرذيلة وقوافل المنكرات على اختلاف ألوانها وأشكالها ولهذا جاء في الحديث الصحيح قوله عليه السلام ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات))[١] .

ففي الآية دعوة للبعد عن اتباع الشهوات وحث باتباع طريق الأنبياء لأنه تعالى وصف حال هؤلاء الأنبياء بصفاة المدح ترغيبا للأمة للتأسي بطريقهم ثم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم الذين خلفوهم بالفساد وترك الصلاح والإصلاح ، حيث وصفهم بإضاعة الصلاة واتباع الشهوات ، فالأول يقابله :﴿ خروا سجدا ﴾ والآخر يقابله :﴿ بكيا ﴾ لأن بكاء أولئك يدل على خوفهم من الله تعالى ، واتباع هؤلاء لشهواتهم يدل على عدم الخوف من الله تعالى ، وكل ذلك للنهي عن اتباع هؤلاء والأمر بسلوك طريق الأنبياء[٢] لأن اتباع الشهوات والانكباب عليها يؤول بالمتبعين لها إلى استيلائها على قلوبهم فيصيرون عبيدا للشهوات يقول ابن تيمية ((إن المتبعين لشهواتهم من الصور والطعام والشراب واللباس يستولي على قلب أحدهم ما يشتهيه حتى يقهره ويملكه ويبقى أسير ما يهواه يصرفه كيف تصرف ذلك المطلوب ... وذلك أن النفس الصافية التي فيها رقة ((الرياضة)) ولم تنجذب إلى محبة الله وعبادته إنجذابا تاما ، ولا قام بها من خشية الله التامة ما يصرفها عن هواها متى صارت تحت صورة من الصور استولت تلك الصورة عليها كما يستولي السبع على ما يفترسه ، فالسبع يأخذ فريسته بالقهر ، ولا تقدر الفريسة على الامتناع منه كذلك ما يمثله الإنسان في قلبه من الصور المحبوبة تبتلع قلبه وتقهره ، فلا يقدر قلبه على الامتناع منه فيبقى قلبه مستغرقا في تلك الصورة أعظم من استغراق الفريسة في جوف الأسد لأن المحبوب المراد هو غاية النفس له عليها سلطان قاهر .والقلب يغرق فيما يستولي عليه : إما من محبوب وإما من مخوف كما يوجد من محبة المال والجاه والصور))[٣] .

---

[١] أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها ٢١٧٤/٤ .

[٢] انظر الفخر الرازي التفسير الكبير ٢٠١/٢١ .

[٣] أحمد بن عبدالحليم بن تيمية مجموع الفتاوى ٥٩٤/١٠ – ٥٩٥ .

فإذا كانت الشهوات بهذه المثابة يغرق فيها متبعوها وتستولي على عقولهم وقلوبهم فما على العاقل المتبصر إلا أن ينهى نفسه عن لذاة يعقبها آلآم وشهوات تورث ندما ، وأن يتيقن أن صبره عن الشهوة أهون عليه من الصبر على عواقبها وآلآمها يقول ابن القيم[١] ((الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة ، فإنها إما أن توجب ألما وعقوبة وإما أن تقطع لذة أكمل منها ، وإما أن تضيع وقتا إضاعته حسرة وندامة ، وإما أن تلثم عرضا توفيره أنفع للعبد من ثلمه ، وإما أن تذهب مالا بقاؤه خير له من ذهابه ، وإما أن تضع قدرا وجاها قيامه خير من وضعه ، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة ، وإما أن تطرق لوضع إليك طريقا لم يكن يجدها قبل ذلك ، وإما أن تجلب هما وغما وحزنا وخوفا لا يقارب لذة الشهوة ، وإما أن تنسي علما ذكره ألذ من نيل الشهوة ، وإما أن تشمت عدوا وتحزن وليا ، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة ، وإما أن تحدث عيبا يبقى صفة لا تزول ، فإن الأعمال تورث الصفاة والأخلاق))[٢] .

ولما كان يترتب على اتباع الشهوات كل هذه الآثار الضخمة وغيرها جاء النهي من الله تعالى على عدم اتباعها والولوغ فيها والمداومة عليها الا بقدر الحاجة وبضوابط الشرع .

وإذا كانت الشهوات التي يحبها البشر ويميلوا إليها تتنوع فتشمل النساء والبنين والأموال والملبوسات ، والمركوبات والمناصب والرياسات والملاهي والألعاب المختلفة ، فإن السمة البارزة لهذا العصر هو الافتتان بشهوة الجنس التي أصبح كثير من المسلمين يعكفون على متابعتها عبر الأطباق الفضائية وشبكات الأنترنيت[٣] بل يشدون رحالهم إلى مواقع توجدها ضار بين صفحا بأوامر ونواهي الشرع الحنيف ، ومتناسين التحذيرات الشديدة عن الافتتان بهذه الشهوة كتحريم الوسائل المؤدية إليها من الاختلاط بين الجنسين الخارج عن الأدب والسفور الذي يظهر المحاسن والعورات ،

---

[١] أبو عبدالله محمد بن أبي برك بن أيوب الدمشقي الحنبلي الشهير بإبن قيم الجوزية صنف في شتى العلوم حتى بلغت مصنفاته ٩٨ الموجود منها ٣٣ منها أعلام الموقعين ، وأحكام أهل الذمة وغيرها توفي رحمه الله ٧٥١هـ ،انظر ترجمته في ابن كثير البداية والنهاية ٦٥٧/٧ ، وابن حجر الدرر الكامنة ٤٠٠/٣) .

[٢] ابن قيم الجوزية الفوائد ص ١٣١ .

[٣] انظر مجلة البيان عدد ١٣٤ ، ص ٩ – ١١ ، مقال عنوانه عبودية الشهوات .

والخلوة بغير المحارم . يقول عليه السلام (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذومحرم ، ولا تسافر إلا مع ذي محرم)[١] ويقول عليه السلام (إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : يارسول الله أفرأيت الحمو؟ قال :((الحمو الموت))[٢] قال الليث بن سعد الحمو أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج وقوله عليه السلام (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم الا مع ذي محرم عليها)[٣] حتى أعلن عليه السلام لأمته أن أضر فتنة تركها بعده هي شهوة الجنس حيث قال :(ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء)[٤] .

والله تعالى يريد للناس الطهر والعفاف بخلاف ما يريده لهم أرباب الشهوات والفجور من شياطين الإنس والجن يقول تعالى :﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ﴾[٥] .

ففي الآية الكريمة بيان ما يريده الله للناس بمنهجه وطريقته،وحقيقة ما يريده بهم الذين يتبعون الشهوات الحائدون عن منهج الله فالله يريد أن يتوب على الناس وأن يهديهم سبيله وينجيهم من المزالق ويعينهم على التسامي والطهر[٦] .

بينما أولئك يريدون أن يزينوا للناس مزالق الشر ومنابع الفتنة ومسالك الشهوة ، يريدون من الناس أن يطلقوا سعارهم ((الجنسي المحموم بلا حاجر ولا كابح ، من أي لون كان السعار المحموم الذي لايقر معه قلب ولا يسكن معه عصب ، ولا يطمئن معه بيت ، ولايسلم معه عرض ولا تقوم معه أسرة ، يريدون أن يعود الآدميون قطعانا من البهائم))[٧] .

---

[١] أخرجه مسلم في كتاب الحج باب سفر المرأة ، مع محرم إلى حج وغيره ٢/٩٧٨ .

[٢] أخرجه البخاري في كتاب الحج باب لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم ، و مسلم كتاب السلام باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها ٤/١٧١١ .

[٣] أخرجه مسلم في كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٢/٩٧٧ .

[٤] أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ٤/٢٠٩٨ .

[٥] سورة النساء آية ٢٧ .

[٦] انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٢/٦٣١ – ٦٣٢ .

[٧] المرجع السابق ٢/٦٣٢ .

ومهما طلب الانسان هذه الشهوة وسعى لإرضاء رغباته منها عن طريق الحرام فإنه ما يزداد إلا ولعا بها وسعارا لها وينتهي عمره دون أن ينتهي حد إشباع غريزته))[١] .

وهكذا نلحظ وسطية الاسلام واعتداله في قضية الشهوات بين النزعتين المتطرفتين المتمثلتين في التفريظ والإفراط .والمضرتان بالمجتمعات المدمرتان للحضارات ، فشرع الله للناس ما يلائم مصالحهم ويوافق فطرهم فلم يمنعهم من كل ما فيه إشباع لرغباتهم ولم يطلق لهم العنان في كل ما يوافق أهواءهم وشهواتهم فكان بذلك .

الدين الوسط الذي يجب اتباعه والالتزام به لأنه يتمشى مع مصالح الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة ، لأن منزله هو الله الذي خلف البشر وأوجدهم فهو أعلم بما يصلحهم ومايفسدهم :﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾[٢] .

---

[١] يقول علي الطنطاوي : لو أوتيت مال قارون ، وجسد هرقل وواصلتك عشر الآف من أجمل النساء من كل لون وكل شكل وكل نوع من أنواع الجمال هل تظن أنك تكتفي ؟ لا ، أقولها بالصوت العالي : لاء أكتبها بالقلم العريض ، ولكن واحدة بالحلال تكفيك ، لا تطلبوا مني الدليل فحيثما تلفتم حولكم وجدتم في الحياة الدليل قائما ظاهرا مرئيا [انظر فتاوا٥ ص ١٤٦] .

[٢] سورة الملك آية ١٤ .

المطلب الرابع
النهي عن اتباع الظن السيئ

الظن : العلم بغير يقين ، وقد تأتي بمعنى اليقين[١] .

قال ابن فارس :((الظاء والنون أصلٌ صحيح يدل على معنيين مختلفين يقين وشك ، فأما اليقين فقول القائل : ظننت ظنا قال الله تعالى :﴿ قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله﴾[٢] أراد أيقنوا ... والأصل الآخر : الشك ، يقال ظننت إذا لم تتيقنه))[٣] .

وفي الاصطلاح : هو ((الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك))[٤] .

وقيل :((الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان))[٥] .

وقد تناول علماء الوجوه والنظائر الظن فذكروا له عدة أوجه[٦] كما يلي :-

١- الظن : يعني اليقين قال تعالى :﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه ﴾[٧] .

٢- الظن : يعني الشك قال تعالى :﴿ قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ﴾[٨] .

٣- الظن يعني التهمة : قال تعالى :﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾[٩] .

٤- الظن بمعنى الحسبان قال تعالى:﴿ ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون ﴾[١٠] .

---

[١] انظر ابراهيم انس وآخرون ، المعجم الوسيط مادة ظن ٥٧٨/٢ .

[٢] سورة البقرة آية ٢٤٩ .

[٣] ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة ظن ٤٦٢/٣ - ٤٦٣ .

[٤] الجرجاني التعريفات ص ١٥٨ .

[٥] المرجع السابق ص ١٥٨ .

[٦] انظر سليمان بن صالح القرعاوي ، دراسة وموازنة الوجود والنظائر في القرآن ص ٤٦٥ مطابع الشاطئ الدمام ط١ ١٤٢٠هـ .

[٧] سورة آية ص ٢٤ .

[٨] سورة الجاثية آية ٣٢ .

[٩] سورة الأحزاب آية ١٠ .

[١٠] سورة فصلت آية ٢٢ .

وقد دلت الآية الكريمة على أن الظنون الآثمة غير قليلة ولما كان الظن يتعلق بأحوال الناس كان يجب التمحيص فيه لتمييز الظن الصادق من الظن الباطل ، وجاء هذا التحذير ليراد به مقاومة الظنون السئية والبعد عن اتباعها[١] .

وللظن حالتان :((حالة تعرف وتقوى بوجه من وجوه الأدلة فيجوز الحكم بها ، وأكثر أحكام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالقياس وخبر الواحد وغير ذلك ...

والحالة الثانية : أن يقع في النفس شيئ من غير دلالة فلا يكون ذلك أولى من ضده ، فهذا هو الشك فلا يجوز الحكم به وهو المنهي عنه))[٢] .

ومعنى الأمر باجتناب كثير من الظن في الآية ((الأمر بتعاطى وسائل اجتنابه فإن الظن يحصل في خاطر الإنسان اضطرارا عن غير اختيار فلا يعقل التكليف باجتنابه وإنما يراد الأمر بالتثبت فيه وتمحيصه والتشكك في صدقه إلى أن يتبين موجبه بدون تردد أو برجحان أو يتبين كذبه فتكذب نفسك فيما حدثتك))[٣] .

وفي الآية الكريمة تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين وإبطال لما ((كان فاشيا في الجاهلية من الظنون السيئة والتهم الباطلة وأن الظنون السيئة تنشأ عنها الغيرة المفرطة والمكائد ، والاغتيالات والطعن في الأنساب والمبادأة بالقتال حذرا من اعتداء مظنون ظنا باطلا كما قالوا ((خذ اللص قبل أن يأخذك))))[٤] .

ومن الظنون الكاذبة والتهم الباطلة حدثت كثير من الآراء الفاسدة التي ترتب عليها عقائد ضالة ومذاهب هدامة وأفكار منحرفة يقول تعالى :﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾[٥] .

وقوله تعالى :﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾[٦] .

---

[١] ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٥١/٢٦ – ٢٥٢ .

[٢] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٣٣٢/١٦ .

[٣] ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ٢٥٢/٢٦ .

[٤] ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ٢٥١/٢٦ .

[٥] سورة آل عمران آية ١٥٤ .

[٦] سورة الأنعام آية ١٤٨ .

ذكر هذا الوجه الدامغاني وابن الجوزي والثعالبي وذهب إليه ابن جرير الطبري[١] .

٥- الظن بمعنى الكذب قال تعالى :﴿ إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ﴾[٢] .

وهل الظن يأتي بمعنى الكذب اختلف في ذلك لكن من قال به فله مبرره فيما قال حيث كان معمولا به في اللغة كما نقله السيوطي عن الأنباري حيث قال ((قال ثعلب : العرب تجعل الظن علما وشكا وكذبا فإن قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشك فالظن يقين ، وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك وإن زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب قال تعالى :﴿ إن هم إلا يظنون ﴾[٣] أي يكذبون))[٤] .

ويمكن أن يستدل لهذا الوجه بما ثبت عن الرسول ﷺ (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ...)[٥] .

ولما كان الظن مذموما في كثير من الأمور جاء النهي في كتاب الله تعالى عن اتباعه وأكثر تعالى من ذم المتبعين له فقال :﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ﴾[٦] وقال تعالى :﴿ ... وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ﴾[٧] .

وفي النهي عن اتباعه جاء قوله تعالى :﴿ يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا ..﴾[٨] .

فمن الظنون التي أمر الله باجتنابها ونهى عن اتباعها :-

الظن الخالي من الحقيقة .

الظن الخالي من القرينة

---

[١] انظر ابن جرير الطبري جامع البيان ٦٩/٢٤ .

[٢] سورة النجم آية ٢٨ .

[٣] سورة الجاثية آية ٢٤ .

[٤] جلال الدين السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، القسم الثاني ص ١٦٢ .

[٥] رواه البخاري كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ٨٨/٧ .

ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس ١٩٨٥/٤ .

[٦] سورة يونس آية ٣٦ .

[٧] سورة النجم آية ٢٨ .

[٨] سورة الحجرات آية ١٢ .

ظن السوء الذي تقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرمة[١] .

يقول ابن كثير في قوله تعالى :﴿ يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظـــن ..﴾ يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن ، وهو التهمـــة والتخـــون للأهـــل والأقارب كثير والناس في غير محله لأن بعض ذلك يكون إثما محصنا فليجتنب منـــه احتياطا ، وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنـــه قـــال :ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها في الخير محمدا)[٢] .

والظن في الآية بمعنى التهمة ((ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا ســبب لـــها يوجبها كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلا ولم يظهر عليه ما يقتضـــي ذلـــك . ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله تعالى :﴿ ولا تجسسوا ﴾ وذلك أنه قد يقع لـــه خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه ويتبصر ويستمع لتحقيـــق ما وقع له من تلك التهمة))[٣] فجاء النهي في الكتاب والسنة :﴿ اجتنبـــوا كثـــيرا مـــن الظن﴾ (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)[٤] .

وإن قلت كيف يفرق الإنسان بين الظنون الحسنة والسيئة ليجتنبها فيقال إن ((كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلـــك إذا كـــان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الأمانة في الظـــاهر فظـــن الفساد به والخيانة محرم ؛ بخلاف من اشتهره النـــاس بتعـــاطي الريـــب والمجـــاهرة بالخبائث))[٥] .

بمعنى أن المعيار في تمييز أحد الظنين من الآخر ((أن يعرضه علـــى مـــا بينتـــه الشريعة في تضاعيف أحكامها من الكتاب والسنة وما أجمعت عليه علماء الأمة ومـــا أفاده الاجتهاد الصحيح وتتبع مقاصد الشريعة ، فمنه ظن يجب اتباعه كالحذر من مكائد العدو في الحرب ، وكالظن المستند إلى الدليل الحاصل من دلالة الأدلة الشرعية))[٦]

---

[١] انظر عبدالرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٧٤٥ .

[٢] ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢٧١/٤ ، دار الفيحاء دمشق ط١ ١٤١٤هـ .

[٣] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٣٣١/١٦ .

[٤] سبق تخريجه في ص السابقة .

[٥] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٣٣١/١٦ - ٣٣٢ .

[٦] ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٥٣/٢٦ .

وبهذا يتبين أن الظن بعضه إثم وبعضه ليس بإثم والمقصود من عقد هذا البحث هو النهي عن اتباع الظن السئ الذي يدل على الشك والعلم غير المتيقن فينبغي البعد عنه إتقاء من الوقوع فيما فيه حذر ، ومن هنا يأتي دور كتاب الله تعالى لينهى عن اتباع الظن عامة قبل التمحيص والبحث ، وينهى عن اتباع الظن السيئ مطلقا لأنه يؤدي إلى مالا تحصى من المفاسد كالتجسس الذي هو من آثارة ، والغيبة والنميمة ، واحتقار الناس ، والوقوع في كثير من الأخطار تجاه الآخرين ، وتفسير كل أمر من أمور الناس بما لا ينبغي أن يفسر به تبعا للظن السيئ .

وإن دل هذا فإنما يدل على حرص الإسلام في تطهير قلوب اتباعه وتطهير ضمائرهم من أن يداخله التلوث بالظن السيئ فيقع في الإثم لأن الإنسان لا يدري أي ظنونه تكون إثما ، والنهي عن اتباع الظن وتتبعه مع ترك اليقين واهماله جاء كدعوة للمكلفين جميعا أن ينقوا سريرتهم ويبرئو نفوسهم من الهواجس والشكوك ، فلا يتركوا نفوسهم نهبا لكل ما يهجس فيها حول الآخرين[١] من ظنون وشبهات وشكوك فينبغي أن يكون قلب المؤمن ((أبيض يكن لإخوانه المودة التي لا يخدشها ظن السوء ، والبراءة التي لا تلوثها الريب والشكوك ، والطمائنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع ، وما أروح الحياة في مجتمع بريء من الظنون))[٢] .

وهكذا يتضح ما يقيمه الإسلام من تربية ضمائر وقلوب اتباعه ، وما يدعوإليه من مبدأ التعامل مع الآخرين بحيث يظل الناس أبرياء مصونة حقوقهم وحرياتهم .

واعتبارهم حتى يتبين خلاف ذلك بوضوح بأن وقعوا فيما يؤاخذون بسببه .

كما أن الظن الحسن الذي لا مستند له غير محمود لأنه قد يوقع فيما فيه ضرر على الإنسان كأن يأمن في محل يجب أن يحذر فيه ، أو يغتر بشخص عليه أن يتثبت منه أو يحسن الظن فيقتدي بمن ليس أهلا للتأسي به[٣] .

المقصود أن لا يطلق الإنسان العنان لنفسه فيتبع الظن على كل حال .

---

[١] انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٣٣٤٥/٦ .

[٢] المرجع السابق ٣٣٤٥/٦ .

[٣] انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٥٢/٢٦ .

بل عليه أن يعتدل في ذلك فيحسن الظن في موقع الإحسان ولا يسيئ الظن إلا ببرهان أو قرينة واضحة .

والأولى أن يقلل من اتباع الظنون لأنه من أعمال القلوب ولا يطلع على مكنوناتها إلا علام الغيوب .

المطلب الخامس

النهي عن اتباع المتشابه

المتشابه ، لغة مأخوذ من التشابه : وهو أن يشبه أحد الشيئين الآخر ، والشبهة : أن لايتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عينا كان أو معنى .

قال في اللسان :((والشبه والشبه المثل ... وأشبه الشئ الشئ ماثله))[١] .

والمشتبهات من الأمور المشكلات ، والمتشابهات : المتماثلات[٢] وتشابه الكلام تناسب وتماثل ، والتشابه في الأصل بمعنى التماثل[٣] وفي أساس البلاغة :((وتشابه الشيئان واشتبها ... واشتبهت الأمور وتشابهت التبست لإشباه بعضها بعضا))[٤] .

تقول :((اشتبه علي الأمر ، إذا اشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما))[٥] .

والمتشابه من القرآن ((ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره))[٦] .

المتشابه في الاصطلاح .

هو :((مالا ينبئ ظاهره عن مراده))[٧] .

وعرف في الاصطلاح أيضا بأنه ((ما التبس فهم المراد منه))[٨] .

وعرف ((ما اشتبهت دلالتها على كثير من الناس))[٩] .

والمتشابه الذي نهي عن تتبعه يقابل المحكم في كتاب الله وبيانه جاء في سورة آل عمران قال تعالى :﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة شبه .

[٢] محمد بن أبي بكر الرازي مختار الصحاح مادة شبه ص ٣٢٨ .

[٣] انظر مناع القطان مباحث في علوم القرآن ص ٢١٥ مؤسسة الرسالة ط٧ ١٤٠٠هـ وعدنان زرزور علوم القرآن ص ١٦٤ المكتب الاسلامي بيروت ط١ ١٤٠١هـ .

[٤] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري أساس البلاغة ٤٩٣/١ ، تحقيق محمد باسل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ١٤١٩هـ .

[٥] عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ص ١٠١ - ١٠٢ دار التراث القاهرة ط٢ ١٣٩٣هـ .

[٦] الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن مادة شبه ص ٤٤٣ .

[٧] المرجع السابق ص ٤٤٣ .

[٨] عدنان زرزور علوم القرآن ص ١٧٣ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ط١ ١٤٠١هـ .

[٩] المرجع السابق ص ١٧٣ .

وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾[١] .

فالآيات المحكمات هن أصل الكتاب وعماده ومرجعه فيه الأصل الذي دعي الناس إليه لأنه يمكنهم أن يفهموها ويهتدوا بها وعنها يتفرع غيرها فإن اشتبه شيئ رد إليها. والمحكمات هي أصول الاعتقاد والتشريع والآداب والمواعظ ، وسميت أصولا لاتضاح دلالتها حيث تدل على معان لاتحتمل غيرها أو تحتمله احتمالا ضعيفا غير معتد به[٢].

وآما الآيات المتشابهات فهي التي تقابل المحكمات ((فهي التي دلت على معان تشابهت في أن يكون كل منها هو المراد ، ومعنى تشابهها أنها تشابهت في صحة القصد إليها أي لم يكن بعضها أرجح من بعض أو يكون معناها صادقا بصور كثيرة متناقضة أو غير مناسبة لأن تكون مرادا فلا يتبين الغرض منها))[٣] .

وقد اختلف علماء الإسلام في تعيين المقصود من المحكمات والمتشابهات على أقوال : مرجعها إلى تعيين مقدار الوضوح والخفاء[٤] .

وللجمهور فيه مذهبان : أولهما أن المحكم ما اتضحت دلالته والمتشابه ما استأثر الله بعلمه نسب هذا القول إلى الإمام مالك في رواية أشهب وإليه مال الشاطبي .

والمذهب الثاني : أن المحكم الواضح الدلالة ، والمتشابه الخفيها ، وإليه مال الفخر فالنص والظاهر هما المحكم لا تضاح دلالتهما وإن كان أحدهما أي الظاهر يتطرقه احتمال ضعيف ، والمجمل والمؤول هما المتشابه لا شتراكهما في خفاء الدلالة ، ونسب هذا القول إلى الشافعية[٥] .

---

[١] سورة آل عمران آية ٧ .

[٢] انظر ابن عاشور التحرير والتنوير ١٥٥/٣ ، وانظر محمد رشيد رضا تفسير المنار ١٦٥/٣ .

[٣] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ١٥٥/٣ .

[٤] المرجع السابق ١٥٥/٣ .

[٥] ابن عاشور التحرير والتنوير ١٥٦/٣ بتصرف ، وانظر الفخر الرازي التفسير الكبير ١٤٦/٧ .

وقسم الشاطبي[١] المتشابه إلى حقيقي وإضافي فقال :((فالحقيقي ما لا سبيل إلى فهم معناه وهو المراد من الآية ، والإضافي : ما اشتبه معناه لاحتياجه إلى مراعاة دليل آخر فإذا تقصى المجتهد أدلة الشريعة وجد فيها ما يبين معناه ، والتشابه بالمعنى الحقيقي قليل جدا في الشريعة وبالمعنى الإضافي كثير))[٢] .

على هذا ذهب العلماء في بيان المتشابه بمذاهب شتى إليك بيان بعضها :-

إن المتشابه ما يحتاج في معرفته إلى التدبر والتأمل .

إن المتشابه ما لاسبيل إلى العلم به كوقت قيام الساعة ومقادير الجزاء على الأعمال.

إن المتشابه ما أشبه بعضه بعضا في المعاني وإن اختلفت ألفاظه .

إن المتشابه ما احتمل من التأويل أوجها .

إن المتشابه ما يحتاج إلى بيان .

إن المتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به .

إن المتشابه آيات الصفاة خاصة ومثلها أحاديثها[٣] .

والتشابه إنما يكون بين شيئين فأكثر وهولا يفيد عدم فهم المعنى مطلقا ، .

لماذا ذكر في القرآن المتشابه مع العلم أنه أنزل لهداية الناس ؟ أجاب ابن قتيبة[٤] عن ذلك فقال :((إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد ، والإشارة إلى الشيئ واغماض بعض المعاني حتى لايظهر عليه إلا اللقن[٥] واظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفي ولو كان القرآن كله ظاهرا مكشوفا حتى ينوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة وماتت الخواطر))[٦] . فالحكمة من وجود المتشابه إذا هو تمييز الصادق

---

[١] هو أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي اشتهر بالشاطبي اصولي حافظ كان من أئمة المالكية توفي ٧٩٠هـ (الاعلام ٧٥/١) .

[٢] الشاطبي ، الموافقات على أصول الشريعة ٩١/٣ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ط٢ ١٣٩٥هـ .

[٣] انظر محمد رسيد رضا تفسير المنار ١٦٤/٣ - ١٦٥ ، ومناع خليل القطان مباحث في علوم القرآن ص ٢١٦ فما بعدها مؤسسة الرسالة بيروت ط٧ ١٤٠٠هـ .

[٤] ابن قتيبة هو ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الكاتب صاحب التصانيف البديعة من أجلها أدب الكاتب ، ومشكل القرآن ومشكل الحديث وغيرها توفي ٢٧٦هـ وطبقات المفسرين للداوودي ٢٥١/١ .

[٥] قال في لسان العرب ، لقن : سريع الفهم ٢٧٥/١٧ .

[٦] ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ص ٨٦ ، تحقيق أحمد صقر المكتبة العلمية بيروت ط٣ ١٤٠١هـ .

الإيمان من ضعيفه ، وفيه أيضا بيان فضيلة الراسخين في العلم الذين ينظرون ويبحثون لعلمهم بإمكانية فهم ما خاطبهم الله به في كتابه وإن لم يعلموا بحقائق الأشياء[١]

وقد تعرض الراغب الأصفهاني[٢] في بيان المتشابه وقسمه إلى تقسيمات بديعة حيث قال : فالمتشابه في الجملة ثلاثة أضرب متشابه من جهة اللفظ فقط ، ومتشابه من جهة المعنى فقط ، ومتشابه من جهتهما .

والمتشابه من جهة اللفظ ضربان :

أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة وذلك إما من جهة غرابته نحو الأب وإما من جهة مشاركة في اللفظ كاليد والعين .

والثاني : يرجع إلى جملة الكلام المركب وذلك ثلاثة أضرب :

١- ضرب لاختصار الكلام نحو :﴿ وإن خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم ...﴾[٣] .

٢- ضرب لبسط الكلام نحو :﴿ ليس كمثله شيئ ﴾[٤] .

٣- وضرب لنظم الكلام نحو:﴿ أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، قيما﴾[٥]

والمتشابه من جهة المعنى واللفظ خمسة أضرب :

١- من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو :﴿ اقتلوا المشركين ﴾[٦] .

٢- من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو:﴿ فانكحوا ماطاب لكم من النساء ﴾[٧] .

٣- من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو:﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾[٨] .

---

[١] انظر وهبه الرحيلي ، التفسير المنير ١٥٤/٣ .

[٢] اشتهر بلقبه واختلف في اسمه فقيل الحسين بن محمد بن المفضل وقيل المفضل بن محمد كان حكماء الاسلام توفي في حدود ٤٢٥هـ (السيوطي بغية الوعاة ٢٩٧/٢ .

[٣] سورة النساء آية ٣ .

[٤] سورة الشورى آية ١١ .

[٥] سورة الكهف آية ٢،١ .

[٦] سورة التوبة ٥ .

[٧] سورة النساء آية ٣ .

[٨] سورة آل عمران آية ١٠٢ .

٤- من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها ، نحو :﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾[١] .

فإن من لم يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية .

٥- من جهة الشروط التي بها يصح الفعل أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح .

وهذه الجملة إذا تصورت علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لايخرج عن هذه التقاسيم .

ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب :

١- ضرب لا سبيل للوقوف عليه كوقت الساعة وخروج دابة الأرض وكيفية الدابة ونحو ذلك .

٢- وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام الغليقة .

٣- وضرب متردد بين الأمرين يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم[٢] .

وكما جاء النهي عن اتباع المتشابه في القرآن جاء كذلك في السنة فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول ا لله ﷺ تلا :﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ...﴾[٣] ثم قال :(إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم)[٤] .

وروى ابن مردويه عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال :(إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به)[٥] .

وقد وصف الله متبعي المتشابه بأن في قلوبهم زيغ وانحراف عن الحق إلى الباطل ، وأخبر أنهم يريدون من تتبعه أمرين :

---

[١] سورة البقرة آية ١٨٩ .

[٢] الراغب الأصفهاني ، مفردات الفاظ القرآن ص ٤٤٣ - ٤٤٥ بتصرف واختصار .

[٣] سورة آل عمران آية ٧ .

[٤] رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن ، باب منه آيات محكمات ، ١٦٦/٦ ، ومسلم في كتاب القلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ٢٠٥/٣ .

[٥] رواه الإمام أحمد المسند ٢٣٠/١٠ وصححه أحمد شاكر .

١- طلب فتنة الناس وإضلالهم .

٢- طلب تحريفه على ما يريدون حسب أهويتهم .

قال تعالى :﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ابتغاء تأويله ﴾ .

ففي هذا ((تفصيل لاجمال اقتضاه الكلام السابق ، لأنه لما قسم الكتاب إلى محكم ومتشابه وكان ذلك التقسيم باعتبار دلالة الألفاظ على المعاني تشوقت النفس إلى معرفة تلقي الناس للمتشابه))[١] .

واقتصر هنا على بيان حال الذين في قلوبهم زيغ وكيف أنهم يتلقون الآيات المتشابهات لأن بيان هذا كان هو الأهم لأن فيه كشف شبهة من غرتهم المتشابهات ولم يهتدوا إلى حق تأويلها أما حال الذين لا زيغ في قلوبهم فيعرفون بطريق المقابلة[٢] .

والمراد بالقلوب هنا هي محال الإدراك ، والزيغ هو الميل والانحراف عن المقصود ، والمقصود بالاتباع هو العكوف على الخوض في المتشابه بعده وإحصائه وتتبعه[٣] .

وعلة الاتباع هي طلب الفتنة وطلب أن يؤولوه وإن كان طلب التأويل في ذاته ليس فيه مذمة ، وإنما الذم أن يطلبوا تأويلات توافق أهواءهم وهذا ديدن الملاحدة والمشركين وأهل الأهواء عامة ، يتعمدون بذلك حمل الناس على متابعتهم .

وإذا وصف هؤلاء بالزيغ في القلوب دل على أن كل اشتغال بالمتشابه إذا أفضى إلى هذا القصد يناله من هذا الذم بحسبه .

وإن كان قوله تعالى :﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه ﴾ يعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعة[٤] إلا أنه يقصد به هنا ((التعريض بنصارى نجران ، إذ الزموا المسلمين بأن القرآن يشهد لكون الله ثالث ثلاثة بما يقع في القرآن من ضمير المتكلم ومعه غيره من نحو خلقنا وأمرنا وقضينا وزعموا أن ذلك الضمير له وعيسى ومريم ولا شك أن هذا - إن صح عنهم - هو تمويه إذ من المعروف أن

---

[١] ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٦١/٣ .

[٢] انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٦١/٣ .

[٣] انظر المرجع السابق ١٦١/٣

[٤] ابن عطية المحرر الوجيز ٢٢/٣ .

في ذلك الضمير طريقتين مشهورتين إما إرادة التشريك أو إرادة ا لتعظيم فمـــا أرادوا من استدلالهم هذا الا التمويه على عامة الناس))[١] .

وبهذا يتضح أن متبعي المتشابه أقسام سواء كانوا من النصارى أو مـــن غـــيرهم ، وأحكامهم ترجع إلى أقسامهم حسب مقاصدهم وأهدافهم من اتباع المتشابه ، فهم يتبعـــوه في الأحوال الآتية :-

١- أن يتبعوا المتشابه طلبا للتشكيك في القرآن واضلال العوام كالزنادقة .

٢- أن يتبعوه طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه كالمجسمة .

٣- أن يتبعوه على جهة ابداء تأويلاتها وإيضاح معانيها .

٤- إن يكثروا السؤال عن المتشابهات[٢] .

فالقسم الأول : لا شك في كفرهم ويقتلون في رأي المالكية من غير استتابه .

والقسم الثاني : الصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام .

والقسم الثالث : يرون السلف ترك التعرض لتأويلها مع قطعهم باستحالة ظواهرها .

القسم الرابع : يعزر أصحابه تعذيرا بليغا[٣] .

موفق السلف من متبعي المتشابه:قد كان للسلف موقف واضح وجلي مـــن متبعـــي المتشابه وذلك كل حسب حاله ومقصده ، فمنهم الجاهل ومنهم المبتدع ومنهم المعـــاند ، فالذي يحتاج إلى تعليم علموه والذي يحتاج إلى تعزير وتأديب أدبوه ، والذي يحتاج إلى التبرء منه تبرأوا منه ويمكن ضرب نموذجين لذلك .

روى البخاري عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس إني أجد في القـــرآن أشياء تختلف علي ، قال : ما هو قال :﴿ فلا أنساب بينهم يومئـــذ ولا يتســـاءلون ﴾[٤] وقال :﴿ واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾[٥] وقال :﴿ ولا يكتمـــون الله حديثـــا ﴾[٣] وقال :﴿ والله ربنا ما كنا مشـــركين ﴾[٦] فقـــد كتمـــوا فـــي هـــذه الآيـــة وفـــي

---

[١] ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ١٦٣/٣ .

[٢] انظر وهبه الزحيلي ، التفسير المنير ١٥٧/٣ .

[٣] المرجع السابق ١٥٧/٣ ، بتصرف .

[٤] سورة المؤمنون آية ١٠١ .

[٥] سورة الصافات آية ٢٧ .

[٣] سورة النساء آية ٤٢ .

النازعـــــــات :﴿ أم السماء بناها ﴾[١] إلى قوله :﴿ والأرض بعد ذلك دحاهـــا ﴾[٢] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال :﴿ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض فـــي يومين ...﴾[٣] إلى قوله :﴿ أتينا طائعين ﴾ فذكرفي هذا خلق الأرض قبل خلق الســماء وقال :﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ ﴿ وكان الله عزيزا حكيما ﴾ ﴿ وكـــان الله ســميعا بصيرا ﴾ فكأنه كان ثم مضى .

فكأن هذا الرجل ، أشكل عليه فهم هذه الآيات للتشابه الموجود بينها وقد كان يحتـاج إلى تعليم وتوجيه وقد تصدى لذلك حبر الأمة وفقيهها عبدالله بن عباس رضي الله عنـه فشفى غليله وبين له ما تشابه عليه .

يقول ابن عباس :﴿ فلا أنساب بينهم ﴾ في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم في ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفحة الآخرة أقبل بعضهم على بعض تساءلون .

وأما قوله :﴿ ما كنا مشركين ﴾ ﴿ ولا يكتمون الله حديثا ﴾ فـــإن الله يغفـر لأهـل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فختم الله على أفواههم فتنطق جوارحهم بأعمالهم فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثا ، عنده يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين .

وخلق الله الأرض في يومين ، ثم استوى إلى السماء فسواهن ســبع ســموات فـي يومين ، ثم دحا الأرض أي بسطها فأخرج منها الماء والمرعى ، وخلق فيـها الجبـال والأشجار والآكام وما بينها في يومين آخرين ؛ فذلك قوله :﴿ والأرض بعـــد ذلـك دحـاها ﴾ فخلقت الأرض في أربعة أيام وخلقت السماء في يومين .

وقوله :﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ يريد نفسه ذلك أي لم يزل ولايزال كذلك ؛ فـإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراده ويحك فلا يختلف عليك القرآن ، فإن كلا مـن عند الله[٥] .

---

[٦] سورة الأنعام آية ٢٣.

[١] سورة النازعات آية ٢٧ .

[٢] سورة النازعات آية ٣٠ .

[٣] سورة فصلت آية ٩ .

[٥] محمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١٢/١٤ ، وانظر وهبه الزحيلي ، التفسير المنير ١٥٥/٣ - ١٥٦ .

النموذج الثاني :

عن سليمان بن يسار قال :((إن رجلا من بني تميم يقال له : صبيغ بن عسل قدم المدينة وكانت عنده كتب ، فجعل يسأل عن متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فبعث إليه وقد أعد له عراجين النخل ، فلما دخل عليه جلس ، فقال له عمر رضي الله عنه من أنت ؟ فقال أنا عبدالله صبيغ ، فقال عمر رضي الله عنه وأنا عبدالله عمر ، ثم أهوى إليه فجعل يضر به بتلك العراجين فما زال يضربه حتى شجه فجعل الدم يسيل على وجهه ، فقال حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي))[١] .

فمعر رضي الله عنه أدب هذا الرجل الذي كان يتتبع متشابه القرآن ويشغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه لأن اشتغاله بعلم الواجبات وطلبها من علم الحلال والحرام أولى به

وقد نفع هذا الضرب والتأديب والسجن لهذا الرجل فهو يقول : لا ياأمير المؤمنين ! إن كنت تريد قتلي فأجهز علي وإلا فقد شفيتني شفاك الله . فخلاه عمر بن الخطاب[٢] .وبهذا نعلم أن الاتباع الحق في موضوع متشابه القرآن هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام حيث حذر عليه السلام من اتباع المتشابه كما حذر من متبعي المتشابه في قول :(إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)[٣] .

وقد علمنا أن الله تعالى وصفهم بالزيغ وحذر عنهم وجاء عن السلف تأديبهم تأديبا بليغا[٤] ردعا لهم عما هم فيه ، وذلك لما يجره فعلهم من الانحراف عن الحق والوقوع في الضلال كما ضل الخوارج بسبب اتباعهم له وأخذهم به فكان السلف يؤمنون بالمتشابه ويعملون بالمحكم ويقولون كل من عند ربنا لأن كل من المحكم والمتشابه حق وصدق يصدق أحدهما الآخر ويشهد له فلا تناقض ولا اختلاف ، لأن الجميع من عند الله .

---

[١] محمد بن الحسين الأجري ، الشريعة ص ٧٣ ، النصار السنة المحمدية ، هو بدون ط ولا تاريخ .

[٢] انظر محمد بن وضاح القرطبي ، ما جاء في البدع ص ١٢٢ دار الصميعي للنشر ، الرياض ط١ ١٤١٦هـ .

[٣] في هذا المطلب خرّج في ص ٤٢٣

[٤] انظر عبدالرحمن معلا اللويحق مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر ٢١٦/١ .

ومع هذا يسألون الله صباح مساء أن يثبتهم على الحق ويقيمهم عليه فيقولون كما أخبر الله عنهم :﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾[1] .

---

[1] سورة آل عمران آية ٨ .

المطلب السادس
النهي عن اتباع الآباء على غير الهدى

الأبو :((الهمزة والباء والواو يدل على التربية والغذو . أبوت الشيئ آبـــوه أبـــوا إذا غذوته وبذلك سمي الأب أبا .

قال الخليل : الأب معروف ، والجمع آباء وأبوة ، تقول تأبيت أبا ، كما نقول تبنيـت ابنا وتأمهت أما .

ويجوز في الجمع أبون . وهؤلاء أبوكم أي آباؤكم .

أبوعبيد : ماكنت أبا ولقد أبين أبوة . وأبوت القوم : أي كنت لهم أبا ، قال :

نؤمهم ونأبوهم جميعا كما قد السيور من الأديم))[١] .

وفي لسان العرب :((والأب : أصله ابو بالتحريك لأن جمعه آباء .. فالذاهب منـــه واو لأنك تقول في التثنية أبوان وبعض العرب يقول آبان على النقص ، وفي الاضافـة أبيك وإذا جمعت بالواو والنون قلت : أبون وكذلك أخون وحمون وهتون))[٢] .

وفي بصائر ذوي التمييز :((الأب : وهو الوالد ويسمى كل من كان سببا في إيجـاد شيئ أو إصلاحه وظهوره : أبا ولذلك سمي النبي ﷺ أبا المؤمنين[٣] .. وأصله أبـــو فلما كثر استعماله حذفوا الواو على قياس يد ودم وأخ والجمع أباء وأبون))[٤] .

وذكر الجرجاني : أن الأب ((حيوان يتولد من نطفة شخص آخر من نوعه))[٥] .

وقد ورد الأب في القرآن على أربعة أوجه :

الأول بمعنى الجد قال تعالى :﴿ ملة أبيكم إبراهيم ﴾[٦] : أي جدكم .

---

[١] احمد بن فارس معجم مقاييس اللغة مادة أبو ، ٤٤/١ .

[٢] ابن منظور لسان العرب ، باب الواو فصل الهمزة ، ٦/١٤ .

[٣] يشير إلى قوله تعالى :﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواج أمهاتهم ﴾ [الأحزاب : ٦] وأما نفيها في قوله ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ [الأحزاب : ٤٠] إنما هو نفي الولادة وتنبيه أن التبني لا يجري مجرى البنوة الحقيقية .[انظر مجمع البيان الحديث ص ٥٩] .

[٤] الفيروز أبادي بصائر ذوي التمييز مادة الأب ، ١١٣/٢ .

[٥] الجرجاني ، التعريفات باب الألف ص ٢٥ .

[٦] سورة الحج آية ٧٨ .

الثاني : بمعنى العم قال تعالى :﴿ قالوا نعبد إلهك وإلـــه آبـــائك إبراهيـــم وإســـماعيل واسحاق إلها واحدا ﴾[١] .

فإن اسماعيل لم يكن من آباء يعقوب إنما هو عمه ، والعرب تطلق على العم الأب[٢] .

الثالث : بمعنى الوالد قال تعالى :﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ﴾[٣] .

الرابع : الأب المشدودة بمعنى المرعى قال تعالى :﴿ وفاكهة وأبا ﴾[٤] .

المقصود من هذا المطلب نهي المكلفين عن اتباع الآباء وتقليدهم في غير هدى مـــن الله بلا حجة ولا برهان لأنه تقليد من ليس عنده علم ولا هدى من الله تعالى .

وقد جاء حديث القرآن عن تقليد الآباء واتباعهم في غير هدى في أكثر من ثلاثيـــن موضعا بين النهي عنه والتحذير منه وذمه وذم فاعله بلا سبب ولا حاجة إليـــه ، قـــال تعالى :﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كـــان ءآباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾[٥] والتقليد وإن كان في الأصل ليـــس ممنوعـــا لذاته لأنه نشأة طبيعية عند الإنسان ، فحركته تأتي في الحياة وفق ما يرى من حركـــة السابق له ، والأبناء يقلدون آباءهم في معظم حركاتهم ، ويشوب حركة الآباء نوع مـــن الهوى والميل والانحراف عن الحق .

ولو قلد الأبناء منهج الآباء من البداية ولم ينحادوا عنه قيد أنملة لما حدث انحـــراف في البشرية ، ولما حدث تغيير في منهج الله تعالى لأنه سبحانه علم المنهج الـــذي أراده للبشرية لأبيهم آدم ، فلو تبع الناس ما وجدوا عليه آباءهم بحق ، فاتبع أبنـــاء آدم مـــا كان عليه أبوهم آدم من الحق والهدى ، واتبع أبناء أبنائهم كذلك ما كان عليه آبـــاؤهم وهكذا لا صبح منهج الله موجودا ومتوارثا بينهم دون أن يدخله أدنى تغيـــير ، ولكـــن الناس غيروا منهج الله لأن حركة الآباء اختلت بالغفلة والنسيان واتباع الهوى ولـــهذا جاءت الأوامر من الله تعالى بدعوة البشرية إلى الانخلاع من هذه الأشـــياء، ويتبعـــوا منهجه الذي أنزله إليهم ، فيكون معنى قولهم :﴿ نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ ((قضيـــة

---

[١] سورة البقرة آية ١٣٣ .

[٢] الفيروز أبادي بصائر ذوي التمييز ١١٤/٢ ، والراغب الأصفهاني مفردات الفاظ القرآن ص ٥٧ .

[٣] سورة الصافات آية ١٠٢ .

[٤] سورة عبسى آية ٣١ .

[٥] سورة البقرة آية ١٧٠ .

مكذوبة لأنهم لواتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم لظل منهج الله في الأرض مضيئا غير متأثر بغفلة الناس ولا متاثرا بانحرافات أهل الأرض عن منهج السماء ، وهو تبرير يكشف أن ما وجدوا عليه آباءهم يوافق أهواءهم ، وقول الحق :﴿ اتبعوا ﴾ أي اجعلوا ما أنزل عليكم من السماء متبوعا وكونوا تابعين لهذا المنهج لا تابعين لسواه لأن ما سوى منهج السماء هو منهج من صناعة أهل الأرض ، وهو منهج غير مأمون ...

والحق يبين لهم آن هذا كلام خاطئ وكلام تبريري وأنتم غير صادقين فيه ، وعدم الصدق يتضح في أنكم لو كنتم متبعين لمنهج السماء ؛ لما تغير المنهج هذا أولا ، أما ثانيا فأنتم في كثير من الأشياء تختلفون عن آبائكم ، فحين تكون للأبناء شخصية وذاتية فإننا نجد الابناء حريصين على الاختلاف))[١] .

والله تعالى يريد أن يربي في الإنسان ذاتيته على الفور فإذا أصبحت مكتملة بوجهه أن يترك التبعية لغيره فلا يقول أحد ((أفعل مثل فعل أبي)) كمن قالوا ﴿ نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ لأنه تبين أنهم يتبعونهم في المنهج الباطل ولا يتبعوهم في أمور الدنيا ، والسبب في اتباعهم أنهم وجدوا فيه ما يوافق أهوائهم لأن حركة الآباء تحولت عن منهج الله وانشغلت بالحياة الجامحة والتلهف وراءها فجاء التوجيه من الله بتخليص الإنسان من إسار هذا الاتباع[٢] وأمرهم أن يتبعوا الحق الذي أنزله إليهم وأن يصلحوا به أنفسهم لا باتباع الآباء الذي نفى عنهم التعقل والاهتداء في الآية فكيف يصح اتباعهم وهم بهذه المثابة :﴿ أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ .

وفي هذا مبالغة في إلزامهم بالخطأ في اتباع آبائهم عن غير تبصر ولا تأمل[٣] .

فأخبر تعالى عن بطلان حجتهم في تقليد الآباء من غير علم ولاهدى وكشف أن غرضهم من التقليد ما هو إلا لدفع الحق والحجة إذا لزمته لأنه لوكان مقصوده الحق لاتبعه إذا ظهر له .

---

[١] محمد متولي الشعرواي ، تفسير الشعراوي ٢/ ص ٧٠٠ – فما بعدها .

[٢] انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٠٦/٢ – ١٠٨ والشعراوي ٧٠١/٢ – ٧٠٥ .

[٣] انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٠١/٢ .

وقد أخبرهم النبي ﷺ أنه جاءهم بأهدى مما وجدوا عليه[١] آباءهم ومع هذا لم يتبعوه فيما جاءهم به قال تعالى :﴿ قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾[٢] .

إن آية سورة البقرة السابقه[٣] يخبر الله تعالى فيها ((عن حال المشركين إذا أمروا باتباع ما أنزل الله على رسوله مما تقدم وصفه رغبوا عن ذلك وقالوا :﴿ بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ فاكتفوا بتقليد الآباء وزهدوا في الإيمان بالأنبياء ، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس وأشدهم ضلالا وهذه شبهة لرد الحق واهية ، فهذا دليل على اعراضهم عن الحق ورغبتهم عنه وعدم انصافهم فلو هدوا لرشدهم وحسن قصدهم لكان الحق هو القصد ، ومن جعل الحق قصده ووازن بينه وبين غيره تبين له الحق قطعا واتبعه إن كان منصفا))[٤] .

ولما كان تقليد الأجيال اللاحقه للأجيال السابقة أمرا تقتضيه طبيعة الوجود البشرى أكثر تعالي بالحديث عنه في كتابه وبين المنهج الحق الذي يجب أن يتبعه المكلف .

وإذا كان الله دعا الناس بواسطة رسله في آية سورة البقرة إلى اتباع الحق وردوا على ذلك بأنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم .

فإنه تعالى دعاهم في آية سورة المائدة أن يقبلوا ويصغوا سمعهم ويعملوا نظرهم وفكرهم وأن يحضروا مجلس الرسول ولا يصدوا عنه فقال :﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما جدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعملون شيئا ولا يهتدون ﴾[٥] .

فإذا دعي هؤلاء ((إلى دين الله وشرعه وما أوجبه وترك ما حرمه قالوا : يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك))[٦] . مع أن دين الله وشرعه

---

[١] انظر على الحمد الصالحي ، الضوء المنير على التفسير ٣٠٤/١ مؤسسة النور للطباعة السعودية عنيزة ط١ .

[٢] سورة الزخرف آية ٢٤ .

[٣] سورة البقرة آية ١٧٠ .

[٤] عبدالرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤ .

[٥] سورة المائدة آية ١٠٤ .

[٦] ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١٤٩/٢ .

واضح ((وهو محدد فيما أنزل الله ومبين بما سنه رسوله ، وهذا هو المحك ، وهذه هي النقطة التي يفترق فيها طريق الجاهلية وطريق الإسلام))[١] .

فقولهم :﴿ حسبنا ما جدونا عليه آباءنا ﴾ يعنون بها أنهم اكتفوا بما عندهم وليسوا بحاجة إلى منهج الله وشرعه وهذا الموقف منهم أقوى من سابقه وأشد نفيا منه إذ قالوا في آية البقرة :﴿ بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ ((وقد صارت هذه المقالة التي قالتها الجاهلية نصب أعين المقلدة وعصاهم التي يتوكئون عليها إن دعاهم داعي الحق وصرخ لهم صارخ الكتاب والسنة فاحتجاجهم بمن قلدوه ممن هو مثلهم في التعبد بشرع الله مع مخالفة قوله لكتاب الله أو لسنة رسوله هو كقول هؤلاء))[٢] ولهذا ابتدأ دعوتهم بقوله :﴿ تعالوا ﴾ بمعنى هلموا وأقبلوا لأن الأمر في قوله :﴿ تعالوا ﴾ يستعمل في الاسراع وطلب الاقبال وفي اصغاء السمع والاقبال بالقلب والقالب[٣] .

وهنا يظهر تعدد أساليب القرآن في الدعوة إلى الحق كما في هاتين الآيتين ففي آية سورة البقرة قال لهم :﴿ اتبعوا ما أنزل الله ﴾ فردوا بقولهم :﴿ بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا ﴾ فرد الله عليهم :﴿ أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ .

وفي آية سورة المائدة قال لهم :﴿ تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ﴾ فردوا بقولهم :﴿ حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ فكان رد الله عليهم هنا في قوله :﴿ أولو كان آباءهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ﴾ :-

ففي الأول نفى عن الآباء العقل والهداية .

وفي الثاني نفي عنهم العلم والهداية .

فما الفرق بين العلم والعقل ؟

((إن (يعقلون) تعني ما ينشأ عن فكرهم وتدبرهم للأمور ، لكن هناك أناس لايعرفون كيف يعقلون ، ولذلك يأخذون القضايا مسلما بها كعلم من غيرهم الذي عقل ، إذن فالذي يعلم أقل منزلة من الذي يعقل لأن الذي عقل هو إنسان قد استنبط ، وأما

---

[١] سيد قطب في ظلال القرآن ٩٩١/٢ .

[٢] محمد علي الشوكاني ، فتح القدير ٩٦/٢ .

[٣] انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٧٥/٧ .

الذي علم فقد أخذ علم غيره ...فنفي العلم عن شخص أبلغ من نفي التعقل لأن معنى (لايعلم) أي أنه ليس لديه شيئ من علم غيره أو علمه))[١] .

فالذي لا يعقل شيئا من المحتمل أن يعلم شيئا – أما الذي لا يعلم شيئا فهو لا يعقل ولا يعلم شيئا مثله مثل الحيوان[٢] .

ثم نجد إن النهي عن اتباع خطوات الآباء في غير هدى سبقه النهي عن اتباع خطوات الشيطان[٣] ((تنبيها على أنه لافرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين متابعة التقليد وفيه أقوى دليل على وجوب النظر والاستدلال ، وترك التعويل على مايقع في الخاطر من غير دليل أو على ما يقوله الغير من غير دليل))[٤] .

والقول العدل في هذا المطلب أن الاتباع الحق أفضل من التقليد ، لأنه أخذ وعمل بالحجة والدليل أما التقليد فهو أخذ وعمل بغير حجة ولا دليل فيكون عليه من المآخذ والمثالب الشيئ الكثير ولهذا يذم تارات كثيرة ويستعمل في اللغة لدلالات ومعان سلبية فيذم التقليد عندما يتعاطاه من يقدر على الاجتهاد .

ويذم كذلك عندما يتبع الإنسان آباءه أو مشائخه في باطل أو بدعة بغير حجة كما يذم عندما يتعصب لرأي معين يحمل الناس عليه قهرا ويذم أيضا عندما يقلد الكبراء والفساق والمترفين .

ولهذا جاء القرآن منددا بالتقليد الأعمى والتعصب الموروث من غير وعي ولا إدارك :﴿ أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ .

وعد القرآن تقليد الآباء والأسلاف بغير حجة مرفوضًا عقلا وطبعا لأنه تعالى ميز الإنسان بالعقل الذي به يستطيع أن يميز بين الحق والباطل قال تعالى :﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾[٥] .

وجعل التمسك بالتقليد والتشبث بالجهل والإصرار على الباطل من حرفة الكفار .

---

[١] محمد الشعرواي ، تفسير الشرواي ٧٠٨/٢ – ٧٠٩ .

[٢] المرجع السابق ٧٠٩/٢ .

[٣] سورة البقرة آية ١٦٨ .

[٤] فخرالدين الرازي ، التفسير الكبير ٧/٥ .

[٥] سورة الأعراف آية ٢٨ .

وقد يرد اعتراض على وجه الاستدلال بهذه الآيات على تحريم اتباع الآباء من غير حجة والنهي عنه ، وهو أنها وردت في حق المشركين الذين قلدوا آباءهم في الكفر بالله فهي تدل على المنع من تقليد الآباء في أصول الدين ولا دليل فيها على تحريم تقليد الآباء غير المشركين في فروع الدين ! .

الجواب إن ورود الآيات في المشركين لا يمنع الاحتجاج بها ((على المنع من تقليد غير الآباء الكفار لأن التشبيه لم يكن من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر ، وإنما التشبيه بين المقلدين في الفروع – ممن لا يجوز لهم التقليد – وبين المقلدين لآبائهم في عبادة الأصنام من جهة كون التقليد وقع بغير حجة للمقلد كما لو قلد رجل فكفر وقلد آخر فأذنب ، وقلد آخر في مسألة فأخطأ وجه الحق فيها فإن كل واحد من هولاء المقلدين مذموم على التقليد بغير حجة ودليل ، لتشابههم في التقليد وإن اختلفت آثامهم))[١] .

وعلى هذا يجوز للعامي الجاهل أن يقلد العالم المعتبر لأن رجوعه إلى المجتهد اتباع لا تقليد لأنه عمل بالدليل وهو قوله تعالى :﴿ فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[٢] لأن العامي وغيره ((إنما يجب عليه اتباع ما أنزل من ربه عزوجل ولكن لما لم تكن له قدرة على أن يأخذ الأحكام هو بنفسه من الأدلة الشرعية اتبع ما أنزل إليه من ربه عن طريق تقليده للمجتهد في مذهبه المستنبط من الكتاب والسنة وغيرهما من الأدلة وعلى هذا يكون كل من المجتهد والمقلد متبعا))[٣] .فلم يختلف العلماء أن العامة تقلد علمائها[٤] .

فينبغي أن يتوسط الإنسان في هذا الأمر فإن كان قادرا على اتباع الدليل فعليه به ، وإن عجز عن رتبة الاتباع فعليه بما هو دونه .

على أن يتنبه لأمر وهو ((أن الاقتداء إنما يجوز بالعالم المهتدي وإنما يكون عالما مهتديا إذا بنى قوله على الحجة والدليل ، فإذا لم يكن كذلك لم يكن عالما مهتديا فوجب

---

[١] عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي ، التقليد والافتاء والاستفتاء ص ٢٤ . دار الطيبة الرياض ، ط١ ١٤١٣هـ

[٢] سورة النحل آية ٤٣ .

[٣] عبدالله عمر محمد الشنقيطي ، التقليد في الشريعة الاسلامية ص ٢٣ ، دار البخاري للنشر المدينة المنورة ط١ ١٤١٤هـ وانظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/١١ .

[٤] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/١١ .

أن لايجوز الاقتداء به))[١] .

نخلص من هذا إلى أن اتباع الآباء إن كان من غير دليل ولابرهان بل لمجرد غلبة الهوى والشهوة فهو منهي عنه ومذموم فاعله وإن كان بدليل وحجة فهو اتباع للحق المنزل، لا اتباع لهم لذواتهم، فهذا مأمور به، ممدوح فاعله كما حكى الله عن نبيه يوسف عليه السلام قوله :﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيئ ﴾[٢] . نسأل الله أن يعصمنا من الزلل ويهدينا سبيل الاتباع الحق .

---

[١] الفخر الرازي ، التفسير الكبير ٩٢/١٢ .

[٢] سورة يوسف آية ٣٨ .

المطلب السابع
النهي عن إتباع غير ما انزل الله

لما كان الاتباع هو العمل بالدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو الاجماع أو غيرها من الأدلة .

جاء الأمر باتباع كتاب الله لأنه الأساس الذي يتفرع منه بقية الأدلة ، وأتْبَع الله تعالى الأمر باتباعه النهي عن اتباع غيره أيا كان هذا الغير ما دام لا صلة له بالكتاب والسنة .

قال تعالى :﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ﴾[١] .

فقوله :﴿ ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ يتناول كل الموجودات التي يمشي خلفها المكلف مشيا حسيا أو معنويا ، ﴿لاتتبعوا ﴾ أي ((لا تتولوا من دونه أولياء من شياطين الجن والإنس فيحملونكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع . فـ ((الآية تدل على أن المتبوع إما أن يكون هو الشئ الذي أنزله الله تعالى أو غيره .

أما الأول : فهو الذي أمر الله باتباعه .

وأما الثاني : فهو الذي نهى الله عن اتباعه فكان المعنى أن كل ما يغاير الحكم الذي أنزله الله تعالى فإنه لا يجوز اتباعه))[٢] .

فالله تعالى نهى عن اتباع غير هذا القرآن بقوله :﴿ من دونه ﴾ أيا كان هذا الدون و﴿ أولياء ﴾ ((يريد كل ما عبد واتبع من دون الله كالأصنام والأحبار والكهان ، والنار والكواكب وغير ذلك))[٣] .

لأن الولي ((هو الموالي أي الملازم والمعاون .. ، والناصر والحليف والصاحب الصادق المودة ،

---

[١] سورة الأعراف أية ٣ .

[٢] الفخر الرازي التفسير الكبير ١٦/١٤ ، بتصرف قليل .

[٣] ابن عطية الاندلسي المحرر الوجيز ٤٢٥/٥ .

واستعير هنا للمعبود وللإله لأن العبادة هي أقوى أحوال الموالاة))[١] قال تعالى :﴿ ام اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحي الموتى ﴾[٢] .

وبالرغم من وجود هذه الأوامر الإلاهية باتباع الشريعة المنزلة والنهي عن اتباع غيرها من القوانين الأرضية التي صنعها البشر ، فقد فتن كثير من الناس بالمخالفة للقانون الإلهي والتمسك بالقانون الوضعي والتحاكم إلى غير ما أنزله الله تعالى. والقوانين الوضعية ما أنزل الله بها من سلطان ، إنما هي من صنع البشر بل هي من نتاج الاستغلال والقهر وفي كثير من الأحيان تخضع لأمور مزاجية وضعها أصحاب المصالح مراعاة لمصالحهم فلم تبن على أسس بل هشة الهيكل خاوية البنيان تخاطب الجسد وتنسى الروح ، لا تخدم كل الناس بل حتى الذين تخدمهم لا تخدمهم من كل الجوانب بل من جانب واحد هو جانب الدنيا وتنسى أنهم مبعوثون خلقا جديدا .

فالقوانين الوضعية مخالفة للشريعة الاسلامية وكل ما يخالفها فهو باطل ولهذا أمر الله المؤمنين باتباع الشرع المنزل ونهاهم عن اتباع شرائع البشر المخالفة لشرعه تعالى كما قال تعالى ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء ﴾[٣] وقال مخاطبا لنبيه :﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعملون ﴾[٤] .

بل عد تعالى الذين يرفضون التحاكم إلى الشرع في عداد الكفرة الظالمين قال تعالى :﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[٥] .

وقد أقسم تعالى بنفسه الكريمة نافيا الإيمان عن ا لعباد إذا لم يحكموا الرسول الذي أرسله إليهم في كل أمورهم جليلها وحقيرها قال تعالى :﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[٦] .

---

[١] ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير القسم الثاني ج ١٦/٨ .

[٢] سورة الشورى آية ٩ .

[٣] سورة الأعراف آية ٣ .

[٤] سورة الجاثية آية ١٨ .

[٥] سورة المائدة آية ٤٤ .

[٦] سورة النساء آية ٦٥ .

فالحكم بغير ما أنزل الله تعالى يوجب غضب الله وأليم عذابه وهو سبب لنزول مقت الله وعقابه .

يقول ابن تيميمة : في بيان الآثار المترتبة من تحكيم القوانين الوضعية :

إذا حكم ولاة الأمر بغير ما أنزل الله وقع بأسهم بينهم ... وهذا من أعظم أسباب تغيير الدول كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر ما أصاب غيره فيسلك مسلك من أيده الله ونصره ، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانه ، فإن الله يقول في كتاب :﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ، الذين إن مكانهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾[١] .

فقد وعد الله بنصر من ينصره،ونصره ؛ هو نصر كتابه ودينه ورسوله لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم))[٢] .

نعم إن القانون الوضعي ((من وضع البشر ويتمثل فيه نقص البشر وعجزهم وضعفهم وقلة حيلتهم ومن ثم كان القانون عرضة للتغيير والتبديل أو ما نسميه التطور كلما تطورت الجماعة إلى درجة لم تكن متوقعة أو وجدت حالات لم تكن منتظرة فالقانون ناقص دائما ولا يمكن أن يبلغ حد الكمال مادام صانعه لا يمكن أن يوصف بالكمال ولايستطيع أن يحيط بما سيكون وإن استطاع الإلمام بما كان .

أما الشريعة : فصانعها هو الله ، وتتمثل فيها قدرة الخالق وكماله وعظمته وإحاطته بما كان وما هو كائن ؛ ومن ثم صاغها العليم الخبير بحيث تحيط بكل شيئ في الحال والاستقبال حيث أحاط علمه بكل شيئ ، وأمر جل شأنه أن لاتغير ولا تبدل حيث قال :﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾[٣] لأنها ليست في حاجة للتغيير والتبديل مهما تغيرت الأوطان والأزمان وتطور الإنسان))[٤] .

---

[١] سورة الحج آيتي ٤٠ - ٤١ .

[٢] ابن تيمية مجموع الفتاوى ٣٨٨/٣٥ .

[٣] سورة يونس آية ٦٤ .

[٤] عبدالقادر عودة التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي ١٧/١ - ١٨ ، طبعة ٥ (د.ن) .

والقوانين الوضعية على كثرتها وتعددها فيما بينها على أنها صناعة إنسانية لم يأذن بها الله تعالى[١] .

قال تعالى :﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾[٢] وهذه القوانين تمثل الطغيان البشري لأن صناعها وأتباعها رفضوا التحاكم إلى شرع الله وتحاكموا إلى قوانين صنعوها بأنفسهم ..

ولا شك أن التحاكم إلى القوانين الوضعية من أبرز العوامل في تفريق المسلمين ، لأن شأنها القصور عن الإحاطة بما يسعد البشر ويفيدهم ، لأن واضعيها أشخاص محدودي التفكير والأزمان متأثرون بأهويتهم ساعون إلى مصالحهم حريصون على تحقيق أهدافهم ، ولهذا تعددت القوانين ، لأن كل جماعة تهتم بنفسها فتشرع ما يناسبها ولا تبالي بغيرها فتعددت مصادرها تبعا لتباين أراء أصحابها في الأسلوب والوسائل والغايات والأخلاق والعقائد . وبهذا أصبحت عوامل فرقة وشتان بين الناس[٣] .

إن اتباع القانون الوضعي الجاهلي مرفوض في كتاب الله تعالى ، قال تعالى : ﴿أفحكم الجاهلية بيغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾[٤] .

يقول ابن كثير :((ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ماسواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسيات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن فعل ذلك منهم

---

[١] انظر عمر سليمان الأشقر ، خصائص الشريعة الإسلامية ص ١٥ ، دار النفائس الاردن ومكتبة الفلاح ط٣ ١٤١٢هـ .

[٢] سورة الشورى آية ٢١ .

[٣] انظر محمد بن محمد الأنصاري ، الحكم بغير ما أنزل الله ص ٣٣ ، مطبعة سفير ، الرياض ط١ ١٤١٨هـ .

[٤] سورة المائدة آية ٥٠ .

فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير))[١] .

وقد صرح كتاب الله أن اتباع الحكم أو التحاكم إلى غير ما أنزل الله يؤدي إلى الكفر والفسوق والظلم .

قال تعالى :﴿ ... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[٢] .

قال تعالى :﴿ ... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾[٣] .

قال تعالى :﴿ ... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾[٤] .

وقد ذكر بعض المفسرين أن المقصود بذلك كفر دون كفر ، وفسق دون فسق ، وظلم دون ظلم بمعنى أنها لاتخرج من الملة[٥] ، ولا شك أن القائلين بهذا الرأي لا يقصدون أولئك الذين يضعون القوانين الوضعية ويتعصبون لها ويتحاكمون إليها بل ويفضلونها عن حكم الله ورسوله ، وإنما يكون عدم الخروج من الملة لمن وقع في التحاكم إليها عن خطأ أو جهل أو شهوة أو عصبية عارمة ولم يقصد بأن يجعلها نظام حياته ولا ادعى أنها أنفع لعباد الله من الشريعة .

ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله :((والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصيانا مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر وإن اعتقد أن غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر ، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطئ له حكم المخطئين))[٦] .

إن القوانين الوضعية في البداية عبارة عن قواعد مؤقته تضع الجماعة لتنظيم شئونها وسد حاجتها فهي متأخرة عن الجماعة أو تكون في مستواها لكنها تتخلف عن الجماعة

---

[١] ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢/٩٣ - ٩٤ .

[٢] سورة المائدة آية ٤٤ .

[٣] سورة المائدة آية ٤٥ .

[٤] سورة المائدة آية ٤٧ .

[٥] انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢/٨٥ - ٩٠ .

[٦] ابن القيم مدارج السالكين ١/٣٣٦ .

لأن القوانين لاتتغير بسرعة ، أما الجماعة فيلحقها التطور السريع ، فكل جماعة تحتاج إلى قانون يناسبها .

أما الشريعة فقد وضعها الله على سبيل الدوام لتنظيم شئون الأمة فقواعد الشريعة دائمة لا تقبل التغيير بخلاف القوانين التي تتغير مع تغير وتطور المجتمعات[١] والسر في دوام هذه الشريعة يعود إلى أن الله تعالى أراد ذلك وقدره . فضمن له حفظ كتابه وسنة نبيه عليه السلام قال تعالى :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[٢] .

كما ضمن له حفظ هذه الأمة[٣] من أن تجتمع على ضلالة ، وجعل في الشريعة من المرونة والاتساع ما يجعلها صالحة للحياة الإنسانية مهما تطورت ، فلسعتها تسع الحياة الإنسانية في كل العصور مهما ترقّت الحياة بل تسمح للحياة أن تتطور في ظلها ، ولتحقق المرونة في أصولها جعلها تخلو من الشكليات والطقوس بخلاف القوانين التي اتسمت بذلك كما جعلها تخاطب فطرة الإنسان التي هي وصف مشترك بين سائر البشر وجعل أحكامها مقبولة عند أهل العقول الراجحة من الناس ، لأن الله تعالى وضعها لكل الأمم[٤] ، ولهذا جاءت نصوص قرآنية كثيرة على صورة تعبيرات كلية جامعة كقوله تعالى :﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾[٥] وقوله تعالى :﴿ والله لا يحب الفساد ﴾[٦] .

وأوجد تعالى في الشريعة سبلا لعلاج ما يستجد من أحكام ، فكان الاجتهاد فيما لا نص فيه من الكتاب والسنة لحل المشلات المستجدة ، إضافة إلى ترك المجال الواسع للعلماء والحكام لعلاج ذلك في ضوء التوجيهات القرآنية والنبوية العامة .

إن حاجة الناس إلى القرآن ماسة بجميع طبقاتهم فقد أنزله الله مصلحا لكافتهم وليس لشخص دون آخر وذلك لأنه يدعو إلى العدل بين جميع الأفراد ، وهو صالح لكل

---

[١] انظر عبدالقادر عودة ، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي ص ١٩ .

[٢] سورة الحجر آية ٩ .

[٣] انظر عمر سليمان الأشقر ، خصائص الشريعة الإسلامية ، ص ٥٨ – ٥٩ .

[٤] انظر عمر سليمان الأشقر ، خصائص الشريعة الإسلامية ص ٦٠ – ٦١ .

[٥] سورة البقرة آية ١٨٥ .

[٦] سورة البقرة آية ٢٠٥ .

مصر ولكل زمان ، كما يدعو دائما للتي هو أقوم فيقوم الخطأ ويعزز الصواب[١] ويتسم القرآن بالكمال والسمو والدوام والشمول فهذه ميزات له لا يلحقه فيها أي قانون وضعي مهما كان واضعه ، فلا تلاقي ولا تقارب بين ما يأتي من عند الله ، وبين ما يصنعه البشر .

قال تعالى :﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾[٢] إضافة إلى كون القرآن يوحد المسلمين إلى كتاب واحد وشريعة واحدة وانتماء واحد بدلا من الانتماءات المتعددة .

إن القوانين الوضعية عاجزة عن تحقيق الأهداف المرجوة منها فالأصل فيها أنها ((توضع لعلاج أدواء المجتمعات والقضاء على عللها وأمراضها والارتقاء بها إلى مستويات كريمه))[٣] .

لكن المشاهد المنظور ((أن القوانين الوضعية لاتمثل غالبا المعاني الرفيعة التي يجب أن يحققها القانون ، وإنما تمثل تلك القوانين آراء الحكام والمقننين وتصور عقلياتهم ، وتترجم عن أنانيتهم وشرهم وتسجل عليهم سوء النية وسوء التفكير والتضحية بالمعاني الرفيعة ارضاء للأطماع واشباعا للغرور، لقدأفسد المقننون أصول القانون وشوهوها))[٤]

فالمقننون نظروا إلى عمل الإنسان ولم ينظروا إلى العقيدة والأخلاق فاتصفت قوانينهم بالظلم والقصور ، خاصة الموضوعة في ديار الإسلام فقد راعت مصالح الكفار الذين وضعوها واستهانت بمصالح المسلمين وحطمت قيمهم ومثلهم وأبعدت شريعتهم عن الحكم ، فهي التي مكنت أعداء الإسلام في ديار الإسلام فكانت إحدى الوسائل التي حققت لهم أهدافهم[٥] .

---

[١] انظر عبدالله زيد أبو عمر القرآن شريعة المجتمع ص ٢٥ ، المنشأة العامة للنشر ، طرابلس وليبيا ط١ ١٣٩٣هـ .

[٢] سورة النساء آية ٨٢ .

[٣] انظر عمر سليمان الأشقر الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية ص ١٤٩ .

[٤] عبدالقادر عودة ، الإسلام وأوضاعنا القانونية ص ٢٣ بتصرف في النص ، دار القرآن الكريم ط٢ ١٣٩٧هـ .

[٥] انظر عمر الأشقر الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية ص ١٤٩ - ١٥٠ .

فالقوانين الوضعية باطلة لتناقضها حيث من المعلوم أن القانون يوضع لمعرفة الخيروالشر وهي لم تصلح لذلك بشهادة واضعيها فهذا ادوارد[١] لامير يقول لأحد أبناء المسلمين[٢] ((إن لديكم في الفقه الإسلامي كنزا مخبوءا ينتظر من يجلوه لعالمنا المعاصر ليهتدي بهديه ويسترشد بمنطقه في الحيرة المدلهمة التي أعجزت عالمنا عن التمييز بين الحق والباطل وبين الخير والشر وصرفته عن التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع))[٣] .

وهذا من شهادة الأعداء على بطلان تلك القوانين التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ومع هذا يتبعها كثير من المسلمين ويتحاكمون إليها رغم عوارها يقول عبدالحليم محمود :((أين الحق ؟ وأين الباطل في الآراء البشرية الخاصة بهذه الموضوعات ؟ إننا لا نجد لدى البشرية مقياسا للحق والباطل كل المقاييس التي حاولت الإنسانية أن تخترعها منذ الأزمنة القديمة أثبتت فشلها وبطلانها وبقي اختلاف البشرية كما هو))[٤]

إن مقاييس البشر لم تخلص الناس من الحيرة ولم توصلهم إلى السعادة بل زادت شقاوتهم وحسرتهم لعدم قدرتها في التمييز بين الحق والباطل بالرغم من ملاحقتها بالتعديل والتبديل بل زادها ذلك تناقضا واضطرابا فلم يبق إذا إلا العودة إلى حكم الله وشرعه ، لأن التشريع الحق له وحده سبحانه فله الحكم كله وله الأمر كله ، فالكون الواسع ملكه والخلق كلهم عبيده كما قال تعالى :﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾[٥] .

فلا تشريع أكمل ولا أحسن ولا أوفى من تشريع رب العالمين .

قال تعالى :﴿ إن ا لحكم إلا لله أمر ألاّ تعبدوا إلا إياه ...﴾[٦] .

---

[١] استاذ فرنسي متخصص في القانون كان عميد الفقه المقارن والحجة العالمية فيه كان من كبار رجال القانون الوضعي في العالم (انظر الأشقر ، الشريعة الإلهية ص ١٧٢ .

[٢] هو الدكتور محمدعبدالله العربي رئيس جمعيية الدراسات الإسلامية وقد كان تلميذا تحت (لامير) فكان مشرفه في رسالة الدكتوراه في العلوم القانونية (المرجع السابق ص ١٧٢ .

[٣] عمر الأشقر الشريعة الالهية ص ١٧٢ نقلا عن موسوعة الفقه الإسلامي لأبي زهرة المقدمة ص (ب) .

[٤] المرجع السابق ص ١٧٣ .

[٥] سورة الأعراف أية ٥٤ .

[٦] سورة يوسف آية ٤٠ .

قال تعالى :﴿ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾[١] .

قال تعالى :﴿ له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾[٢] .

وبهذا يتبين أنه سبحانه وحده الذي يحق له ((أن يسن التشريعات والقوانين التي يخضع لها العباد في حياتهم الخاصة والعامة والتي تحكم المجتمع الإنساني ... ذلك أن هذه الأرض التي نعيش عليها جزء من مملكة الله في كونه الواسع والعباد الذين يدبون فوقها هم من صنعه وتكوينه وخلقه فهو ربهم وإلههم وسيدهم ومن حقه أن يشرع لهم))[٣] .

فتشريع الله هو الذي يصلح العباد لعلمه تعالى ببواطنهم وسرائرهم :﴿ ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾[٤] .

وقد جمع الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[٥] النصوص القرآنية الدالة على أن الحكم لله وحده وأنه لاحكم لغيره البتة ثم قال :((ويفهم من هذه الآيات كقوله :﴿ ولا يشرك في حكمه أحدا ﴾[٦] .

أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله تعالى أنهم مشركون بالله وهذا المفهوم جاء مبينا في آيات أخر كقوله فيمن اتبع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى أنها ذبيحة الله.

﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾[٧] .

فصرح أنهم مشركون بطاعته وهذا الإشراك في الطاعة واتباع التشريع المخالف لما شرع الله هوالمراد بعبادة الشيطان[٨] .

---

[١] سورة يوسف آية ٦٧ .

[٢] سورة القصص آية ٧٠ .

[٣] عمر الأشقر الشريعة الإلهية لا القوانين ص ١٦٥ .

[٤] سورة الملك آية ١٤ .

[٥] هو محمد الامين بن محمد المختار الحكني الشنقيطي مفسر من علماء شنقيط (موريتانيا) استقر بالمدينة ودرس بالجامعة الإسلامية من مؤلفاته تفسيره توفي ١٣٩٣هـ (الأعلام ٤٥/٦) .

[٦] سورة الكهف آية ٢٦ .

[٧] سورة الأنعام آية ١٢١ .

[٨] محمد الأمين الشنقيطي أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن ٨٣/٤ عالم الكتب ، بيروت دون ط ولا تاريخ .

وقال رحمه الله :((بهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غايـــة الظـــهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفـــة لمـــا شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله ﷺ أنه لايشك في كفرهم وشـــركهم ، إلا مـــن طمس الله على بصيرتهم وأعماه عن نور الوحي مثلهم))[1] .

وبهذا يتبين أن هذه القوانين الوضعية من البلاء العظيم الذي ابتلي به الناس في هـذه العصور المتأخرة فهي محض آراء قوم لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمـــون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق فهل بعد هذا يحق للمسلم اتباعها والســـير وراءها ؟ بالرغم من وجود الأوامر الإلهية الكثيرة باتباع الشريعة المنزلة والنهي عـــن اتباع غيرها .

نسأل الله العصمة والسلامة في ديننا والثبات عليه .

---

[1] محمد الأمين الشنقيطي اضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن ٨٣/٤ ٨٤ .

المبحث الثالث

أركان الاتباع للباطل

سبق الحديث عن أركان اتباع الحق ببيان صفات وخصائص ومميزات تلك الأركان، وسيتناول المبحث هنا الحديث عن هذه الأركان من الجهة السلبية بعد أن سبق الحديث عنها من الجهة الإيجابية.

وتنقسم إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول : الداعي إلى اتباع الباطل والدافع إليه

المطلب الثاني: صفات متبع الباطل

المطلب الثالث: الأمر المتبع

المطلب الأول

الداعي إلى اتباع الباطل والدافع إليه

إن الذي يدعو الإنسان إلى اتباع الشر والباطل ويحرضه عليه هو الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء.

فقد أخذ إبليس على نفسه العهد بإغواء بني آدم لا عن طريق الأمر بل عن طريق الوسوسة في الصدور، والإغراء بالعصيان، وتزيين الكفر والمعاصي لهم، وصدهم عن استماع الحق، حيث حكى الله عنه قوله: (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين)[١]. والله تعالى وضع سنة في نفوس البشر هي: ((أن الشيطان لا يتسلط إلا على من كان غاويا أي مائلا للغواية مكتسبا لها دون من كبح نفسه عن الشر، فإن العاقل إذا تعلق به وسواس الشيطان علم ما فيه من إضلال، وعلم أن الهدى في خلافه، فإذا توفق وحمل نفسه على اختيار الهدى، وصرف إليه عزمه، قوي على الشيطان فلم يكن له عليه سلطان، وإذا مال إلى الضلال واستحسنه واختار إرضاء شهوته صار متهيئا إلى الغواية فأغواه الشيطان فغوي))[٢] ولهذا قال تعالى: ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾،[٣] إن إبليس ليس له سلطان على عباد الله، ولئلا يوهم قوله ﴿ لأزينن لهم في الأرض ﴾، أن له سلطانا على الناس نفى الله تعالى عنه ذلك في الآية التي جاءت بعدها ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾، فمن اتبعه من المكلفين يكون ذلك باختياره، وليس لأن إبليس يقهره على تلك المتابعة أو يجبره عليه[٤] وهذا ما حكاه تعالى على لسانه بقوله: ﴿ .. وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي.. ﴾[٥].

---

(١) سورة الحجر آية ٣٩.

(٢) ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٥٢/١٤.

(٣) سورة الحجر آية ٤٢.

(٤) انظر الرازي، التفسير الكبير ١٥١/١٩.

(٥) سورة إبراهيم آية ٢٢.

وبهذا يتبين أن الشيطان ليس آمراً باتباع الباطل والشر، إنما هو يوسوس على الناس في صدورهم ويلبس عليهم، ولهذا أمر الله بالاستعاذة من وساوسه ونزغاته قال تعالى: ﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ﴾[١].

وقال تعالى:﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾[٢] فمن خصائص الشيطان وصفاته أنه يوسوس في صدور الناس، فهي أعظم صفاته وأقواها يصور المعصية والباطل والشهوة في نفس المكلف ويمنيه بها، ويزينها له حتى يقع فيها، فتكون الوسوسة أصل كل معصية وبلاء، ولهذا أمر الله بالاستعاذة من الشيطان ووسوسته، كما دلت الآية على الاستعاذة من شر شياطين الإنس[٣]

وبهذا يتبين أن شياطين الإنس والجن يعدون من الدعاة إلى اتباع الباطل والدافعين إليه بكل قوة وبكل أسلوب يرون تأثيره على المكلفين للانحراف بهم عن الهدى والسير بهم إلى اتباع سبيل الشر والردى.

---

(١) سورة الناس الآيات ١-٦.

(٢) سورة فصلت آية ٣٦.

(٣) انظر علي الصالحي الضوء المنير على التفسير ٥٥٨/٦.

المطلب الثاني

صفات متبع الباطل

إن العبد المكلف يتألف من جسد وروح، فجسده خلق من الأرض، وروحه من ملكوت السماء، وقرن بينهما.

فإذا خف البدن لطفت الروح وطلبت عالمها العلوي، وإذا ثقل الجسد وأخلد إلى الشهوات والراحة ثقلت الروح وهبطت من عالمها، وصارت أرضية سفلية[١] وإذا كان متبع الحق يتميز بصفات إيجابية، فإن صفات متبع الباطل سلبية، فهي تنزع به إلى الشر، وتعزف عن الخير، قال تعالى: ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾[٢] لأنها تسعى إلى إشباع رغباتها ونوازعها الجسدية أولا، وبطبعها ميالة إلى الشهوات والهوى، كما أن بها صفة التمرد، والمكابرة، والعناد.

وتتصف بالحرص والتكالب على الدنيا قال تعالى: ﴿ وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما ﴾[٣] .

وتتصف أيضا بالتسويف والمماطلة، والجهل والظلم، وتنزع إلى اللجاج في الحق، والإصرار على الباطل.

إن متبع الباطل تنحدر به صفاته نحو الهبوط، حتى يكون شيطانا في عمله، وفكره، ونشاطه.

ولعدم ما يكبح غرائزه الطبيعية، وميوله، ونوازعه، ورغباته، فإن نفسه تنزع إلى الطغيان،وتجاوز الحد، والاعتداء والظلم، قال تعالى﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾[٤]

---

(١) انظر ابن القيم الفوائد ص ٢١٩.

(٢) سورة يوسف آية ٥٣.

(٣) سورة الفجر آيتي: ١٩-٢٠.

(٤) سورة العاديات آية ٦.

﴿ إن الإنسان خلق هلوعا﴾[١] ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾[٢] ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾[٣].

إن نفس متبع الباطل تسول لصاحبها بغياب وازع الدين، وانطفاء نور الفطرة، إلى كثير من المآثم، فيصبح كنودا، جحودا، ظلوما، جهولا، هلوعا، ضعيفا، عجولا، قليل العزم، كثير النسيان، ميالا إلى الهوى.

كما أن رغباته تطغى عليه، حتى تنحرف فطرته السليمة، فيصبح صاحب هوى وفتنة وضلال، يسعى إلى إرضاء ميوله ورغباته، وتشتد نفسه إلى طلب مزيد من الشهوات التي يحركها الشيطان ويثيرها، حتى تكون دمارا يقتل عنده الفضائل، ويعمي الأبصار، ويصم الآذان[٤]. إن انفلات رغبات وميول المكلف من قيود الإيمان، واتباع الحق، تثير عنده نوازع الشر بلا حدود، من حب الغيبة والنميمة،وسوء الظن والكذب، والزور، وحب أذى الآخرين، والتباغض، والتحاسد، والأنانية، والتجسس، والميل إلى الخداع والغش، والمراوغة، وحب البغي والظلم والكبر، والاندفاع إلى أكل أموال الناس بالباطل [٥]، والانجراف نحو الفساد والإفساد بكل صوره، هذه الطبيعة وتلك الرغبة تثير كل فجور الإنسان أو بعضه، حسب ما يتملكه الهوى واتباع الباطل، فإذا اقترب من الإيمان قلت، وإذا اقترب من الكفر زادت وكثرت، فهو في تذبذب إلى أن يأتي الإيمان القوي فيضبطها ويحجزها ويهذبها دون أن يزيلها.

تلك هي بعض صفات متبع الباطل، نسأل الله تعالى أن يرزقنا اتباع الحق، والتخلق بأخلاقه الحسنة وصفاته الحميدة.

---

(١) سورة المعارج آية ١٩.

(٢) سورة الأنبياء آية ٣٧.

(٣) سورة الأحزاب آية ٧٢.

(٤) انظر عدنان النحوي ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية ص٣٢٠ دار الإصلاح، الدمام، د.ت.
وانظر سيد قطب في ظلال القرآن ٣٦٩٨/٦و ٣٩٥٨.

(٥)انظر عدنان النحوي ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية ٣٢١.

المطلب الثالث

الأمر المتبع

إن المقصود بالأمر المتبع في هذا المطلب يتناول الباطل بشتى صوره وأنواعه، والذي يتمثل في:

١-أوامر النفس السيئة، قال تعالى﴿ وما أبرء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾[١]

٢-اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ واتبع هواه فتردى ﴾[٢] .

٣-كل المناهج المخالفة للحق من مناهج البشر وقوانينهم، قال تعالى: ﴿ ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ﴾[٣] .

٤-نزغات الشيطان: قال تعالى: ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾[٤]

وقال تعالى: ﴿ ... وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾[٥]

٥-وساوس الشيطان، قال تعالى: ﴿ فوسوس إليه الشيطان.. ﴾[٦].

٦-ظنونه وتلبيسه، قال تعالى: ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ﴾[٧] .

---

(١) سورة يوسف آية ٥٣.

(٢)سورة طه آية ١٦.

(٣)سورة الأعراف آية ٣.

(٤)سورة الأعراف آية ٢٠٠.

(٥)سورة يوسف آية ١٠٠.

(٦)سورة طه آية ١٢٠.

(٧)سورة سبأ آية ٢٠.

٧- همز الشيطان ولمزه، ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ﴾[١].

٨-وحي الشيطان، قال تعالى: ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [٢]

إن الشيطان يتميز بالوسوسة حيث أنه يحدث في نفوس المكلفين بالشر، ويحضها على فعله، فلا يفتر ولا ييأس من التكرار، وقد أمر الله نبيه وأمته من بعده أن يستعيذوا من وسوسته، كما جاء في سورة الناس، ﴿ .. . من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ﴾[٣].

ولما كان بعض البشر يستطيع أيضا أن يوسوس فيغري الآخرين بالشر ويحملهم على فعله، جاءت الاستعاذة من شر الشيطان والإنسان: ﴿ من الجنة والناس ﴾[٤].

وقد حذر الله تعالى في كتابه كثيرا عن اتباع مناهج شياطين الإنس والجن المضلة عن الحق، فقد ورد لفظ الشيطان في نحو سبعة وثمانين موضعا[٥] . وورد لفظ إبليس في نحو أحد عشر موضعا[٦].

كل ذلك للتحذير من وساوسهم ونزغاتهم ووعوداتهم الكاذبة، ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿ قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين.. ﴾[٨].

---

(١)سورة المؤمنون آية ٩٧.

(٢)سورة الأنعام آية ١٢١.

(٣)سورة الناس آيتي: ٤-٥.

(٤)سورة الناس آية ٦.

(٥) انظر محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة شطن ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٦) المرجع السابق مادة بلس ص ١٣٤.

(٧)سورة النساء آية ١٢٠.

(٨)سورة الصافات آيتي: ٥١-٥٢.

ففي الآية بيان الحوار الذي دار بين متبع الحق وصاحبه متبع الباطل الذي كاد يرديه معه في نار جهنم لولا لطف الله به، وهكذا فإن شياطين الإنس يضلون الناس عن الحق، ولهذا حذر الله من متابعتهم.

إن الشيطان لا ييأس من إضلال المكلفين بعرض الباطل عليهم بشتى الوسائل والطرق، وقد ذكر ابن القيم شر وخطر وساوسه الكثيرة في تفسيره لسورة الناس، فقال:

ينحصر شره في ستة أجناس، لا يزال بابن آدم حتى ينال منه بواحدة منها أو أكثر:

الشر الأول: شر الكفر والشرك، ومعاداة الله ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه، واستراح من تعبه معه، وهو أول ما يريد من العبد ...

المرتبة الثانية من الشر: هي البدعة، وهي أحب إليه من الفسوق والعصيان، لأن ضررها في نفس الدين، وهو ضرر متعد، وذنب لا يتاب منه، وهي مخالفة لدعوة الرسل، ودعاء إلى خلاف ما جاءوا به .....فإن أعجزه من هذه المرتبة .نقله إلى

المرتبة الثالثة من الشر: وهي الكبائر على اختلاف أنواعها. فهو أشد حرصا على أن يوقعه فيها، ولا سيما إذا كان عالما متبوعا، فهو حريص على ذلك لينفر الناس عنه، فإن عجز عنه نقله إلى:

المرتبة الرابعة: وهي الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها، فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله إلى :

المرتبة الخامسة: وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عاقبتها فوت الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها، فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة وكان حافظا لوقته نقله إلى:

المرتبة السادسة: وهو أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل ليزيح عنه الفضيلة، ويفوته ثواب العمل الفاضل، فيأمره بفعل الخير المفضول، ويحضه عليه ويحسنه له..

وهكذا يأمره بسبعين بابا من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيرا أعظم من تلك السبعين بابا وأجل وأفضل[1]

---

(1) التـفسير القيم للإمام ابن القيم، ص ٦١٢-٦١٣،بتصرف واختصار جمعه محمد بن أويس الندوي، دار الفكر بيروت،ط ١٤٠٨هـ

فعلى العبد المكلف أن يجرد متابعته للشرع بمتابعة الرسول عليه السلام، وأن يهتم بأحب الأعمال إلى الله تعالى، ,وأحبها له، وأنفعها للعبد في دينه ودنياه، حتى يسلم له في سيره إلى الله من الانحراف، فيبعد عن كل أمر متبع سوى أمر الله وأمر رسوله عليه السلام.

المبحث الرابع
نماذج الاتباع للباطل

المطلب الأول: أسوء نموذج جماعي يضرب لاتباع الباطل

المطلب الثاني: الملك واتباع الباطل

المطلب الثالث: المال واتباع الباطل

المطلب الرابع: الحوار بين الأتباع والمتبوعين

المطلب الأول

أسوأ نموذج جماعي يضرب لاتباع الباطل

إذا كان مجتمع الصحابة حواريي الرسول عليه السلام ووزراءه أفضل مجتمع يعمل بالفضيلة والخير، ويتمثل فيه اتباع الحق في أعلى صوره فإن هناك مجتمعات أخرى في الجانب السلبي سجلت حضورًا مشهودًا في الانحطاط الخلقي وتدمير الفضيلة واتباع الباطل، وما أكثر تلك المجتمعات إلا أن النموذج الواضح ينطبق على بعضها.

مثل المجتمع الفرعوني ومجتمع بني إسرائيل

فالمجتمع الفرعوني هو مجتمع الشر والفساد والباطل في أقصى صوره مجتمع يسوسه رجل واحد يرى نفسه أنه ملك مطلق عليهم لا يرفعون أمامه صوتا.

مجتمع فتح عقله وقلبه للباطل بشتى صوره حتى كانت نتيجتهم ونهايتهم الغرق والتدمير.

مجتمع استخف بعقولهم رجل واحد: ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ (١) وقال لهم: ﴿ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ (٢). هذا المجتمع أقام على كفره وعتوه وعناده متابعة لملكهم ومخالفة للحق الذي جاءهم به نبي الله موسى، بالرغم من إقامة الحجج العظيمة عليهم، ومجيئهم بخوارق العادات، التي بهرت الأبصار، وحيرت العقول فلم يرعوو، ولم ينتهوا، ولم يرجعوا، ولم يؤمنوا إلا قليل منهم قيل ما آمن منهم إلا ثلاثة هم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، والرجل الناصح وقيل بل أكثر من ذلك ولكنه قليل أيضا لقوله تعالى: ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم ﴾ (٣) ورجح ابن كثير الأخير (٤).

---

(١) سورة الزخرف آية: ٥٤

(٢) سورة غافر آية ٢٩.

(٣) سورة يونس آية ٨٣.

(٤)انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢/٥٦٢.

ولما لم تنفع فيهم الآيات البينات ولا المعجزات الظاهرات، دعا عليهم نبيهم موسى عليه السلام فاستجاب الله دعاءه عليهم لتكبرهم عن اتباع الحق الواضح، وصدهم عن سبيل الله، واستمرارهم في اتباع الباطل فكان مصيرهم الغرق العظيم في لجج البحر فذهبت أجسامهم فيه وأرواحهم للحرق.

أما المجتمع الثاني فهو مجتمع بني إسرائيل الذي عاش في زمان ومكان المجتمع الفرعوني ثم امتد إلى قرون بعده.

وقد أرسل الله إلى المجتمعين رسولين في آن واحد هما نبي الله موسى وهارون عليهما السلام.

وقد بينت آيات الكتاب العزيز وجود بصمات واضحة، ونماذج عميقة لتأصل الشر في المجتمع الفرعوني.

ووجود الشر المتنامي بسبب اتباع الباطل وعدم الإنفكاك عنه بأي حال في المجتمع الإسرائيلي.

صحيح أن المجتمع الإسرائيلي ((كلهم آمن بموسى عليه السلام، واستبشروا به، وقد كانوا يعرفون نعته وصفته، والبشارة به من كتبهم المتقدمة، وأن الله تعالى سينقذهم من أسر فرعون ويظهرهم عليه))[١] لكن ماذا كان بعد هذا الإيمان وبعد هذه النجاة من فرعون وقومه، إن اتباع الباطل لم يفارقه مجتمع بني إسرائيل حتى بوجود نبيهم معهم، فمن قبل قالوا له ﴿ أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا... ﴾ [٢]وبعد أن جاوزوا البحر ومروا على عبدة الأصنام قالوا له أيضا: ﴿ ياموسى اجعل لنا إله كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾ [٣] .

ولما ذهب موسى إلى ميقات ربه لم ينتظروه إلا منحرفين ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه

---

(١)انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٥٦٢/٢.

(٢) سورة الأعراف آية ١٢٩.

(٣) سورة الأعراف آية ١٣٨.

وكانوا ظالمين ﴾ (١). وقد خدعهم السامري وانخدعوا له، بأن العجل إلههم وإله موسى بالرغم من وجود نبيهم هارون معهم، فاتبعوا الباطل المزخرف تاركين الحق الواضح، ولم يقصر هارون في نصحهم ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾ (٢).

إن حديث القرآن عن بني إسرائيل في اتباعهم الباطل وانحرافهم عن الحق يطول وصفه، فقد عرفوا واشتهروا بتحريف الكلم عن مواضعه، والضلال الواضح في أكثر مسائل الحق إن لم يكن كلها قال تعالى:﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ (٣).

فبين كتاب الله عقيدتهم في الألوهية والأنبياء، وفي البعث والجزاء وفي التمييز العنصري، وغيرها من مسائل الانحراف.

فلم يهتم كتاب الله بقوم اهتمامه ببني إسرائيل، فقد فصل صفاتهم وأخلاقهم، وطباعهم، واستخرج المقومات الثابتة والمشتركة فيهم، وبذلك أعطى٠٠٠لبني الإنسانية المفاتيح الحقيقية لمعرفة الشخصية اليهودية))(٤)

ويمكن للإنسان أن يقول عنهم ما شاء من الانحراف واتباع الباطل، من سوء الخلق، وفساد الطوية، والحقد، والأنانية، والكبر، والمكر، والدهاء، واللجاج، والحجاج، والتضليل، والتدليس، والكفر، والفسوق، والغدر، والخيانة، ونقض العهود، والوعود والمواثيق، والنفاق، والكذب، والجبن، والقسوة، فهم عدو الإنسانية كلها، لا فرق بين مسلم أو نصراني، أو وثني، فالكل عندهم سواء، فهم شعب الله المختار كما زعموا،

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٨.

(٢) سورة طه آية ٩٠.

(٣)سورة البقرة آية ٥٩.

(٤) سعد الدين السيد صالح العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ص١٧، مكتبة الصحابة جدة، ط٢، ١٤١٦هـ.

خلقوا للحكم والسيادة والملك، وأن الناس خلقت لخدمتهم (١) ويكفيهم في الكفر والانحراف واتباع الباطل تطاولهم على الله وتكذيبهم لشرعه ووحيه.

فهم الذين قالوا ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء... ﴾(٢).

وهم الذين قالوا ﴿ يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا..﴾(٣).

وهم الذين قالوا ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات﴾ (٤)

وهم الذين قالوا ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه..﴾ (٥).

إلى غير ذلك من أقاويلهم الباطلة.

ولهذا تتابعت عليهم النبوات بحيث لم يخل عصر من عصورهم من نبي أو رسول بدءا من إبراهيم إلى عيسى عليهم السلام. لدرجة أنه كان يبعث عليهم نبيان في وقت واحد وزمان واحد مما يدل على انحرافهم، وشدة اتباعهم الباطل واعراضهم عن الحق، لأن كثرة الأنبياء تأتي كنتيجة لفسادهم وانحرافهم، لأن كثرة الرسل دليل على كثرة مرض الانحراف وتفشيه في بني إسرائيل وبهذا يعلم أنهم أحق من غيرهم ليصبحوا أسوء نموذج في اتباع الباطل والانحراف عن الحق.

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١٥-١٧.

(٢)سورة آل عمران آية ١٨١.

(٣) سورة المائدة آية ٦٤.

(٤) سورة آل عمران آية ٢٤.

(٥) سورة المائدة آية ١٨.

المطلب الثاني

الملك واتباع الباطل

إن حرص المرء على الشرف أشد هلاكا من حرصه على المال، ذلك أن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو في الأرض، أعظم ضررا للمكلف من طلب المال، لأن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف كما يطلب بالولاية والسلطان، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها، قال تعالى: ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾(١). إن الرياسة والسلطان والولاية والملك يدفع الإنسان في الغالب إلى فعل الباطل واتباعه، ولهذا كانت من الأمور التي نهى الشارع عن طلبها والسؤال عنها، كما جاء تحذير المكلف من الحرص عليها، قال عليه السلام (يا عبد الرحمن(٢).لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها)(٣) وقال عليه السلام:(إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة) (٤) إن أعظم ما يمكن اتخاذه نموذجا في هذا الصدد فيما اتضح له الحق واقتنع به إلا أنه رأى أن ملكه سيذهب إن هو اتبعه.

ذلكم هو قيصر الروم عندما جاءته رسالة الرسول عليه السلام في قصته التي أخرجها أصحاب الحديث (٥)

---

(١) سورة القصص آية ٨٣.

(٢) هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس أسلم يوم الفتح وشارك في فتوح الشام وبلاد خراسان ثم عاد إلى البصرة وتوفي ٥٠،(الإصابة ٢/٤٠٠-٤٠١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب من سأل الإمارة وكل إليها فتح ١٢٥/١٣ رقم ٧١٤٧، ومسلم في الإيمان باب ندب من حلف يمينا ٣/ ١٢٣٧، رقم ١٦٥١.

(٤) أخرجه البخاري في الأحكام باب ما يكره من الحرص على الإمارة فتح ١٣/ ١٢٤، رقم ٦١٤٨.

(٥) انظر البخاري في بدء الوحي ٦/١، ومسلم في الجهاد باب كتاب النبي عليه السلام ١٣٩٣/٣.

والتاريخ (١) فقد قدم دحية بن خليفة (٢) على هرقل بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فأسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن أبيت فإن إثم الأكارين (٣) عليك).

قال فلما انتهى إليه كتابه وقرأه، أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته ثم كتب إلى رجل من أهل رومية، كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاءه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب إليه: إنه النبي الذي ينتظر لا شك فيه، فاتبعه، فأمر بعظماء الروم فجمعوا له في دسكرة (٤) ملكه ثم أمر بها فاشرجت عليهم، واطلع عليهم من علية له وهو منهم خائف، فقال: يا معشر الروم، إنه قد جاءني كتاب أحمد، وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر ونجد ذكره في كتابنا، نعرفه بعلاماته وزمانه، فأسلموا واتبعوه تسلم لم دنياكم وآخرتكم. فنخروا نخرة رجل واحد، وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم، فخافهم وقال: ردوهم علي، فردوهم عليه، فقال لهم: يا معشر الروم، إني إنما قلت هذه المقالة أختبركم بها لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، فلقد رأيت منكم ما سرني فوقعوا له سجدا، ثم فتحت لهم أبوات الدسكرة فخرجوا (٥).

وقد رجح قيصر الروم أن يبقى على ملكه فيما فيه من باطل ويترك اتباع الحق الذي أقر به ودعا غيره عليه فلما لم يستجيبوا له وافقهم على باطلهم مع أنه أعلى منهم مكانة وملكا.

وهذا يظهر جليا عندما استشار أحد الأساقفة الذي قال له: أما إني مصدقه ومتبعه.

---

(١) انظر ابن كثير البداية والنهاية ٤٧٣/٦،والطبري في تاريخ الأمم والملوك ٦٥١/٢.

(٢) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي صحابي مشهور أول مشاهده الخندق كان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان ينزل جبريل على صورته كان رسول النبي عليه السلام إلى قيصر الروم، مات في خلافة معاوية (انظر الإصابة ٤٧٣/١.

(٣) جمع أكار: وهو الحراث والزراع، (انظر ابن منظور لسان العرب مادة أ ك ر)

(٤) بناء على هيئة قصر فيه بيوت، (انظر النهاية ١١٧/٢.)

(٥) انظر ابن كثير البداية والنهاية ٤٧٣/٦.

فقال القيصر أعرف أنه كذلك ولكن لا أستطيع أن أفعل، إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم (١).

أرأيتم كيف كان الملك مانعا له من اتباع الحق رغم قناعته به. فرأى أن البقاء في ملكه الزائل أفضل له من التحول عنه إلى الحق، وهذا إنما كان بسبب الملك ولولاه لكان من السابقين إلى اتباع الحق والاستمساك به.

ومما يدل على قناعته بالحق قوله: والله إني لأعلم إن صاحبك نبي مرسل، وإنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتبنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته.

كما اعترف بانتشار دعوة هذا النبي واتساع ملكه فقال: فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أعلم أني أخلص إليه، لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه (٢).

وبذلك استحق أن يكون هذا الملك نموذجا في اتباع الباطل بسبب اتباعه واختياره البقاء على ملكه بدلا من اتباع الحق الذي اقتنع به سرا وجهرا.

---

(١) انظر الطبراني في المعجم الكبير ٤/٢٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي ١/٦.

المطلب الثالث

المال واتباع الباطل

إن حرص الإنسان على جمع المال يجره إلى ارتكاب المحظور واتباع الباطل. وأن هذا الحرص يؤدي إلى فساد دين المرء كما أخبر بذلك الرسول عليه السلام في قوله: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) (١).

فهذا مثل ضربه عليه السلام لفساد دين المسلمين بالحرص على المال كما تفسد الأغنام ببيات ذئبين جائعين معها (٢).

إن حب المال والحرص على جمعه لو لم يكن فيه إلا تضييع الوقت وإضاعة العمر الشريف لكفى، فكيف وقد يجهد نفسه ويخاطر بها في الأسفار وركوب الأخطار من أجل جمعه ، وينسى اكتساب الدرجات العليا، ثم يترك هذا المال لينتفع به غيره.

إن العبد المكلف الذي يتبع جمع المال أو يتبع أصحاب الأموال مع نسيان هدفه الذي من أجله خلق على خطر عظيم في دينه وقديما شكا نبي الله نوح قومه عندما تركوا اتباع الحق واتبعوا أصحاب الأموال ﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا﴾ (٣)

إن الذي يمثل هذا النموذج أعظم تمثيل هو قارون الذي جاءت قصته في كتاب الله لتعرض سلطان المال وتأثيره على الإنسان بحيث يكون الثراء سببا للبغي والعدوان واتباع الباطل فقد كان قارون من قوم موسى (٤) فآتاه الله مالا كثيرا حتى صور كثرته

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٥٦/٣، والترمذي في الزهد باب ما جاء في أخذ المال بحقه ١٦/٤، رقم٢٤٨٢ وقال حديث حسن صحيح.

(٢) انظر ابن رجب الحنبلي شرح حديث ما ذئبان جائعان ص٨، الدار السلفية الكويت،دون طبعة ولا تاريخ.

(٣) سورة نوح آية :٢١

(٤) ذكر كثير من المفسرين أنه كان ابن عم موسى انظر الطبري ١٠٥/٢٠، وابن كثير ٥٢٩/٣.

بأنه كان كنوزا :وهو المال المدخر المخبوء الفائض عن الاستعمال وأن مفاتح تلك الكنوز تعي مجموعة من أقوياء الرجال، وبسبب ذلك بغى قارون على قومه بشتى صور البغي، ولكن وجد من قومه من حاول رده عن هذا البغي إلى المنهج القويم واتباع الحق الذي يرضاه الله بالتصرف في هذا الثراء على وفق منهج الله دون أن يحرم منه لا هو ولا أصحاب الحقوق، ومن نصح قومه نهوه عن فرح البطر والاستكبار ونسيان الآخرة، وأن يحسن إلى خلق الله كما أحسن الله إليه وألا يفسد في الأرض ولكنه كعادة الطغاة الذين يفتنهم سلطانهم فتنه ماله وأعماه فرد رد المغرورين ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ (١).

عند ذلك جاءه التهديد من الله تعالى ولكنه تمادى في بطره وأشره فخرج في زينته وانقسم الناس بشأنه إلى قسمين: أغرار وأثبات أما الأغرار فهم الذين أرادوا مثله فقد قالوا ياليت لهم مثل ما لقارون، وأما الأثبات فهم أولو العلم الذين لم يغتروا به ولا بزينته بل نصحوا من أراد الحياة الدنيا مثله(٢).

عند ذلك جاء العقاب الرباني ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ (٣).

وبهذا يتضح أن المال فتنة ويمكن أن يكون سببا من أسباب اتباع الباطل في الأعم الأغلب ولذلك كثرت النصوص التي تحذر من الحرص على جمعه مثل قوله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾ (٤).

وقد أدرك الافتتان بالمال من واقع التجربة العملي أولئك الذين عاصروا قارون وتأثروا بثرائه بل تمنوا أن يكونوا مثله ثم لما وصل ما وصل إليه حمدوا الله أن لم يستجب دعاءهم ولم يؤتهم ما آتاه وهم يرون المصير البائس الذي انتهى إليه أمره.

---

(١) سورة القصص : آية ٧٨.

(٢) أنظر قصته في الطبري ٢٠/١٠٥-١٢٢، وابن كثير ٣/٥٢٩-٥٣٢، والبداية والنهاية ٢/٢٠١ وسيد قطب ٥/٢٧١٠-٢٧١٤.

(٣) سورة القصص آية:٨١.

(٤) سورة التغابن آية: ١٥.

وتوصلوا إلى أن الثراء ليس علامة رضا، ولا الفقر علامة للغضب بل الله يوسع الرزق أو يضيقه على من يشاء لأسباب أخرى غير الرضا والغضب فهو يعطي ابتلاء من الله تعالى فإن لم يتبع العبد المكلف منهج الله في جمعه وانفاقه فقد يكون له سبب من أسباب اتباع الباطل كما كان لقارون الذي كان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري[1] ودفع به كثرة ماله إلى اتباع الباطل بشتى صوره، وكانت نهايته أن عاقبه الله بالخسف.

وبهذا يتبين أن العاقبة للمتقين دائما الذين يتبعون الحق ويخشون ربهم ويراقبونه ويتبعون رضوانه، جعلنا الله بمنه وكرمه منهم.

---

(١) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٣/٥٢٩.

المطلب الرابع
الحوار بين الاتباع والمتبوعين

الاتباع هم الذين يمثلون [١] عامة الناس أو الضعفاء منهم والذين يتعلقون ويتبعون غيرهم ممن يظن أنهم سادة أو كبراء.

والمتبوعون هم: السادة والكبراء، والعلماء، والأمراء، وسائر المعظمين عموما.

سواء كانوا من أمة الاستجابة أو أمة الدعوة، أو كانوا من الشياطين، ويدخل فيهم كل من يدعو إلى اتباعه، أو اتباع كتابه، أو قانونه، أو حزبه، أو فرقته، أو جماعته، أو نحلته، أو شخصه، دون اتباع الحق الذي أنزله الله على خلقه.

ولا شك أن قضية الأتباع والمتبوعين لم تتخل عنها البشرية في كل زمان ومكان، قبل نزول القرآن وبعده.

إلا أن بروزها في هذا العصر أكثر خطورة عما قبله، لأنها أصبحت مشكلة تعاني منها مختلف الشعوب والأمم، والأنظمة والدول، حتى أنه ما تأمل متأمل فيمن حوله إلا ووجد أن الناس ينقسمون إلى اتباع ومتبوعين إلا من رحم الله وقليل ما هم.

إن مسألة الاتباع والمتبوعين في العالم الإسلامي أشد ظهورا، وأعظم خطورة منها لدى العالم الغربي، وذلك بالرغم من معالجات القرآن الدقيقة والعميقة لها، حيث نجد أن آيات القرآن تعالجها علاجا ناجحا، بالبحث والتحليل، وبيان الأسباب والمظاهر، وترسيم المشاهد والصور [٢] وتحديد العواقب والنهاية، فتحدثت آيات القرآن بما يكون بين الاتباع والمتبوعين في الدنيا، والمحشر، وعند دخول النار.

لقد كان من أهداف الإسلام في القرآن، تحرير إرادة الإنسان من الخضوع لتأثير القوة الظاهرة التي يتميز بها المترفون والمستكبرون كسبيل من سبل تحرير الإنسان

---

(١) أنظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، وابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢٧٦/١

(٢) انظر صلاح عبد الفتاح الخالدي، الاتباع والمتبوعين في القرآن ص٦-٧، دار المنار الأردن ط١ ١٤١٧هـ.

من الاستسلام لأفكار هؤلاء ونزواتهم ومخططاتهم، التي لا تسير إلا في اتجاه الشر[١] . إن المتبوعين من السادة، والكبراء، والمترفين، والقادة، ظالمون وذلك لأنهم أصحاب القرار: ظلموا أنفسهم بانحرافهم عن الحق، وباستخفافهم بعباد الله الذين ازدروهم واتخذوهم خولا. وظلموا غيرهم من الاتباع عندما أمروهم باتباع الباطل.

وأما الأتباع فهم ظالمون أيضا لأنهم تنازلوا عن شخصيتهم وحرياتهم واستقلالهم، وتابعوا سادتهم بذلة وهوان وهذا ظلم منهم لأنفسهم.

لم تركز آيات القرآن في الحديث عن أحوال الاتباع والمتبوعين في دار الدنيا، وإنما أشارت إلى أن الاتباع يصيبهم ما يصيب متبوعيهم من الهلاك والدمار في الدنيا،

أما حديثها فقد كان مستفيضا فيما يكون بين الاتباع والمتبوعين يوم القيامة، من جدال واتهام، وسباب ومن تخاصم وتشاتم، ومن تلاعن ، ومن براءة وتكذيب وتضليل، وبيان ما يصيب الفريقين من حسرة وندامة وذل وخزي [٢].

ورد ذلك على شكل حوار بين الاتباع والمتبوعين في كل من السور الآتية: سورة البقرة، الأعراف، إبراهيم، النحل، الشعراء، القصص، الأحزاب، سبأ، ص، غافر .

ويمكن أن نستعرض بعض هذه الحوارات.

ففي سورة البقرة جاء قوله تعالى:(إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار)[٣]

ففي الآية بيان تبرأ المتبوعين من التابعين، وانشغال كل بنفسه تابعا كان أو متبوعا، وعجز المتبوعين عن وقاية أنفسهم فضلا عن وقاية تابعيهم[٤].

ومعنى براءتهم منهم: تنصلهم من مواعيد نفعهم في الآخرة، الذين وعدوهم في

---

(١) انظر محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن ص٣٥٣، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

(٢) انظر صلاح الخالدي الاتباع والمتبوعون ص٨.

(٣) سورة البقرة آيتي: ١٦٦-١٦٧.

(٤) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ١/ ١٥٤.

الدنيا، والشفاعة فيهم [١]. ويبدوا في الآية الحنق والغيظ من المتبوعين المخدوعين، وهاهم يتمنون أن ((يعودوا إلى الدنيا بعد ما علموا الحقيقة وانكشف لهم سوء صنيعهم، فيدعوهم الرؤساء إلى دينهم فلا يجيبوهم ليشفوا غيظهم من رؤسائهم الذين خذلوهم، ولتحصل للرؤساء خيبة وانكسار كما خيبوهم في الآخرة))[٢] .

إنه مشهد مؤثر: مشهد التبرؤ، والتعادي، والتخاصم، بين الاتباع والمتبوعين [٣]

وهكذا جاء في سورة الأعراف: ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ... ﴾ [٤].

فبينت هذه الآية والتي بعدها مطالبة الاتباع مضاعفة العذاب على المتبوعين، وقول المتبوعين للاتباع لا فضل لكم علينا فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون .

وجاء في سورة إبراهيم إقرار السادة المتبوعين بالضلال واتباع الباطل، قال تعالى: ﴿ وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ [٥] .

إن استذلال الشعوب لا يتم إلا برغبة هذه الشعوب، نتيجة حرصها على التزلف للسادة المتبوعين، وهوانهم على أنفسهم حيث إن الذل لا ينشأ إلا عند قابلية للذل في نفوس الأذلاء لذلك يعترفون بتبعيتهم لهم، فيردون عليهم بأنه لو هدانا الله لقدناكم معنا

---

(١) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٩٧/٢

(٢) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٩٩/٢.

(٣) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ١٥٤/١.

(٤) سورة الأعراف آية ٣٨.

(٥) سورة إبراهيم آية ٢١.

إلى الهداية، فعلام تلومونا ونحن وإياكم في طريق واحد هو طريق النار، فلا محيص لنا ولا مخلص منه، وقد قضي الأمر وانتهى الجدال (١).

ومن الحوارات التي تمت بين الأتباع والمتبوعين:

١. تبرؤ رؤساء الضلال من عبادة الاتباع وكفرهم.
٢. مطالبة الاتباع بمضاعفة العذاب للسادة واللعن الكبير لهم .
٣. الحوار بين المستضعفين والمستكبرين حين وقوفهم عند الله للحساب .
٤. إضمار الفريقين الندم حين يواجهون العذاب، ويجعل الأغلال في أعناقهم.
٥. الجزاء للفريقين حق وعدل بسبب أعمالهم .
٦. تقريع الاتباع والرؤساء بعضهم بعضا .
٧. اشتراك الفريقين في العذاب لإعراضهم عن اتباع الحق .
٨. بيان حكمة الله على الجميع، واستجابة الاتباع للمتبوعين باختيارهم الضلال.

تلك كانت بعض أحوال الاتباع والمتبوعين يوم القيامة .

فما هي أحكام الاتباع في الدنيا ؟

وهل كلهم ينطبق عليهم حكم واحد؟ فيعتبرون كلهم ظالمون خارجون عن طاعة الله ورسوله واتباع شرعه.

إن هذه المسألة كانت من الأهمية بمكان وهي مسألة تعميم الحكم على الأتباع دون دراسة أفراده .

فقد تعرض العلماء لمسألة اتباع العلماء أو السادة الكبراء في تحليل المحرم أو تحريم الأمر الحلال، وقسموا الأتباع فيها حسب أحوالهم إلى عدة تقسيمات(٢) هي:

١. أن يتابعهم في ذلك راضيا بقولهم مقدما لها ساخطا لحكم الله فهو كافر؛ لأنه كره ما أنزل الله فأحبط الله عمله، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل من كره ما أنزل الله فهو كافر.

---

(١) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٤/٢٠٩٦-٢٠٩٧.

٢) محمد بن صالح العثيمين القول المفيد على كتاب التوحيد٢/٢٦٤-٢٦٥

٢. أن يتابعهم في ذلك راضيا في حكم الله، وعالما بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد، ولكن لهوى في نفسه اختاره كأنه يريد مثلا وظيفة، فهذا لا يكفر ولكنه فاسق.

٣. أن يتابعهم جاهلا فيظن أن ذلك حكم الله، فينقسم إلى قسمين

- ا- أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه، فهو مفرط أو مقصر فهو آثم لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم .
- ب_ أن لا يكون عالما، ولا يمكنه التعلم، فيتابعهم تقليدا، ويظن أن هذا هو الحق، فهذا لا شيء عليه، لأنه فعل ما أمر به وكان معذورا بذلك، ولذلك ورد في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله:(إن من أفتى بغير علم فإنما إثمه على من أفتاه)[١] . ولو قلنا بإثمه بخطأ غيره للزم من ذلك الحرج والمشقة، ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطئه، فإن قيل لماذا لا يكفر أهل القسم الثاني ؟

أجيب: أننا لو قلنا بكفرهم لزم من ذلك تكفير كل صاحب معصية يعرف أنه عاص لله، ويعلم أنه حكم الله [٢].

وبهذا يتبين أن أتباع علماء الضلال أو السادة الكبراء لا يأخذون حكما واحدا، وإنما تتنوع أحكامهم في الدنيا حسب أحوالهم فيها .

ولا يفوتني في هذه العجالة أن أدعو كل تابع إلى التأمل والتفكر في حاله، وحال من يتبعه بكل موضوعية وتأن . وأن يتأمل فيتعلم من حوارات القرآن هذه مهما كان ضعيفا أو فقيرا أو محتاجا فيتخذ المواقف الصلبة من نفسه، ويعرفها بمسئوليتها في الدنيا، وعليه أن يعمل عقله فيما يعرض عليه فلا يكون إمعة، وأن يبحث في سبيل الخلاص من التبعية، وذلك بالاهتداء إلى الحق، ملتزما بالإسلام، واقفا عند أحكامه، ومبتعدا عن نواهيه وأن يقبل على الله تعالى، مكثرا من ذكره، مستشعرا مراقبته، وأن يحيا حياة القرآن، مدركا حقائق آياته ومقاصدها، منشغلا بتدبر وتفهم معانيه، جاعلا له

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٢١/٢، وأبو داود في العلم باب التوقي في الفتيا ٦٦/٤، والحاكم في العلم ١٢٦/١, وقال صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ووافقه الذهبي.

(٢) محمد بن صالح العثيمين القول المفيد على كتاب التوحيد٢٦٤/٢-٢٦٥،دار العاصمة للنشر ،الرياض ط١ سنة١٤١٥هـ.

الورد اليومي، لعل هذا يمكن أن يشغله عن اتباع الباطل، فيكون بذلك متبعا هدى الله، مقسما أوقاته فيه بين تلاوة وتدبر، وتفهم المعاني ثم العمل به جعلنا الله هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين .

الباب الخامس

آثـــار الاتـــباع

الفصل الأول: آثار الاتباع للحق

الفصل الثاني: آثار الاتباع للباطل

مدخل الباب

أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده والأثر هو بقية الشيء، تقول: أثر وأثر وتجمع على آثار، وفي التنزيل قوله تعالى:﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾(١)

وقال تعالى: ...﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم... ﴾ (٢) ولهذا يطلق على الطريق الذي يستدل به على من تقدمه آثار.وخرج في إثره وأثره: أي بعده.

وأثر فيه تأثيرا: أي ترك فيه أثرا, وأثرت العلم رويته، أي تتبعت أثره،

وفي التنزيل:﴿... ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾(٣)

والأثارة والأثرة من علم هو ما يروى أو يكتب فيبقى له أثر(٤)

إن المقصود بآثر الاتباع هنا هو: الحديث عن ما ينتج عنه بعد حصوله ويكون ذلك دليلا على وجوده، وبرهانا على حصوله، وقد يوجد أحيانا تداخلا بين الآثار في الدنيا والآثار في الآخرة حيث أن الدنيا مزرعة للآخرة، والأثر الحاصل في الدنيا يمتد إلى الآخرة كالنجاة من الضلال، والنجاة من الشقاء، والأمن من الخوف وغيرها.

إن الاتباع أمر عام واسع وشامل: يشمل الحق والباطل.

فالاتباع الممدوح سبب في جلب المصالح ودفع المضار، واستقامة الأحوال على أحسن الوجوه وأتمها في جميع الشؤون الدينية والدنيوية ولهذا كان له أعظم الثمرات وأطيبها على العباد والبلاد في الدنيا والآخرة فكل خير يحصل في الدارين يمكن أن يكون أثرا من آثار الاتباع المشروع.وبعكسه الاتباع المذموم فهو سبب كل بلية وشر وفساد.فيكون للأول ثمرات نافعة للبلاد والعباد،ويكون للثاني آثار ضارة للعباد والبلاد.

١)سورة الروم آية ٥٠

٢) سورة يس آية ١٢

٣)سورة الأحقاف آية ٤

٤) أنظر الراغب الأصفهاني المفردات مادة أثر ص ١٢، وابن منظور لسان العرب مادة أثر ٤/٥.

الفصل الأول

أثار الاتباع للحق

المبحث الأول : الآثار الدنيوية .

المبحث الثاني : الآثار الأخروية .

المبحث الأول

الآثـــار الدنـــيوية

المطلب الأول : انتفاء الخوف والحزن .

المطلب الثاني : تحصيل الهداية .

المطلب الثالث : تحصيل النجاة من الضلال .

المطلب الرابع : يورث محبة الله للعبد .

المطلب الخامس : تحصيل السلامة من العقاب .

المطلب السادس : تحصيل الرحمة .

المطلب السابع : تحصيل الفلاح .

المطلب الثامن : تحقيق مرضاة الله .

المطلب التاسع : تحقيق الرفعة والعلو في الدنيا .

المطلب العاشر : تحقيق الائتلاف والاجتماع والسلامة من الفرقة .

المطلب الحادي عشر : تحصيل النصر والغلبة .

المطلب الثاني عشر: تحصيل البشارة بمغفرة الذنوب وحصول الأجر

المطلب الأول

انتفاء الخوف والحزن

الخوف والذعر والفزع مما يمكن أن يصيب الإنسان مما يتوقعه من حصول مكروه أو فوات محبوب ويضاده الأمن[١] .

والحزن هو الغم الحاصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب ويضاده الفرح فهو عبارة عن غم يلحق من فوات نافع أو حصول ضار[٢] .

فقد نفي الله تعالى في كتابه حصول الخوف والحزن عن المتبعين لهداه فقال : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٣] .

وإذا انتفى عنهم الخوف والحزن باتباعهم الحق والهدى حل محله الأمن والاستقرار والسعادة فنفيهما عن المكلف إذا يأتي كأثر من آثار اتباع الحق ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وقوله ﴿ يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٤] وقوله تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٥] .

وبزوال الخوف والحزن عنهم يحصل لهم الأمن التام الذي تتحقق به طمأنينة النفس وراحتها، وهذه من النعم العظيمة التي أنعم بها سبحانه على المتبعين لهداه ، ولهذا امتن تعالى على قريش بهذه النعمة في سياق دعوتهم إلى عبادته واتباع منهاجه فقال : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾[٦] .

---

[١] انظر ابن فارس معجم مقاييس اللغة ٢/٢٣٠ ، والجرجاني التعريفات ص ١٦١ .

[٢] انظر الكفوي الكليات ٤٢٨ .

[٣] سورة البقرة آية ٣٨ .

[٤] سورة الأعراف آية٣٥ .

[٥] سورة الأحقاف آية ١٣ .

[٦] سورة قريش آية ٣،٤.

إن الخوف والحزن أثر من آثار اتباع الحق في الدنيا والآخرة .

يقول ابن كثير في قوله ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا ويقول في قوله ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ : أي فيما يستقبلونه من أمر الآخرة[١] فكلما كان المكلف متبعا للحق ملتزما به كلما كان خوفه لذنوبه أقل من غيره في دار الدنيا وإن أصابه شيء من ذلك فهو مكفرات لذنوبه كما جاء في الحديث " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم – حتى الشوكة يشاكها – إلا كفر الله بها من خطاياه "[٢] .

إلا أن الأمن التام من الخوف والحزن يتحقق للمتبع في القبر ويوم القيامة وهذا ما جاءت الملائكة تبشرهم به عند موتهم ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾[٣] .

إن الاتباع الحق هو صمام الأمان لزوال الخوف وبقاء الأمن واستمراره وسط الجماعة المؤمنة المتبعة للحق ذلك أن ذكر الله تعالى وعبادته واتباعه " يذهب عن القلب مخاوفه كلها وله تأثير عجيب في حصول الأمن فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه انفع من ذكر الله عز وجل إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له "[٤] .

---

[١] ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١/١٢١ .

[٢] أخرجه البخاري في كتاب المرضى باب ماجاء في كفارة المرض برقم ٥٦٤٢ .

[٣] سورة فصلت آية ٣٠ .

[٤] ابن القيم فضائل الذكر والدعاء ص ٣٨ .

المطلب الثاني

تحصيل الهداية

إن الهداية من الضلال أثر من آثار اتباع الحق قال تعالى ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ ... فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾[٣] .

فمن اتبع رضوان الله المتمثل في الكتاب والسنة فالله تعالى يرشدهم إلى طرق النجاة والسلامة، ومناهج الاستقامة وتحصيل سبل الهداية، كما ينجيهم من المهالك ويوضح لهم أبين المسالك مع صرف المحذور عنهم[٤] .

كما أن الإيمان بالرسول عليه السلام واتباعه في منهاجه واقتفاء آثاره يتحقق به الاهتداء وتحصيل الهداية ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ أي اسلكوا طريقه واقتفوا أثره ليحصل لكم الاهتداء إلى الصراط المستقيم[٥] فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتم ضلالا بعيدا[٦].

إن العبد المكلف بما وهبه الله من هداية الدلالة والإرشاد ومن العقل الرشيد يتسبب في تحصيل الهداية الربانية فعند سماعه للأقوال وانتقائه أحسنه قولا وفعلا وخلقا

---

[١] سورة المائدة آية ١٦ .

[٢] سورة الأعراف آية ١٥٨ .

[٣] سورة الزمر آية ١٨.

[٤] انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٤٨/٢ .

[٥] انظر المرجع السابق ٣٤١/٢ .

[٦] انظر عبد الرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٢٦٨ .

واتباعه لها فإن فائدة ذلك أن تناله هداية الله : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله﴾ [١] . أي المتصفون بصفة الاتباع الحق هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة[٢] .

---

[١] سورة الزمر آية ١٨ .

[٢] انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٦٤/٤ .

المطلب الثالث

تحصيل النجاة من الضلال

إن من أَلْزَمِ لوازم الاتباع الحق الابتعاد عن الضلالة ولهذا ضمن الله تعالى لمن اتبع هداه أن ينجيه من الضلال قال تعالى ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقى ﴾ [١] .

إن النجاة من الضلالة أثر من آثار الهداية في الدنيا وبه وعد الله تعالى آدم أبو البشر عندما أمره بالهبوط إلى الأرض ومن ثم ذريته من بعده .

ولا شك أن المكلف إن لم ينل الهداية يكون منغمسا في الضلالة فلا بد له من أحدهما وهذا ما أكده نبي الله إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿ لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾ [٢] .

وبقدر اهتداء الانسان إلى الحق يبتعد عن الضلال ، والله تعالى هو الذي ينجيه من الوقوع في الضلال كما قال تعالى : ﴿ .. ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ﴾ ﴾ [٣] .

إن آية سورة طه ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقى ﴾ " نفت مسمى الضلال والشقاء عن متبع الهدى مطلقا فاقتضت الآية أنه لايضل في الدنيا ولايشقى فيها ، ولا يضل في الآخرة ولا يشقى فيها فإن المراتب أربعة هدى وشقاوة في الدنيا وهدى وشقاوة في الآخرة "[٤] .

---

[١] سورة طه آية ١٢٣ .

[٢] سورة الأنعام آية ٧٧ .

[٣] سورة الزمر آية ٣٧ .

[٤] ابن القيم مفتاح دار السعادة ٣٥/١ ، توزيع إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض د.ت .

ولهذا ذكر ابن عباس في كل دار أظهر مرتبتيها فذكر الضلال في الدنيا وذكر الشقاء في الآخرة ، عندما قال :" تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه آن لايضل في الدينا ولايشقى في الآخرة "[١] .

المقصود إن النجاة من الضلال أثر من آثار اتباع الحق المتمثل في هدى الله تعالى وبهذا يحصل المكلف على غاية النعيم ويندفع عنه غاية الشقاء .

ويتضح مما سبق أن انتفاء الخوف والحزن وحصول الآمن التام وحصول الهداية إلى الصراط المستقيم ، وتحصيل النجاة من الضلال كل ذلك من آثار اتباع الحق والاستمساك به .

---

[١] أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان بسنده ٢٢٥/١٦ .

المطلب الرابع

اتباع الرسول يورث محبة الله للعبد

إن محبة الله للعبد أثر من آثار الاتباع وثمرة من ثماره حيث أن الاتباع الحق دليل محبة الله ومحبة رسوله فيكون للمحبة طرفان محب ومحبوب بمعنى محبة العبد لربه ومحبة الرب لعبده ودليل الأولى هي اتباع المصطفى عليه السلام ، أما الثانية فهي ثمرة لذلك الاتباع[١] يقول تعالى مؤكدا ذلك ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [٢] .

ومعنى يحببكم الله " أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول "[٣]

فليس الشأن أن تحب أنت إنما الشأن كله أن تحب[٤] فهو الأولى والأهم وهو الذي يسعى إليه المكلفون ، ولهذا أطلق على هذه الآية آية المحنة لما ادعت القلوب محبة الله عز وجل أنزل الله هذه الآية محنة[٥] أي اختبارا وامتحانا لهذه القلوب .

يقول ابن القيم في بيان الآية السابقة : يحببكم الله إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفائدة الاتباع وثمرته محبة الله عز وجل فلما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية[٦] .

---

[١] انظر موسوعة نضرة النعيم ١٣/٢ .

[٢] سورة آل عمران آية ٣١.

[٣] ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٤٧٧/١ .

[٤] انظر المرجع السابق ٤٧٧/١ .

[٥] انظر ابن القيم مدراج السالكين ٢٢/٣ .

[٦] ابن القيم ، تهذيب مدراج السالكين ص ٥١٥ هذبه عبدالمنعم العزي وانظر مدارج السالكين ٢٢/٣ – ٣٩ .

ويتبين من هذا أنه لا تنال محبة الله تعالى إلا باتباع الرسول عليه السلام حيث جعل اتباعه مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة[١] .

إن الاتباع الحق علامة على صدق العبد في حبه لله تعالى وأن ثمرة هذا الاتباع هي محبة الله عز وجل للعبد وغفران ذنوبه ،

كما يدل على هذه المحبة الحديث القدسي الذي قال فيه عليه السلام قال الله تعالى :" من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه "[٢] .

قال ابن القيم :" فتأمل كيف جعل محبته لعبده متعلقة بأداء فرائضه وبالتقرب إليه بالنوافل بعدها لاغير ..."[٣] وقال ابن حجر :" الذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفا من العقوبة ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثارا للخدمة فيجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته "[٤] .

---

[١] علي الصالحي الضوء المنير على التفسير ٤٨/٢ ، بتصرف .

[٢] أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع انظر الفتح ٣٤٠/١١ رقم ٦٥٠٢

[٣] روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٣٥١ .

[٤] ابن حجر العسقلاني فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٤٣/١١ ، دار المعرفة بيروت ، د.ت.

المطلب الخامس

تحصيل السلامة من العذاب

إن النجاة من العذاب والسلامة من إيقاع العقاب في الدنيا والآخرة تعتبر من أكبر غايات المؤمن المتبع لهدى الله تعالى فهو يسعى لتحقيقها والله تعالى وعده بها في كتابه فقال ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه .. ﴾ [١] .

إن سبل السلام الموعود بها المتبع هدى الله تشمل السلامة من كل آفة في الدنيا والآخرة والأمان من كل ما يخيف المكلف المتبع من العذاب والعقاب ، وكما قال تعالى ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ﴾ [٢] .

ففي هذه الآية وعد من الله تعالى لمن اتبع هدى الله بالسلامة من عقوبات الدنيا والآخرة[٣] وإن كان هناك خلاف في تفسير السلام بين المفسرين فمنهم[٤] من يرى أن المقصود به تحية السلام واستدلوا باستعمال النبي عليه السلام لها في مراسلاته إلى الملوك والزعماء كما ورد أنه عليه السلام كتب إلى هرقل " من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى "[٥] .

وقالوا إنها تحية وإن تأخرت في الكلام لأن من التحية ما يكون عند فراغ الكلام[٦]

ومن المفسرين من يرى أن المقصود السلامة من العذاب لمن اتبع هدى الله[٧]

---

[١] سورة المائدة آية ١٦.

[٢] سورة طه آية ٤٧ .

[٣] انظر الفخر الرازي ، التفسير الكبير ٥٤/٢٢ .

[٤] انظر ابن كثير تفسير القرآن ٢٠٩/٣ ، وابن عطية المحرر الوجيز ٣٥/١٠ .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي باب ٦ رقم ٧ انظر الفتح ٤٣/١ .

[٦] انظر الألوسي ، روح المعاني ٢٩١/١٦ .

[٧] انظر الرازي التفسير الكبير ٥٤/٢٢ ، والسعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٤٥٥ .

ولعله لا يوجد بين الرأيين تناقض لأن السلام هو الأمان والاطئمنان وبذل السلامة من الأذى . فيكون الثاني أقوى وأشمل لأمور منها : أن السلام يقع في ابتداء الكلام وهي ليست كذلك ، ومنها سياق الآية المتصلة بها وهي قوله :﴿ إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾[١] .

دلت الآية على وقوع العذاب على المكذب المعرض فيكون المتبع المهتدي للحق في سلام منه قال الزجاج[٢] في الآية : ليست يعنى به التحية، وإنما معناه من اتبع الهدى سلم من عذاب الله عزوجل وسخطه ، والدليل على أنه ليس بسلام أنه ليست بابتداء لقاء ولاخطاب "[٣]

ويتضح من هذا أن السلامة من العذاب أثر من آثار اتباع الحق وان هذه السلامة تبدأ في الدنيا ثم تنسحب إلى الآخرة .

فمتبع الحق سلمه الله من العذاب والعقاب في الدنيا والآخرة .

وذلك لأن السلام في الآية ليس فيها تقييد[٤] بزمن معين بل يشمل الدارين .

---

[١] سورة طه آية ٤٨ .

[٢] هو إبراهيم بن السرى بن سهل أبو اسحاق سمي الزجاج لأنه كان يخرط الزجاج كان عالما بالنحو واللغة ، (انظر الزركلي ، الاعلام ١/٤٠) .

[٣] الزجاج معاني القرآن واعرابه ٣/٣٥٨ .

[٤] انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٦/٢٣١ .

المطلب السادس

تحصيل الرحمة

إن رحمة الله تعالى لا تنال الا بطاعته وطاعة رسوله واتباع شرعه وهداه الذي بعث به رسوله .

فهي أثر من آثار اتباع الحق والاستمساك به قال تعالى :﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾[١] ومعناه أي اتبعوه واتقوا لكي ترحموا[٢] فيكون أكبر " سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب علماً وعملاً "[٣] .

وإن كانت رحمة الله وسعت في الدنيا للبر والفاجر إلا أنه تعالى كتبها يوم القيامة [٤] للذين اتقوا خاصة ولهذا قال :﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾[٥] .

قال ابن القيم : " الرحمة سبب واصل بين الله عز وجل وبين عباده بها أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها يسكنهم دار ثوابه وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم فبينهم وبينه سبب العبودية وبينه وبينهم سبب الرحمة "[٦] .

إن هذا الكتاب العزيز الذي أمرنا باتباعه في الآية السابقة أمرنا أيضاً بقراءته والاستماع والإنصات له والتفكر في معانيه وأخبر أن من فعل ذلك تحصل له الرحمة من الله تعالى فقال ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ﴾[٧] .

---

[١] سورة الأنعام آية ١٥٥ .

[٢] انظر الفخر الرازي التفسير الكبير ٥/١٤ .

[٣] السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٢٤٣ .

[٤] انظر الطبري جامع البيان ٧٩/٩ .

[٥] سورة الأعراف آية ١٥٦ .

[٦] ابن القيم التفسير القيم ص ٣٥ .

[٧] سورة الأعراف آية ٢٠٤.

إن هذا الاستماع والانصات إن لازم عليه العبد المكلف المتبع للحق " فإنه ينال خيرا كثيرا وعلما عزيزا وإيمانا مستمرا متجددا وهدى متزايدا وبصيرة في دينه ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما "[١] .

ولهذا يتحقق بحصول الرحمة من الله إيصال الخير كله للعبد المتبع المؤمن المطيع لله ورسوله قال تعالى :﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة .. [٢] وقال تعالى : وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾[٣] .

فتكون الرحمة أثرا من أثار اتباع الحق والإيمان به قال تعالى :﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾[٤] .

---

[١] السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٢٧٦ .

[٢] سورة الأنعام آية ٥٤ .

[٣] سورة آل عمران آية ١٣٢ .

[٤] سورة التوبة آية ٧١ .

المطلب السابع
تحصيل الفلاح

الفلاح هو الظفر وإدراك بغية[١] . .

ويطلق على الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير[٢] .

وهو ينقسم إلى " دنيوي وأخروي فالدنيوي : الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز ....

وفلاح أخروي ، وذلك أربعة أشياء : بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل ، وعلم بلا جهل "[٣] .

لما ذكر تعالى صفات المتبعين للحق المؤمنين به ختم تلك الصفات بأن أصحابها هم المفلحون الفائزون فكانت ثمرة اتباعهم ونتيجته بأن حصل لهم الفوز بالمطلوب " وتحقيقه أن الله تعالى لما وصفهم بالقيام بما يلزمهم علما وعملا بين نتيجة ذلك وهو الظفر بالمطلوب الذي هو النعيم الدائم من غير شوب على وجه الإجلال والإعظام "[٤] . ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾[٥] .

فالهدى والفلاح يأتي كأثر من آثار اتباع الحق ويتحقق بهما الفوز وصلاح الحال بالنجاة من العذاب في أحوال الدنيا وأحوال الآخرة فجاء في الآية وما قبلها الثناء على

---

[١] الراغب الاصفهاني مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٤٤ .

[٢] سليمان القرعاوي ، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ص ٥١٧ .

[٣] الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٤٤ .

[٤] الفخر الرازي التفسير الكبير ٣٢/٢ .

[٥] سورة البقرة آية ٥.

الكتاب ومتبعيه ووصف هديه، وأثر ذلك الهدى في الذين اهتدوا به والثناء عليهم[١] مما يدل على أن حصول الفلاح يأتي كأثر من آثار اتباع الحق .

قال تعالى في بيان صفة النبي المتبع :﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين ءامنوا بهوعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾[٢] .

إن حصول الفلاح يأتي كأثر من آثار اتباع محمد عليه السلام واتباع النور الذي جاء به المتمثل في الاقتداء بالقرآن الكريم عملا بأحكامه وامتثالا لآدابه وأخلاقه .

---

(١) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٢٤٧/١.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٧.

المطلب الثامن

تحقيق مرضاة الله تعالى

إن تحقيق رضاء الله أمل يسعى إليه المتبعون لهدى الله وذلك بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وعندما يرضى العبد بربوبية الله وألوهيته ويرضى برسوله وينقاد له ويقتدي به ويتبعه ويرضى بدينه ويسلم له[١] ، عند ذلك تأتي كنتيجة وثمرة رضا الله عن عبده الذي لزم مراضيه وامتثل أوامره واجتنب مساخطه .

قال تعالى :﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ...﴾ [٢] .

ولهذا كانت أكف الضراعة متجهة إلى الله من الأنبياء والمصلحين داعين الله تعالى بحصول رضاه والبعد عن سخطه ففي الحديث :" اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك .."[٣] .

فقد كان رضا الله أعلى مطلوب النبيين والمؤمنين فقد جاء عن نبيه موسى عليه السلام قول :﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾[٤] وجاء عن نبيه محمد عليه السلام وصحابته الكرام قوله تعالى :﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ..﴾ [٥] .

والله تعالى " أخبر أنه لايستوي من كان قصده رضوان الله والعمل على ما يرضيه كمن ليس كذلك ممن هو مكب على المعاصي مسخط لربه ..فالمتبعون لرضوان الله يسعون في نيل الدرجات العاليات والمنازل والغرفات فيعطيهم الله من فضله وجوده على قدر أعمالهم ، والمتبعون لمساخط الله يسعون في النزول في الدركات إلى أسفل

---

[١] انظر ابن القيم ، مدراج السالكين ١٧٩/٢ – ١٨٠ .

[٢] سورة التوبة آية ١٠٠ .

[٣] أخرجه الترمذي في الدعوات باب في دعاء الوتر ٥٦١/٥، رقم ٣٥٦٦، والنسائي في قيام الليل باب الدعاء في الوتر ٢٤٨/٣

[٤] سورة طه آية ٨٤.

[٥] سورة الفتح آية ٢٩ .

على قدر أعمالهم ، والمتبعون لمساخط الله يسعون في النزول في الدركات إلى أسفل سافلين كل على حسب عمله والله بصير بأعمالهم لا يخفى عليه منها شيئ "[١] ولهذا قال :﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾[٢]

فالمتبعون للحق حققوا مرضاة الله فحقق الله لهم مراضيهم ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾[٣] هذا في الدنيا أما في الآخرة فوعدهم الجنات العاليات والمساكن الطيبات مع تحقيق رضوانه لهم الذي هو أكبر من ذلك كله .

قال تعالى :﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾[٤] .

وبهذا يتبين أن تحقيق رضوان الله ومرضاته يأتي كأثر من أثار اتباع الحق كما قال تعالى :﴿ والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾[٥] .

فالسابقون ومن اتبعهم ممن جاء بعدهم اتبعوا الحق من ربهم وكثمرة على ذلك الاتباع تحقق لهم مرضاة الله تعالى التي هي الغاية التي أموها وسعوا إليها لأن رضوانه أكبر من نعيم الجنات[٦] .

---

[١] السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ١٢٣ .

[٢] سورة آل عمران آية ١٦٢.

[٣] سورة آل عمران آية ١٧٤.

[٤] سورة التوبة آية ٧٢ .

[٥] سورة التوبة آية ١٠٠ .

[٦] انظر السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٣٠٣ .

المطلب التاسع
تحقيق الرفعة والعلو في الدنيا

إن متبعي الحق دائماً وأبداً فوق الذين كفروا، الذين يتبعون الباطل وهذه الرفعة والعلو تأتي كثمرة من ثمار اتباعهم للحق .

فقد تكون هذه الرفعة حسية ومعنوية وقد لا تظهر أحياناً الرفعة الحسية لما يظهر من تطاول الباطل وانتفاشه كما هو حاصل في هذه العصور الذي لانسمع فيه أي صوت للحق ولا لأهله .

لكن الرفعة المعنوية ثابتة لهم في حالة الضعف وحالة القوة والله تعالى وعد بتحقيق الرفعة لا تباع رسله قال تعالى :﴿ إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ..﴾ [١] .

وهذا لا يصعب القول به " فالذين اتبعوه هم الذين يؤمنون بدين الله الصحيح الإسلام الذي عرف حقيقتة كل نبي وجاء به كل رسول وآمن به كل من آمن حقا بدين الله ، وهؤلاء فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة في ميزان الله كما أنهم كذلك في واقع الحياة، كلما واجهوا معسكر الكفر بحقيقة الإيمان وحقيقة الاتباع ودين الله واحد . وقد جاء به عيسى|بن مريم كما جاء من قبله ومن بعده كل رسول ، والذين يتبعون محمد صلى الله عليه وسلم هم في الوقت ذاته اتبعوا موكب الرسل كلهم من لدن آدم عليه السلام إلى آخر الزمان "[٢] .

إن هذه الفوقية التي تصلح لمتبعي الحق هي فوقية عامة تشمل:

فوقيه الرفعة والعلو.

وفوقية الدرجة والمنقبة .

---

[١] سورة آل عمران آية ٥٥.

[٢] سيد قطب في ظلال القرآن ٤٠٣/١ - ٤٠٤ .

وفوقية الحجة والدليل .

والفوقية المعنوية والحسية[١] .

وكـــلها تحصل كأثر من أثار اتباع الحق والاستمساك به لكن إن حصل تراخي عن اتـــباع الحـــق أو كثر أتباع الباطل فإن هذا الأثر يـــخف ويتلاشى بقدر اتباع الحق أو الابتعاد عنه .

هـــذا وتـــبقى فوقية الدرجة والمنقبة وفوقية الحجة والدليل ثابتتين للذين اتبعوا الحق على الذين اتبعوا الباطل .

أما فوقية الظهور والانتصار فتتخلف تارات لعدم تحقق شروطها .

---

[١] انظر الفخر الرازي التفسير الكبير ٦٢/٨ .

المطلب العاشر

تحقيق الائتلاف والاجتماع والسلامة من الفرقة

إن من ثمار اتباع الحق حصول الألفة والاجتماع والبعد عن التحزب والاختلاف والسلامة من التفرق .

قال تعالى :﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾[١] .

بينت الآية إنه صراط واحد[٢] ، وسبيل واحدة تؤدي إلى الله فتوحد المتبعين لها السالكين سبيلها وتؤلف بينهم فيفردون الله بالربوبية ويدينوا له وحده بالألوهية ويتلقون الأوامر والنواهي من مصدر واحد ووجهة واحدة فتتوحد غايتهم كما توحدت في اتباع الحق بدايتهم فتدل الآية " على أن كل ما كان حقا فهو واحد ، ولا يلزم منه أن يقال إن كل ما كان واحدا فهو حق ، فإذا كان الحق واحدا كان كل ما سواه باطلا ، وماسوى الحق أشياء كثيرة فيجب الحكم بأن كل كثير باطل "[٣] .

وشبه تعالى اتباع الحق بالصراط، وجعله كالطريق الواضحة البينة الذي لا اعوجاج فيه لاستقامته فيكون أيسر سلوكا على السائر وأسرع وصولا به[٤] .

كما يوجد أتباعه في بوتقة واحدة خلافا للسبل المتفرقة التي يتفرق أتباعها بتفرقها وتشعبها فتجعلهم شيعا وأحزابا ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾[٥] .

---

[١] سورة الأنعام آية ١٥٣ .

[٢] انظر سيد قطب في ظلال القرآن ١٢٣٤/٣ .

[٣] الفخر الرازي التفسير الكبير ٤/١٤ .

[٤] ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ١٧٢/٨ .

[٥] سورة الروم آية ٣٢ .

إن بالالتزام بمنهج الحق واتباعه تتوحد صفوف المسلمين وتجمع كلمتهم " على تنوع اهتماماتهم العلمية والعملية وتفاضل مقاديرهم في العلم والايمان ولا يعني هذا الاتفاق في جميع تفاصيل المسائل ودقائقها ولكن الاتفاق في الطريق والمنهج الموصل إلى الحق ، فإن وجد اختلاف بعد ذلك لم يفسد للود قضية بل يندفع بالتناصح والتشاور وتذوب حدته في بحر الألفة والمودة"[١] .

وبهذا يتبين أن الائتلاف والاجتماع يأتي كأثر من آثار اتباع الحق لأن أتباعه يأخذونه من الكتاب والسنة وطرق النقل فيورثهم ذلك الاتفاق والائتلاف .

وقد أكد الله تعالى هذه المعاني في نفوسهم فقال :﴿ يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾[٢] .

فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر حتى يستقيم أمر دينهم ودنياهم ، ثم دعاهم إلى الائتلاف والاجتماع فيما أطاعوا فيه وعدم التنازع في ذلك .

وذلك برد كل ما تنازعوا فيه من أصول الدين وفروعه إلى كتاب الله وسنة رسوله لأن بناء الدين عليهما ولا يستقيم الإيمان إلا بهما[٣] .

وقد عمل الصحابة ومن بعدهم بهذه النصوص ومع ذلك حصل منهم إختلاف في بعض الأحكام لكنهم لم يفترقوا ولم يفارقوا الدين فكانوا مع الاختلاف أهل مودة ونصح[٤] فبقيت بينهم الألفة والأخوة الإسلامية كأثر من آثار اتباعهم الحق والتزامهم بنصوصه وأحكامه .

---

[١] عثمان علي حسن ، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ٢/ ٧٤٥ مكتبة الرشد الرياض ط٣ /١٤١٥هـ .

[٢] سورة النساء آية ٥٩ .

[٣] انظر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ١٤٨ .

٤) انظر ابن تيمية مجموع الفتاوى ١٧٢/٢٤.

المطلب الحادي عشر
تحصيل النصر والغلبة

النصر: هو العون والظفر والمنع..

قال تعالى :﴿ يا أيها الذين ءامنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [١] .

وقال تعالى :﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ [٢] .

وقال تعالى :﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ [٣] .

وقال تعالى :﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ [٤] .

إن النصر كله من عند الله يأتي به لتحقيق قدره ، فالنبي المرسل والمجاهدون معه ليس لهم في النصر غاية ذاتية ولا نصيب شخصي[٥] كما أنه ليس لهم دخل في تحقيقه إنما هم أسباب له حيث اتبعوا الحق والله تعالى ينصر الحق على الباطل وسينال هذا النصر كل من اتبع الحق وآمن به، وهذه الحقيقة التي هي نصر الحق " لا تعفي المسلمين من اتباع المنهج وطاعة التوجيه والنهوض بالتكاليف وبذل الجهد والتوكل بعد هذا كله على الله "[٦] .

فيأتي إذا النصر والغلبة على الأعداء كأثر من آثار اتباع الحق فكل من اتبع الحق واستمسك به فالله ناصره لأنه تعالى ينصر الحق كما قال تعالى :﴿ قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ [٧] .

---

[١] سورة محمد آية ٧ .

[٢] سورة الحج آية ٤٠ .

[٣] سورة آل عمران آية ١٢٦ ، والأنفال آية ١٠ .

[٤] سورة آل عمران آية ١٦٠ .

[٥] سيد قطب في ظلال القرآن ٤٧١/١ .

[٦] المرجع السابق ٥٠٣/١ .

[٧] سورة القصص آية ٣٥ .

وهذا الوعد كان لموسى عليه السلام في وقته وقد أنجزه تعالى له فكانت له الغلبة والنصر والتمكين له ولأتباعه[١] .

وهو وعد لكل أتباع الحق من بعده كما قال تعالى :﴿ إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾[٢] .

إن الغلبة للحق واتباعه ثابتة باقية بقاء الحق في الوجود وتمسك أتباعه به[٣] .

وبهذا يتضح أن تحصيل النصر والغلبة أثر من آثار اتباع الحق .

---

[١] انظر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٥ .

[٢] سورة غافر آية ٥١ .

[٣] انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٢٦٩٣/٥ .

المطلب الثاني عشر

تحصيل البشارة بمغفرة الذنوب وحصول الأجر

البشارة هي الخبر السار والمفرح الذي يخبر به متبع الحق[١] .

قال تعالى :﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ...﴾ [٢] .

وهم أولياء الله المتقون المؤمنون به المتبعون شرعه قال تعالى :﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾[٣] .

وهذه البشرى التي أثبتها الله لمتبعي الحق نفاها تعالى عن المجرمين متبعي الباطل فقال :﴿ لا بشرى يؤمئذ للمجرمين ﴾[٤] .

وتأتي البشارة بمغفرة الذنوب وحصول الأجر كأثر من آثار اتباع الحق كما قال تعالى :﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر وحشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ [٥] .

إن مغفرة الذنوب تأتي كثمرة لمتبعي القرآن الذي هو الذكر ، وخشية الرحمن بالغيب " فما تحل خشية الله في قلب إلا ويتبعها العمل بما أنزل ، والاستقامة على النهج الذي أراد"[٦] ولهذا يبشر من هذا حاله بحصول الأجر الكريم الواسع الحسن الكثير.

وهناك آثار أخرى تترتب على اتباع الحق منها

١- تحصيل توبة الله على العبد .

---

[١] انظر الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن ص ١٢٥ .

[٢] سورة يونس آية ٦٤.

[٣] سورة الزمر آيتي ١٧ ،١٨.

[٤] سورة الفرقان آية ٢٢ .

[٥] سورة يس آية ١١.

[٦] سيد قطب في ظلال القرآن ٥/٢٩٦٠ .

قال تعالى :﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ...﴾ [١] .

٢- حصول الرأفة ونزول السكينة في قلوب متبعي الحق .

قال تعالى :﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ﴾ [٢] .

٣- يثمر تواضع الرسول عليه السلام للمتبع .

قال تعالى :﴿ واخفض جناحك لمن ابتعك من المؤمنين ﴾ [٣] .

وغير ذلك من الآثار العظيمة التي تترتب في الدنيا على اتباع الحق فصاحب الاتباع الحق يكثر أجرة بمقدار ما يكثر تابعه على الحق، فيعيش في سعادة وأمن من الخطـــأ لعصمة المتبوع كما يسلم من الاعتراض والانتقاد لعدم الاختلاف في مصدر شرعه .

---

[١] سورة التوبة آية ١١٧ .

[٢] سورة الحديد آية ٢٧ .

[٣] سورة الشعراء آية ٢١٥ .

المبحث الثاني

الآثار الأخروية

المطلب الأول : الآثار الدنيوية بشرى عاجلة للمؤمن .

المطلب الثاني : الثبات عند الممات والنجاة من عذاب القبر .

المطلب الثالث : السلامة من الشقاء .

المطلب الربع : مغفرة الذنوب وتكفير السيئات .

المطلب الخامس: النجاة من عذاب الجحيم .

المطلب السادس : الفوز بدخول الجنات.

المطلب السابع : مـــرافقـــة الأنبياء.

المطلب الأول

الآثار الدنيوية بشرى عاجلة للمؤمن

لا توجد هناك فواصل حقيقية بالنسبة لمتبع الحق بين الدنيا والآخرة لأن الأولى هي محل الزرع والعمل، والأخرى محل الحصاد وحصول ما عمله المتبع في الأولى فالدنيا مزرعة الآخرة " وغراسها يثمر في الجنة بيد أن بعض الثمار من شدة إيناعها ينال المؤمن بعض لذتها وهو لم يزل بعد في الدنيا "[١] .

فكثير من تلك الآثار التي مضى الحديث عنها والتي يحصل عليها متبع الحق هي بشرى عاجلة له، وهي ممتدة إلى ما بعد الدنيا .

وقد جاء في الحديث الصحيح عندما سئل عليه السلام عن الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال :" تلك عاجل بشرى المؤمن "[٢] .

فتلك الآثار هي أعمال وأخلاق يجد المتبع ثوابها عند الله عز وجل يوم القيامة ، وكلما رسخت قدم المتبع في إتباع الحق والاستمساك به علت درجته وارتفعت منزلته في الجنة .

وكل أثر من آثار الاتباع في الدنيا يمكن أن ينسحب في الآخرة فمن سلم من العقوبة والعذاب في الدنيا بسبب اتباعه الحق كانت السلامة له يوم القيامة من باب أولى . قال تعالى :﴿ الذين ءامنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة وفي الآخرة ﴾[٣] .

---

[١] العباس بن حسين الحازمي الهداية في القرآن الكريم ص ١٨١ رسالة علمية قدمت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤١٧هـ لم تنشر .

[٢] أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ولاتضره ٢٠٣٤/٤ .

[٣] سورة يونس آيتي ٦٣ - ٦٤.

المطلب الثاني

الثبات عند الممات والنجاة من عذاب القبر

الموت لا بد منه وإن طال الزمان والله تعالى يقول :﴿ كل من عليها فان ﴾ [١] والقبر هو " أول منازل الآخرة التي تدور أحكام الحياة فيها على الروح والأجساد تبع لها بخلاف الحياة الدنيا فإن الله جعل أحكام الحياة فيها على الأبدان ، والروح تبع "[٢] .

إن الثبات عند الممات يعتبر أثرا من آثار اتباع الحق فمن ثبت على الحق واستمسك بالصراط المستقيم ثبته الله عند الممات ونجاه من عذاب القبر كما نجاه من عذاب الدنيا قال تعالى :﴿ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [٣]

فأخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين الذين اتبعوا ما أمرهم به وقاموا " بما عليهم من الإيمان القلبي التام الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها وفي الآخرة عند الموت على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح إذا قيل للميت " من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن :" الله ربي ، والإسلام ديني ، ومحمد نبي "[٣] .

وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا قعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فذلك قوله ﴿ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت ﴾)[٤] .

---

[١] سورة الرحمن آية ٢٦ .

[٢] ابن أبي العز الحنفي شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٠ .

[٣] سورة إبراهيم آية ٢٧.

[٣] السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٣٧٩ – ٣٨٠ .

[٤] أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ماجاء في عذاب القبر ، انظر ، انظر الفتح ٢٣٢/٣ . ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ٢٢٠٢/٤ .

فالقول الثابت الصادر عنهم في الحياة الدنيا أوجب لهم ثبات كرامة الله وثبات ثوابه عليهم[١] .

إن عـذاب القبر ثابت في الكتاب والسنة ، قال تعالى :﴿ وحاق بآل فرعون سوء العـذاب الـنار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾[٢] قال ابن كثير " وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور "[٣] وقال عليه السلام :" إن هذه الأمة تبتلى في قبورها "[٤] .

كما أن نجاة المتقين اتباع الحق من عذاب القبر ثابتة في الكتاب والسنة وقد سبق أن القـبر أول منازل الآخرة وأن الله تعالى يثبت عباده المؤمنين فيه كما في الآية ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ وكما في قوله تعالى :﴿ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾[٥] .

فلا يمسهم ما يسوءهم من الأذى والعذاب لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة فـلهم الأمـن الـتام يصحبهم حتى يوصلهم إلى دار السلام فـهم آمنون من كل سوء ومكروه[٦] مزحزحون عن كل شر، نائلون كل خير[٧] .

إن النجاة من عذاب الدنيا وعذاب القبر وعذاب الآخرة كله يأتي كأثر من آثار اتباع الحـق كمـا قـال تعالى :﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العـذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرض في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ﴾[٨] .

---

[١] انظر الفخر الرازي ، التفسير الكبير ٩٦/١٩ .

[٢] سورة غافر آيتي ٤٥ – ٤٦.

[٣] ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١٠٤/٤ .

[٤] أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ٢٢٠٠/٤ .

[٥] سورة الزمر آية ٦١ .

[٦] انظر السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٦٧٤ .

[٧] انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٧٩/٤ .

[٨] سورة الزمر الآيات ٥٥ – ٥٨ .

فمن اتق الله واتبع رضوانه ثبته الله عند الممات ووفاة من عذاب القبر كما قال عليه السلام :" إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم " قال " يأتيه المؤمن ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ " قال " فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله " قال : " فيقال له :انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة " قال نبي الله صلى الله عليه وسلم " فيراهما جميعا "[١]

ولهذا كان يستعيذ عليه السلام من عذاب القبر، كما علم أتباعه من بعده أن يستعيذوا منه فقال عليه السلام " اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال "[٢] .

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر انظر الفتح ٣/٢٣٢ . ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ٤/٢٢٠٠ – ٢٢٠١ واللفظ له ..

[٢] أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر الفتح ٣/٣٤١ . ومسلم في كتاب المساجد باب ما يستعاذ منه في الصلاة ١/٤١٢ .

المطلب الثالث

اتباع الحق يورث السلامة من الشقاء

إن المكلفين ينقسمون في الآخرة إلى قسمين: حسب اتباعهم، وأعمالهم في الدنيا، فمن اتبع الحق سعد، ومن اتبع الباطل شقي، قال تعالى:﴿ يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾ (١).

ولهذا كان من أعظم آثار الاتباع للحق السلامة من الشقاء في الآخرة، قال تعالى:

...﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقى﴾ (٢)..، ويفهم من الآية أن الوعد بالسلامة من الشقاء لمتبعي الحق شامل للدنيا والآخرة، إلا أنه ورد أثرٌ عن ابن عباس رضي الله عنه يدل على أن النجاة من الشقاء يكون في الآخرة حيث قال:" تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة " ثم تلا هذه الآية.

فيحمل أثر ابن عباس على أن الشقاء في الآخرة أظهر منها في الدنيا وإن كان هناك شمول في السلامة من شقاء الدارين، ويؤيد ذلك مجيء الشقاء مرتبا على الضلالة في الآية ثم رتب بعدها حشر المعرض في الآخرة أعمى وذلك شقاء أيضا على إعراضه في الدنيا، فالشقاء المنفي في الآية هو((شقاء الآخرة لأنه إذا سلم من الضلال في الدنيا سلم من الشقاء في الآخرة))(٣)

وبهذا يتبين أن السلامة من الشقاء أثر من آثار اتباع الحق.

---

(١) سورة هود آية ١٠٥.

(٢) سورة طه آية ١٢٣.

(٣) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٣٣١/١٦.

المطلب الرابع

مغفرة الذنوب وتكفير السيئات

مغفرة الذنوب هي: سترها، والغفران:من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب [١] فأصل الغفر: التغطية والستر [٢] وتكفير السيئات هي: سترها وتغطيتها حتى تصير بمنزلة من لم يعمل [٣]

ففي العلاقة بين التكفير والمغفرة يرى بعض العلماء أن التكفير والمغفرة بمعنى واحد، يقول القرطبي:" ومعنى اللفظين واحد فإن الغفر ،والكفر: الستر" [٤] ويقول النيسابوري [٥] في قوله تعالى: ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ﴾ [٦] ((المغفرة والتكفير بمعنى الستر والتغطية)) [٧]

ويرى آخرون : أن المغفرة تكون للذنوب، والتكفير للصغائر.

قال ابن عباس: ((فاغفر لنا ذنوبنا،الكبائر،وكفر وتجاوز عن سيئاتنا أي دون الكبائر)) [٨] ويقول الطبري في قوله تعالى: ﴿ نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ [٩] أي الصغائر [١٠]

---

(١) انظر الراغب الأصبهاني مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٠٩

وانظر ابن منظور لسان العرب مادة غفر ٢٥/٥.) [٢]

(٣)الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ص ٧١٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٣١٧/٤.

(٥) هو الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري مفسر له اشتغال بالحكمة من مصنفاته غرائب القرآن توفي بعد سنة ٨٠٤هـ (الأعلام للزركلي ٢١٦/٢.)

(٦) سورة آل عمران آية ١٩٣.

(٧) النيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٦٨/٤.

(٨) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص٢٣. وانظر تفسير البغوي ٥١٥/١.

(٩) سورة النساء آية ٣١.

(١٠) جامع البيان في تفسير القرآن ٤٤/٥.

ومن المفسرين من يرى أن التكفير يعني الستر في الدنيا، أما المغفرة فتكون بالتجاوز عن الذنب في الدار الآخرة [١] يقول الألوسي [٢] في قوله تعالى: ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ [٣] أي: يسترها في الدنيا ﴿ ويغفر لكم ﴾ بالتجاوز عنها في الآخرة فلا تكرار [٤] ويمكن أن يستأنس لهذا الرأي بما ورد في الحديث القدسي يقول الله تعالى: ((إني سترت عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم)) [٥].

ويرى ابن القيم أن التكفير والغفران تارة يجتمعان، وتارة ينفردان، فإذا اجتمعا فكل واحد منهما يغاير الآخر، وإن انفردا يدخل كل منهما في مسمى الآخر [٦] المقصود أن التكفير والغفران يمكن أن يكونا في الدنيا ويمكن كذلك في اللآخرة كما قال تعالى: ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾ [٧].

ولكن كل منهما يحصل كثمرة من ثمار اتباع الحق والاستمساك به، كما قال تعلى: ﴿ والذين ءامنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين ءامنوا اتبعوا الحق من ربهم ﴾ [٨]

ففي الآية بيان أن مغفرة الذنوب جاءت كأثر من آثار اتباع الحق حيث أنه كفر عنهم سيئاتهم وهم المؤمنون، وأن اتباع الباطل أضل أعمالهم وأبطلها وهم الكفار، ((وبينما

---

(١) انظر آمال بنت صالح نصير، التوبة في ضوء القرآن الكريم ص ٤٧٦ دار الأندلس الخضراء، جده ط١ ١٤١٩هـ.

(٢) هو محمد بن عبدالله الحسيني الألوسي نسبة إلى آلوس قرية من قرى العراق على الفرات من كبار المفسرين المتأخرين، له معرفة بالحديث والادب، توفي سنة ١٢٧٠هـ (انظر الأعلام للزركلي ١٧٦/٧)

(٣) سورة الأنفال آية ٢٩.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ١٩٦/٩، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء ٢٠٣/٨.

(٦) انظر ابن القيم مدارج السالكين ٣١٠/١،فما بعدها، ط٢،١٣٩٣هـ.

(٧) سورة الأنفال آية ٣٨.

(٨) سورة محمد آية ٢،٣.

يبطل العمل ولو كان صالحا من الكافرين، فإن السيئة تغفر للمؤمنين، وهو تقابل تام مطلق يبرز قيمة الإيمان وقدره عند الله))[١]

وبهذا يتبين أن غفران الذنوب يأتي كأثر من آثار اتباع الحق كما قال تعالى: ﴿ فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾[٢].

---

(١) سيد قطب في ظلال القرآن ٦/٣٢٨١.

(٢) سورة آل عمران آية ٣١.

المطلب الخامس

النجاة من عذاب الجحيم

إن النجاة من عذاب الجحيم والوقاية منه تأتي كأثر بارزمن آثار اتباع الحق، فالله تعالى وعد بنجاتهم مع المتقين إن هم أحسنوا الاتباع فقال: ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾ إلى قوله ﴿ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾ [١]ومن رحمة الله على أتباع الحق أن هيأ لهم ملائكة يستغفرون لهم، ويدعون لهم بالنجاة والوقاية من عذاب الجحيم، قال تعالى ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين ءامنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴾ [٢].

إن النص السابق الذي تقدم على اتباع سبيل الله وهو مغفرة الذنوب وتكفير السيئات يترتب عليه النجاة من عذاب جهنم، والسلامة منها.

فمن غفر الله ذنوبه، وسترها ومحاها عنه، فقد نجاه من الوقوع في العذاب الأليم في الآخرة، وما حصلت هذه الأمور للمكلف بعد رحمة الله تعالى وهدايته إلا كأثر من آثار الإيمان واتباع الحق وعمل الصالحات.

والله تعالى وعد أتباع كتابه ورسله أن ينجيهم من عقابه في الدنيا و من عذابه في الآخرة. قال تعالى: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ [٣] بل جعل تعالى إيمانهم به واتباعهم كتابه ورسوله سببا وثمرة لنجاتهم قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين ءامنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله.. ﴾[٤].

---

(١) سورة الزمر الآيات ٥٥- ٦١.

(٢) سورة غافر آية ٧.

(٣) سورة مريم آية ٧٢.

(٤) سورة الصف آيتي ١٠- ١١.

المطلب السادس

الفوز بدخول الجنات

إن النجاة من النار والفوز بدخول الجنة من أعظم ما يتمناه المكلف، فهو يسعى للحصول عليه، قال تعالى: ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾[١] وقد ذكر الله تعالى أدلة عديدة تبين عظمة نعيم الجنة، وتنوعه، غاية البيان والوضوح، يقول ابن القيم:((وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه،ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وأن سألت عن ملاطها فهو المسك الأظفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب ...

وإن سألت عن أنهارها، فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من ماء غير آسن ، ونهار من خمر لذة للشابين، وأنهار من عسل مصفى.

وإن سألت عن طعامهم، ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم، فالتسنيم والزنجبيل والكافور ...))[٢] .

إن دخول الجنات يعد أثرا من آثار اتباع الحق والاستمساك به، فقد أمر الله المكلف باتباع كتابه، فان استجاب لذلك كانت الثمرة محققة برحمة الله وفضله بالدخول في رحمته، وتكفير سيئاته، وضمان الوصول إلى جنات النعيم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه السلام في الحدث القدسي(قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٥.

(٢) ابن القيم حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ١٢٥.ـــ

ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[١]، قال أبو هريرة:واقرأوا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ والذين ءامنوا وعملوا الصالحات وءامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم. ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين ءامنوا اتبعوا الحق من ربهم ﴾[٣] .

إن دخول الجنان إذا من أعظم الثمار التي يحرص عليها العبد المتبع لرضوان الله تعالى والملتزم بشرعه. نسأل الله تعالى أن يوصنا دار كرامته.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿فلا اعلم نفس ما أخفي لهم ﴾ ٦/٢١.

(٢) سورة السجدة آية ١٧.

(٣) سورة محمد آيتي ٢-٣.

المطلب السابع
مرافقة الأنبياء

إن مرافقة الأنبياء يأتي كأثر من آثار اتباع الحق، فكلما كان المكلف قريبا من آثار الأنبياء متبعا لها سائرا على صراطهم ومنهاجهم قولا وعملا واعتقادا كلما كان قريبا منهم في الآخرة، قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ (١) ومعنى الآية ((فمن تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك وإخلاص العبادة لك، وفراق عبادة الأوثان، فإنه مني: يقول: فإنه مستن بسنتي، وعامل بمثل عملي)) (٢). ومعنى " مني" في الآية ((اتصالية وأصلها التبعيض المجازي أي: فإنه متصل بي اتصال البعض بكله)) (٣) وقال تعالى: ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ (٤). ومعنى الآية ومن يطع الله والرسول بالتسليم لأمرهما وإخلاص الرضا بحكمهما، والانتهاء إلى أمرهما، والانزجار عما نهيا عنه من معصية الله فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته، والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه، وفي الآخرة إذا دخل الجنة)) (٥).

وللآية سبب نزول فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي

---

(١) سورة إبراهيم آية ٣٦.

(٢) ابن جرير الطبري، جامع البيان ٢٢٨/١٦.

(٣) ابن عاشور تفسير التنوير والتحرير ١٣/ ٢٣٩.

(٤) سورة النساء آية ٦٩.

(٥) ابن جرير الطبري جامع البيان ١٦٢/٥.

وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد النبي عليه السلام شيئا حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية ﴿ ومن يطع الله والرسول ﴾))الآية [١] .

فدل على أن من ثمار طاعة الله ورسوله واقتفاء آثار الأنبياء أن يحشر المرء مع من أطاعه واتبعه كما جاء بذلك الحديث الصحيح أنت مع من أحببت)) [٢] . فالذين تلبسوا بصفة الاتباع الحق، والمحبة الصادقة للرسول عليه السلام فالله تعالى يوفيهم الجزاء على قدر اتباعهم واستمساكهم بهذا الحق. ولهذا وجه عليه السلام أمته إلى متابعته والاقتداء به. وحرص أصحابه على حصول هذه الثمرة العظيمة، فعن ربيعة بن كعب الأسلمي [٣] قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي "سل " فقلت: " أسألك مرافقتك في الجنة." قال:" أو غير ذلك؟ قلت: هو ذاك. قال: " أعني على نفسك بكثرة السجود)) [٤] .

إن أمر الصحبة والمرافقة في الآخرة كان يشغل قلوب كثير من الصحابة كيف لا وقد ذاقوا طعم صحبته في الدنيا [٥] وحقيقة إنه لأمر يشغل كل قلب ذاق محبة هذا الرسول الكريم عليه السلام فجاء الأمل والطمأنينة منه عليه السلام لكل من اقتدى به كأثر من آثار اتباعه، فقد سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال: ((المرء مع من أحب)) [٦] وقد فرح المسلمون بذلك أشد الفرح وأعظمه. نسأل الله أن يرزقنا اتباعه ومحبته.

---

(١) أخرجه الطبراني وابن مردويه انظر أسباب النزول للسيوطي سورة النساء آية ٦٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٢٨/٣ رقم ١٣٤١١، وابن حبان في صحيحه ٣٠٨/١ رقم ١٠٥،

(٣) هو ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر أبو فراس الأسلمي حجازي كان من أهل الصفة كان يبيت على باب النبي عليه السلام ويعطيه وضوءه مات بالحرة سنة ثلاث وستين في ذي الحجة.(الإصابة ٥١١/١.)

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب فضل السجود والحث عليه ٣٥٣/١.رقم ٤٨٩.

(٥) انظر سيد قطب في ظلال القرآن ٧٠٠/٢.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٩٥/٤ رقم١٩٥٤٤، وابن حبان في صحيحه ٣١٦/٢، رقم٥٥٧

الفصـــل الثـــاني

آثار الاتباع للباطل

المبحث الأول: الآثار الدنيوية

المبحث الثاني: الآثار الأخروية

المبحث الأول
الآثار الدنيوية

المطلب الأول:انتفاء الأمن وحصول الخوف والحزن.

المطلب الثاني: يوصل إلى الضلال في الدنيا.

المطلب الثالث: حصول المعيشة الضنك.

المطلب الرابع: حصول التفرق والاختلاف.

المطلب الخامس: اتباع الباطل يوصل إلى الذل والهوان.

المطلب السادس: انتفاء العدل ووقوع الظلم.

المطلب السابع: فقدان الولي والنصير.

المطلب الثامن: تعجيل الهلاك والعذاب.

المطلب الأول

انتفاء الأمن وحصول الخوف والحزن

إن من آثار اتباع الباطل أن ينتفي الأمن عن المكلف أو ينعدم عنه حسب قربه أو بعده من اتباع شرع الله .

فالأمن وعد الله حصوله لأتباع شرعه قال تعالى: ﴿ الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (١) وإذا كان الأمن خاصا بهم فإنه ينتفي عن كل من خالفهم، وبانتفائه يتعرضون لشتى أنواع المخاوف والأحزان، كما قال تعالى: ﴿ .. فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٢) وإذا كان أتباع الهدى والحق لا خوف عليهم، ولا حزن يعتريهم فإن متبع الباطل متعرض للخوف والحزن كنتيجة وأثر من آثار اتباع الباطل والانحراف عن الحق، والإعراض عنه، والخوف إنما يحصل بتوقع حصول مكروه أو فوت محبوب، وإذا كان الخوف يكون من المستقبل فإن الحزن يكون على ما مضى (٣) .

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٢.

(٢) سورة البقرة آية ٣٨.

(٣) انظر للمزيد ،مطلب الوعد بنفي الخوف والحزن من هذه الدراسة ص

المطلب الثاني
يوصل إلى الضلال في الدنيا

إن الوقوع في الضلال يعتبر أثرا من آثار اتباع الباطل، قال تعالى: ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ﴾[١] ولما كان اتباع الكتاب والسنة هو الاهتداء كان الإعراض عنهما هو الضلال، كما قال تعالى:﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾[٢] كان من أعرض عنه واقعا في الضلال والشقاء، ولهذا قال ابن عباس:((تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة))[٣].

فالضلال لا يأتي ابتداء، إنما يأتي كأثر من آثار اتباع الباطل، وترك اتباع الحق، والإعراض عنه، كما قال عليه السلام: ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما:كتاب الله وسنة نبيه))[٤] وفي تأكيد حصول هذا الأثر يقول تعالى:﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾[٥]. إن اتباع الهوى من اتباع الباطل، ويأتي كثمرة له لأنه ضلال وغواية عن اتباع الحق، وإذا كان رسل الله عليهم السلام ينهون عن اتباعها لأنها تضل متبعيها ولا تهديه، فإن غيرهم من باب أولى اجتنابها والابتعاد عنها، وذلك لأن نتيجتها هو حصول العذاب الشديد الذي لا يطيقه أحد من البشر.

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٦.

(٢) سورة طه آية ١٢٣.

(٣) أخرجه الطبري بسنده انظر جامع البيان ٢٢٥/١٦

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ - بلاغا_ في كتاب القدر باب النهي عن القول بالقدر ٨٩٩/٢. وحسن إسناده الألباني، انظر مشكاة المصابيح ٦٦/١.

(٥) سورة ص آية ٢٦.

المطلب الثالث

حصول المعيشة الضنك

إن الحياة مليئة بالفتن والمصائب والابتلاءات، والله تعالى يبتلي أتباع الحق بالخير والشر، امتحانا وابتلاء كما قال تعالى:﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾[١] ، كما يستدرج أتباع الباطل بالنعم، والصحة، وبعض الأمن.

لكن تبقى السنة الإلهية القائمة على مكافأة أتباع الحق، ومعاقبة أتباع الباطل.

ولهذا تأتي المعيشة الضنك كنتيجة وأثر من آثار اتباع الباطل والانحراف عن الحق، والله تعالى يقول في كتابه ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾[٢] ، فكل أمة تنحرف عن منهج الله يصيبها عقاب الله في الدنيا قبل الآخرة، والمعيشة الضنك هي الحياة المقطوعة الصلة بالله وسعة رحمته، يعيش المكلف المنحرف في ضنك مهما كان في سعة ومتاع،ضنك الحيرة والقلق، ضنك الانقطاع عن الله، ضنك الحرص والحذر.

ولا غرابة أن يكون الكافر والفاجر والعاصي والظالم لنفسه، أن يلحقه الشقاء في الدنيا تبعا لإعراضه عن ذكر الله، فالمعيشة الضنك التي ذكرها الله في كتابه هي من الشقاء، ذلك لأن الشقاء ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقا في المتاع، فهذا المتاع ذاته شقوة، شقوة في الدنيا وشقوة في الآخرة، وما يضل الإنسان عن هدى الله إلا ويتخبط في القلق والحيرة، والتكفؤ والاندفاع من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يتوازن في خطاه، والشقاء قرين التخبط، ولو كان في المرتع الممرع، ثم الشقوة الكبرى في دار البقاء))[٣] . وبهذا يتضح لأن المعيشة الضنك تأتي كأثر من آثار اتباع الباطل والإعراض عن الحق.

---

(١) سورة الأنبياء آية ٣٥.

(٢) سورة طه آية ١٢٤

(٣) سيد قطب في ظلال القرآن ٢٣٥٥/٤.

المطلب الرابع
يوصل إلى التفرق والاختلاف

إن التفرق والاختلاف يأتي كأثر من آثار اتباع الباطل، ذلك لأن الحق واحد لا يتعدد وهو صراط الله المستقيم، أما الباطل فلا يعد كثرة.

لذا كان من أهداف الشريعة جمع كلمة أتباع الحق، والتحذير من الاختلاف والتفرق، قال تعالى:﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾[١] ،

فقد ((بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة))[٢] ، ولهذا جاء التهديد الشديد والبراءة من كل من فارق اتباع الحق إلى اتباع الباطل، قال تعالى:﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾[٣] ، فدلت الآية على أن الله تعالى يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف[٤] .

إن التفرق يأتي كأثر من آثار اتباع الباطل، ذلك أن أصحاب الباطل لا يوجد ما يجمع شتاتهم، ويؤلف بين قلوبهم، عكس أهل الحق الذين جمعهم الله بالحق على الحق، وألف بين قلوبهم، ولهذا يقول ابن تيمية: ((ولست تجد اتفاقا وائتلافا إلا بسبب اتباع آثار الأنبياء من القرآن والحديث، وما يتبع ذلك، ولا تجد افتراقا واختلافا إلا عند من ترك ذلك، وقدم غيره عليه، قال تعالى:﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾[٥] فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون، وأهل الرحمة هم اتباع

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٥.

(٢) البغوي معالم التنزيل ٤/ ١٢٢.

(٣) سورة الأنعام آية ١٥٩.

(٤) انظر عبد الرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٢٤٤.

(٥) سورة هود آيتي ١١٨-١١٩.

الأنبياء قولا وفعلا، وهم أهل القرآن والحديث, من هذه الأمة، فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك))[١].

إن نتيجة الفرقة هي عذاب الله تعالى ولعنته على المفترقين مع سواد وجوههم، وبراءة الرسول عليه السلام منهم.

لذا كان الافتراق عن الجماعة وترك اتباع الحق من أعظم الانحراف في الدين، فكان بذلك أثرا من آثار اتباع الباطل.

---

(١) ابن تيمية مجموع الفتاوى ٥٢/٤.

المطلب الخامس

اتباع الباطل يوصل إلى الذل والهوان

إن الذل والهوان أمر حتمي يلحق المكلف إذا اتبع الباطل بشتى صوره، كأن يقع في معصية الله تعالى التي هي سبب لهوانه على ربه، وسقوطه من عينه، وإذا هان على الله لم يكرمه أحد، قال تعالى:﴿ ومن يهن الله فما له من مكرم ﴾ [١]، فالمعصية تورثه الذل والهوان، والطاعة واتباع الحق يورثه العزة والمكانة،كما قال تعالى:﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ﴾ [٢] وقد أخبر عليه السلام أن الذل والهوان يأتي على المكلف كأثر من آثار اتباع الباطل، الذي يتمثل في التبايع بالعينة [٣]، وأخذ أذناب البقر، والرضا بالزرع،وترك الجهاد،فقال عليه السلام (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) [٤] فهذا الحديث يحمل على الانشغال في متاع الدنيا والتكالب عليها [٥] وترك أداء الواجبات، والإعراض عن الحق واتباع الهوى والميل مع شهوات النفس،والإخلاد إلى الأرض.

إن الأثر الذي يترتب على ذلك هو الذل الذي يسلطه الله على من أصيبوا بهذا المرض، وأن العلاج منه لا يكون إلا بالرجوع إلى دين الله تعالى، واتباع منهاجه (لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) وهذا الذل اليوم مشاهد ملموس عند المسلمين بالرغم من كثرة تعدادهم إلا أنه لا وزن لهم عند أمم الأرض الأخرى.

---

(١) سورة الحج آية ١٨.

(٢) سورة فاطر آية ١٠.

(٣) هي أن يبيع شيئا من غيره بثمن مؤجل ويسلمه إلى المشتري ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك القدر انظر سنن أبي داود ٢٧٤/٣.

(٤) أخرجه أبو داود في البيوع، باب في النهي عن العينة ٢٧٤/٣-٢٧٥، رقم ٣٤٦٢، وصححه الألباني انظر السلسة الصحيحة ٤٢/١، رقم ١١.

(٥) انظر فريد إسماعيل التوني عبودية الكائنات لرب العالمين ص٤٨٧، مكتبة الضياء، جدة، ط١، ١٤١٣هـ.

فوقع عليهم الذل كثمرة من ثمار بعدهم عن اتباع كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، فكل متبع للباطل فردا كان أو جماعة لا بد أن يصيبه من هذا الذل بقدر بعده عن الحق، وتخاذله عنه. قال تعالى:﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ (١)

فالله تعالى يسوق آياته للناس ليرفعهم بها، فإن انقادوا لها واتبعوها أعزهم، وإن كذبوا بها وأعرضوا عنها أو ردوها أذلهم الله تعالى وأهانهم (٢)، فجاء الذل كأثر من آثار اتباع الباطل.

---

(١) سورة الأعراف: آيتي ١٧٥،١٧٦.

(٢) انظر عبد الرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٢٧٢.

المطلب السادس

انتفاء العدل ووقوع الظلم

إن انتفاء العدل ووقوع الظلم يأتي كأثر من آثار اتباع الباطل، ذلك أن الحق يجمع المكلفين ولا يفرقهم، ويدعوهم إلى حفظ الحقوق، ونشر العدل، وعدم التعرض إلى حقوق الآخرين.

قال تعالى:﴿ يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾[1] ففي الآية أمر من الله للمكلفين أن يقوموا بالعدل في حقوق الله وحقوق عباده، وأن يزيلوا كل عائق يعوقهم عن أداء ذلك، كاتباع الباطل المتمثل في الهوى وشهوات الأنفس[2] لأن اتباعهم له يوقعهم في الظلم، وبهذا يأتي الظلم كأثر من آثار اتباع الباطل.

إن انتشار الباطل في ديار المسلمين، وترك أكثر المكلفين للعمل بشرع الله، أدى إلى انتشار المظالم وقلة العدل حتى إن حقوق العباد لم يكن لها أي اعتبار في غالب البلاد، فالمحاكم، وأماكن الشرطة، والأمن وغيرها من المؤسسات صارت أماكن لتضييع حقوق العباد وظلمهم، كما أصبح أشد الناس جرما وإفسادا في مأمن من العقاب، بفعل الوساطة أو القرابة، أو الرشوة، وصار يذل بعض أقوياء المسلمين ضعفاءهم ويقهروهم بلا ذنوب جنوها، كما سرت الفواحش والمعاصي وغيرها، مما يستوجب العقاب الإلهي، ووقع كثير من المسلمين في التبعية الذليلة للشرق أو الغرب في الاقتصاد ومناهج التعليم وفي القوانين، وتنصيب الحكام، حتى صارت أمور المسلمين

---

(١) سورة النساء لآية ١٣٥.

(٢) انظر عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص ١٧٢.

في أيدي الكفار يعبثون بمصالحهم كيف شاءوا [١] ولا شك أن هذا جاء كأثر ونتيجة لاتباع الباطل بشتى صوره والابتعاد عن الحق.

ولو عادوا إلى الله لعاد إليهم الأمن والطمأنينة، والعدل، وانتفى عنهم كل ما يعانونه من مصائب وآلام،قال تعالى:﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ [٢]

---

(١) انظر عبد السلام نصر الله الشريف سنة الله في عقاب الأمم ص ٢٦٥، دار المعراج الدولية، الرياض ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) سورة طه آية ١٢٣.

المطلب السابع

فقدان الولي والنصير

إن فقدان الولي والنصير يأتي كأثر من آثار اتباع الباطل بشتى صنوفه المتمثل في الانحراف عن الحق عموما، والإعراض عنه واتباع أهوية أهل الزيغ والضلال.قال تعالى:﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ﴾[١] فكما أن الولاية والنصرة تكون لاتباع الحق، فكذلك فقدانها يكون لأهل الباطل، لأن الولاية الحقة لله تعالى ولأتباع منهاجه.

وبينت الآية الكريمة أن فقدان الولاية جاء كأثر من آثار اتباع الباطل، لأن المعنى ((ليس لك يا محمد من ولي يلي أمرك، وقيم يقوم به، ولا نصير ينصرك من الله، فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته، ويمنعك من ذلك، إن أحل بك ذلك ربك))[٢]، ومن فقد ولاية الله ونصرته فقد هلك، كما هلك قارون من قبل، لما جاءه أمر الله بالهلاك، لم يغن عنه شيء مما اغتر به، لا المال، ولا الجاه،ولا الحاشية،فلم يجد ناصرا، ولم ينتصر، حتى الذين فتنوا به وتمنوا أن يكون لهم مثله ثابوا إلى رشدهم لما رأوا النهاية المخزية، وانعدام الولي والنصير، وحمدوا الله على سلامتهم من مصيره[٣] وهكذا كل من اتبع الحق تحققت له ولاية الله ونصرته كأثر من آثار اتباعهم قال تعالى:﴿ الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾[٤] أما من اتبع الباطل فقد تحققت له ولاية الكفرة، والشياطين والطغاة، كأثر من آثار اتباعهم قال تعالى:﴿ والذين كفروا

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٠.

(٢) الطبري، جامع البيان ٥١٨/١.

(٣) انظر سعيد محمد بابا، أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن ص ٣٩١،دار ابن الجوزي،الرياض ط١، ١٤٢٠هـ.

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٧.

أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات.. ﴾[١] وبهذا يتضح أهمية ولاية الله ونصرته للعبد المكلف فيسعى لتحقيقها ببذل أسبابها، ويتجنب فقدانها،جعلنا الله من أهل ولايته.

---

(١)سورة البقرة آية ٢٥٧.

المطلب الثامن

تعجيل الهلاك والعذاب

الهلاك هو إنزال العقوبة بالأمة في الدنيا أو في الآخرة. فهو يطلق على العذاب الذي يأتيهم من الله تعالى،قال تعالى:﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ﴾ [١] فيأتي الهلاك بسبب ذنوب الأمة ومعاصيها، فهو إذا أثر من آثار اتباع الباطل والانحراف عن الحق.

فمن اتبع الباطل وترك الحق الذي أنزله الله فقد أغضب الله عليه، وإذا غضب الله على أمة فاجأها بنقمته وأليم عذابه فأهلكها.

إن أصناف الهلاك التي تحل بالأمم المكذبة كثيرة جدا منها:

الغرق، الريح، الصيحة، الرجفة، الصاعقة، قلب الديار،الخسف،المسخ، حدوث الزلازل، الفيضانات [٢] وغيرها من أنواع العقوبات التي يعاقب الله بها المنحرفين عن شرعه.

إن تعجيل الهلاك يأتي كأثر من آثار اتباع الباطل، والعبد هو الذي يتسبب في العقوبة والهلاك. قال تعالى:﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون، وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون ﴾ [٣]

حذرت هذه الآية أولئك المنحرفين عن الحق العابدين غيره من نزول سخط الله عليهم، وحلول عقوبته بهم،كما حلت بمن سبقهم من الأمم قبلهم، وذلك كأثر من آثار انحرافهم عن الحق

فالله تعالى لم يبتدرهم بالهلاك من أول وهلة من حصول الانحراف، بل سبقه رسل منذرين، وسبق الهلاك كذلك عقوبات أخرى أخف منه تنبههم وتحذرهم من مغبة

---

(١) سورة طه آية ١٣٤.

(٢) انظر سعيد محمد بابا أسباب هلاك الأمم السالفة ص ٦٢.

(٣) سورة الأعراف آيتي ٣-٤.

مخالفة أمر الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا ﴾[١].

وقال تعالى:﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾[٢] ،وقال عليه السلام: (لن يهلك الله الناس حتى يعذروا من أنفسهم)[٣]

فكل من انحرف عن شرع الله يكون أثر انحرافه الهلاك والعذاب العاجل الذي يأتيه وقت غفلته بالليل قبل أن يصبح أو وقت القيلولة بالنهار، وبهذا يتبين أن الهلاك يأتي آخر المطاف بعد الإنذار والإمهال.

---

(١) سورة القصص آية ٥٩.

(٢) سورة الشعراء آية ٢٠٨.

(٣) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي ٥١٥/٤، رقم ٤٣٤٧، وصححه الألباني في الجامع الصحيح انظر رقم ٥١٠٧.

المبحث الثاني

الآثار الأخروية

المطلب الأول: نفي الثبات عند الممات ووقوع العذاب

المطلب الثاني: حبوط الأعمال الصالحة

المطلب الثالث: انتفاء الأمن وحصول الخوف يورث الشقاء في الآخرة

المطلب الرابع: الاصطلاء بنار جهنم

المطلب الخامس: مرافقة إبليس

المطلب الأول:

نفي الثبات عند الممات ووقوع العذاب

إذا كان الثبات عند الممات يأتي كأثر من آثار الحق، فإن هذا الثبات ينتفي عن أصحاب أتباع الباطل، وذلك جزاء وفاقا، فأهل الحق لما ثبتوا على الحق في الدنيا ثبتهم الله عند الممات في الآخرة، وأهل الباطل لما انحرفوا عن الحق ، ومالوا واضطربوا فيه فقد انتفى عنهم ذلك الثبات، قال تعالى:﴿ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾[١] ،إن هذه الآية وردت في سؤال الملكين في القبر، وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال وتثبيته إياه على الحق[٢] ، وعدم توفيق المنافق، والكافر في الحياة الدنيا، وعند الموت، وفي القبر،حيث يضلون عن حجتهم في قبورهم كما ضلوا في الدنيا بكفرهم، فلا يلقنهم كلمة الحق، فإذا سئلوا في قبورهم قالوا: لا ندري، فيقال لكل واحد منهم لا دريت ولا تليت؛ فعند ذلك يضرب بالمقاطع[٣] فذكر تعالى في الآية ضلال الظالمين أتباع الباطل، يقابل تثبيت المؤمنين أتباع الحق، مما يدل على انتفاء الثبات عنهم ووقوع العذاب عليهم وذلك كأثر من آثار اتباع الباطل، ولقاءهم ربهم عليه.

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٧.

(٢) انظر الفخر الرازي، التفسير الكبير ٩٦/١٩.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان ٢١٨/١٣، وابن كثير تفسير القرآن العظيم ٧٠٦/٢، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٦٣/٩.

المطلب الثاني
حبوط الأعمال الصالحة

إن حبوط الأعمال الصالحة يأتي كأثر من آثار اتباع الباطل قال تعالى:﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾[١]

وقال تعالى:﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾[٢] ففي الآية الأولى أخبر الله أن أعمال المنافقين حابطة باطلة، لأن السياق جاء فيهم، يقول الطبري: ((تفعل الملائكة هذا الذي وصفت بهؤلاء المنافقين من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط الله ، فأغضبه عليهم من طاعة الشيطان ﴿ وكرهوا رضوانه﴾ يقول: وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به، بعد ما افترضه عليهم ﴿ فأحبط أعمالهم﴾ ، يقول: فأبطل الله ثواب أعمالهم، وأذهبه، لأنها عملت في غير رضاه، ولا محبته فبطلت، ولم تنفع عاملها))[٣].أما الآية الثانية جاءت بشأن الكافرين، والله تعالى إنما يحبط أعمال أتباع الباطل من كافرين ومنافقين ونحوهم كأثر مترتب على انحرافهم، كما قال تعالى: ﴿ وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾[٤] وهذه الآية تتناول اليهود والنصارى، وأهل الرياء من أتباع الباطل الذين يعملون من أجل الدنيا[٥] فيوفون أعمالهم فيها ويحبط الله أعمالهم في الآخرة كنتيجة وأثر من فعالهم باتباع الباطل. وقد ذكر الله حبوط أعمال المنحرفين في ستة عشر موضعا من كتاب الله تعال[٦] وذلك تحذيرا لعباده من أن يقعوا في ذلك.

---

(١) سورة محمد آية ٢٨.

(٢)سورة محمد آية ٩.

(٣)ابن جرير الطبري جامع البيان ٢٦/ ٦٠.

(٤) سورة هود آية ١٦.

(٥) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٥٧٨/٢.

(٦) انظر محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٩٣.

المطلب الثالث

انتفاء الأمن وحصول الخوف يورث الشقاء في الآخرة

إن انتفاء الأمن وحصول الخوف في الدنيا يتبعه مثله كذلك في الآخرة، وكله يأتي كأثر من آثار اتباع الباطل، وأي أمن سيرجى لأتباع الباطل في الآخرة، بل هم متعرضون لكل أنواع المخاوف والمصائب بما قدمت أيديهم ولو أنهم ءامنوا واتبعوا الحق الذي أنزله الله عليهم بواسطة رسله لتحقق لهم الأمن، وزال عنهم الخوف كما قال تعالى:﴿ الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾[١] لكن لما أعرضوا ونسوا أعرض الله عنهم ونسيهم قال تعالى:﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾[٢] .

وبحصول المعيشة الضنك والحشر الأعمى تتراكم على العبد الهموم والغموم، ويتحقق بذلك الشقاء الذي هو صورة من صور العذاب في الآخرة ، وأثر من آثار اتباع الباطل.

وهو نتيجة طبيعية أن يحصل لمن نفي عنه الثبات عند الممات، ووقع في عذاب القبر، وحبط عمله، وانتفى عنه الأمن، وحصل له الخوف العظيم، في دار لا يموت فيها العبد فيستريح، ولا يحيا حياة طيبة.

وقد قسم الله العباد في دار الآخرة إلى قسمين: شقي وسعيد، قال تعالى:﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ﴾[٣] وذكر ابن عباس في بيان آية سورة طه ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٢.

(٢) سورة طه ١٢٤-١٢٦.

(٣) سورة هود آيتي: ١٠٥-١٠٦.

يشقى ﴾[١] بأن الشقاء يكون في الآخرة، بمعنى وإن كانت النجاة من الشقاء تشمل الدنيا والآخرة، إلا أنها في الآخرة أظهر منها في الدنيا[٢] .

ومن الشقاء حشر المعرض أعمى يوم القيامة، كما أن المعيشة الضنك التي توعده بها هي من الشقاء وكله جاء كأثر من آثار انحرافه عن الحق.

---

(١) سورة طه آية ١٢٤.

(٢) انظر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ٣٣١/١٦، وانظر ابن القيم مفتاح دار السعادة ١٨١/١.

المطلب الرابع
الاصطلاء بنار جهنم

هذا الأثر يأتي كخاتمة لآثار اتباع الباطل، وما الآثـــار الســـابقة إلا مقدمات وتمهيد له.

ونار جهنم هي أشد العذاب، وشره وأخبثه، لا يعذب بها إلا خالقها، وهي دار الذل والهوان والأغلال، [١] دار الحسرات والعبرات، دار الشقاء والبكاء،لا يرحم باكيها، ولا يستجاب داعيها، قال تعالى: ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ [٢] . وزيادة في العذاب والتنكيل: ﴿ كلما خبت زدناهم سعيرا﴾ [٣] ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ [٤].

إن التعذيب بنار جهنم يأتي كأثر من آثار الانحراف عن الحق، كما قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [٥]

ولما كان أصحاب اتباع الباطل أنواع ، منهم المشرك الكافر، ومنهم المنافق الظالم، ومنهم صاحب هوى وبدعة، ومنهم صاحب معصية، ومنهم صاحب تقصير وتفريط، لذا جاء عذابهم حسب ظلمهم وجرمهم، فمنهم المخلد، ومنهم من يعذب آباد السنين ثم يخرج، ومنهم من يغمس فيها غمسا، وفي بيان ذلك قال عليه السلام:(أما

---

(١) انظر حامد المصلح المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع ص ١٩٧.

(٢)سورة فاطر آية ٣٦-٣٧.

(٣) سورة الإسراء للآية ٩٧.

(٤) سورة النساء آية ٥٦.

(٥)سورة النساء آية ١١٥.

أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم" أو قال بخطاياهم" فأماتتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحما، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر[١] فبثوا[٢] على أنهار الجنة، ثم قيل ياأهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة، تكون في حميل السيل) [٣]

وهكذا يورد الله الناس كلهم النار، محقهم ومبطلهم ثم ينجي المتقين أتباع الحق منهم كما قال تعالى:﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾[٤]

يتضح من هذا أن أهل الباطل تصلاهم النار على قدر ذنوبهم وباطلهم.

---

(١) ضبائر:جماعات في تفرقة ((انظر هامش صحيح مسلم ١/١٧٣))

(٢) فبثوا :أي فرقوا ((انظر المرجع السابق.))

٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ١/١٧٢-١٧٣١٨٥رقم ١٨٥.

(٤) سورة مريم آيتي: ٧١-٧٢.

المطلب الخامس

مرافقـــة إبليـــس

إن مرافقة إبليس في النار يأتي كأثر من آثار اتباع الباطل، حيث أن المرء يحشر مع من أحب وتابع،

إن أتباع الرسل يحشرون مع الرسل، وأتباع الهوى والطغاة، والشياطين يحشرون مع إبليس وزمرته، لأنهم تابعوا في الدنيا خطواته وتزيينه وتسويفه، واغتروا بوعوداته، فكان أن حشروا معه زيادة في التنكيل والتعذيب، وهذا نوع من الإذلال والإهانة.

قال تعالى:﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾[١]. وقال تعالى:﴿ قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾[٢].

وقال تعالى:﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاءكم جزاء موفورا﴾[٣]

أي كما ترافقتم في الدنيا على الباطل وتصاحبتم فيه، فإنكم ستترافقون في نار جهنم ولهذا يقوم الشيطان خطيبا في أتباعه يوم القيامة كما أخبر الله بذلك في كتابه فقال:﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾[٤]

---

(١) سورة الحج آيتي: ٣-٤.

(٢)سورة الأعراف آية ١٨.

(٣) سورة الإسراء آية ٦٣.

(٤) سورة إبراهيم آية ٢٢.

ففي الآية يتبرأ الشيطان من أتباعه، وإلقاء اللائمة عليهم لأنهم اتبعوه بمجرد الدعوة منه دون أن يطلبوا منه حجة على صدق دعواه(١)

وفيها بيان لطف الله بعباده حيث حذرهم من متابعته في دار الدنيا، وأن من أبى منهم فإن مصيره سيكون رفيقه في نار جهنم جزاء وفاقا.

قال تعالى: ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون﴾[٢].

فما أبأس وأتعس تلك المرافقة في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾[٣]

وهكذا يتضح من بيان هذه الآثار أنها تترتب على أعمال المكلفين كل منهم على حسب عمله، فأصحاب أتباع الحق يتحقق لهم حصول مصالح الدنيا والآخر، ويندفع عنهم المضار في الدنيا والآخرة، وثماره عاجلة في الدنيا قبل الأخرى

وأصحاب أتباع الباطل فيتعرضون إلى كل أنواع الشقاء والعذاب.

وقانا الله من الضلال والانحراف وسدد خطانا إلى طريق الهدى والرشاد ووفقنا للاهتداء إلى صراطه المستقيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) انظر عبد الرحمن السعدي تيسير الكريم الرحمن ص ٣٧٩.

(٢) سورة الشعراء آيتي:٩٤=٩٥.

(٣) سورة النساء آية ٣٨.

الخـــاتـــمة

تتضمن الخاتمة ما يلي:

١ـ خلاصة البحث

٢ـ بيان النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث

٣ـ التوصيـــات

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، كما يحب ربنا ويرضى، وله الشكر على تيسيره، وإعانته وتوفيقه، وأصلي وأسلم على خير خلقه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد

في نهاية هذا البحث(**الاتباع في الكتاب والسنة**) أحب أن لا يغادر القارىء هذا البحث حتى يقف على خاتمته، يجد فيها عرضا سريعا لأهم ما تضمنه تمكينا له من جمع أطرافه، والوقوف عليه بالإجمال، مع التعرف على أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج، مع عرض بعض المقترحات المستفادة من خلاله.

١ــ إن موضوع الاتباع في القرآن من الموضوعات البارزة فيه فقد تناوله من جهتي الخير والشر، دفعا وحثا إلى الأول، وتحذيرا ونهيا عن الثاني.

٢ــ مادة (تبع) وردت في القرآن على أوجه ومعان متعددة منها: الاقتداء، الائتمام، التأسي، الاحتذاء، ، الطاعة، الامتثال سواء كان ذلك للحق أو للباطل.

٣ــ عرض كتاب الله موضوع الاتباع بأساليب متعددة لشد النفوس وإيقاظ الهمم نحوه بالاتباع للحق، وتنفير تلك النفوس عن اتباع الباطل.

٤ــ استعمل كتاب الله مصطلح الاتباع في كل المجالات: العقيدة والشريعة والأخلاق ونبه المكلفين أن الأصل هو الاتباع في كل ما يخص أمر الشرع المنزل، أما في مصالح الدنيا فيعطي التوجيهات العامة ثم يترك للناس الحرية في أمر دنياهم ما لم يخالفوا فيها حكم الوحي المنزل.

٥ــ بدأ البحث ببيان دلالات الاتباع وتوابعه التي اشتملت على التوسط والتطرف والاعراض والمعارضة والحق والباطل.

٦ــ تلا ذلك بيان أساليب القرآن في الموضوع بشقيه والتي تنوعت إلى اسلوب الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والمدح والذم فقد جاء الأمر بالاتباع للحق من الله ورسوله عليه السلام، والمصلحين الصادقين من البشر كما جاء النهي عن الاتباع المذموم م من الله تعالى ورسوله عليه السلام كما مدح الله أهل الحق ووعدهم الوعد الحسن وبعكسهم أهل الباطل.

٧ــ تلا ذلك بيان مجالات الاتباع بشقيه في جوانب العقيدة والشريعة والأخلاق.

٨ــ ثم جاء الباب الرابع ليتناول أسباب الاتباع وأركانه وقواعده ونماذجه فوقف على بعض أسباب اتباع الحق ودوافعه مثل الخوف من عقاب الله، الطمع في ثواب الله، محبة الله وإجلاله، قوة الحق وتأثيره في النفوس، رفقة الصالحين والاقتداء بهم كل أو بعض تلك الأسباب كانت من الدوافع التي تدفع المكلف نحو الحق والاستمساك به.

٩ــ ثم تحدث البحث عن الأركان فجعل للحق أربعة أركان هي: الآمر بالاتباع، المتبع وخصائصه ، المتبع وصفاته، ثم الأمر المتبع. أما أركان اتباع الباطل فكانت ثلاثة: الدافع إليه، وصفات المتبع، والأمر المتبع.

١٠ــ تلا ذلك قواعد الاتباع والعلامات التي يعرف بها والتي تميزه عن غيره.
١١ــ تبع ذلك موانع الاتباع والتي انحصرت في الهوى، والشيطان، والخوف مما يترتب على اتباع الحق ﴿ إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾.
١٢ــ تلى ذلك بيان النماذج الحية التي تعين المكلف على اتباع الحق والثبات عليه وتمثلت في خمس نماذج هي: الصحابة كأفضل نموذج جماعي يضرب لاتباع الحق والثبات غليه، ثم بيان من ضحى بحياته أو حريته أو ملكه، أو ماله، أو بر والديه، والتضحية بكل ذلك إذا تعارض مع الحق وتقديم الحق عليه.
١٣ــ تلا ذلك أسباب الاتباع للباطل وتمثلت في الآتي: الكبر، الحسد والعناد، الغلو، الاعراض عن منهج الله، اتباع الشبهات والشهوات، الجهل، الإبتداع، التقليد والتعصب
١٤ــ ثم جاء الحديث عن أنواع اتباع الباطل وكانت كالآتي: النهي عن(سبيل المفسدين، السبل المتفرقة، الشهوات، الظن السيء، المتشابه، الآباء في غير الهدى، وأخيرا النهي عن اتباع غير ما أنزل الله
كما تحدثت الرسالة عن ضرب نماذج ممن اتبع الباطل فضل وهلك ليكون ذلك موعظة وذكرى لمن كان له قلب فيرتدع ويرجع عن غيه وممن وقع عليهم أن يكونوا نماذج لذلك، المجتمع الفرعوني قديما ومجتمع بني إسرائيل حديثا وأما من الأفراد فوقع الاختيار على من كان ملكه سببا في انحرافه عن الحق وكذا من كان ماله مانعا له عن اتباع الحق تلى ذلك بعرض حوار ونقاش بين الاتباع والمتبوعين في الدنيا والآخرة مع بيان أحكامهم.

ثم جاء دور خاتمة البحث وهو الباب الخامس الذي خصص الحديث فيه عن آثار الاتباع بشقيه، فانقسم إلى فصلين وأربعة مباحث،واثنين وثلاثين مطلبا.

إن اتباع الحق اشتمل على تسعة عشرأثرا في الدنيا والآخرة على النحو التالي:

إن اتباع الحق اشتمل على تسعة عشرأثرا في الدنيا والآخرة على النحو التالي:

انتفاء الخوف والحزن، تحصيل الهداية، تحصيل النجاة من الضلال يورث محبة الله للعبد، تحصيل السلامة من العقاب، تحصيل الرحمة، تحصيل الفلاح، تحقيق مرضاة الله، تحقيق الرفعة والعلو في الدنيا تحقيق الائتلاف والاجتماع والسلامة من الفرقة.

تحصيل النصر والغلبة، تحصيل البشارة بمغفرة الذنوب وحصول الأجر.

إن الآثار الدنيوية بشرى عاجلة للمؤمن،

ومن ثمرا اتباع الحق في الآخرة: الثبات عند الممات، والنجاة من عذاب القبر والسلامة من الشقاء، مغفرة الذنوب وتكفير السيئات، النجاة من عذاب الجحيم، الفوز بدخول الجنات وأخيرا مـــرافقة الأنبياء

أما اتباع الباطل فيتحقق به آثار ضارة في الدنيا والآخرة ومن هذه الآثار مايلي:

انتفاء الأمن وحصول الخوف والحزن، يوصل إلىالضلال في الدنيا، حصول المعيشة الضنك، حصول التفرق والاختلاف، كما يوصل إلى الذل والهوان، وانتفاء العدل ووقوع الظلم، فقدان الولي والنصير، تعجيل الهلاك والعذاب، نفي الثبات عند الممات ووقوع العذاب، حبوط الأعمال الصالحة، انتفاء الأمن وحصول الخوف، يورث الشقاء في الآخرة، الاصطلاء بنار وأخيرا جهنم مرافـــقة إبليـــس.

فهذه جملة الآثار التي تترتب على اتباع الحق، والاستمساك به، أو الزيغ والانحراف عنه، باتباع الباطل والتطرف فيه.

وهي آخر ما تم الوصول إليه، من هذ الدراسة، أسأل الله لها القبول والاخلاص.

نتائج الدراسة

١ــ التقوى والتجرد عن الهوى والبحث عن الحق من أقوى الأسباب للاتباع الحق.

٢ــ إن دلالة كلمة(الاتباع) أعمق بكثير مـمّا يمكن أن يتصوره أهل هذا العصر وأنها تشمل الخير والشر ولهذه المعاني استعملها كتاب الله، للدعوة إلى اتباع الحق والخير والتحذير من اتباع الشر والردى.

٣ــ إن أكثر أسباب الحرمان عن اتباع الحق يكون بالطبع والختم على القلوب والغشاوة على الإسماع الذي يتسبب فيه المكلف بنفسه فيكون حاجزا عن الوصول إلى الحق واتباعه.

٤ــ على قدر نصيب الإنسان من موانع الاتباع للحق يقل الوصول إليه.

٥ــ يبين كتاب الله الأسباب والدوافع التي تدعو المكلف إلى اتباع الحق والتمسك به

٦ــ يتميز كتاب الله بعرض الصفات الحسنة في صور جذابة لحبها والاقبال عليها، وعكس الصفات السيئة للتنفير منها، وهكذا فعل مع الحق والباطل لاتباع الأول وترك اتباع الثاني.

٧ــ يعرض كتاب الله آثار كل من اتباع الحق واتباع الباطل في الدارين ترغيبا للناس في الأول وحثا لهم على سلوكه، وتنفيرا لهم عن سلوك الطريق الآخر، مع التأكيد على أن الآثار الدنيوية دليل مؤد على حصول الآثار الأخروية سلبا أو إيجابا.

٨ــ توصلت أن مصطلح الاتباع أعمق من الطاعة والاستقامة حيث يتعلق بجوانب نظرية اعتقادية منهجية وبجوانب عملية وهو أول أمر اهتم به كتاب الله من العهد المكي بالدعوة إلى الاتباع المحمود والتحذير من الاتباع المذموم، وذلك لبناء شخصية المكلف ظاهرا وباطنا فيلتزم التزاما تاما بتعليمات المتبوع عن رغبة واختيار وقناعة تامة.

٩ــ قرن كتاب الله بين الاتباع بنوعيه وبين الهدى في أكثر من ثلاثين موضعا(انظر سورة البقرة آية ٣٨، ١٢٠، النساء: ١١٥، المائدة: ١٦، الأعراف: ٥٦)، وهذا الاقتران يدل على أهمية الاتباع وأنه يقصد به التزام المنهج الصحيح المؤدي إلى الحق والموصل إلى سعادة الدارين.

١٠ــ لم تأت آية واحدة في كتاب الله من آيات الاتباع المشروع تأمر باتباع الله تعالى وإنما الأوامر جاءت باتباع أمر الله، ووحيه، وكتابه، ورسوله، مما يدل على أن الاتباع يكون للمنهـــج ولمن يطبقه في واقع الحياة .

١١ــ إن الاتباع أكثر عمقا، وأدق دلالة ومعنـ وأعلى مقاما، من الطاعة، حيث جاء في كتاب الله الأمر بالاتباع والنهي عن المعصية التي هي ضد المعصية، مما يدل على أن الاتباع فيه معان زائدة، فهو امتثال للأمر، وهو أيضا ملازمة دائمة للمتبوع عن رغبة وطواعية، فدلالات الاتباع أوسع لأن فيه التلازم عن رغبة وإرادة بين التابع والمتبوع، بخلاف الطاعة الذي يتمثل فيها انقياد الطائع للمطاع امتثالا لأمره فحسب، وقد يطيع المكلف دون أن يكون له رغبة في الانقياد التام.

١٢ــ هناك ارتباط وثيق بين الاتباع والمحبة، وأن الاتباع دليل على محبة الله تعالى للعبد المكلف ومحبة رسوله عليه السلام كذلك.

١٣ــ لم يرد في آيات الاتباع أمر أو دعوة لاتباع شخص سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قصرت القدوة والاتباع عليه دون غيره لأنه مناط الرسالة وموضع الوحي.

١٤ــ جاء التأكيد في كتاب الله على عدم اتباع السادة والكبراء، وعلماء السوء، مبينا أن ذلك يؤدي إلى الضلال عن سبيل الحق في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة

١٥ــ الثناء على أهل أتباع الحق ببيان علو منزلتهم، وعظيم فضلهم، وشرف مكانتهم، ليرغب الناس إلى الاتباع وأهله، ويبتعدوا عن ضده.

١٦ــ إن النفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به الرسول عليه السلام، واتباعه فيه، أكثر من حاجتها إلى الطعام والشراب لأن فوات الأخيرين يحصل به الموت في الدنيا أما فوات الطاعة والاتباع فيحصل به العذاب والشقاء الدائم.

١٧ــ إن اتباع الحق يتحقق به الألفة والاجتماع، والبعد عن الاختلاف، والسلامة من التفرق.

١٨ــ إن اتباع الباطل واخلاد العبد إلى الشهوات سبب للخذلان.

١٩ــإن الاتباع والاجتماع على الحق دليل الرحمة، أما اتباع الباطل والافتراق فيه فهو دليل الشقاء.

٢٠ــ تنازع الأمة الواحدة حول الحقيقة الواحدة سببه الغفلة والضلال.

٢١ــ إن الباطل ليست له جذور ضاربة في كيان هذا الوجود.

٢٢ــ من مقاصد الاتباع للحق في جانب المعاملات إذا اقترن عمل المكلف بالنية حصل له الثواب الجزيل على كل فعل يقوم به وإن تعلق عمله بجانب دنيوي.

٢٣ــ كل حكم ظهر دليله من كتاب أو سنة أو اجماع لا يجوز فيه التقليد بحال من الأحوال بل يجب اتباع الدليل فيه.

٢٤ــ إن المكلف يدور فيما كلف به بين أمرين إما تفريط وإضاعة، أو افراط وغلو ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه.

وتؤكد هذه الدراسة أن الاتباع للحق هو التوسط بعينه، أما اتباع الباطل بشتى صوره وأشكاله فهو التطرف والتنطع الذي نهى الله تعالى عنه في كتابه.

بعض التوصيات

أختم هذه الرسالة ببعض التوصيات التي تم الوصول إليها من خلال هذه الدراسة

١ــ أن التوسط والوسطية، والاستقامة على أمر الله، والتزام الكتاب والسنة، وشروط قبول الأعمال، وبيان ما يستحقه الرسول عليه السلام من الحقوق،

وبيان أن العبادات كلها لله، كل هذه الأمور سبيل يؤدي إلى اتباع الحق والاستمساك به فينبغي بيانها وتوضيحها للناس.

٢ــ على العلماء مسئولية عظيمة في بيان سبيل الاتباع للحق الذي أنزله الله وذلك بتوضيح قواعده،ووسائله، وثمراته، ودعوة الأمة إلى ذلك، بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣ــ الابتداع في الدين هو البوابة الكبرى التي يدلف منها الغلاة فعلى أهل العلم بسط هذا الموضوع للناس عامة ببيان الحق من الباطل.

٤ــ على الدعاة والمصلحين وأساتذة الجامعات القيام ببيان معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتوضيح أصولها وشروطها ونواقضها ونشر ذلك على العامة والخاصة.

٥ــ وجوب النظر في السيرة النبوية لاستنباط الدروس التي ترسخ أحكام الإسلام بعقيدته وشريعته وسمو أخلاقه.

٦ــ ينبغي تربية طلبة العلم على أن الرجال يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال، كما ينبغي نربيتهم على عدم المجاملة في الحق لأنه أحب إلىٰ كل مسلم من كل حبيب.

٧ــ أوصي بضبط عاطفتي الحب والبغض وذلك لأن بعض المسلمين يعانون من التطرف فيهما فإما أن يكون الرجل عندهم قديسا أو إبليسا.

هذا ما استطعت جمعه وبيانه من خلاصة البحث، ونتائجه، وتوصياته، أسأل الله أن ينفع بها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفهـــارس العـــامة

١ -فهرس الآيات الكريمة ٥٤٨ -٥٨٣
٢- فهرس الأحاديث الشريفة ٥٨٤-٥٨٩
٣- فهرس الآثـــار ٥٩٠ -٥٩١
٤- فهرس الأشـــعار ٥٩٢
٥- فهرس المصطلحات والمفردات الغريبة ٥٩٣
٦- فهرس الأعـــلام ٥٩٩ -٦٠٤
٧- فهرس المصادر والمراجع ٦٠٥ -٦٢٦
٨- فهرس الموضـــوعات ٦٢٧ -٦٣٤

فهرس الآيات الكريمة

سورة الفاتحة

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
١.	ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ	١	١٨٨
٢.	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	٥	١٨٨
٣.	اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ	٦	١٨٨
٤.	غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ	٧	١٨٨

البقرة

٥.	أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	٥	٤٨٩
٦.	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ	٨	٢٨٥
٧.	وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا	١٤	٢٨٢
٨.	فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ	٢٤	١٥٣
٩.	وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا	٢٦	٢٧٩
١٠.	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ	٣٤	٤٠، ٢٣٦، ٣٦٧.
١١.	فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ	٣٨	٥، ٨٧، ١١٧، ١١٨، ٣٩٢، ٣٤٤، ٤٧٧، ٥١٧.
١٢.	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ	٤٠	٢٦٨
١٣.	وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ	٤١	٢٦٨
١٤.	وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ	٤٢	٢٨٣.
١٥.	وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ	٤٨	١٢٤
١٦.	ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	٥٢	١٣١
١٧.	فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ	٥٩	٢٤٢، ٢٨٢، ٤٥٩.
١٨.	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ	٦٢	١١٨
١٩.	وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ	٦٥	٢٤١
٢٠.	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ	٦٧	٢٨٢
٢١.	ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ	٧٤	٢٨٣

٢٢.	فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ	٧٥	٢٤٢
٢٣.	فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ	٨٩	٢٣٧
٢٤.	واتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ	١٠٢	١٣، ١٧٠.
٢٥.	... وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ	١٠٤	١٥٠
٢٦.	فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ	١٠٩	٢٦٩، ٢٣٠، ٢٨٢، ٣٦٩.
٢٧.	وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ	١١١	٢٤٣
٢٨.	بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ	١١٢	١١٩
٢٩.	وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ	١١٣	٢٤٠
٣٠.	وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ	١٢٠	٩٥، ١٧٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٣٩٥، ٥٢٦.
٣١.	قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ	١٣٣	٤٣٠
٣٢.	فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا	١٣٧	١٨٧، ٢٠٤.
٣٣.	سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ	١٤٢	٢٨٢
٣٤.	وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ	١٤٣	١٨، ٢٢، ٢٥، ١٨٨.
٣٥.	قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ	١٤٤	٤٤
٣٦.	وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ	١٤٥	١٧٠
٣٧.	كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ	١٥١	٤٤، ٢٢٠.
٣٨.	وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِلهِ	١٦٥	٢٩٧، ٣١٨
٣٩.	إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا	١٦٦	١٤، ٤٦٨
٤٠.	وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً	١٦٧	٧٣،
٤١.	يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِباً	١٦٨	٧٣، ١٠٠، ١٠٢، ٢٠٨، ٤٣٤.
٤٢.	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ	١٧٠	١٣، ١٤، ٧٠، ٣٢٧، ٣٣٥، ٣٨٦، ٤٣٠، ٤٣٢.
٤٣.	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ	١٧٧	٢٣١، ٢١٧، ٢٣١.
٤٤.	فمن عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ	١٧٨	٢٠٦، ٢٣٣.
٤٥.	وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ	١٧٩	٢٧٣

٤٦.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ	١٨٣	٢١٠، ٢٢٥
٤٧.	يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	١٨٥	٤٤٢
٤٨.	... عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ	١٨٧	١٣١
٤٩.	وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ	١٨٨	٥٤
٥٠.	... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا	١٨٩	٤٢٣
٥١.	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ	١٩٧	٢٢٥
٥٢.	وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ	٢٠٣	٢١١
٥٣.	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	٢٠٤	٢٨٦
٥٤.	... وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ	٢٠٥	١٤٥، ٤٤٢.
٥٥.	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ	٢٠٧	٣٥٩
٥٦.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً	٢٠٨	١٠٠، ١٠٤.
٥٧.	فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ	٢١٣	٤٩، ١٨٢.
٥٨.	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ	٢١٩	٣٣٤
٥٩.	حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ	٢٣٨	٢٣
٦٠.	قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللهِ	٢٤٩	٤١٣
٦١.	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ	٢٥٦	٣٣٦
٦٢.	اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ	٢٥٧	٥٢٦، ٥٢٧.
٦٣.	... لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ	٢٦٤	٥٣
٦٤.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ	٢٦٧	٢٢٥
٦٥.	الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ	٢٦٨	١٠٣، ١٣٤.
٦٦.	وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا	٢٦٩	١٣٤
٦٧.	... يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ	٢٧٣	٣٧٤
٦٨.	... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا	٢٧٥	٤٤، ٢٧٢، ٣٣٤.
٦٩.	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ	٢٧٧	١١٩
٧٠.	... أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ	٢٨٢	١٢١
٧١.	... رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ	٢٨٦	١٣٤، ١٩٩.

سورة آل عمران

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٧٣	(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ)	٧	١٧١، ٣٩٥، ٤٢٠، ٤٢٣.
٧٤	(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا)	٨	٤٢٨
٧٥	(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ)	١٤	٣٧٢، ٤٠٦.
٧٦	(قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ)	١٥	٣٧٣، ٤٠٧.
٧٧	(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا)	١٦	١٣٤
٧٨	(شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ	١٨	١٨٨
٧٩	(فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي)	٢٠	١٨٩
٨٠	(لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ)	٢٤	٤٦٠
٨١	(وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ)	٢٨	٢٩٢
٨٢	(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ)	٣١	ب ،٧٩ ، ١٣٢، ١٨٩، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٧٨، ٤٨٣، ٥٠٩.
٨٣	(قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا)	٣٢	١٣٢، ١٨٩
٨٤	(وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ	٤٦	
٨٥	(وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)	٥٠	٢٦٨
٨٦	(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ)	٥٣	٣١٧
٨٧	(إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)	٥٥	١٢٥، ٤٩٢.
٨٨	(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ)	٦٨	١٦١
٨٩	(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ	٧٠	٢٤٠

تسلسل	الآيـــــــــــــة	رقمها	الصفحة
٩٠	(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ)	٧١	٢٤٠
٩١	(وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ)	٧٥	٢٧٩، ٢٨٢
٩٢	(وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ)	٨١	٣١٤

٩٣	(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)	٨٥	٢٧٠
٩٤	(قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ	٩٥	٧٤
٩٥	(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً)	٩٧	٢١٠
٩٦	(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ)	٩٨	٢٤٠
٩٧	(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ)	٩٩	٢٤٠
	(... اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)	١٠٢	٤٢٢
٩٨	(واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا)	١٠٣	٢٤٥
٩٩	(وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ	١٠٥	٢٤٥، ٥٢٠
١٠١	(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ)	١١٠	٢٧
١٠٢	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً)	١١٨	٢٨٥
١٠٣	(وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ)	١١٩	٧٦
١٠٤	(إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ)	١٢٠	٢٨٦
١٠٥	(وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ)	١٢٦	١٢٤، ٤٩٧.
١٠٦	(وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)	١٣٢	١٥، ٤٨٨.
١٠٧	(وَسَارِعُوا مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ)	١٣٣	١٣١

تسلسل	الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
١٠٨	(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)	١٣٤	٢٣١
١٠٩	(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ)	١٣٥	١٣٤
١١٠	(أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ)	١٣٦	١٣٢، ١٦٠
١١٣	(لِكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ)	١٥٣	١١٧
١١٤	(يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)	١٥٤	٤١٦
١١٥	(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)	١٥٩	٢٢١، ٢٢٧،٢٢٩.
١١٦	(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ)	١٦٠	٤٩٧

١١٧	(أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ)	١٦٢	١٥٨، ١٦٦، ٢٠٧، ٤٩٢.
١١٩	(فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ)	١٧٠	١١٩
١٢٠	(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ)	١٧٣	٣٩٠
١٢١	(فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ)	١٧٤	٢٠٧، ٣٩٣، ٤٩٢.
١٢٢	(إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)	١٨١	٢٤١، ٤٦٠.
١٢٣	(الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ)	١٨٣	٢٤١
١٢٤	(فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)	١٨٥	٥١١
١٢٥	(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ)	١٩٠	٣٠٦
١٢٦	(رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا)	١٩٣	٥٠٧

سورة النساء

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
١٢٧	(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى)	٣	٤٢٢
١٢٨	(وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ)	١٤	١٤٢، ١٥٠.
١٢٩	(وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً)	٢٠	٣٣٨
١٣٠	(وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ)	٢٧	٤١١
١٣١	(وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً)	٢٨	٣١٦
١٣٢	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)	٢٩	٥٤
١٣٣	(نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)	٣١	٥٠٧
١٣٤	(الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ)	٣٧	٢٧٩
١٣٥	(وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً)	٣٨	٥٣٨
١٣٦	(وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً)	٤٢	٤٢٥
١٣٧	(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)	٤٦	٢٤٢
١٣٨	(إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ)	٤٨	١٣١، ١٣٣
١٣٩	(فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً)	٥٥	٤٠
١٤٠	(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً)	٥٦	١٥١، ٥٣٥.
١٤١	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	٥٩	٣٢٠، ٣٢١، ٣٧٨، ٤٩٦.

١٤٢	(وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً)	٦٠	١٠٣
١٤٣	(فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ)	٦٣	٣٨، ٤١.
١٤٤	(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ)	٦٤	١٥
١٤٥	(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)	٦٥	٨٦، ٣١٧، ٤٣٨.

١٤٦	(وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً)	٦٩	١٥٩، ٥١٣.
١٤٧	(وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ)	٨٠	٨٠، ٣٠٨
١٤٨	(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ)	٨٢	٣٠٦، ٣٧٥، ٤٤٣.
١٥٠	(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)	٩٠	٣٥١
١٥١	(وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً)	٩٦	١٣٢
١٥٣	(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ)	١١٠	١٣٣
١٥٤	(وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ)	١١٣	٤٤
١٥٥	(وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ).	١١٥	١٤٧، ١٦٦، ١٧١، ١٨٧، ٣٣٩، ٣٩٤، ٥٣٥.
١٥٧	(يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً)	١٢٠	٤٥٣
١٥٨	(لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ)	١٢٣	١١٩، ٢٤٣.
١٥٩	(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)	١٢٤	١١٩
١٦٠	(وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً)	١٢٥	٧٥، ١٦٠، ١٦١، ١٩٠.
١٦١	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلهِ)	١٣٥	١٠٠، ١٠٨، ٢٣٣، ٣٤١، ٣٩٣، ٥٢٤.

تسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
١٦٢	(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)	١٤٢	٢٨٦
١٦٣	(مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ)	١٤٣	٢٨٦
١٦٤	(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)	١٤٥	٢٨٥

١٦٥	(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ)	١٥٠	٢٥٦
١٦٦	(أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقاً)	١٥١	٢٥٦
١٦٨	(وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ)	١٥٧	١٧١
١٦٩	(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ)	١٦٨	١٣١
١٧٠	(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لم يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ)	١٦٨	٢٧٨
١٧١	(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ)	١٧١	.٣١
١٧٢	(إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ)	١٧٦	١٤٥

سورة المائدة

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
١٧٣	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)	١	١٧٩، ٢٢٥
١٧٤	(وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ)	٢	١٣
١٧٥	(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)	٣	١٩٣، ٣٨٤.
١٧٦	(واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ)	٧	١٧٧
١٧٧	(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ لَا تَعْدِلُوا)	٨	.١٠٨
١٧٨	وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	٩	.١٣٥
١٧٩	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ	١١	.١٢٦
١٨٠	فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	١٣	٢٢٩، ٢٨٢.
١٨١	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ	١٥	١١٠، ٤٠٤، ٤٧٩، ٤٨٥.
١٨٢	يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ	١٦	١٦١، ٤٠٤، ٤٧٩.
١٨٣	وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ	١٨	٢٤٣، ٢٨٣، ٤٦٠.
١٨٤	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ)	١٩	.٢٦٩
١٨٥	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ)	٤١	.٣٧١
١٨٦	وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأحبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ)	٤٤	٢٨٠، ٤٣٨، ٤٤١.
١٨٧	وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظلمون)	٤٥	.٤٤١
١٨٨	وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)	٤٧	.٤٤١
١٨٩	فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)	٤٨	٩٣، ٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٥٣، ٢٦٨.
١٩٠	وأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)	٤٩	٩٣، ٩٤، ٢٧١،

١٩١	أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا)	٥٠	.٤٤٠
١٩٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ)	٥٤	.٢٩٧
١٩٣	وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ)	٦٤	.٢٤١، ٣٩٩، ٤٦٠
١٩٤	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى)	٦٩	.١١٨
١٩٦	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ)	٧٣	.٢٤٢
١٩٧	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ)	٧٧	٣١، ١٠٠، ١٠٨، ٣٨٨
١٩٨	لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ)	٨٢	.٢٨٠، ٢٨١
١٩٩	وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ)	٨٣	.٣٠٢
٢٠٠	وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ)	٨٤	.٢٩٥
٢٠١	فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)	٨٥	.٢٩٥
٢٠٢	فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ)	٨٩	،٢٣، ١٧٩
٢٠٣	إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ)	٩١	.١٠٣
٢٠٤	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ)	١٠٤	.٤٣٢

سورة الأنعام

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٢٠٣	(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)	١	١٩١
٢٠٤	(وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ)	٤	٢٧٩
٢٠٥	(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)	١٥	٢٩٣
٢٠٦	(وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)	٢٣	٤٢٦
٢٠٧	(وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ)	٣١	١٥٩
٢٠٨	(فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ)	٣٣	٣٧٠
	وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى)	٣٥	٣٧٥
٢٠٩	(فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)	٤٨	١١٩
٢١٠	(وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا)	٥١	٢٩٣
٢١١	(وإذا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)	٥٤	.٤٨٨

تسلسل	الآيـــــــــــــــة	رقمها	الصفحة
	(قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ)	٥٦	٥١٨
	(أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ)	٦٢	٣٠٦
	(لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)	٧٧	٤٨١
	(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ)	٨٢	٥١٧، ٥٣٣.
	(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)	٩٠	١١
	(الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ)	٩٣	٥٢
	(اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)	١٠٦	٤١،٦٤، ١٩١، ٣٠٦، ٣٩٢، ٣٠٩.
	(وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا)	١٠٧	١٩١
	(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)	١٠٨	٢٤٩
	(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)	١١٦	٣٩٣
	(وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ)	١٢١	٤٤٥، ٤٥٣.
	(وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا)	١٣٦	٣٣٣
	(وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا)	١٤٢	١٠٠
	(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا)	١٤٨	٤٤، ٤١٦.
	(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)	١٥٠	٩٣، ٩٥.
	(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ)	١٥١	١٩١
	(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ)	١٥٣	أ، ٧٥، ١٠٠، ١٧٢، ١٩١، ٣٠٦، ٣٩٢، ٣٩٤، ٤٠١، ٤٩٥.
	(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)	١٥٥	ف، ١٨٥، ٧٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٣٠٩، ٣٢٠، ٤٨٧.
	(... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ ...)	١٥٧	٤٠
	(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا	١٥٩	٥٢٠

سورة الأعـــراف

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ)	٣	أ،٥، ٦٨، ٩٢، ١٨٥، ٢٠٦، ٣٠٩، ٣٢٠، ٣٢٨، ٤٣٧، ٣٩٤، ٤٣٨، ٤٥٢، ٥٢٨.
	(وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا)	٤	١٤٥
	(فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا)	٥	١٤٥
	(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ)	١٦	٣٤٢
	(وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)	١٧	٣٤٢
	(قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا)	١٨	٥٣٧
	(وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَائَنَا)	٢٨	٤٣٤
	(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)	٣٣	٢٧٢
	(يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ)	٣٥	١١٩
	(قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)	٣٨	٤٦٩، ٤٧٤.
	(لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ)	٤١	١٥٤
	(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)	٥٤	٣٠٨، ٤٤٤
	(أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا)	١٢٩	٤٥٨
	(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ)	١٣٧	١٢٦
	(يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)	١٣٨	٤٥٨
	(اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)	١٤٢	٨٢، ١٧٢، ٣٩٤، ٣٩٧.
	(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)	١٤٦	٣٦٧
	(وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا)	١٤٨	٤٥٩
	(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ)	١٥٦	٤٨٧
	(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ)	١٥٧	٢٠٨، ٤٩٠، ٣٨١
	(وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)	١٥٨	١١، ٧٦، ١٩٢، ٢٠٨، ٢٦٩، ٣٢١، ٤٧٩، ٣٩٢

	(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)	١٧٢	١٨١
	(وَاتْلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاه آيَاتِنَا)	١٧٥	١٦٨، ٥٢٣.
	(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ)	١٧٦	١٦٨، ٥٣٢.
	(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ)	١٨٠	٢٥٢
	(وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)	١٩٩	٣٨، ٤١ ، ١٧٦، ٢٢٧ ٣٧٤،، ٢٢٦
	(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)	٢٠٠	٤٥٢
	(قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي)	٢٠٣	٣٢٩
	(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)	٢٠٤	٤٨٧

سورة الأنفـــال

تسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
	(أولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ)	٤	١٣٢
	(إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)	٢٩	١٣٢، ٥٠٨
	(وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ)	٣٢	٣٧٠
	(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ)	٣٨	٥٠٨
	(وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)	٥٠	١٥٠
	(هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)	٦٢	٣٤٨
	(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)	٦٤	٢٦٠

سورة التوبة

تسلسل	الآيـــــــــة	رقمه ا	الصفحة
	(اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ)	٥	٤٢٢
	(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ)	٦	٢٩٩
	(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ)	٢٤	٧٩
	(ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ)	٢٥	٤٠
	(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ)	٣٠	٢٤٢، ٢٤١، ٢٨٢

	(فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا)	٥٨	٣٩٠
	(وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ)	٦١	٢٥٥
	(عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ)	٤٣	١٣١
	(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ)	٦٧	٢٨٥
	(كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً)	٦٩	٣٧٢
	(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)	٧١	٤٨٨
	(وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ)	٧٢	١٣٧، ٤٩٢
	(وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ)	٩٠	٢٨٦
	(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ)	١٠٠	٩١،٢٦٠، ٣٩٢، ٤٩١، ٤٩٢.
	(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)	١٠٣	٢٢٥
	(إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ)	١١١	١٣٧، ٢٠٨.
	(وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ)	١١٥	١٢٣
	(لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ)	١١٧	١٦١، ٥٠٠.
	(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ)	١٢٨	٢٢٧، ٢٣١.

سورة يونس

تسلسل	الآيـــــــــــــة	رقمها	الصفحة
	(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ)	٥	٤٩
	(إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ..)	١٥	١٥، ٣٠٩، ٢٩٢.
	(وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ)	٣٠	٤٩
	(فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)	٣٢	٤٩
	(كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ)	٣٣	٥٠
	(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي)	٣٥	٣٣٩
	(وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً)	٣٦	١٧١، ٤١٤
	(وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ)	٤٠	٣٩٩
	(ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ)	٥٢	١٥٠

	(وَيَسْتَنْبِؤُنَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ)	٥٣	٤٩
	(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)	٦٢	١١٩
	(الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)	٦٣	١١٩، ٥٠٢
	(لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)	٦٤	١١٩، ٤٣٩، ٤٩٩، ٥٠٢.
	(وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ)	٦٦	٣٩٥
	(فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ)	٨٣	٤٥٧
	(قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا)	٨٩	١٧٢، ٣٩٤
	(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ)	١٠١	٧٣
	(وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ... وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ)	١٠٩	٦٥

سورة هـــود

تسلسل	الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
	(إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ)	١١	١٣٢
	(وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا)	١٦	٥٣٢
	(وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ)	١٧	١٥٣، ١٥٦
	(وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ)	٣٩	١٥٠
	(فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)	٤٦	٣٧٥
	(وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ)	٥٣	١٦٧
	(وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ)	٥٩	١٥، ١٦٧، ١٧٢، ٣١٠، ٤٩٤
	(وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ)	٦٠	١٦٧
	(وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)	٨٣	١٤٧
	(فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ)	٩٨	٣٩٥
	(يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ)	١٠٥	١٢٢، ٥٠٦، ٥٣٣
	(فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ)	١٠٦	١٢١، ٥٣٣
	(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا)	١١٢	٢٧
	(وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ)	١١٦	١٧٢

	(وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)	١١٨	٥٢٠
	(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)	١١٩	٥٢٠

سورة يوسف

تسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
	(وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ)	٣٨	١٦٢،٤٣٦
	(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)	٤٠	٤٤٤
	(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)	٥٣	٣٢٦، ٤٥٠، ٤٥٢
	(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)	٦٧	٤٤٥
	(وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ)	١٠٠	٤٥٢
	(وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ)	١٠٥	٤١
	(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ)	١٠٨	١٩٢

سورة الرعـــد

	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
	(وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ)	٥	.٢٥٦
	(كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ)	١٧	٣٤
	(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)	٢٨	٢٩٦
	(وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ)	٣٤	١٤٩
	(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)	٣٥	١٣٨
	(وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ)	٣٧	١٧١
	(وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ)	٤١	.٣٠٧

سورة إبراهيـــــم

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)	١٠	٣٠٧
	(وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)	١٥	١٥١
	(مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ)	١٦	١٥١
	(وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ)	١٧	١٥٠، ١٥١
	(وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً)	٢١	٤٦٩
	(وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ)	٢٢	٥٣٧

	(يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ)	٢٧	٥٠٣، ٥٣١
	(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا)	٣٤	٢٩٧
	(فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)	٣٦	٥١٣
	(لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ)	٤٣	١٠٦

سورة الحجـــــر

تسلسل	الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
	(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)	٩	٢٠٠، ٤٢٢
	(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ)	٣٩	٣٤٢، ٤٤٨
	(هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ)	٤١	٤٠٣
	(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ)	٤٢	١٤٧، ٤٤٨، ١٥٦
	(وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ)	٤٣	١٥٦
	(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)	٤٥	٢٩٤
	(ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ)	٤٦	٢٩٤
	(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)	٧٢	٣١٤
	(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)	٨٨	٢٢٩

سورة النحـــــل

تسلسل	الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
	(وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ)	٩	٤٠٣
	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ)	٣٦	١٨١
	(فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)	٤٣	٤٣٥
	(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)	٤٤	٢١٠
	(يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ)	٥٠	٢٩٣
	(أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ)	٧٢	٥٤
	(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)	٩٠	١٧٦، ٢٣١
	(فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)	٩٧	١٤٤
	(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ)	١٠١	٢٦٨
	(وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ)	١١٦	٣٣٣

	(ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ ..)	١٢٣	٦٦، ٧٤، ١٦١، ٣٩٢.
	(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)	١٢٥	٢٢٧.

سورة الإسراء

تسلسل	الآيـــــــــــــــة	رقمها	الصفحة
	(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)	٩	٢٢٦
	(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا)	١٨	١٦٥
	(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)	١٩	١٦٥
	(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)	٢٣	٣٦١
	(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)	٣٦	٣٨٥
	(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ)	٤٤	١٩٢
	(قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ)	٦٣	١٧٠، ٥٣٧
	(ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا)	٦٩	٤
	(وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)	٨١	٥٤
	(كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا)	٩٧	٥٣٥
	(لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ)	١٠٢	٢٣٨

سورة الكهـــــف

تسلسل	الآيـــــــــــــــة	رقمها	الصفحة
	(أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا)	١-٢	٤٢٢
	(وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)	٢٦	٤٤٥
	(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ)	٢٨	٩٦، ١٦٧، ١٧١ ، ٣٠٣.
	(وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ)	٢٩	١٥٢
	(... نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا)	٣١	١٥٩
	(وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ)	٣٩	١٣٦
	(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)	٤٦	٣٥٩
	(أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي)	٥٠	١٠٥

	(وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)	٥٦	٢٣٦، ٣٦٧
	(وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا)	٥٩	١٤٥
	(فَأَتْبَعَ سَبَباً)	٨٥	١١
	(ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً)	٩٢	٥

سورة مريـــم

تسلسل	الآيـــــــــــــة	رقمها	الصفحة
	(يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياً)	٤٣	٧٨، ٨١.
	(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ)	٥٩	٣٩٣،٤٠٨،١٧١
	(جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ)	٦١	١٣٧
	(تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مَنْ عِبَادِنَا)	٦٣	١٣٧
	(هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياً)	٦٥	٢٥٢.
	(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًا)	٧١	٥٣٦
	(ثُمَّ نُنَجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا)	٧٢	٥١٠، ٥٣٦.

سورة طـــه

تسلسل	الآيـــــــــــــة	رقمها	الصفحة
	(طَهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)	١-٢	٣٠٠
	(إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى)	٣	٣٠٠
	(وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)	١٦	٤٥٢
	(فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)	٤٧	٤٨٥
	(إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى)	٤٨	٤٨٦
	(إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ)	٧٤	١٥٠
	(وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى)	٨١	١٠٦
	(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى)	٨٢	١٣٥
	(وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى)	٨٤	٤٩١
	(وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي)	٩٠	١٥، ٧٨،٨٢، ٤٥٩.
	(لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)	٩١	٨٣

	(قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا)	٩٢	١٥، ٧٠، ٨٢، ٣١٠
	(أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي)	٩٣	٧٠، ٨٢، ٢٩١، ٣٠٠.
	(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ)	١٢٠	٤٢٥
	(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ)	١٢٣	١٢٢، ٣٧٦، ٤٨١، ٥٠٦، ٥١٨، ٥٢٥.
	(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي)	١٢٤	٣٨، ٤١، ١١٩، ١٤٣، ٥٣٣، ٥٣٤.
	(قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى)	١٢٥	١٤٣
	(قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا)	١٢٦	١٤٣،٥٣٣.
	(وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى)	١٢٧	١٤٩
	(وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ)	١٣٤	٥٢٨

سورة الأنبيـــاء

تسلسل	الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
	(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)	٧	٧١،٧٢
	(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)	١٨	٤٨
	(أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ)	٢٤	٤١
	(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ)	٢٥	١٨١
	(لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)	٢٧	٢٥٣
	(وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)	٣٥	٥١٩
	(خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ)	٣٧	٣١٦، ٤٥١
	(وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)	٥٧	٤٠
	(لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ)	١٠٣	١١٧

سورة الحج

تسلسل	الاية	رقمها	الصفحة
	(وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ)	٢	١٥٠.
	(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ)	٣	٥٣٧
	(وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ)	٤	٥٣٧
	(وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ)	١٨	٥٢٢.
	(... أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)	٣١	١٠٦
	(وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)	٤٠	١٢٥، ٤٣٩، ٤٩٧
	(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ)	٤١	٤٣٩
	(وَكَأَيِّ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا)	٤٥	١٤٥
	(فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ)	٥٠	١٣٣
	(أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ)	٥٥	١٥٠
	(ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّمَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ)	٦٢	٥٤، ٢٣٦
	(قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ)	٧٢	١١٦، ١٥٦
	(وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ)	٧٣	٦٢
	(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)	٧٨	٦٦، ٤٢٩.

سورة المؤمنون

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ)	٤٧	٢٣٧
	(وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)	٥٢	٢٨٦
	(وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)	٧١	١٣، ٥٠
	(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)	٩٦	٢٢٨
	(وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ)	٩٧	٤٥٣
	(فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)	١٠١	٤٢٥
	(وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ)	١٠٣	١٥٤
	(تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا)	١٠٤	١٥٤

	(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا)	١١٥	٣٠٨
	(فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)	١١٦	٣٠٨

سورة النور

تسلسل	الاية	رقمها	الصفحة
	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)	٢١	١٠٠، ٣٢٥، ١٠٤، ٣٤٢، ٣٩٣.
	(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ)	٢٢	١٣٢،٢٣٠
	(وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)	٥٤	ج،١٢٦، ٣٠٩
	(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)	٥٥	١٢٦
	(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ مَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ)	٦٣	.٣٧٨

سورة الفرقان

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ)	٥	٢٧٥
	(إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا)	١٢	١٥٤
	(لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ)	١٦	١٣٨
	(وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا)	١٩	١٥٠
	(لَابُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ)	٢٢	٤٩٩
	(أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا)	٤٣	١٦٧
	(وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)	٥٠	٤٠
	(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا)	٦٣	٢٢١

سورة الشعراء

تسلسل	الاية	رقمها	الصفحة
	(وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)	٢٣	٢٣٨
	(لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ)	٤٠	٣٩٥
	(إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ)	٥٢	٥
	(فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ)	٦٠	١١
	(وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي)	٨٢	٢٩٤
	(فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ)	٩٤	٥٣٨
	(وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ)	٩٥	٥٣٨

	(تَا للهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)	٩٧	٢٣٧
	(إِذْ نُسَوِيكُمْ بِرَبِ الْعَالَمِينَ)	٩٨	٢٣٧
	(إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ)	١٣٧	٢٧٥
	(وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)	١٣٨	٢٧٥
	(وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ)	٢٠٨	٥٢٩
	(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)	٢١٥	ب،٢٢٧، ٥٠٠.

سورة القصص

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ)	٥	١٢٦
	(قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ)	٣٥	٤٩٧
	(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)	٣٨	٣٥٤
	(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ)	٥٠	١٤٧، ١٦٧، ٣٤١.
	(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ)	٥٥	٤١
	(وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا)	٥٧	٣٤٣، ٣٤٤.
	(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا)	٥٨	١٤٦
	(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى)	٥٩	٥٢٩
	(أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاَقِيهِ)	٦١	١١٦
	(لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)	٧٠	٤٤٥
	(وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ)	٧٧	٣٩٩
	(إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي)	٧٨	٤٦٥
	(يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ)	٧٩	١٤٧
	(وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً)	٨٠	٤٠٠
	(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ)	٨١	٤٦٥
	(وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ)	٨٢	١٤٧
	(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ)	٨٨	١٦٦
	(تلك الدار الاخرة نجعلها للذين عُلُواً فِي الأَرْضِ)	٨٣	٤٦١

سورة العنكبوت

تسلسل	الاية	رقمها	الصفحة
	(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا)	١٢	٣٩٥

	(وتخلقون إفكاً)	١٧	٢٧٦
	(وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم)	٣٨	١٤٦
	(وقارون وفرعون وهامان)	٣٩	١٤٦
	(فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه)	٤٠	١٤٦
	(وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)	٤٥	٢٢٤
	(إذا لارتاب المبطلون)	٤٨	٥٣
	(والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم في الدنيا)	٥٨	١٥٨
	(أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم)	٦٧	٣٤٣

سورة الروم

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله)	٤	١٢٨
	(وعد الله لا يخلف الله وعده)	٦	١١٣، ١٢٨
	(بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم)	٢٩	٢٧٩
	(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله)	٣٠	١٨١، ٢٠٨
	(كل حزب بما لديهم فرحون)	٣٢	٤٩٥.
	فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض)	٥٠	٤٧٤.

سورة لقمان

تسلسل	الاية	رقمها	الصفحة
	(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا)	٢١	٧٠، ١٧٢، ٣٨٥، ٣٩٤.

سورة السجدة

تسلسل	الاية	رقمها	الصفحة
	(تتجافى جنوبهم عن المضاجع)	١٦	٢٩٤
	(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)	١٧	١٤٠، ٢٩٤، ٥١٢
	(ثم أعرض عنها)	٢٢	٣٨
	(وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا)	٢٤	٣٧٣

سورة الأحزاب

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(واتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)	٢	٦٥
	(وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا)	١٠	٤١٣
	(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)	٢١	١٠، ١١، ٢٠٩، ٢٢٦، ٣١٠، ٣٤٩
	(قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ)	٢٢	٣٤٩
	(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)	٥٧	٢٥٥
	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً)	٧٠	١٣٢
	(يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)	٧١	١٣٢
	(إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ)	٧٢	٣٠٦، ٤٥١

سورة سبأ

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ)	٧	١٣٣
	(أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ)	٨	٣٧٦
	(لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ)	١٥	١٣٦
	(فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ)	١٦	٤٠
	(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ)	٢٠	٤٥٢
	(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً)	٢٨	٢٦٩

سورة فاطر

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً)	٦	١٠٥
	(أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً)	٨	٣٢٤
	(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً)	١٠	٥٢٢
	(وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ)	١٣-١٤	٢٣٨
	(إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)	٢٨	٢٩٣
	(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا)	٣٢	٢٨٤
	(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَيُقْضَى عَلَيْهِمْ)	٣٦	١٤٢، ٥٣٥
	(وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً)	٣٧	١٤٢، ٥٣٥

سورة يس

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ)	١١	١٣٢، ١٦٣، ٤٩٩
	(وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ)	١٢	٤٧٤
	(وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ)	٢٠	٨٧
	(اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ)	٢١	٨٧
	(وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)	٢٢	٨٨
	(أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً)	٢٣	٨٨
	(قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ)	٢٦	٨٨
	(هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)	٦٣	١٥٦
	(اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)	٦٤	١٥٦
	(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ...)	٧٨	٤٤

سورة الصافات

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)	٢٧	٤٢٥
	(قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ)	٥١	٤٥٣
	(يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ)	٥٢	٤٥٣
	(يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)	١٠٢	٤٣٠

سورة ص

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ)	٢٤	٤١٣
	(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ)	٢٦	٢٣٣، ٥١٨، ٣٤١
	(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)	٢٩	٣٠٧، ٣٧٥
	(هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ)	٤٩	١٣٩
	(جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ)	٥٠	١٣٩

	(مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا)	٥١	١٣٩
	(وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ)	٥٢	١٣٩
	(هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ)	٥٣	١٣٩
	(قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ)	٦٧-٦٨	٤١
	(لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ)	٨٥	١٦٦

سورة الزمر

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)	١٣	٢٩٣
	(فَبَشِّرْ عِبَادِ)	١٧	١٦٣،٤٩٩
	(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)	١٨	١٢،١٦٣، ٤٧٩ ، ٤٨٠، ٤٩٩.
	(لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا)	٢٠	١٣٧
	(اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً)	٢٣	١٦٣
	(وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ)	٣٧	٤٨١
	(وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ)	٥٥	١٤٨، ٣٢٠،٣٢٨، ٥٠٤، ٥١٠
	(وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ)	٦١	١٢٠، ٥٠٤، ٥١٠
	(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)	٦٣	١٣

سورة غافر

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)	٥	٤٣، ٣٦٧
	(فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ)	٧	١٣٢، ٥١٠
	(مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى)	٢٩	٣٥٤، ٤٥٧
	(وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ)	٣٨	٨٧
	(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)	٤٤	٨٩
	(وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)	٤٥	٥٠٤

	(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِياً)	٤٦	٥٠٤
	(وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ)	٤٧	٣٩٥
	(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا)	٥١	٤٩٨
	(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ)	٥٦	٣٦٨
	(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُمْ)	٦٠	١٣٣، ٣٦٨
	(وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ)	٧٨	٥٣

سورة فصلت

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(حم ، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)	١-٢	٣٠٠
	(أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ)	٩	٤٢٦
	(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً)	١٣	٣٠٠
	(وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى)	١٦	١٤٩
	(وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَا تَعْمَلُونَ)	٢٢	٤١٣
	(وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ)	٢٥	٣٢٥
	(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ)	٣٦	٤٤٩
	(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)	٣٠	٢٧، ١٢٠، ٤٧٨
	(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ)	٣٤	٢٢٨
	(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)	٤٢	٢٥٤
	(فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ)	٥١	٣٨

سورة الشورى

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفـــحة
	(أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ)	٩	٦٩، ٤٣٨
	(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)	١١	٢٥٢، ٤٢٢
	(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً)	١٣	١٩٥، ١٩٦
	(أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)	١٣	٢٤٥
	(فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم)	١٥	٢٧، ٩٣، ٩٥، ٩٧
	(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)	٢١	٢١٢، ٢٦٧،٢٤، ٤٤٠
	(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)	٤٣	٢٣١

سورة الزخرف

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ)	٢٢	١٦٦،٣٣٥
	(وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ)	٢٣	٣٢٧، ٣٩٠
	(قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ)	٢٤	٣٢٧، ٣٣٥، ٤٣٢
	(لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)	٣١	٤٤، ٣٣٧، ٣٧٠
	(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم)	٣٢	٣٣٧
	(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)	٣٦	٤٦، ٣٢٥
	(وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ)	٣٧	٣٢٥
	(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ)	٥٤	٤٥٧
	(وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ)	٦١	٧٨، ٨٣.

سورة الدخـــان

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ)	٤٣	١٥٢، ١٥٥
	(طَعَامُ الْأَثِيمِ)	٤٤	١٥٢، ١٥٥
	(كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ)	٤٥	١٥٢، ١٥٥
	(كَغَلْيِ الْحَمِيمِ)	٤٦	١٥٢، ١٥٥
	(ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ)	٤٨	١٥٠.

سورة الجاثية

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)	١٠	١٥٠
	(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)	١٨	٦٦، ٩٣، ٩٨، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٥، ٢١٢، ٤٣٨.
	(إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)	١٩	٩٨، ٢١٢.
	(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ)	٢٣	٩٥

	(مَاهِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا ...)	٢٤	٢٣٨، ٤١٤
	(قُلْتُمْ مَانَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً)	٣٢	٤١٣

سورة الأحقاف

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ)	٣	٢٣٧
	(.. ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ)	٤	٤٧٤
	(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)	١٣	١٢٠، ٢٩٢، ٣١٨، ٤٧٧
	(وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ)	١٦	١١٣
	(قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا)	٢٤	٣٨

سورة محمد

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ)	١	٤٠
	(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)	٢	٥٠٨، ٥١٢
	(وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ)	٣	١٦٤، ١٦٥، ٢٣٦، ٢٧٩، ٣٩٣، ٥١٢
	(وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ)	٤	١٢٤
	(إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)	٧	١٢٤، ٤٩٧
	(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)	٩	٥٣٢
على	(أَفَمَنْ كَانَ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ)	١٤	٣٢٤
	(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)	١٥	١٣٨
	(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ)	١٩	٣١٨
	(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)	٢٤	٣٧٥
	(ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ)	٢٨	١٧٢، ٢٧٩، ٣٩٤، ٥٣٢.
	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَاتُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)	٣٣	٥٣.

سورة الفتح

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا)	٢٠	١٢٩
	(وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا)	٢١	١٢٩
	(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ)	٢٩	١٣٥، ٢٣٠، ٢٩٧، ٢٩١.

سورة الحجرات

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ)	١٢	٤١٤

سورة ق

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(.. وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ)	١٤	١٤٦

سورة الذاريات

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)	٥٦	ف

سورة الطور

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(أَمْ خُلِقُوا من غَيْرِ شَيْءٍ)	٣٥_٣٦	٣٠١
	(أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)	٣٧	٣٠١

سورة النجم

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ)	١	١٠٦
	(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ)	٣	٦٨، ٣٢٠
	(إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)	٤	٦٨، ٣١٠، ٣٢٠
	(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي)	٢٨	٤١٤.
	(فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا)	٦٢	٣٠٠.

سورة القمر

	الآيـــــة	رقمها	الصفحة

	(بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ)	٤٦	١٥٦
	(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ)	٤٧	١٥٤
	(يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ)	٤٨	١٥٤

سورة الرحمن

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)	٢٦	٥٠٣

سورة الحديد

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)	٣	١٨٤
	(سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ)	٢س١	١٣١
	(وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً)	٢٧	٥٠٠

سورة الحشر

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ)	٣	١٥٠
	(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)	٧	٣٢١، ٨٠
	(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ)	١٠	٣٦٢
	(وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ)	١١	١٢٤
	(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ)	١٦	٢٩٣
	(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)	٢٢	١٨٤

سورة الصف

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)	٣	١٥٩
	(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ)	٩	١٢٧
	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ)	١٠-١١	٥١٠

سورة الجمعة

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ)	٣	٣٥٧

سورة المنافقون

تسلسل	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	(هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)	٤	٢٤٣
	(سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ)	٦	١٣١
	(يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ)	٨	٣٦٢

سورة التغابن

تسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
	(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ)	٧	٢٥٦
	(... وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)	١٤	١٣٢
	(إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)	١٥	٤٦٥

سورة الطـــــلاق

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً)	٨	١٥٠

سورة التحريـــــم

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ)	٦	١٥٢
	(وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ)	١١	٣٥٥

سورة الملك

تسلسل	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	(إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً)	٧	١٥٤
	(تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ)	٨	١٥٤
	(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)	١٢	١٣٢
	(أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)	١٤	١٩٩، ٣٠٨، ٤١٢، ٤٤٥.

سورة القلم

	(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)	٤	١٧٦، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٧٥، ٣١٣.

سورة الحاقة

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ)	٤	١٤٦
	(فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ)	٥	١٤٦
	(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)	٦	١٤٦
	(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ	٧	١٤٦
	(فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)	٨	١٤٦
	(وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ)	٩	١٤٦
	(فَعَصَوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ)	١٠	١٤٦
	(هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ)	٢٩	١٤٥

سورة المعارج

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(كَلَّا إِنَّهَا لَظَى)	١٥	١٥٤
	(نَزَّاعَةً لِلشَّوَى)	١٦	١٥٤
	(تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى)	١٧	١٥٤
	(إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا)	١٩	٤٥١

سورة نوح

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي)	٢١	٣٨٨، ٤٦١، ٣٩٥

سورة المزمل

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً)	٢٠	٢١٠

سورة المدثر

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً)	١١-٣٠	٣٠١
	(فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ)	٤٩	٤٠

سورة الإنسان

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً)	٣	٣١٦
	(إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً)	٤	١٥٤

النازعات

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)	٢٤	٣٥٤
	(أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا)	٢٧	٤٢٦
	(وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)	٣٠	٤٢٦
	(وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى)	٤٠	١٠٦

سورة عبس

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى)	١-٢	٤٠
	(وَفَاكِهَةً وَأَبّاً)	٣١	٤٣٠

البروج

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ)	٤	٣٥٣
	(النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ)	٥	٣٥٣
	(إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ)	٦	٣٥٣
	(وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ)	٧	٣٥٣
	(وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)	٨	٣٥٣
	(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)	٩	٣٥٣
	(وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)	١٠	٣٥٣
	(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)	١٢	٢٩٢

الفجر

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً)	١٩	٤٥٠
	(وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً)	٢٠	٤٥٠

سورة البلد

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)	١٠	٣١٦

سورة الضحى

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ)	٧	١٢١

سورة العاديات

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)	٦	٤٥٠
	(وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)	٨	٣٣

سورة الهمزة

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ)	٦	١٥٠
	(الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ)	٧	١٥٠

سورة الفيل

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ)	٢	١٢١

سورة قريش

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ)	٣-٤	٤٧٧

سورة الكوثر

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)	٣	٢٥٤

سورة الفلق

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)	٥	٣٦٩

سورة الناس

تسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
	(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)	١	٤٤٩
	(مَلِكِ النَّاسِ)	٢	٤٤٩
	(إِلَٰهِ النَّاسِ)	٣	٤٤٩
	(مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ)	٤	٤٤٩، ٤٥٣
	(الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ)	٥	٤٤٩، ٤٥٣
	(مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)	٦	٤٤٩، ٤٥٣

فهرس الأحاديث الشريفة

ت	طرف الحديث	الصفحة
١.	ألا أدلكم على أكرم أخلاق الدنيا	٢٢٩
٢.	اتق الله حيث ما كنت	٢١٩
٣.	أد الأمانة إلى من ائتمنك	٢٢٥
٤.	إذا ذكر أصحابي فأمسكوا	٢٦١
٥.	إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه	٤٢٣
٦.	إذا قعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد	٥٠٣
٧.	استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير	١٢١
٨.	أعددت لعبادي الصالحين	١٢٠، ١٤٠
٩.	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر	٨٥
١٠.	اقرأوا القرآن ولا تأكلوا به	٣٢
١١.	أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا	٢١٩
١٢.	أما إنه ليس في النوم تفريط	٣٣
١٣.	أما أهل النار الذين هم أهلها	٥٣٥ــ ٥٣٦
١٤.	أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب	٨٤، ١٩٣
١٥.	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا	١٨٢
١٦.	إنا زعيم ببيت في ربض الجنة	٢٢٠
١٧.	الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى	١٧٥
١٨.	أنتم الذين قلتم كذا وكذا	٢٨
١٩.	إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر	٢٩٣
٢٠.	إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان	١٥٥
٢١.	إن خياركم أحسنكم أخلاقا	٢١٩
٢٢.	إن الدعاء هو العبادة	١٣٣
٢٣.	إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه	١٠١

٢٤.	إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه	٥٠٥
٢٥.	إن العبد ليبلغ بحسن الخلق عظيم درجات	٢٢١
٢٦.	إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة	١٤٩
٢٧.	إن الفحش والتفحش ليس من الإسلام	٢٢٠
٢٨.	إن في الجنة مائة درجة	٢٢
٢٩.	إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله	٢٢١
٣٠.	إنك تأت قوما من أهل الكتاب فادعهم	٢١١
٣١.	إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك	٢٢٩
٣٢.	إن الله زوى لي الأرض فرأيت	١٢٨
٣٣.	إن مثلي ومثل ما بعثني الله به	٨٤
٣٤.	إنما أخشى عليكم شهوات الغي	١١٠
٣٥.	إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق	٢١٨
٣٦.	إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق	٢١٨
٣٧.	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٢١٨
٣٨.	إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا	٢١٩
٣٩.	إن من أفتى بغير علم فإنما إثمه على من	٤١٧
٤٠.	إن من خياركم أحسنكم أخلاقا	١٧٦
٤١.	إنه ستفتح لكم مشارق الأرض	١٢٨
٤٢.	إن هذه الأمة تبتلى في قبورها	٥٠٤
٤٣.	إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها	٥٠٨
٤٤.	إني فرطكم	٣٣
٤٥.	إني لن البسه أبدا فنبذ الناس خواتيمهم	٨٥
٤٦.	أوتيت جوامع الكلم	٣١٣
٤٧.	أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة	٨٥
٤٨.	الإيمان أن تؤمن بالله وملئكته وكتبه	١٨٠
٤٩.		

٥٠.	الإيمان بضعوسبعون أو بضع وستون	١٨٦
٥١.	البر حسن الخلق	٢٢٠، ٢٣٢
٥٢.	البركة تنزل وسط الطعام	٢٣
٥٣.	بل نترفق به ونحسن صحبته	٣٦٢
٥٤.	تقوى الله وحسن الخلق	٢٢٠
٥٥.	تلك عاجل بشرى المؤمن	٥٠٢
٥٦.	ثلاثة كفارات وثلاثة درجات	١١٠
٥٧.	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان	٢٩٨
٥٨.	الجالس وسط الحلقة ملعون	١٨
٥٩.	الحياء من الإيمان	٢٨٤
٦٠.	خط رسول الله عليه السلام خطا بيده	١٩١، ٤٠٢
٦١.	خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام	٢٧٨
٦٢.	خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي	٢١٢
٦٣.	دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان	٨٤
٦٤.	دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل	٣٦٢
٦٥.	الرجل على دين خليله فالينظر أحدكم	٣٠٣
٦٦.	سئل ما خير ما أعطي المرء ؟	٢٢١
٦٧.	صلوا كما رأيتموني أصلي	٢١٠
٦٨.	صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته	٢١١
٦٩.	عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير	٢١٧
٧٠.	عقوبة المعصية ثلاثة ضيق المعيشة..	١٤٤
٧١.	عليكم بسنتي وسنة الخلفاء	٨٩، ٢٠٤
٧٢.	فأخبروني عن الإيمان	٢٥٠
٧٣.	فإنها فضلت عليها بتسعة وستين	١٥٤
٧٤.	فو الله إني لأعلمكم بالله وأشدهم	٢٩٣
٧٥.	فو الله ما الفقر اخشى عليكم	٢٩٣

٧٦.	في الجنة بحر اللبن وبحر الماء..	١٣٩
٧٧.	في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة	١٤٠
٧٨.	في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة	١٣٩
٧٩.	قا آمنت بالله ثم استقم	٢٧، ٣١٨
٨٠.	قلنا الله ورسوله اعلم	١٥٥
٨١.	قولوا إن شاء الله	١٤٠
٨٢.	كل امتي يدخلون الجنة إلا من أبى	ج ٨٤٤
٨٣.	لا ألفين احدكم متكئا على أريكته	٨٤
٨٤.	لا تزال جهنم يلقى فيها	١٠٥
٨٥.	لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على	١٦٤
٨٦.	لا تسبوا أصحابي	٢٦١
٨٧.	لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى	٢٥٥
٨٨.	اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك	٤٩١
٨٩.	اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر	٥٠٥
٩٠.	اللهم إني أعوذ بك من منكرات	١١٠
٩١.	اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات	٥٢
٩٢.	لبنة من فضة ولبنة من ذهب	١٣٩
٩٣.	لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا	٢٤٦
٩٤.	لعن الله من جلس وسط الحلقة	٢٣
٩٥.	لن يهلك الله الناس حتى يعذروا من	١٤٦، ٥٢٩
٩٦.	لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار	١٥٥
٩٧.	لو كان موسى بين أظرهكم	٢٦٩
٩٨.	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار	١٢٨
٩٩.	ما أنا عليه اليوم وأصحابي	٨٩
١٠٠.	ما بال أقوام قالوا كذا وكذا	٨٥
١٠١.	ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن	٢١٩

١٠٢.	ما من مولود إلايولد على الفطرة	١٨٢
١٠٣.	ما يرى أن أحدا أشد عذابا منه	١٥٥
١٠٤.	ما يصيب المسلم من وصب ولا نصب	٤٧٨
١٠٥.	من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلال	١٢٢
١٠٦.	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه	١٩٣، ٢٤٨
١٠٧.	من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد	١٦٨
١٠٨.	من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب	٤٦٤، ٤٨٤
١٠٩.	من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد	٧٨، ١٨٩، ١٨٨
١١٠.	من فارق الجماعة شبرا فكأنما خلع	٢٧٤
١١١.	من فارق الجماعة فإنه يموت	٢٤٧
١١٢.	من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه	٦٢
١١٣.	من كان على مثل ما أنا عليه اليوم	٢٤٦
١١٤.	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم	٢٨٥
١١٥.	من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم..	٤٨٥
١١٦.	.. منهم من تأخذه النار إلى كعبيه	١٥٥
١١٧.	من وعده الله على عمل ثوابا	١١٣
١١٨.	ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من	١٥٤
١١٩.	النجوم أمنة للسماء	٩١
١٢٠.	هلك المتنطعون	٣٣
١٢١.	وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم	١٨١
١٢٢.	والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد	٢٦٩
١٢٣.	وسطوا الإمام وسدوا الخلل	٢٣
١٢٤.	وكان النبي يبعث على قومه خاصة	٢٦٩
١٢٥.	وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة	٢٤٨
١٢٦.	وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل	٩٧
١٢٧.	والله لا يؤمن والله لا يؤمن	٢٨٥

١٢٨.	ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه	٣٣
١٢٩.	ومن لم يدع قول الزور والعمل به	٢٢٥
١٣٠.	ويخلد لا يموت ولا تبلى ثيابه	١٣٩
١٣١.	ياأيها الناس إياكم والغلو في الدين	٣٢
١٣٢.	يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني	١٣٣
١٣٣.	يا عبد الرحمن لا تسأل الأمارة	٤٦١
١٣٤.	يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف	١٥٥
١٣٥.	يخرج من النار من كان في قلبه	٢٦٣
١٣٦.	يعمد أحدكم إلى جمرة من النار	٨٦

فهرس الآثار

ت	طرف الأثر	الصفحة
١.	احذر صغار المحدثات	٢٤٨
٢.	إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه	٢٤٧
٣.	أفضل هذه الأمة أبرها قلوبا	٣٥٠
٤.	اقرأوا إن شئتم (فلا تعلم نفس)	٢٩٤
٥.	أما بعد: أوصيك بتقوى الله	٩٠
٦.	أما بعد:فإني أوصيك بتقوى الله	٤٠٣
٧.	أنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به	٢٣٠
٨.	إن عز وجل نظر في قلوب العباد	٣٤٧
٩.	إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه	١٠٦
١٠.	إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع	٨٥
١١.	أوصيك بتقوى الله	٩٠
١٢.	إياكم وأصحاب الرأي	٣٧٩
١٣.	تركنا محمد عليه السلام في أدناه وطرفه	٤٠٤
١٤.	تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه	٤٨٢
١٥.	خرجنا مع رسول الله إلى تبوك	١٦٢
١٦.	سن رسول الله وولاة الأمور من بعده	٣٢١
١٧.	عليكم بالاقتداء بالأثر والسنة	٤٠٢
١٨.	عليكم بالسبيل والسنة	٨٩
١٩.	قد أصبحتم على الفطرة وإنكم ستحدثون	٩٠
٢٠.	كان بين نوح وآدم عليهما السلام عشر	١٨٢
٢١.	كان الرجل يقوت أهله قوتا دونا	٢٣
٢٢.	كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله	٣٣٨
٢٣.	لا تزيدوا على مهور النساء	٣٣٨

٢٤. ما ابتدع قوم بدعة في دينهم ٢٤٨
٢٥. ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان ٣٨٩
٢٦. ما ذكر الله الهوى في موضع من كتاب الله ١٠٦
٢٧. مكث النبي عليه السلام عشر سنين ١٢٧
٢٨. من كان منكم مستنا فاليستن بمن ٩٠
٢٩. والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ٣٦٢
٣٠. يا معشر القراء استقيموا ٩٠

فهرس الأشعار

ت	البيت	م		القائل	الصفحة
١.	إن لـــــها قواســـــا وفرطا	#	ونقرة الحي ومرعي وسطـــا	ذكره ابن منظورغير منسوب	١٨
٢.	كأن عيني في غربي مقلة	#	من التواضع تسقى جنة سمقا	زهير بن أبي سلمى	١٣٦
٣.	أيام تدعونني الشيطان من غزلي	#	وهن يهوينني إذ كنت شيطانا	جرير بن عطية	١٠٢
٤.	إني أرى من لا حياء له	#	ولا أمانة وسط الناس عريانا	سوار بن المضرب	١٨
		ب			
٥.	وعارضتها رهوا على متتابع	#	نبيل القصيري خارجي محنب	طفيل بن عوف	٣٧
		ح			
٦.	لو كان مدحة حي منشرا أحدا	#	أحيا أباكن يا ليلى الأماديح	أبو ذؤيب الهذلي	١٦٠
		د			
٧.	أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي	#	عقيلة مال الفاحش المتشدد	طرفة بن العبد	٣٣
		ع			
٨.	سجية تلك منهم غير محدثة	#	إن الخلائق فاعلم شرها البدع	حسان بن ثابت	٢١٤
		ل			
٩.	هم وسط يرضى الأنام بحكمهم	#	إذا نزلت إحدى الليالي بمعضل	زهير بن أبي سلمى	٢١، ٢٦
		م			
١٠.	نؤمهم ونأبوهم جميعا	#	كما قد السيور من الأديم	ذكره أبن فارس غير منسوب	٤٢٩

فهرس المصطلحات والمفردات الغريبة

ت	الكلمة	الصفحة
١.	اتباع	٧
٢.	الاتباع	٤٦٧
٣.	الأب	٤٢٩
٤.	الآباء	٣٩
٥.	الإحسان	٢٣٢
٦.	الإخلاد	١٦٩
٧.	الأخلاق	٢١٤
٨.	الإرجاء	٢٦٥
٩.	الاستقامة	٢٧
١٠.	الاستكبار	٣٩
١١.	الاستنكاف	٣٩
١٢.	اسلوب	٦٣
١٣.	الاعراض	٣٩
١٤.	الافتراق	٢٤٥
١٥.	الافراط	٣٢
١٦.	الاقتداء	١٠
١٧.	الأكارين	٤٧٢
١٨.	الإلحاد	٢٥٢
١٩.	الأمر	٦٠
٢٠.	امعة	٣٣٩
٢١.	البأس	١٣٩
٢٢.	الباطل	٥٥
٢٣.	بثوا	٥٣٦

٢٤.	البدعة	٢٤٧
٢٥.	البر	٢٣٢
٢٦.	البشارة	٤٩٩
٢٧.	بطر الحق	٣٦٧
٢٨.	التأسي	٨
٢٩.	التزيين	٣٢٤
٣٠.	التشدد	٣٣
٣١.	التطرف	٣٠
٣٢.	تعالوا	٤٣٣
٣٣.	التفريط	٣٢
٣٤.	التقليد	١٢
٣٥.	التكفير	٥٠٧
٣٦.	التمكين	١٢٧
٣٧.	التنطع	٣٣، ٣٨٩
٣٨.	التهوك	١٩٣
٣٩.	التوسط	٢٢
٤٠.	التولي	٣٩
٤١.	الجفاء	٣٣
٤٢.	الجماعة	٢٤٧
٤٣.	الجنة	١٣٦
٤٤.	الجهل	٣٧٤
٤٥.	الحزن	١١٧، ٤٧٧
٤٦.	الحسد	٣٦٩
٤٧.	الحق	٥١
٤٨.	الحكمة	١٣٤

.٤٩	الحكم المؤول	٢٧١
.٥٠	الحكم البدل	٢٧١
.٥١	الحكم المنزل	٢٧١
.٥٢	خطوات	١٠٢
.٥٣	الخوف	١١٦، ٢٩١،
.٥٤	دسكرة	٤٦٢
.٥٥	الذريعة	٢٤٩
.٥٦	الذم	١٦٥
.٥٧	الرأفة	١٦٤
.٥٨	ربض	٢٢٠
.٥٩	الرحمة	١٦٤
.٦٠	رغب عن	٨٥
.٦١	الزقوم	١٥٥
.٦٢	السبيل	٣٩٧
.٦٣	السنة	٣٧٧
.٦٤	السوء	١٠٣
.٦٥	الشريعة	١٩٥
.٦٦	الشقاء	١٢١
.٦٧	الشهوات	٤٠٥
.٦٨	الشيطان	١٠٢
.٦٩	الصابىء	١١٨
.٧٠	الصد	٣٩
.٧١	الصدف	٣٩
.٧٢	الصفح	٣٩
.٧٣	ضبائر	٥٣٦

٧٤.	الضلال	١٢١
٧٥.	الضنك	١٤٣
٧٦.	الطاعة	١٤
٧٧.	الطمع	٢٩٤
٧٨.	الظن	٤١٣
٧٩.	العدل	٢٣٢
٨٠.	العذاب	١٤٩
٨١.	العرف	٢٢٨
٨٢.	العفو	١٣٠، ٢٢٨
٨٣.	العقيدة	١٧٩
٨٤.	العناد	٣٦٩
٨٥.	العنف	٣٤
٨٦.	العينة	٥٢٢
٨٧.	الغاوي	١٤٧
٨٨.	غدير خم	٢٦٤
٨٩.	الغفران	٥٠٧
٩٠.	الغلو	٣١، ٣٨٨
٩١.	غمط الناس	٣٦٧
٩٢.	الغي	٣٦٧
٩٣.	الفحشاء	١٠٣، ١٣٤
٩٤.	الفساد	٣٩٧
٩٥.	الفقر	١٣٤
٩٦.	الفلاح	٤٨٩
٩٧.	قراب الأرض	١٣٣
٩٨.	القن	٤٢١

.٩٩	القيلولة	١٤٦
.١٠٠	المانع	٣٤١
.١٠١	المتبوعون	٤٦٧
.١٠٢	المتشابه	٤١٩
.١٠٣	المتفيهق	٢١٩
.١٠٤	المحادة	٤٦
.١٠٥	المحبة	٢٩٦
.١٠٦	المحكم	٤٢٠
.١٠٧	المدح	١٦٠
.١٠٨	المراء	٢٢٠
.١٠٩	المرجل	١٥٥
.١١٠	المشاقة	٤٦
.١١١	المعارضة	٤٣
.١١٢	المعروف	٢٠٨
.١١٣	المغفرة	١٣٠
.١١٤	مقاصد الشريعة	٣٨٠
.١١٥	المنكر	٢٠٨
.١١٦	مهيمنا	٢٦٨
.١١٧	الميلاط	١٣٩
.١١٨	النصر	١٢٤، ٤٩٧
.١١٩	النهي	٦٠، ٩٣
.١٢٠	الهلاك	١٤٥
.١٢١	الهوى	١٠٦
.١٢٢	وجبه	١٥٥

.١٢٣	الوعد	١١٦
.١٢٤	الوعيد	١٤٢
.١٢٥	الوحي	٤٣٧
.١٢٦	الياسق	٤٤٠
.١٢٧	يستنبطونه	٣١١
.١٢٨		

فهرس الأعلام

ت	اسم العلم	الصفحة
١.	آدم عليه السلام	١٨١
٢.	الآمدي: علي بن الحسين	(٩)
٣.	إبراهيم عليه السلام	٨١
٤.	إبراهيم التيمي	٣٨٠
٥.	أبي ابن كعب	٨٩
٦.	ابن ألأثير:	٣٩٧
٧.	أحمد حداد	٢٠٥
٨.	أحمد بن حنبل	٤٠٢
٩.	إدوارد لامير	(٤٤٤)
١٠.	أسعد بن زرارة	(٣٠٢)
١١.	أشج عبد القيس	(٢٢١)
١٢.	الألوسي: محمد بن عبد الله الحسيني	٧٢،(٥٠٨)
١٣.	أمية بن أبي الصلت	١٦٨
١٤.	الأنباري:	٤١٤
١٥.	أنس بن مالك	(٨٥)، ١٥٥، ٢٣١
١٦.	أبوبكر الصديق	٣٥٩
١٧.	أبوبكر: محمد بن عبد الله	(٧١)
١٨.	البخاري: محمد بن اسماعيل	٤٢٥
١٩.	بلال بن رباح	(٩٧)
٢٠.	ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم	١١٣،(٢١٢)،٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٢.
٢١.	جبير بن مطعم	٣٠١

.٢٢	الجرجاني:	٤٢٩
.٢٣	أبوجهل:	٢٣٠، ٣٦٩
.٢٤	الحاكم النيسابوري	٤٠٢
.٢٥	حبيب بن مسري	٧٨
.٢٦	ابن حجر العسقلاني	١٧٥، ٤٨٤
.٢٧	حذيفة بن اليمان	(٨٥)
.٢٨	حذيفة ..	٩٠
.٢٩	حسان بن عطية المحاربي	(٢٤٨)
.٣٠	الحسن البصري	(٧٨)
.٣١	أبو الحسين البصري محمد بن علي	(٨)
.٣٢	حكيم بن معاوية	١٤٩
.٣٣	الخليل الفراهيدي	٤٢٩
.٣٤	الدارمي	٤٠٢
.٣٥	الدامغاني: الحسين بن محمد	(٦)
.٣٦	أبو داود السجستاني	٩٠
.٣٧	دحية بن خليفة الكلبي	(٤٦٢)
.٣٨	الراغب الصفهاني:الحسين بن محمد	(٩٨)
.٣٩	أبو رافع: الحكم بن عمرو	(٨٤)
.٤٠	ربيعة بن كعب الأسلمي	(٥١٤)
.٤١	الزجاج:اسحاق بن إبراهيم	(٢٢)، ٣٢، ٤٨٦
.٤٢	الزمخشري: محمود بن عمر	(٨١)
.٤٣	زهير بن ابي سلمى	(٢١)، ١٣٦
.٤٤	سعد بن أبي وقاص	٩٦، (٣٦٢)
.٤٥	سعد بن معاذ	٣٠٢
.٤٦	أبو سعيد الخدري	١٤٤

٤٧.	سعيد بن جبير	٤٢٥
٤٨.	السعدي: عبد الرحمن بن ناصر	(٨٠)، ٩٥
٤٩.	سفيان بن عبد الله الثقفي	(٣١٧)
٥٠.	سلمان الفارسي	(٣٥٦)
٥١.	سلمان بن يسار	٤٢٧
٥٢.	سمرة بن جندب	١٥٥
٥٣.	سهل بن عبد الله التستري	(٤٠٢)
٥٤.	سيد قطب	٢٩٩
٥٥.	السيوطي: عبد الرحمن	٤١٤
٥٦.	الشاطبي:إبراهيم بن موسى	٣٣٩، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٤٢١،
٥٧.	الشافعي: محمد بن إدريس	٤٠٨
٥٨.	الشعبي: عامر بن شرحبيل	(١٠٦)
٥٩.	صبيغ بن عسل	(٤٢٧)
٦٠.	صهيب بن سنان الرومي	(٣٥٩)
٦١.	عامر الراهب	١٦٨
٦٢.	ابن عاشور: محمد الطاهر	(٢٠)، ٩٨، ٣٩٨، ٣٩٩
٦٣.	أبو العالية: رفيع بن مهران	١٢٧
٦٤.	عبادة بن الصامت	١٣٩
٦٥.	عبد الله بن عباس	(٢٣)، ٨٦، ١٠٦، ١٢٢، ١٤٤، ١٨٢، ١٩٥، ٤٠١، ٤٢٥، ٤٨٢، ٥٠٧
٦٦.	عبد الحليم محمود	٤٤٤
٦٧.	عبد الرحمن بن سمرة	(٤٦١)

.٦٨	عبد الرحمن حسن الميداني	(٢٢٣)
.٦٩	عبد الله بن أم مكتوم	(٣٠٢)
.٧٠	عبد الله بن أبي	(٣٦١)
.٧١	عبد الله بن عبد الله بن أبي	(٣٦١)
.٧٢	عبد الله بن عمر	٨٥
.٧٣	عبد الله بن عمرو بن العاص	٤٢٣
.٧٤	عبد الله بن محمد بن بطة	(١٩٧)
.٧٥	عبد الله بن مسعود	٩٠، ١٤٤، ١٩١،(٢٣٣) ٤٠٢
.٧٦	عثمان بن عفان	٣٥٩
.٧٧	العرباض بن سارية	(٨٥)
.٧٨٠	ابن عطية:عبد الحق بن غالب الأندلسي	(٧١)، ١٠٧، ١٠٨
.٧٩	علي بن أبي طالب	١٤٤، ٢٣٠، ٣٨٠
.٨٠	عمر بن الخطاب	٨٤، ٨٥، ١٩٣، ٣٠٠، ٣٢٨، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٨٠، ٤٢٧،
.٨١	عمر بن عبد العزيز	٩٠، ٣٢١، ٤٠٣
.٨٢	الغزلي: محمد بن محمد	(٢١٥)
.٨٣	ابن فارس: أحمد بن فارس	(١٠١)، ١٩، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ١٠٦، ١٧٩، ٢١٤، ٤١٣،
.٨٤	فاطمة بنت الخطاب	(٣٠٠)
.٨٥	قتادة بن دعامة	١٤٤، ١٩٥
.٨٦	القرطبي: محمد بن أحمد	(٢٤)، ٧١، ٥٠٧

٨٧.	ابن القيم: محمد بن أبي بكر	(١٢)، ٧٩، ٩١،
٨٨.		١٦٨، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٧، ٢٨٧، ٣٦٧، ٣٨٩، ٤١٠، ٤٤١، ٤٥٤، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٧، ٥٠٨، ٥١١،
٨٩.	ابن كثير الدمشقي:	(٦٤)، ٩٧، ١٠٤ن ١٤٣، ١٤٥، ١٦٣، ٣٢٠، ٣٢١، ٤٠٨، ٤١٥، ٤٤٠ن ٤٧٨، ٥٠٤
٩٠.	الليث بن سعد	٤١١
٩١.	ابن ماجة القزويني	٤٠٢
٩٢.	مجاهد بن جبر	٤٠١
٩٣.	محمد بن جرير الطبري	(٢٢)، ٢٦، ٨١ن ١٢٧، ١٨٨، ٢٢٧، ٢٢٩، ٣٧٥، ٥٠٧، ٥٣٠،
٩٤.	محمد بن الحسنالآجري	(١٩٧)
٩٥.	محمد بن عبد الله العربي	(٤٤٤)
٩٦.	ابن مردويه	٤٢٣
٩٧.	ابن مسكويه: أحمد بن محمد	(٢١٥)
٩٨.	معاذ بن جبل	٢١١
٩٩.	مصعب بن عمير	(٣٠٢)
١٠٠.	موسى عليه السلام	٨٢، ٨٩
١٠١.	أبي موسى: عبد الله بن قيس	(٨٤)
١٠٢.	النعمان بن بشير	١٣٣، ١٥٥

١٠٣.	نعيم بن حماد	(٢٤٧)
١٠٤.	نعيم بن عبد الله	(٣٠٠)
١٠٥.	نوح عليه السلام	١٨٢
١٠٦.	النيسابوري: الحسن بن محمد الحسين	(٥٠٧)
١٠٧.	هارون عليه السلام	٨٢
١٠٨.	أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر	(٨٤)ن ١٤٣، ١٥٤،
١٠٩.	الوليد بن المغيرة	٣٠١

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبداع في مضار الابتداع، علي محفوظ، دار الاعتصام، دون ط ولا تاريخ.
٢- الاتباع والمتبوعين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار المنار، الأردن، ط١ سنة ١٤١٧هـ.
٣- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١ سنة ١٣٩٢هـ.
٤- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن علي بن محمد الآمدي، تحقيق عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٤٠٢هـ.
٥- أحكام القرآن، أبوبكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ سنة ١٤٠٨هـ.
٦- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، مطبعة دار الشعب، القاهرة، دون ط ولا تاريخ.
٧- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١ سنة ١٣٩٩هـ.
٨- أخلاق النبي عليه السلام في القرآن والسنة، أحمد بن عبد العزيز الحداد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ سنة ١٩٩٦م.
٩- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان الفوزان، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ١ سنة ١٤١٠هـ.
١٠- الأركان الأربعة، أبو الحسن علي بن الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، ط ٤ سنة ١٣٩٨هـ.
١١- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ سنة ١٤١٩هـ.
١٢- الأساس في التفسير، سعيد حوي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢ سنة ١٤٠٩.

١٣- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، حمد بن ناصر العمار، مركز الدراسات والأعلام، دار أشبيليا، الرياض، ط٣ سنة ١٤١٨هـ.
١٤- أسباب المغفرة، الحافظ بن رجب الحنبلي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، دون ط ولا تاريخ.
١٥- أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، مكتبة المتنبئ، القاهرة، دون ط ولا تاريخ.
١٦- أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن، سعيد محمد بابا، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١ سنة ١٤٢٠هـ.
١٧- الاستقامة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١ سنة ١٤٠٣هـ.
١٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرون، مطبعة الشعب.
١٩- الإسلام وأوضاعنا القانونية، عبد القادر عودة، دار القرآن الكريم، ط٢ سنة ١٣٩٧هـ.
٢٠- الإسلام وموقفه من العنف والتطرف والإرهاب، منصور رفاعي عبيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون تاريخ.
٢١- الأسلوب، محمد كامل أحمد، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٢ سنة ١٩٦٣م.
٢٢- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط٧ سنة ١٣٩٦هـ.
٢٣- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط٣ سنة ١٤١٢هـ.
٢٤- الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة، مصر ط١ سنة ١٣٢٨هـ.
٢٥- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، الحسين بن محمد الدامغاني، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣ سنة ١٤٠٠هـ.

٢٦- الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح العثيمين، دار طيبة، الرياض، ط١ سنة ١٤٠٤هـ.

٢٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

٢٨- الإعتدال في التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً، محمد الزحيلي، اليمامة للطباعة، دمشق، ط٣ سنة ١٤١٣هـ.

٢٩- الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، دون ط ولا تاريخ.

٣٠- الإعلام العلية في مناقب ابن تيمية، عمر البزار، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ.

٣١- الإعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥ سنة ١٩٨٠م.

٣٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، دون ط ولا تاريخ.

٣٣- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، دون ط ولا تاريخ.

٣٤- الافتراق، ناصر عبد الكريم العقل، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى.

٣٥- أفعال العباد في القرآن، عبد العزيز المجذوب، الدار العربية للكتاب، بيروت، طبعة سنة ١٩٨٣م.

٣٦- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية، ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض ط٤ سنة ١٤١٤هـ.

٣٧- الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٧ سنة ١٤٠١هـ.

٣٨- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، يسري السيد محمد، دار ابن

الجوزي، الدمام ط١ ينة ١٤١٤هـ.
٣٩- البداية والنهاية، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق عبد الله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر، ط١ سنة ١٤١٨هـ.
٤٠- البدعة وأثرها السيئ في الأمة، سليم بن عيد الهلالي، دار الهجرة، الدمام، ط٣ سنة ١٤٠٩هـ.
٤١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق عبد السلام الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت دون ط ولا تاريخ.
٤٢- البطلان ضابطه وتطبيقاته، محمد سليمان المنيعي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
٤٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، دون ط ولا تاريخ
٤٤- البيان في مداخل الشيطان، عبد الحميد البلالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، سنة ١٤١٠هـ.
٤٥- بيان مذاهب الباطنية وبطلانه، محمد الحسن الديلمي، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، دون ط، ولا تاريخ.
٤٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مكتبة الحياة، لبنان، بيروت.
٤٧- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٣، سنة ١٤١١هـ.
٤٨- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت دون ط، ولا تاريخ.
٤٩- تاريخ الفقه الإسلامي، عبد الودود السريتي، دار النهضة العربية، بيروت، سنة ١٩٩٣هـ.
٥٠- تاريخ الفقه الإسلامي، عمر سليمان الأشقر،مكتبة الفلاح، الكويت، ط٢،

سنة ١٤١٠هـ.

٥١- تأملات في فلسفة الأخلاق، منصور بن رجب، الطبعة الثالثة سنة، ١٩٦١م

٥٢- تأملات مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار التراث، القاهرة، ط٢ ، سنة ١٣٩٣هـ.

٥٣- تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها، السيد نعمان الندوي، الطبعة السلفية مصر، القاهرة، سنة ١٣٧٧هـ.

٥٤- التخويف من النار والتعريف بدار القرار، ابن رجب الحنبلي، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الندوة الجديدة، بيروت، دون ط ولا تاريخ.

٥٥- تذكرة الحفاظ، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار التراث العربي، بيروت، دون ط ولا تاريخ.

٥٦- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهر أحمد الرازي، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٠هـ.

٥٧- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق محي الدين مستوا وآخرون، دار ابن كثير بيروت، ط٢، سنة ١٤١٧هـ.

٥٨- التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، الطبعة الخامسة، دون تاريخ.

٥٩- التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع، حسين عبد الحميد رشوان، دار المعرفة الجامعية، قنال السويس، طبعة سنة ١٩٩٧هـ.

٦٠- التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢ ، سنة ١٤١٣هـ.

٦١- تفسير أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون ط ولا تاريخ.

٦٢- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ط٣، سنة ١٤٠٣هـ.

٦٣- تفسير البغوي ((معالم التنزيل)) أبو محمد الحسين بن سعود البغوي، تحقيق

محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسلمان الحرش، دار طيبة للنشر، الرياض، ط٢، سنة ١٤١٤هـ.

٦٤- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس،طبعة سنة ١٩٨٤هـ.

٦٥- تفسير سورة النور، محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي، دار المجتمع للنشر، جدة، ط١، سنة ١٤١٠هـ.

٦٦- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، الناشر أخبار اليوم القاهرة دون ط ولا تاريخ.

٦٧- تفسير القاسمي: المسمى محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٥هـ.

٦٨- تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، دون تاريخ.

٦٩- تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار الفيحاء، دمشق، ودار السلام، الرياض، ط١، سنة ١٤١٤هـ.

٧٠- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، دون ط، ولا تاريخ.

٧١- تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، لمحمد علي طه الدرة، دار الحكمة، دمشق، دون ط، ولا تاريخ.

٧٢- التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمع محمد بن أويس الندوي، دار الفكر، بيروت، طبعة سنة ١٤٠٨هـ.

٧٣- التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيبن للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١١هـ.

٧٤- التفسير الكبير للإمام ابن تيمية جمع وتحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٨هـ.

٧٥- التفسير الواضح، لمحمود محمد حجازي، دار الجيل، القاهرة، ط٤، سنة

١٣٨٨هـ.

٧٦- التفسير الوجيز مع معجم معاني القرآن وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢، سنة ١٤١٧هـ.

٧٧- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١، سنة ١٤٠٨هـ.

٧٨- تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق أبو الأشبال صغير بن أحمد الباكستاني،دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط١، سنة ١٤١٦هـ.

٧٩- التقليد في الشريعة الإسلامية عبد الله عمر محمد الشنقيطي، دار البخاري للنشر، المدينة المنورة، ط١، سنة ١٤١٤هـ.

٨٠- التقليد وأحكامه، سعيد بن ناصر الشتري، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، سنة ١٤١٦هـ.

٨١- التقليد والإفتاء والاستفتاء، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، دار طيبة للنشر، الرياض، ط١، سنة ١٤١٣هـ.

٨٢- التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ناصر بن عبد الكريم العقل، دار المسلم، الرياض، ط٢، سنة ١٤١٤هـ.

٨٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام أبي عمر يوسف ابن عبد البرالنمري القرطبي،طبعة وزارة الأوقاف الإسلامية ، المغرب.

٨٤- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، أبو الحسن علي بن محمد الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٣٩٩هـ.

٨٥- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لأحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠١هـ.

٨٦- تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل، لعبد القادر شيبة الحمد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، دون ط ولا تاريخ.

٨٧- تهذيب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس

دائرة المعارف النظامية، الهند طبعة سنة ١٣٢٥هـ.

٨٨- تهذيب مدارج السالكين للإمام ابن القيم الجوزية، هذبه عبد المنعم بن صالح العلي العزي، وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف، دولة الإمارات دون ط، ولا تاريخ.

٨٩- التوبة في ضوء القرآن الكريم، آمال بنت صالح نصير، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، سنة ١٤١٩هـ.

٩٠- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد بن عبد الرأوف المناوي، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، طبعة سنة ١٤١٠هـ.

٩١- التوهم، للحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق محمد الخشت، مكتبة القرآن، دون ط، ولا تاريخ.

٩٢- تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، لمحمد نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة سنة ١٤١٠هـ.

٩٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، سنة ١٤١٧هـ.

٩٤- جامع بيان العلم وفضله، للإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون ط، ولا تاريخ.

٩٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف، مصر، دون ط، ولا تاريخ.

٩٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري،دار الفكر، بيروت، طبعة سنة ١٤٠٨هـ.

٩٧- جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن عبد الرحمن الإيجي الشافعي، دار نشر الكتب العلمية، باكستان، ط٢، سنة ١٣٩٧هـ.

٩٨- الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون ط، ولا تاريخ،

٩٩- الجامع لأحكام القرآن لأي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي، دون ط، ولا تاريخ.

١٠٠- الجنة في القرآن الكريم ، سليمان بن حسن رطروط، مكتبة المنار، الأردن، ط١، سنة ١٤١٠هـ.

١٠١- الجهاد طريق النصر، عبدالله غوشه، وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية، طبعة ١٣٩٦هـ.

١٠٢- حاشية بن عابدين لابن عابدين، المطبعة الأميرية، القاهرة، الطبعة الثالثة.

١٠٣- الحكم بغير ما أنزل الله، محمد بن محمد الأنصاري، مطبعة سفير، الرياض، ط١ سنة ١٤١٨هـ.

١٠٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، دون ط ولا تاريخ.

١٠٥- الحوار في القرآن، محمد حسين فضل الله، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط٣ سنة ١٤٠٥هـ.

١٠٦- حياة آسيا بنت مزاحم، محمود شلبي، دار الجيل، بيروت، ط٢ سنة ١٤١٢ هـ.

١٠٧- خصائص الشريعة الإسلامية، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ومكتبة الفلاح، ط٣ سنة ١٤١٢هـ.

١٠٨- خصائص القرآن، فهد بن عبد الرحمن الرومي، دون ناشر، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٩هـ.

١٠٩- الخلافة الإسلامية، محمد سعيد العشماوي، دار سيناء، القاهرة، ط٢ سنة ١٩٩٢م.

١١٠- خلق المسلم، محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٨ سنة ١٣٩٤ هـ.

١١١- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١ سنة ١٤٠١ هـ.

١١٢- دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ناصر بن عبد الكريم العقل، مركز الدراسات دار أشبيليا، ط١ سنة ١٤١٨هـ.

١١٣-دراسات في علوم القرآن، فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، ط٧ سنة ١٤١٩هـ.

١١٤-دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة، عادل بن علي الشدي، رسالة علمية ماجستير قدمت إلى جامعة الملك سعود قسم الثقافة الإسلامية كلية التربية غير منشورة.

١١٥-دراسة وموازنة الوجوه والنظائر في القرآن، سليمان بن صالح القرعاوي، مطابع الشاطئ، الدمام، ط١ سنة ١٤٢٠هـ.

١١٦-دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبدالله دراز، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤ سنة ١٤٠٢هـ.

١١٧-دعوة الخلق للرجوع إلى الحق، محمد بن عبد الله الوائلي، دار طيبة للنشر، الرياض، ط١ سنة ١٤١٨هـ.

١١٨-دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبدالمعطي قلعه، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١ سنة ١٤٠٨هـ.

١١٩-دليل الفالحين شرح رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي المالكي، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، دون تاريخ.

١٢٠-ديوان أبي ذؤيب الهزلي، شرح سوهام المصري، المكتب الإسلامي بيروت، ط١ سنة ١٤١٩هـ.

١٢١-ديوان جرير، شرح يوسف عبيد، دار الجيل بيروت، ط١ سنة ١٤١٣هـ.

١٢٢-ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر بيروت، طبعة ١٩٧٤م.

١٢٣-ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت، دون ط ولا تاريخ.

١٢٤-ديوان طرفة بن العبد،تحقيق لطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، سنة ١٣٩٥هـ.

١٢٥-ديوان طفيل الغنوي، تحقيق عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، ط١ سنة ١٩٦٨م.

١٢٦- الذرائع والحيل في الشريعة، صالح بن سعود آل علي، رسالة علمية ماجستير قدمت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، غير منشورة.
١٢٧- الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٠٠هـ.
١٢٨- ذم الهوى، الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، بيروت ط١ سنة ١٣٨١هـ.
١٢٩- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الكتاب والسنة، باكستان ط١ سنة ١٤١٧هـ.
١٣٠- الرسالة التدمرية، عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، مطبعة السنة المحمدية، ط١ سنة ١٣٧١هـ.
١٣١- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، محمد بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار الفكر، بيروت، طبعة سنة ١٣٩٨هـ.
١٣٢- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، زيد بن عبد العزيز الفياض، مطابع الرياض، الرياض، ط١ سنة ١٣٧٨هـ.
١٣٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط١٣ سنة ١٤٠٦هـ.
١٣٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض طبعة منقحة سنة ١٤١٥هـ.
١٣٥- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، إشراف وإخراج شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤ سنة ١٤٠٦ هـ.
١٣٦- السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، محمد ابراهيم شقرة، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ سنة
١٣٧- سنة الله في عقاب الأمم في القرآن، عبد السلام نصر الله الشريف، دار المعراج، الرياض، ط١ سنة ١٤١٥هـ.

١٣٨-سنن ابن ماجه، أبوعبدالله محمد بن تريد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر العربي.
١٣٩-سنن أبي داود للإمام أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني، مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون ط ولا تاريخ.
١٤٠-سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح للأمام عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة ١٤٠٠هـ.
١٤١-سنن النسائي مع شرح الحافظ السيوطي للإمام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٤٢-الشرائع السابقة ومدى حجيتها في الشريعة الإسلامية، عبدالرحمن عبدالله الدرويش، طبعة سنة ١٤١٠هـ.
١٤٣-شرح حديث ما ذئبان جائعان، ابن رجب الحنبلي، الدار السلفية، الكويت، دون طبعة ولا تاريخ.
١٤٤-شرح السنة للإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١ سنة ١٣٩٠هـ.
١٤٥-شرح صحيح مسلم
١٤٦-شرح العقيدة الطحاوية، أبوجعفر أحمد بن محمد الطحاوي، المكتب الإسلامي، بيروت ط٤ سنة ١٣٩١هـ.
١٤٧-شرح الكوكب المنير، ابن تجار الفتوحي، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى مكة المكرمة.
١٤٨-الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، مطبعة أنصار السنة المحمدية، دون طبعة ولا تاريخ.
١٤٩-الشريعة الإسلامية، بدران أبوالعينين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دون طبعة ولا تاريخ.
١٥٠-الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الكتاب العربي،

بيروت، دون ط ولا تاريخ.
١٥١- الشهوة، محمد الجمل، دار البشير، القاهرة، ط١ سنة ١٩٨٤م.
١٥٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، دون ط ولا تاريخ.
١٥٣- الصحابة في القرآن، عبدالكريم النملة، الطبعة الثانية، دون ناشر ولا تاريخ.
١٥٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ سنة ١٣٧٦هـ.
١٥٥- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، يوسف القرضاوي، كتاب الأمة، قطر، الطبعة الأولى.
١٥٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢ سنة ١٤٠٦.
١٥٧- صحيح مسلم، للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق فؤاد عبدالباقي، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، طبعة ١٤٠٠هـ.
١٥٨- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤ سنة ١٤٠٢هـ.
١٥٩- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، ط١ سنة ١٤٠٨هـ.
١٦٠- ضعيف الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق، ط٢ سنة ١٣٩٩هـ.
١٦١- الضوء المنير على التفسير (جمع تفسير ابن القيم) علي الحمد الصالحي، مؤسسة النور للطباعة، السعودية، عنيزة، الطبعة الأولى.
١٦٢- الطاعة وأنواعها في القرآن، رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ولم تنشر.
١٦٣- طبقات الحنابلة، للقاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، مطبعة السنة

المحمدية، طبعة سنة ١٣٧١هـ.
١٦٤- طبقات المفسرين، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ سنة ١٤٠٣هـ.
١٦٥- طبقات المفسرين، الداوودي، طبعة الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٠٣هـ.
١٦٦- عبودية الكائنات لرب العالمين، فريد إسماعيل التوني، مكتبة الضياء، جدة، ط١ سنة ١٤١٣هـ.
١٦٧- العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكلة الميداني، دار القلم دمشق، وبيروت ط٦ سنة ١٤١٢هـ.
١٦٨- عقيدة التوحيد في القرآن، محمد أحمد مكاوي.
١٦٩- العقيدة النظامية، أحمد حجازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة سنة ١٣٩٨هـ.
١٧٠- العقيدة الواسطية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق محمد خليل هراس، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
١٧١- العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعدالدين السيد صالح، مكتبة الصحابة، جدة، ط٢ سنة ١٤١٦هـ.
١٧٢- العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام، سامي عفيفي حجازي، رسالة علمية غير منشورة قدمت إلى جامعة الأزهر عام ١٤٠٣هـ.
١٧٣- علوم القرآن، عدنان زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١ سنة ١٤٠١ هـ.
١٧٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق إبراهيم عطوة أحمد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١ سنة ١٣٨١ هـ.
١٧٥- الغلو، علي بن عبد العزيز الشبل، دار الوطن، الرياض، ط١ سنة ١٤١٧ هـ.
١٧٦- غلو الأمم في معظميها وأثره على الطوائف الإسلامية، ثامر بن ناصر الغشيان، رسالة علمية ماجستير قدمت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية عام ١٤١٥هـ غير منشورة.

١٧٧- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٤ سنة ١٤١٧هـ.

١٧٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي وتصحيح محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت دون تاريخ.

١٧٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد علي الشوكاني، دار الخير للطباعة والنشر، بيروت، ط١ سنة ١٤١٢هـ.

١٨٠- الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط٤ سنة ١٤٠٠هـ.

١٨١- الفوائد، الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار النفائس، بيروت، ط ٧ سنة ١٤٠٦هـ.

١٨٢- فوائد معرفة البدع، محمد حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١ سنة ١٤١٩هـ.

١٨٣- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت والقاهرة، الطبعة الشرعية ١٢، سنة ١٤٠٦هـ.

١٨٤- في منهجية الإقتداء، عمر عبيد حسنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١ سنة ١٤١٧هـ.

١٨٥- القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروزآبادي، نشر دار الجيل، بيروت، دون تاريخ.

١٨٦- القرآن شريعة المجتمع، عبدالله بن زيد أبو عمر، المنشأة العامة للنشر، ليبيا، طرابلس، ط١ سنة ١٣٩٣هـ.

١٨٧- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار النشر الدولي، الرياض، ط١ سنة ١٤١٤هـ.

١٨٨- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عبد العزيزبن عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت دون ط ولا تاريخ.

١٨٩- القواعد الحسان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف، طبعة سنة ١٤٠٠هـ.

١٩٠- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط١ سنة ١٤١٥هـ.

١٩١- قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية، لابن جزي المالكي، دار العلم للملايين، بيروت، دون ط ولا تاريخ.

١٩٢- كتاب التبصرة في القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، الدار السلفية، ط١ سنة ١٤٢٠هـ.

١٩٣- كتاب المعتمد في أصول الفقه، أبو الحسين محمد البصيري، تحقيق محمد حميد الله وآخرون، نشر المعهد العلمي دمشق سنة ١٣٨٤هـ.

١٩٤- كشاف اصطلاحات الفنون للتهاوني، المؤسسة المصرية العامة للكتاب دون ط ولا تاريخ.

١٩٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الريان للتراث، القاهرة، ط٣ سنة ١٤٠٧هـ.

١٩٦- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢ سنة ١٤٠٤هـ.

١٩٧- كلمة الحق في القرآن الكريم، محمد بن عبدالرحمن الراوي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، سنة ١٤٠٩هـ.

١٩٨- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١ سنة ١٤١٢هـ.

١٩٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ.

٢٠٠- ما جاء في البدع، محمد بن وضاح القرطبي، دار الصميعي للنشر، الرياض، ط١ سنة ١٤١٦هـ.

٢٠١-مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى.
٢٠٢-مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧ سنة ١٤٠٠هـ.
٢٠٣-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، إلحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، دون ط ولا تاريخ.
٢٠٤-مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد القاسم، طبعة الرئاسة العامة لشئون الحرمين، مكة دون تاريخ.
٢٠٥-محبة الرسول عليه السلام بين الاتباع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان، مكتبة الضياء، جدة، ط١ سنة ١٤١٢هـ.
٢٠٦-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرون، طبعة أمير قطر خليفة بن حمد آل ثاني، ط١ سنة ١٤٠٢هـ.
٢٠٧-محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد، نشر دار المنار، القاهرة، ط٥ سنة ١٤٠٥هـ.
٢٠٨-مختصر تفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي، اختصار بن أحمد الزيد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١ سنة ١٤١٦هـ.
٢٠٩-مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، الإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الندوة الجديدة، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ.
٢١٠-مختصر العين، أبوبكر الزبيدي، عالم الكتب، بيروت، ط١ سنة ١٤١٧هـ.
٢١١-مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٣٩٢هـ.
٢١٢-مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مطبعة السنة المحمدية، طبعة سنة ١٣٧٥هـ.

٢١٣- المدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة، عابد توفيق الهاشمي، دار الفرقان، عمان، سنة ١٤٠٢هـ.

٢١٤- المدخل للفقه الإسلامي، عبدالله الدرعان، مكتبة التوبة، الرياض، ط١ سنة ١٤١٣هـ.

٢١٥- مدخل لدراسة العقيدة، عثمان جمعة ضميرية، مكتبة السواري، جدة، ط١ سنة ١٤١٤هـ.

٢١٦- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١ سنة ١٤٠٣هـ.

٢١٧- المرأة المسلمة المعاصرة، أحمد محمد أبابطين، دار عالم الكتب للنشر، الرياض، ط٢ سنة ١٤١٢هـ.

٢١٨- مسلموا أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، محمد بن عبدالله السحيم.

٢١٩- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر العربي، بيروت، دون ط ولا تاريخ.

٢٢٠- مسند أبو يعلي الموصلي، الحافظ أحمد بن علي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١ سنة ١٤٠٩هـ.

٢٢١- مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط٣ سنة ١٤٠٥هـ.

٢٢٢- مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر الأسباب-الآثار-العلاج، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الناشر المؤلف نفسه، ط١ سنة ١٤١٩هـ.

٢٢٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي.

٢٢٤- المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد محمد المصلح، مكتبة الضياء، جدة، ط٢ سنة ١٤١٠هـ.

٢٢٥- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج، تحقيق عبده الحبيشي شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١ سنة ١٤٠٨هـ.

٢٢٦- المعجم الكبير، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة التوعية

الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٢٢٧-معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي وحامد قنبي.

٢٢٨-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول تركيا، طبعة سنة ١٩٨٢م.

٢٢٩-المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم، محمد بسام رشدي، دار الفكر، بيروت ودمشق، ط١ سنة ١٤١٦هـ.

٢٣٠-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط١ سنة ١٣٦٦هـ.

٢٣١-المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وعبدالحليم منتصر وعطيه الصوالحي ومحمد خلف الله، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول، تركيا، دون ط ولا تاريخ.

٢٣٢-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، توزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، دون ط ولا تاريخ.

٢٣٣-مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، ط١ سنة ١٤١٢هـ.

٢٣٤-مقاصد الشريعة، محمد الطاهر عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط٢ سنة ١٤٠٨هـ.

٢٣٥-مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفارسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٥ سنة ١٤١٣هـ.

٢٣٦-مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢ سنة ١٣٨٩هـ.

٢٣٧-مقومات النصر في بدر وفتح مكة، محمد فهمي عبدالوهاب، دار الاعتصام، دون ط ولا تاريخ.

٢٣٨-ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، عدنان النحوي، دار الإصلاح، الدمام، دون ط ولا تاريخ.

٢٣٩- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الفكر، دون طبعة ولا تاريخ.
٢٤٠- المنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة لهبة الله اللالكائي، اختصار محمود بن منصور، مكتبة الصحابة، جدة، ط١ سنة ١٤١٥هـ.
٢٤١- المنهاج الإسلامي، هاشم محمد علي، دار الثقافة، الدوحة، دون ط ولا تاريخ.
٢٤٢- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، مكتبة دار العربية، القاهرة، دون ط ولا تاريخ.
٢٤٣- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان بن علي بن حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣ سنة ١٤١٥هـ.
٢٤٤- منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله، أحمد بن عبدالعزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط١ سنة ١٤١٩هـ.
٢٤٥- المنهج الفريد في الاجتهاد والتقليد، وميض بن رمزي العمري، دار النفائس، الأردن، ط١ سنة ١٤١٩هـ.
٢٤٦- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ سنة ١٤١١هـ.
٢٤٧- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢ سنة ١٣٩٥.
٢٤٨- الموجز في تحصيل السؤال وتخليص المقال في الرد على أهل الخلاف، عمار طالبي، الشركة الوطنية، الجزائر، طبعة ١٣٩٠هـ.
٢٤٩- موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت، ط١ سنة ١٤٠١هـ.
٢٥٠- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط٢ سنة ١٤٠٧هـ.
٢٥١- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه

وسلم، إعداد مجموعة من العلماء المختصين بإشراف صالح بن حميد.
٢٥٢- الموسوعة الميسرة في الإديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٣ سنة ١٤١٨هـ.
٢٥٣- الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٢٥٤- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسبي الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٥ سنة ١٤٠٢هـ.
٢٥٥- نعيم الجنة في القرآن والسنة، عبداللطيف عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة، دون تاريخ.
٢٥٦- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، علي بن محمد الماوردي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دون ط ولا تاريخ.
٢٥٧- نواقض الإيمان القولية والعملية، عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، دار الوطن، الرياض، ط١، سنة ١٤١٤هـ.
٢٥٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، دون تاريخ.
٢٥٩- الهداية في القرآن الكريم، العباس بن حسين الحازمي، رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، عام ١٤١٧هـ.
٢٦٠- وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، جمال أحمد بشير بادي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، سنة ١٤١٢هـ.
٢٦١- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة وموازنة، سليمان بن صالح القرعاوي،
٢٦٢- وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم محمد، دار الراية، الرياض، ط ١، سنة ١٤١٥هـ.
٢٦٣- الوسطية في الإسلام، زيد بن عبد الكريم الزيد، دار العاصمة، الرياض، دون تاريخ

٢٦٤- الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ناصر بن سليمان العمر،دار الوطن للنشر، الرياض، ط١ سنة١٤١٣هـ.

٢٦٥- الوسطية في أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، المطبعة العلمية، دمشق، ط٢، سنة ١٣٨٨هـ.

٢٦٦- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، دون ط.

٢٦٧- المجلات

٢٦٨- مجلة البيان، مجلة إسلامية شهرية جامعة تصدر عن المنتدى الإسلامي، لندن، العدد ٤٨، شعبان ١٤١٢هـ والعدد٥٤،صفر، ١٤١٣هـ.

٢٦٩- مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد١١، سنة ١٤٠١هـ.

فهرس الموضوعات

المقدمة أ – س
التمهيد ع – ف
الباب الأول دلالات الاتباع وتوابعه وتحته أربعة فصول. ٢
الفصل الأول : الدلالات اللغوية والاصطلاحية للاتباع وتحته مبحثان. ٣
المبحث الأول: الدلالات اللغوية للاتبـــــاع ٤
المبحث الثاني: الدلالات الاصطلاحية للاتبـــــاع ٧
الفصل الثاني : الدلالات اللغوية والاصطلاحية للتوسط والتطرف وتحته أربعة مباحث ١٧
المبحث الأول: الدلالات اللغوية للتوسط ١٨
المبحث الثاني الاصطلاحية للتوسط ٢٢
المبحث الثالث: الدلالات اللغوية للتطرف ٢٩
المبحث الرابع: الدلالات الاصطلاحية للتطرف ٣٠
الفصل الثالث الدلالات اللغوية والاصطلاحية للإعراض والمعارضة وتحته أربعة مباحث ٣٥
المبحث الأول: الدلالات اللغوية للإعراض ٣٧
المبحث الثاني الدلالات الاصطلاحية للإعراض ٣٩
المبحث الثالث: الدلالات اللغوية للمعارضة ٤٢
المبحث الرابع الدلالات الاصطلاحية للمعارضة ٤٣
الفصل الرابع : الدلالات اللغوية والاصطلاحية للحق والباطل وتحته أربعة مباحث ٤٧
المبحث الأول: الدلالات اللغوية للحق ٤٩
المبحث الثاني الدلالات الاصطلاحية للحق ٥١
المبحث الثالث: الدلالات اللغوية للباطل ٥٣
المبحث الرابع الدلالات الاصطلاحية للباطل ٥٥
الباب الثاني:أساليب القرآن في بيان الاتباع بين التوسط والتطرف وتحته ثلاثة فصول ٥٧
بين يدي الباب ٥٧
الفصل الأول : أسلوب الأمر والنهي وتحته مبحثان ٥٩
المبحث الأول:أسلوب الأمر بالاتباع للحق وتحته خمسة مطالب ٦١
المطلب الأول : مفهوم الأسلوب في اللغة والاصطلاح ٦٢

المطلب الثاني : الأمر من الله لرسوله ﷺ باتباع المنزل إليه ٦٤
المطلب الثالث : الأمر من الله لكافة المكلفين باتباع الحق واتباع من جاء به ٦٨
المطلب الرابع:الأمر من الرسول إلى جميع الناس باتباع ما جاءهم به ٧٨
المطلب الخامس : الأمر من المصلحين والدعاة إلى الناس باتباع الرسل واتباع ماجاءوا به ٨٧
المبحث الثاني:أسلوب النهي عن الاتباع للباطل وتحته أربعة مطالب ٩٢
المطلب الأول : النهي من الله لرسوله عن اتباع الباطل. ٩٣
المطلب الثاني : النهي من الله للمكلفين عن اتباع الباطـــل. ١٠٠
المطلب الثالث : النهي عن اتباع خطوات الشيطـــان. ١٠٢
المطلب الرابع : النهي عن اتباع الهـــوى. ١٠٦
الفصل الثاني:أسلوب الوعد والوعيد وتحته مبحثان ١١٢
مدخل الفصل ١١٣
المبحث الأول : أسلوب الوعد بالمثوبة على الاتباع للحـق وتحته خمسة مطالب ١١٥
المطلب الأول : الوعد بنفي الخوف والحزن عن المتبع ١١٦
المطلب الثاني : الوعد بنفي الضلال والشقاء عن المتبع ١٢١
المطلب الثالث : الوعد بالنصر ١٢٤
المطلب الرابع : الوعد بالمغفرة ١٣٠
المطلب الخامس : الوعد بالجنة ١٣٦
المبحث الثاني : أسلوب الوعيد بالعقوبة على الاتباع للباطل وتحته أربعة مطالب ١٤١
المطلب الأول : الوعيد بالمعيشة الضنك ١٤٣
المطلب الثاني : الوعيد بالهلاك في الدنيا ١٤٥
المطلب الثالث : الوعيد بالعذاب في الآخرة ١٤٩
المطلب الرابع : الوعيد بالنار في الآخرة ١٥٣
الفصل الثالث: أسلوب المدح والذم وتحته مبحثان ١٥٧
مدخل الفصل ١٥٨
المبحث الأول : أسلوب المدح للمتصفين بالاتباع للحق ١٦٠
المبحث الثاني : أسلوب الذم للمتصفين بالاتباع للباطل ١٦٥

الباب الثالث مجالات الاتباع وتحته فصلان ١٧٣
الفصل الأول :مجالات الاتباع للحق في العقيدة والشريعة والأخلاق وتحته ثلاثة مباحث ١٧٤
مدخل الفصل ١٧٥
المبحث الأول : مجالات الاتباع للحق في العقيدة وتحته أربعة مطالب ١٧٨
المطلب الأول : تعريف العقيـــــــــدة ١٧٩
المطلب الثانى : أهمية العقيـــــــــدة ١٨١
المطلب الثالث : موضوعات العقيـــــــدة ١٨٤
المطلب الرابع : آيات الاتباع في العقيـــدة ١٨٧
المبحث الثاني : مجالات الاتباع للحق في الشريعة وتحته أربعة مطالب ١٩٤
المطلب الأول : تعريف الشريعـــــــة ١٩٥
المطلب الثاني : أهمية الشريعـــــــة ١٩٨
المطلب الثالث : موضوعات الشريعـــة ٢٠١
المطلب الرابع : آيات الاتباع في الشريعة ٢٠٥
المبحث الثالث : مجالات الاتباع للحق في الأخلاق وتحته أربعة مطالب ٢١٣
المطلب الأول: تعريف الأخلاق ٢١٤
المطلب الثاني: أهمية الأخلاق ٢١٧
المطلب الثالث: موضوعات الأخلاق ٢٢٢
المطلب الرابع: آيات الاتباع في الأخلاق ٢٢٦
الفصل الثاني: مجالات الاتباع للباطل في العقيدة والشريعة والأخلاق وتحته ثلاثة مباحث ٢٣٤
المبحث الأول: مجالات الاتباع للباطل في العقيدة وتحته ثلاثة مطالب ٢٣٥
المطلب الأول: اتباع الباطل في العقيدة عند الكفار ٢٣٦
المطلب الثاني: اتباع الباطل في العقيدة عند أهل الكتاب والمنافقين ٢٤٠
المطلب الثالث: اتباع الباطل في العقيدة عند أمة الاستجابة وتحته خمس مسائل ٢٤٥
المسألة الأولى: الافتراق عن الجماعة ٢٤٥
المسألة : إحداث البدع في دين الله ٢٤٧
المسألة الثالثة: الانحراف عن أصول الإيمان ٢٥٠

المسألة الرابعة: الانحراف في أمر الصحابة ٢٦٠
المسألة الخامسة: الانحراف في شأن الكبائر ومرتكبيها ٢٦٣
المبحث الثاني: مجالات الاتباع للباطل في الشريعة وتحته مطلبان ٢٦٦
المطلب الأول: اتباع الباطل في العمل بالشريعة المنسوخة ٢٦٨
المطلب الثاني: اتباع الباطل في العمل بالشريعة القائمة ٢٧١
المبحث الثالث: مجالات الاتباع للباطل في الأخلاق وتحته أربعة مطالب ٢٧٤
المطلب الأول:أصول الأخلاق الباطلة ٢٧٥
المطلب الثاني: الأخلاق الباطلة عند الكفار ٢٧٨
المطلب الثالث: الأخلاق الباطلة عند أهل الكتاب والمنافقين ٢٨٠
المطلب الرابع: الأخلاق الباطلة عند أمة الاستجابة وتحته مسألتان ٢٨٤
المسألة الأولى: أخلاق المنافقين الباطلة ٢٨٥
المسألة الثانية: الأخلاق الباطلة عند ضعاف الإيمان من المسلمين ٢٨٦
الباب الرابع: أسباب الاتباع ، وأركانه، ونماذجه ٢٨٩
الفصل الأول:أسباب الاتباع للحق، وأركانه، وقواعده، ونماذجه وتحته خمسة مباحث ٢٩٠
مدخل الفصل ٢٩١
المبحث الأول:أسباب الاتباع للحق وتحته خمسة مطالب ٢٩١
المطلب الأول: الخوف من عقاب الله ٢٩٢
المطلب الثاني: الطمع في ثواب الله ٣٩٤
المطلب الثالث: محبة الله وإجلاله ٢٩٦
المطلب الرابع: قوة الحق وتأثيره في النفوس ٢٩٩
المطلب الخامس: مصاحبة الصالحين والاقتداء بهم ٣٠٣
المبحث الثاني:أركان الاتباع للحق وتحته أربعة مطالب ٣٠٥
المطلب الأول:الآمر بالاتباع ٣٠٦
المطلب الثاني: المتبع وخصائصه ٣٠٩
المطلب الثالث: المتبع وصفاته ٣١٦
المطلب الرابع: أصول الأمر المتبع ٣٢٠

المبحث الثالث:قواعد الاتباع للحق وتحته ستة مطالب ٣٢٣
المطلب الأول:الفرق بين البينة والتزيين ٣٢٤
المطلب الثاني: الفرق بين الاتباع والتقليد ٣٢٧
المطلب الثالث:الحق لا يعرف بالنتائج ٣٣٠
المطلب الرابع الحق لا يعرف بالتجارب ٣٣٢
المطلب الخامس: الحق لا يعرف بالتوارث ٣٣٥
المطلب السادس: الحق لا يعرف بالرجال ٣٣٧
المبحث الرابع: موانع الاتباع للحق وتحته ثلاثة مطالب ٣٤٠
المانع الأول: اتباع الهوى ٣٤١
المانع الثاني: اتباع الشيطان ٣٤١
المانع الثالث: الخوف مما يترتب على اتباع الحق ٣٤٢
المبحث الخامس: نماذج الاتباع للحق وتحته ستة مطالب ٣٤٥
المطلب الأول: أمثل نموذج جماعي يضرب لاتباع الحق ٣٤٧
المطلب الثاني: من ضحى بحياته من أجل اتباع الحق ٣٥١
المطلب الثالث: من ضحى بملكه من أجل اتباع الحق ٣٥٤
المطلب الرابع: من ضحى بحريته ومفارقة أهله من أجل اتباع الحق ٣٥٦
المطلب الخامس: من ضحى بماله من أجل اتباع الحق ٣٥٩
المطلب السادس: من ضحى ببر والديه من أجل اتباع الحق ٣٦١
الفصل الثاني: أسباب الاتباع للباطل وأنواعه وأركانه ونماذجه وتحته أربعة مباحث ٣٦٤
مدخل الفصل ٣٦٦
المبحث الأول: أسباب الاتباع للباطل وتحته ثمانية مطالب ٣٦٥
المطلب الأول: الكبر ٣٦٦
المطلب الثاني: الحسد والعناد ٣٦٩
المطلب الثالث: الإعراض عن منهج الله ٣٧١
المطلب الرابع: اتباع الشبهات والشهوات ٣٧٢
المطلب الخامس: الجهل وتحته أربعة مسائل ٣٧٤

المسالة الأولى: الجهل بالقرآن ٣٧٥
المسالة الأولى: الجهل بالسنة ٣٧٧
المسالة الأولى: الجهل بدلالات النصوص ٣٨٠
المسالة الأولى: الجهل بمقاصد الشريعة ٣٨٠
المطلب السادس: الابتداع ٣٨٣
المطلب السابع: التقليد والتعصب ٣٨٥
المطلب الثامن: الغلو ٣٨٨
المبحث الثاني: أنواع الاتباع للباطل وتحته سبعة مطالب ٣٩١
المطلب الأول: النهي عن اتباع سبيل المفسدين ٣٩٧
المطلب الثاني: النهي عن اتباع السبل ٤٠١
المطلب الثالث: النهي عن اتباع الشهوات ٤٠٥
المطلب الرابع: النهي عن اتباع الظن السيئ ٤١٣
المطلب الخامس: النهي عن اتباع المتشابه ٤١٩
المطلب السادس: النهي عن اتباع الآباء على غير الهدى ٤٢٩
المطلب السابع: النهي عن اتباع غير ما أنزل الله ٤٣٧
المبحث الثالث: أركان الاتباع للباطل وتحته ثلاثة مطالب ٤٤٧
المطلب الأول : الداعي إلى اتباع الباطل والدافع إليه ٤٤٨
المطلب الثاني: صفات متبع الباطل ٤٥٠
المطلب الثالث: الأمر المتبع ٤٥٢
المبحث الرابع :نماذج الاتباع للباطل وتحته أربعة مطالب ٤٥٦
المطلب الأول: أسوأ نموذج جماعي يضرب لاتباع الباطل ٤٥٧
المطلب الثاني: الملك واتباع الباطل ٤٦١
المطلب الثالث: المال واتباع الباطل ٤٦٤
المطلب الرابع: الحوار بين الأتباع والمتبوعين ٤٦٧
الباب الخامس: آثار الاتباع وتحته فصلان ٤٧٣
الفصل الأول: آثار الاتباع للحق وتحته مبحثان ٤٧٥

المبحث الأول: الآثار الدنيوية وتحته اثنا عشر مطلبا ٤٧٦
المطلب الأول : انتفاء الخوف والحزن . ٤٧٧
المطلب الثاني : تحصيل الهداية . ٤٧٩
المطلب الثالث : تحصيل النجاة من الضلال . ٤٨١
المطلب الرابع : يورث محبة الله للعبد . ٤٨٣
المطلب الخامس : تحصيل السلامة من العقاب . ٤٨٥
المطلب السادس : تحصيل الرحمة . ٤٨٧
المطلب السابع : تحصيل الفلاح . ٤٨٩
المطلب الثامن : تحقيق مرضاة الله . ٤٩١
المطلب التاسع : تحقيق الرفعة والعلو في الدنيا . ٤٩٣
المطلب العاشر : تحقيق الائتلاف والاجتماع والسلامة من الفرقة . ٤٩٥
المطلب الحادي عشر : تحصيل النصر والغلبة . ٤٩٧
المطلب الثاني عشر : تحصيل البشارة بمغفرة الذنوب وحصول الأجر . ٤٩٩
المبحث الثاني: الآثار الأخروية وتحته سبعة مطالب ٥٠١
المطلب الأول : الآثار الدنيوية بشرى عاجلة للمؤمن . ٥٠٢
المطلب الثاني : الثبات عند الممات والنجاة من عذاب القبر . ٥٠٣
المطلب الثالث : السلامة من الشقاء . ٥٠٦
المطلب الربع : مغفرة الذنوب وتكفير السيئات . ٥٠٧
المطلب الخامس: النجاة من عذاب الجحيم . ٥١٠
المطلب السادس : الفوز بدخول الجنات. ٥١١
المطلب السابع : مـــرافقة الأنبياء. ٥١٣

الفصل الثاني: آثار الاتباع للباطل وتحته مبحثان ٥١٥
المبحث الأول: الآثار الدنيوية وتحته ثمانية مطالب ٥١٦
المطلب الأول:انتفاء الأمن وحصول الخوف والحزن. ٥١٧
المطلب الثاني: يوصل إلىالضلال في الدنيا. ٥١٨
المطلب الثالث: حصول المعيشة الضنك. ٥١٩
المطلب الرابع: حصول التفرق والاختلاف. ٥٢٠
المطلب الخامس: اتباع الباطل يوصل إلى الذل والهوان. ٥٢٢
المطلب السادس: انتفاء العدل ووقوع الظلم. ٥٢٤
المطلب السابع: فقدان الولي والنصير. ٥٢٦
المطلب الثامن: تعجيل الهلاك والعذاب. ٥٢٨
المبحث الثاني الآثار الأخروية وتحته خمسة مطالب ٥٣٠
المطلب الأول: نفي الثبات عند الممات ووقوع العذاب ٥٣١
المطلب الثاني: حبوط الأعمال الصالحة ٥٣٢
المطلب الثالث: انتفاء الأمن وحصول الخوف يورث الشقاء في الآخرة ٥٣٣
المطلب الرابع: الاصطلاء بنار جهنم ٥٣٥
المطلب الخامس: مرافقة إبليس ٥٣٧
الخاتمة: وتتضمن ٥٣٩
١ــ خلاصة البحث ٥٤٠
٢ــ بيان النتائج ٥٤٣
٣ــ التوصيات ٥٤٥

الفهارس العامة

١ــ فهرس الآيات الكريمة ٥٤٨
٢ــ فهرس الأحاديث الشريفة ٥٨٤
٣ــ فهرس الآثـــــار ٥٩٠
٤ــ فهرس الأشـــعار ٥٩٢
٥ــ فهرس المصطلحات والمفردات الغريبة ٥٩٣
٦ــ فهرس الأعلام ٥٩٩
٧ــ فهرس المصادر والمراجع ٦٠٥
٨ــ فهرس الموضوعات ٦٢٧